

فقه الدعوة إلى الله

الجزء الأول

الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر


فقه الدعوة إلى الله

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

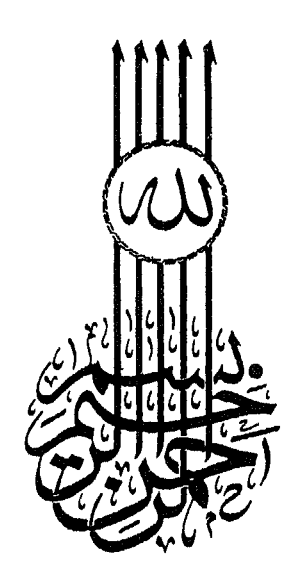


دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٢٤٢٧٧١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٢٤٧٤٢٣ ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

* إلى الدعاة إلى الله ...

ورثة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

* إليهم ... وهم كل مؤمن بدين الإسلام على بصيرة بهذا الدين ، يدعو إلى الله ، ويرى أن تلك وحدها هى السبيل ؛ سبيل رسول الله ﷺ ، وسبيل من اتبعه من المؤمنين .

* إليهم وهم يُبَلِّغون رسالات الله ، وَيَخْشَوْنَهُ ، ولا يخشون أحداً إلا الله ...

أهدى هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وعلى كل داعية إلى الله إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الدعوة إلى الله سبحانه ، دعوة الإسلام ، كانت ومازالت وستظل عمل الدعاة إلى الله ، الذى يملأ عليهم آفاقهم ، وهذه الدعوة على درجة من الاتساع والعمق ، بحيث لا يستوعبها كتاب ، مهما كان ، سوى كتاب الله ، سبحانه ، الذى جعله تبيانا لكل شىء ، ومافرط فيه من شىء ، وكل كتاب يؤلف فى الدعوة إلى الله ، إنما يستهدى كتاب الله الكريم .

ولست أدعى أنى بهذا الكتاب فى : « **فقه الدعوة إلى الله** » سوف أرسم للدعوة حدودا حاسمة ، أو أضع لها ضوابط صارمة ، كما لا أدعى أن للدعوة خطوات ، تتلوها خطوات لا يمكن أن نغير فيها ، أو أن نبدل ، إذ الأمر فى ذلك كله ، يرجع إلى فقه الداعى إلى الله ؛ متى يخطو ومتى يتوقف ، ومتى يضع الخطوط الرئيسة لدعوته ، ومتى لا يخضع لتخطيط ، ومَنْ مِنَ الناس يناسبه كذا من أساليب الدعوة ، وماذا من الأزمنة والأمكنة يناسبها كذا وكذا من وسائل الدعوة ، وما مراحل الدعوة إلى الله ، وما طبيعة كل مرحلة ، وما متطلباتها ، وما أهلية الدعاة إلى الله ، وما أهلية المدعوين إليه .

فقه الداعى : هو الأصل فى كل ذلك ، وخبرته وممارسته للعمل والجهاد فى سبيل الله ، وقدرته على تحليل المواقف التى يمر بها ، والرجال الذين يتعامل معهم هو الأساس .

ويخطىء من يظن أنه يرسم لداعية إلى الله طريقه ، فضلا عن خطواته فى هذه الطريق ؛ إذ مرد كل ذلك إليه وإلى حكمته وتجاربه .

وفقه الداعية إلى الله ، ليس اجتهادا كله ، وليس مجرد خبرة ميدانية فحسب ، وإنما هو اجتهاد بعد جهاد ومعاناة فى تحصيل أسس الدعوة وأركانها وأساليبها ووسائلها ، اجتهاد بعد دراسة جيدة لدستور الدعوة إلى الله ، القرآن الكريم ، علومه وتفسيره ، وتعمق جيد فى سنة الرسول ﷺ وأهدافها وعلومها ، وعكوف على سيرة المعصوم ﷺ ، وتدقيق فى كل

مافيها ، من حركة وسكون ، فى سلم أو حرب ، واهتمام زائد بسير أنبياء الله ورسله ، رواد الدعوة إلى الله ، الذين أعدهم الله لحمل أعباء الدعوة ، ومعرفة متأنية بدعواتهم ، وتعاملهم مع أقوامهم من موالين ومعاندين .

ثم دراسة جيدة للعلوم والمعارف والآداب التى لا يسع الداعى إلى الله أن يجهلها ، وبخاصة مايتصل بالمجتمع البُشرى فى حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية والفكرية والثقافية ، دراسة جادة ، تستهدف الوصول إلى الحق ، وإلى العلاج .

يصاحب ذلك حركة فى الإسلام ، وعمل من أجل المسلمين بل جهاد فى سبيل الله ، ليصبح الداعية عالما عاملا ، له من تجارب العمل والممارسة ، ما يجنبه الزلل ، وييسر عليه الوصول إلى الهدف .

يتجمع كل ذلك فى الداعية حول نقطة ارتكاز هى : **الإيمان** ،
وحول نقطة انطلاق هى : **الإسلام** ،
وحول نقطة توجيه هى : **العدل والإحسان** ،
ومع نقطة التوفيق وهى : **التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب** .

وهذه النقاط ، هى معالم الدعوة إلى الله إلى هذا الدين الخاتم ، الذى أتمه الله وأكمله ، ورضيه للبشرية كلها دينا ، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

وإذا كان المسلمون اليوم فى فرقة وشتات ، وتخلف وضياع ، فما أوصلهم إلى هذا إلا أنهم لم يفقهوا دعوة الإسلام ، فقعدوا عن واجبها ، وأهملوا فى عمل هو من صميم ما كلفوا به ؛ إذ قد أوجب الله الدعوة إليه على رسوله ، وعلى كل من اتبع الرسول إلى يوم الدين ، كل بحسب ما يستطيع من علم وقدرة ، ماأعفى من هذا الواجب أحدا من المسلمين ، إلا أن يكون صاحب عذر مقبول ، جاء هذا فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾[1] .

والبصيرة هنا تقدر بقدرها ، فهى لدى العالم بأصول الدين وفروعه علم وتعليم ، قد يصل إلى حد الإفتاء والاجتهاد .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

وهى لدى غيره من الناس قد تهبط ، فتصل إلى حد أن من علم من أمور الدين أمرا ، مهما كان يسيرا ، وكان منه على بصيرة ، دعا غيره إليه ، فمن كان على علم بالطهارة أو الأذان ، أو الصلاة ، أو غيرها ، فقد وجب عليه أن يدعو غيره من الناس إليها ، وإن لم يفعل فهو من المقصرين .

هكذا كان يفهم أسلافنا الدعوة إلى الله ، ويفقهون مفرداتها ، ويعرفون واجبهم نحوها ، وبهذا الفهم ، وذاك الالتزام ، نقلوا إلى الإنسانية كلها أعظم حضارة عرفها تاريخ البشرية ، وعرفوا الناس بمنهج الإسلام فى الحياة ونظامه ، فقامت عليه أفضل حياة إنسانية للناس فترات غير قصيرة من الزمان .

ثم خلف من بعد أولئك خَلْف أضاعوا وضيعوا ، ولما سُقِطَ فى أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا وأضلوا ، قال قائلهم :

إن الدعوة إلى الله واجب المتخصصين فى علوم الإسلام وحدهم ، ممعنين بذلك فى ضلال مبين ، متناسين متجاهلين ما أنزل الله على رسوله من قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ...** ﴾ فدفعوا لذلك أبهظ الأثمان ، إذ ضعفوا وذلوا وهانوا ، وسقط السيف من أيديهم ؛ لأن الحق سقط من عقولهم ، فأضحوا على النحو الذى نشاهده اليوم ، أكثر من أربعين أمة ، كان الأصل فيهم أن يكونوا أمة واحدة ، وأعجز عن أن يمارسوا حياتهم الدنيا إلا بالديون ؛ وأحد أسلافهم الذين فهموا واجب الدعوة ، وجه كلامهُ إلى سحابة فى السماء قائلا لها : « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك » .

وأمل هذا الكتاب أن يعود فقه الدعوة إلى المسلمين ، كما كان غضا نقيا مبرءا من الجهل والتجاهل ؛ لينطلق المسلمون بدعوتهم إلى الله ــ وهى الإسلام ــ داعين إلى الله كل أحد ، موقنين بأن ذلك واجبهم ، فى حدود ما أتاح الله لهم من علم ، وما أفاء عليهم من نعمة ، فإن يفعلوا فقد فقهوا ، وإن يفقهوا فقد رشدوا ، وإن يرشدوا فقد واتاهم النجاح والفلاح والتوفيق ، والنصر من عند الله ، والتمكين لدين الله فى الأرض ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1] .

---

(١) سورة الروم : ٤ ــ ٦ .

الباب الأول

فقه الدعوة

محتوى الباب إجمالا سبعة فصول هى :

الفصل الأول : ضوء على المفهوم لفقه الدعوة .

الفصل الثانى : تاريخ الدعوة .

الفصل الثالث : أسباب الدعوة .

الفصل الرابع : أركان الدعوة وهى عناصر ثلاثة :

١ ـ العقيدة .

٢ ـ العبادة .

٣ ـ السلوك والخلق .

ويتناول العنصر الثالث مايلى :

أ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ب ـ العدل والإحسان .

جـ ـ الجهاد فى سبيل الله .

الفصل الخامس : أهداف الدعوة .

الفصل السادس : أساليب الدعوة ووسائلها .

الفصل السابع : نتائج الدعوة .

الفصل الأول

ضوء على المفهوم لفقه الدعوة

ضوء على المفهوم لـ « فقه الدعوة »

الكلمة الجامعة أو الأم فى هذا الكتاب كله هى : « فقه الدعوة » ؛ إذ عليها يقوم الكتاب كله ، أبوابا وفصولا وفروعا لهذه الفصول ، وهذه الكلمة الأم عندنا مكونة من لفظين : فقه ودعوة ، ولكل واحد منهما معنى ، نريد أن نلقى عليه من الضوء ، ما يكشف أبعاده وينبىء عن حقيقته ومجازه فنقول :

الفقه : هو التوصل إلى علـم غائب بعلـم شاهد ، بمعنى أن يعمل الإنسان فكره وعقله فى علم موجود أمامه ـــ وهو العلم الشاهد ـــ ليتوصل به إلى علم غير موجود أمامه ـــ وهو العلم الغائب ـــ فالفقه إذن أخص من العلم ، بمعنى أن كل فقه يتضمن علما ، وليس كل علم يتضمن فقها .

ومن معانى الفقه : العلم بأحكام الشريعة تفصيلا ، من خلال النظر فى الأدلة والأصول الشرعية ، من كتاب وسنة وإجماع وقياس وجلب مصلحة ودرء مفسدة .

والفقه : العلم والفهم والفطنة ، وغلب على علم الدين لشرفه ، وتفقّه إذا طلب علما ، فتخصصّ فيه ، قال تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين** ﴾[1] .

والمعنى الذى تتضمنه الآية الكريمة للفقه معنى جليل ؛ إذ ربطت هنا بين الفقه والتفقه ، وبين النفْر إلى الجهاد فى سبيل الله ، فالمجاهد الذى نفر إلى الحرب فى سبيل الله ، أدعى أن يفقه الدين من القاعد ، وأجدر أن يُعلِّم القاعد ويفقهه إذا رجع إليه ؛ لأنه بهذه الحركة وهذا النفر إلى الجهاد ، تفقه فى الدين أكثر من سواه .

والفقه الإسلامى بعامة ، كانت له نشأة فى ظل معنى التفقه ، فقد جاء الدين الإسلامى من عند الله وأوحى الله به إلى محمد ﷺ ، ثم كان مجتمع من الذين دخلوا فى هذا الدين وآمنوا به ، ثم كانت حياة اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وثقافية ،

(١) سورة التوبة : ١٢٢ .

وتشابكت أطراف هذه الألوان من الحياة ، فكان استنباط الأحكام الفقهية من نصوص الدين ، وبدأ ينمو الفقه الإسلامى ، ويكثر فيه العلماء وتتعدد الكتب والدراسات ، فالفقه الإسلامى وليد حركة بهذا الدين فى المجتمع الإنسانى المؤمن بهذا الدين .

وليس الفقه الإسلامى ترفا علميا ، ودراسات نظرية معزولة عن واقع الإسلام فى صورته العملية ، ولا عن واقع حركة الإسلام فى الآفاق وجهاد المسلمين فى سبيل الله .

والقائلون بغير ذلك فى الفقه ، يجهلون حركة الإسلام ، وما ينطوى عليه هدف الجهاد فى سبيل الله ، وأغلب هؤلاء من غير المسلمين .

والأصل فى الفقه الإسلامى أن يتجدد ويتطور تبعا لما يحدث فى المجتمعات الإسلامية من تجدد وتطور وتغيير ، وعلى المتفقهين فى الدين أن يستنبطوا من نصوص الدين فقها يلائم الحياة البشرية والمتغيرات ،ويجعل التحاكم إلى أحكام الفقه الإسلامى التفصيلية أنفع للناس فى معاشهم ومعادهم .

تلك بعض معانى كلمة الفقه وحدها .

وأما اللفظ الثانى من كلمتنا الأم « فقه الدعوة » وهو لفظ « الدعوة » فإن له معانى متعددة نحاول أن نلقى عليها من الضوء ما يكشف عن تلك المعانى فنقول :

الدعوة : هى من : دعاه إلى الشيء أى حثه عليه أو ساقه إليه . وقد تكون الدعوة بمعنى السؤال مثل : ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا** ﴾ (١) أى سله . وقد تكون بمعنى الاستغاثة مثل : ﴿ **وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (٢) .

ولكن لفظ الدعوة عندنا يحتاج إلى إضافة هى : « الله سبحانه » دعوة الله ، أى الدعوة إلى الله ، فهى التى تكمل معنى اللفظ ، وتوضح أبعاده ، وإنما سكتنا عنه للعلم به ــ وحذف مايعلم جائز كما قال بذلك أسلافنا رحمهم الله ــ فالدعوة دعوة الله ، من حيث أنها جاءت من عنده ، وعلى لسان الداعى إليه ، وهو محمد ﷺ ، ثم هى دعوة إلى الله ، أى إلى هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ .

والدعوة إلى الله : هى الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما

---

(١) سورة البقرة : ٦٨ .　　(٢) سورة الأعراف : ٥٦ .

أخبروا ، وطاعتهم فيما أمروا به وفيما نهوا عنه ؛ ولأن الإسلام آخر الأديان وخاتمها وأتمها وأكملها ، فإن الدعوة إلى الله تعنى : الدعوة إلى الدخول فى دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، وحياً من عند ربه ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾(١) .

وقد عصم الله رسله ، وعصم محمدا ﷺ ، عن التقول على الله بأى شيء وبأدنى شيء ، فقال ـــ سبحانه وتعالى ـــ عن هذا الوحى الكريم والقرآن العظيم : ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾(٢) .

ومن هنا ؛ فإن دين الإسلام آخر الأديان وأتمها وأكملها ، هو الواجب الاتباع ، لوجوب الدعوة إليه ، وتوجيه هذه الدعوة لأهل الكتب السابقة وغيرهم من الناس .

الدعوة إلى الله ، أو إلى هذا الدين الإسلامى ، يجب أن توجه إلى البشرية كلها فى كل زمان ومكان ؛ لأنه لا دين بعدها ، ولا حق سواها ، أوجب الله سبحانه ذلك على رسوله ﷺ ، فأنزل عليه قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾(٣) وأوجب علينا معشر المسلمين فى كل زمان ومكان أن ندعو إلى الله ، كما دعا إليه رسوله ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ **ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾(٥) .

ولقد تعددت آيات القرآن الكريم التى أوجبت الدعوة إلى الله ، كما تعددت الآيات التى أوجبت توجيه الدعوة لكل الناس فى جميع الأزمنة والأمكنة(٦) .

---

(١) سورة فصلت : ٤٢ . (٢) سورة الحاقة : ٣٨ ـــ ٤٧ . (٣) سورة سبأ : ٢٨ .
(٤) سورة يوسف : ١٠٨ . (٥) سورة الأحزاب : ٤٥ ـــ ٤٨ .
(٦) للمؤلف : عالمية الدعوة الإسلامية جزءان .

فإذا جمع اللفظان الفقه والدعوة ، وأضيفا فأصبحت الكلمة : **فقه الدعوة** ، فإن لها معنى نحب أن نوضحه كذلك فنقول :

إن فقه الدعوة إلى الله يعنى :

التعمق والتفقه فى فهم تاريخ الدعوة وأسبابها وأركانها وأهدافها وأساليبها ووسائلها ونتائجها ، تعمقا وتفقها يُمكِّن الدعاة إلى الله من عرضها أحسن عرض : وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم فى مختلف بيئاتهم ، ومتعدد أجناسهم ، ومتباين ألسنتهم ولغاتهم ، وذاك واجب كل من كان من أتباع محمد ﷺ ، واجب لا ينفك عنه مادام مسلما ، يقوم به حسب قدرته وإمكاناته .

ومن لا يقوم بهذا الواجب مع قدرته عليه فقد خالف نص الكتاب الكريم : ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ وحسبه بذلك إثما ومعصية .

والكتاب كله يستهدف توضيح هذا الواجب ، وبيان ما ينطوى عليه ، والله المستعان ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الفصل الثانى

تاريخ الدعوة

تاريخ الدعوة

الدعوة إلى الله قديمة قدم الإنسانية ذاتها ؛ لأن أبا البشر آدم عليه السلام كان داعية إلى الله ؛ إذ كان نبيا من أنبياء الله ، وكل أنبياء الله ورسله دعاة إلى الله .

وقد ورد فى القرآن الكريم مايدل على أن الله خاطب آدم بلا واسطة ، قال تعالى : ﴿ **قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ **وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا** ﴾[2] وشرع له فى ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه ، وأحل له وحرم عليه ، دون أن يرسل له رسولا ، قال تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾[3] . والكلمات التى تلقاها آدم من ربه للعلماء فى تفسيرها وجوه منها :

أنها الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبال .

أو هى قوله : ربنا إننا ظلمنا أنفسنا .

أو قوله : ألم تخلقنى بيدك ؛ ألم تسكنى جنتك ، ألم تسجد لى ملائكتك ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ أرأيت إن تبتُ أكنت معيدى إلى الجنة ؟ قال : نعم .

وقال سبحانه : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** ﴾[4] وقال جل شأنه : ﴿ **فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾[5] .

وتلك الآيات الكريمة التى خوطب بها آدم ، فشرع له وأحل له وحرم عليه ، دون أن يرسل إليه رسولا ، هى كل معانى النبوة . فآدم أبو البشر نبى ، وهو أول داعية إلى الله سبحانه .

---

(١) سورة البقرة : ٣٣ . (٢) سورة البقرة : ٣٥ . (٣) سورة البقرة : ٣٧ .
(٤) سورة طه : ١١٥ . (٥) سورة طه : ١١٧ .

١ ــ القرآن الكريم والدعاة إلى الله من الرسل

والأنبياء والرسل جميعا دعاة إلى الله ، بحكم ما اصطفاهم الله له ، مايشك فى ذلك واحد ممن يعرفون عن الرسالات والرسل معرفة وجيزة ، ولا يمترى فى ذلك أحد ممن يعرفون تاريخ البشرية على هذه الأرض ، سواء أكانوا يدينون بدين الإسلام أم غيره ، أم كانوا ممن لا يدينون بدين .

لقد أكد الله تعالى هذه الحقيقة ، وصرح بوظيفة الرسل والأنبياء ، بل حددها فى خطَّيْن عريضين فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾(١) . فوظيفة كل رسول فى أى أمة أمران :

دعوتهم إلى عبادة الله وحده وفق ماشرع .

ودعوتهم إلى ترك عبادة أى معبود غير الله ــ وهو الطاغوت ــ أو ترك التعدى بتجاوز ماشرع الله .

ومن أجل الدعوة إلى الله ، والتزام الناس بالدين الحق الذى يجىء من عند الله ، وترك كل معبود غير الله ، وكل شرع غير ما شرع ، أرسل الله سبحانه الرسل ، ونبأ الأنبياء .

فالدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء جميعا ، وتاريخ الدعوة إلى الله ــ بناء على هذا ــ هو أعرق تاريخ عرفته البشرية ، ووعاه عقلها ؛ إذ هو تاريخ الخلق من لدن آدم عليه السلام .

وكل نبى أو رسول لما دعا إلى الله وفق ما شرع ، وبذل فى سبيل الدعوة مااستطاع من جهد ، كان له من قومه قلة مؤمنة ، وكثرة كافرة ، تلك سنة الله فى خلقه ، إلا قوم يونس آمنوا فمتعهم الله إلى حين ، قال تعالى عن يونس عليه السلام : ﴿ **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم إلى حين** ﴾(٢) .

ولقد تحدث القرآن عن الرسل والأنبياء ، فأوضح أنهم دعاة إلى الله ، بل حدد أبعاد هذه الدعوة ومتطلباتها ، فقد جاء فى القرآن الكريم فى شأن نوح عليه السلام : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم**

---

(١) سورة النحل : ٣٦ .

(٢) سورة الصافات : ١٤٧ ــ ١٤٨ .

عذاب يوم عظيم ﴾[1] .

وجاء فى شأن هود عليه السلام : ﴿ **وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون** ﴾ [2] .

وفى شأن صالح عليه السلام : ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم** ﴾[3] .

وفى شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ [4] .

وجاء فى شأن إسماعيل عليه السلام : ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾[5] .

وجاء فى شأن شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ..** ﴾ [6] .

وجاء فى شأن موسى عليه السلام : ﴿ **هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل هل لك إلى أن تزكّى . وأهديك إلى ربك فتخشى ...** ﴾[7] .

إن الله تبارك وتعالى أرسل رسله ، داعين إلى عبادته ، ومعهم البشارة والنذارة ؛ ليتعظ الناس ، فيحيا من حَيَّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ، وليقطع على الناس حجة

---

(١) سورة الأعراف : ٥٩ . (٢) سورة هود : ٥٣ . (٣) سورة الأعراف : ٧٣ .
(٤) سورة الأنبياء : ٥١ ــ ٥٦ . (٥) سورة مريم : ٥٤ ــ ٥٥ . (٦) سورة الأعراف : ٨٥ .
(٧) سورة النازعات : ١٥ ــ ١٩ .

الجهل ، أو عدم البلاغ قال تعالى : ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما** ﴾[1] .

وما ترك الله فى ساحة الإنسانية أمة ، إلا أرسل إليها رسولا ، دعا إلى الإيمان بالله ، وبشر وأنذر قال سبحانه : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون** ﴾[2] .وقال سبحانه : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾[3] .

وجاء فى شأن غيرهم من الرسل ، عليهم صلوات الله وسلامه ، كثير من آيات القرآن الكريم ، بل جاء فى شأنهم فى سنة محمد ﷺ ، شيء كثير ، ومعنى ذلك أن تاريخ الدعوة إلى الله هو تاريخ البشرية ، من لدن آدم عليه السلام ، إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، إلى كل من اتبع محمدا ﷺ ، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

وإن فى قصص الأنبياء والمرسلين ، التى حفظها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لعبرة لأولى الألباب ، وإن فيها لنبراسا للدعاة إلى الحق ، وتأكيداً على أن الدعوة إلى الله واكبت البشرية منذ بدايتها على عهد آدم أبى البشر ، عليه السلام ، ثم بلغت رشدها فى نبوة محمد ﷺ ، حيث أكمل الله الدين وأتمه ، ورضيه للبشرية كلها دينا .

وإن علامات بارزة فى تاريخ الدعوة ، قد أكد عليها القرآن الكريم ، وهو يفصل لنا سير أولى العزم من الرسل ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، عليهم صلوات الله وسلامه ، إن هذه العلامات البارزة فى تاريخ الدعوة ، هى معالم فى طريق الدعاة إلى الله ورثة الأنبياء ، فمن أراد الدعوة إلى الله على أخلص ماتكون ، وأنقى ما تكون ، فعليه بسير الأنبياء والمرسلين ، وبخاصة أولى العزم منهم فإنها هى .

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ٤٤ .

(٣) سورة فاطر : ٢٤ .

٢ ـــ القرآن الكريم والدعاة من أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام

الأولى : دعوة نوح عليه السلام :

سوف لانسرد تاريخ هذه الدعوة كما يفعل المؤرخون ؛ فهذا تكرار لما فعلوا ، ولكننا نستهدف أن نركز على أبرز العلامات المميزة لدعوته إلى الله ، مما يعطى الدعاة إلى الله معالم بها يهتدون .

إن دعوة نوح عليه السلام ـــ أول أولى العزم من الرسل ـــ إلى الإيمان بالله ، ونبذ ماصنعوا من أصنام ، استمرت فى عمر البشرية ألف سنة إلا خمسين سنة وما أثمرت إلا ثمرا قليلا من ثلة من المؤمنين ، تخطوا الباطل والضلال ، إلى الحق والهدى على ظهر سفينة ، عبرت بهم من الكفر إلى الإيمان .

وإن قلة المؤمنين بنوح من حيث العدد ، دلت على أن المعاندين كثير ، وأن المتصدين للحق والإيمان أسوأ من أن يستجيبوا ، ولو فى ألف سنة إلا خمسين عاما ؛ لذلك خشى نوح ، عليه السلام ، أن يتوالد من أهل الباطل أهل باطل ومن كبراء الكفر كفار ، فكانت دعوته عليهم ؛ ليطهر منهم الأرض : ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾[1] .

وقد فصل القرآن الكريم سيرة نوح ، وروى قصته فى سور كريمة هى : الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر ونوح .

وتحدث عنها القرآن الكريم فى سور عديدة ، بلغت فى مجموعها ثمانيا وعشرين سورة كريمة ، وفى آيات كثيرة زادت على مائة آية كريمة .

وأبرز العلامات المميزة لدعوة نوح عليه السلام مما يجب أن يعنى به الدعاة إلى الله ، ويستنيروا به فى تصورى ما يلى :

١ ـــ **ضرورة الاجتهاد فى الدعوة ، وبذل الوسع كله** ، واستفراغ الطاقة جميعها ، مهما طالت المدة ، وترامت أبعادها ، دون مَلَل أو يأس أو تراجع .

٢ ـ **ضرورة تعدد وسائل الدعوة ، وتعدد أساليبها** ، وتعدد أوقاتها ﴿ **قال رب إنى دعوت**

---

(١) سورة نوح : ٢٦ ـــ ٢٧ .

قومى ليلا ونهاراً ... ثم إنى دعوتهم جهارا . ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا﴾ [1] .

٣ ــ **الاهتمام بإقناع المدعوين وحوارهم ، وضرب الأمثال لهم** ، وتذكيرهم بخلق الله لهم ، ونعمه عليهم ، ولا بأس أن يصل بهم إلى حد الجدال بالتى هى أحسن ﴿ **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين** ﴾ [2] .

٤ ــ **ليس ضروريا أن تثمر الدعوة مؤمنين ذوى عدد كبير** ؛ لأن ذلك مرهون بإرادة الله سبحانه ، فما ينبغى إذن لأى داعية إلى الله أن يقيس نجاحه فى الدعوة بمقياس كمى ، وما ينبغى له أن يحزن ، فضلا عن أن ييأس ، إذا لم يجد من المؤمنين عدداً كبيراً ، فإن القلة مع الإيمان أفضل من الكثرة ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾[3] .

٥ ــ **تحدى الحق بالباطل والسخرية منه ومن دعاته ، من سنة الله فى الدعوات والدعاة** ﴿ **وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾[4] وعلى الداعى إلى الله أن يصبر ويحتسب ، وأن يوقن بأن الله معه وناصره اليوم أو غدا ، فليس له أن يتعجل نتيجة ، وإنما يعمل ويستوفى ، ويدع الأمور لله سبحانه .

٦ ــ **قد يمتحن الداعى إلى الله من أجل دعوته فى أقرب الناس إليه** ، فلقد امتحن نوح عليه السلام فى زوجه وولده فصبر ، فإن حدث هذا ، فليس للداعية أن يجزع أو يخنع أو يتراجع ، أو يساوم على شىء من الحق ، كى يثوب إليه قريب أو نسيب ، ذاك شأن الدعوة والدعاة ، وتلك سنة الله فى الدعوات والناس ، ولن تجد لسنته تبديلا أو تحويلا .

الثانية : دعوة إبراهيم عليه السلام :

وهو خليل الله ، وثانى أولى العزم من الرسل ، وأبو الأنبياء معظمهم ، وإن دعوته إلى الله وسيرته فيها ، قد امتلأت بالعبر وحفلت بالمواقف المعلمة الهادية فى طريق الدعوة إلى الله . وقد فصل القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام ، على نحو موسع فى عدد كبير من السور بلغ خمسا وعشرين سورة ، وعدد كبير من آيات القرآن الكريم .

---

(١) سورة نوح كلها .
(٢) سورة هود : ٣٢ ــ ٣٣ .
(٣) سورة هود : ٤٠ .
(٤) سورة سبأ : ٢٤ .

وإن أوضح مافى قصة إبراهيم عليه السلام ــ فى تصورى ــ هو الصراع بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والتوحيد والشرك ، وسوف نذكر من ذلك ما هو مؤيد بالقرآن الكريم .

أ ــ فى صراعه مع قومه من أجل التوحيد :

قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين** ﴾(1) .

ونستلهم من هذا الصراع ما يلى :

1 ــ أن الداعية إلى الله لا يتصدى للصراع ، دون أن يكون له مستعدا ، وعليه قادرا ، وقد ملك البصيرة والأهلية فى هذا المجال ، أى الرشد ، وهو تبين الحق من الباطل ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** ﴾ .

2 ــ طرح قضية التوحيد والشرك ، أو الإيمان والكفر ، بصراحة دون مواربة ودون خوف ، ومواجهة الناس بما هم عليه من باطل ، وحوارهم بل جدالهم بالتى هى أحسن ، ورد الناس إلى الحق والصواب : ﴿ **ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ . .

3 ــ السعى فى إبطال الباطل ، باستعمال الوسائل المقنعة ، بل الدامغة دون خوف أو

---

(1)سورة الأنبياء : 51 ــ 70 .

وجل ؛ لأن الله ناصر الحق يوما ، كتب الله ذلك على نفسه ، ومن أصدق من الله وعدا ؟ وإحراج الخصم بإبطال ترهاته ، وطرح الأسئلة التى تخرجه عن دائرة العقلاء ، لو أجاب عليها إجابة يمليها العقل الراجح والمنطق السليم .

والاستمرار فى الحوار والإقناع دون ملل ، مهما طال أمده ، مادام الداعية متسلحا بالحق ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾ .

٤ - الثقة فى نصر الله وتأييده ، فى الوقت المناسب والمكان المناسب ؛ لأن تلك إرادة إلهية عليا ﴿ **قلنا ياناركونى بردا وسلاما على إبراهيم** ﴾ .

إن ثقة الداعى إلى الله فى الله وفى الحق الذى يدعو إليه ، جعلت النار بأمر الله بردا وهى نار ، وسلاما من برد ، ربما يشتد على الداعى إلى الحق الذى يؤمن به ويحتسب ما يبذل فى سبيله عند الله .

ب ـــ وفى صراعه مع الملك الذى زعم لنفسه بعض صفات الألوهية :

ألزمه الحجة ، وقطع عليه كل سبيل ، وأبلى بلاء حسنا فى توضيح صفات الألوهية ، وبيان أن الله وحده هو المعبود بحق ، قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين** ﴾[1] .

ونستلهم من هذا الصراع أمورا منها :

١ ـــ أن الداعى إلى الله يتحداه بالدرجة الأولى أصحاب الملك والسلطان ، غافلين عن أن ذلك ـــ أى الملك والسلطان ـــ منحة من الله لهم كانت تستوجب عليهم شكر النعمة لكن الإنسان يطغى أن رآه استغنى .

لما خدع هذا الملك فى ملكه الذى هو منحة له من الله أخذ يحاج إبراهيم فى ربه ، فلم يحفل إبراهيم ولكنه حاوره وخاصمه ، فخصمه بالحق وبالحجة الدامغة . وذاك شأن الدعاة المسلحين دائما بالحق وبحججه وبراهينه .

٢ ـــ على الداعى أن يعد حججه وأسانيده ، وأن يتسلح بالعلم والمعرفة ، ويجيد مداخل

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

الأمور ومخارجها ، ﴿ **إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب** ﴾ وهى حجة قاطعة دامغة ، جاءت عن بصيرة وعلم وتأمل فى الكون والحياة .

٣ ـــ الله تبارك وتعالى مع الحق ، ومع الدعاة ، يبهت بهم أعداءه ومناوئى دعاته ، وتلك سنته كذلك ﴿ **فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾[1] .

جـ ـــ صراعه مع أبيه وقومه :

وفى صراعه مع أبيه ، عابد الأصنام وصانعها بيده ، كما تذكر بعض الروايات أنه كان نجارا ينحت التماثيل ، ويبيعها لمن يعبدونها .

وهو صراع حاد كان موجها إلى أبيه ، ولكنه مقصود به كل عابد وثن أو صنم .

وهو صراع متدرج من الأدنى إلى الأعلى ، أو من الأصغر إلى الأكبر ، ولو لم يكن الداعية على بصيرة ، ما يستطيع أن يجادل بقوة ومنطق .

إن والد إبراهيم وقومه كانوا ينحتون الأصنام على هيئة الكواكب ، كالشمس والنجوم والقمر وغيرها ، ثم يعبدونها ، فكان أسلوب إبراهيم عليه السلام معهم أن يبطل لهم ما يعبدون ، لينتقلوا بعد ذلك إلى عبادة رب العالمين ، فى حوار منطقى أخاذ قال تعالى :
﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

(٢) سورة الأنعام : ٧٤ ـــ ٨٣ .

ونستلهم من الصراع مايلى :

١ ـــ استنكار عبادة غير الله على العابدين ، ولو كان العابد والد الداعية أو والدته ، وهذا أقرب الناس إلى الإنسان ؛ لكن الحق فوق القرابة فوق الأبوة فى قصة إبراهيم ، وكان فوق البنوة والزوجية فى قصة نوح ، وسيظل فوق كل قرابة أو صلة إلى يوم الدين ﴿ **أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين** ﴾ .

٢ ـــ اتخاذ الوسائل والأساليب الملائمة لإبطال حجج من يعبدون غير الله ... أبطل ربوبية الكوكب ، لأنه رب يغيب ويختفى ، ثم أبطل ربوبية القمر ، رغم أنه يبدو للناظر أكبر من الكواكب ؛ لأنه يختفى ويغيب أيضا ، ثم أبطل ربوبية الشمس وهى الأكثر بزوغا وسطوعا وإشراقا ؛ لنفس السبب ، وهى أنها رب يغيب ويختفى ولا حضور له إلا حينا بعد حين .

ثم اتجه إلى تحديد الرّب الإله ، الذى لا يغيب ولا يختفى بل هو رب السموات والأرض والناس والأشياء ، ثم أعلن براءته من هذا الشرك .

ثم دار جدل وحجاج من قومه ، فأعلن لهم : أنه لا يخاف تلك الآلهة الضعيفة التى تغيب وتختفى ، وأنهم هم الجديرون بالخوف ؛ لأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به عليهم سلطانا ، وطرح تساؤلا جادا هو : أى الفريقين أحق بالأمن المؤمنون أم المشركون ؟

وقد أسبغ الله على إبراهيم من نعمه ، فآتاه الحجة على قومه ، ورفعه بذلك غنهم درجات ، وحسبك بالفارق بين مؤمن ومشرك .

ومعنى ذلك أن الداعية إلى الله لا يكف عن اتخاذ الوسائل والأساليب التى يدافع بها عن الحق .

٣ ـــ الثقة فى أن الله سيلهم الدعاة إليه ما يقوى به حججهم ، ويشد به أزرهم ، ويرفع به من درجاتهم إذا هم صبروا واحتسبوا ، ذلك وعد الله لدعاته فى كل حين كما بدا لنا ذلك فى الآيات القرآنية الكريمة .

د ـــ هجرة إبراهيم فى سبيل الدعوة :

امتلأت حياة إبراهيم عليه السلام ، من الدعوة إلى الله بالانتقال والهجرة ، وذاك شأن الداعية إلى الله فى كثير من الأحيان ، فلقد بذل إبراهيم عليه السلام ، مع أبيه وقومه

غاية وسعه ، وحاور وجادل ، ودعا إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، وتحمل فى سبيل ذلك ما تحمل ، ولكن جهوده كلها لم تسفر عن عدد كبير من المؤمنين ، شأن دعوات الحق دائما ، وإنما هو عدد قليل ، منه : زوجه سارة وابن أخيه لوط عليه السلام .

إن إبراهيم كان واسع الآمال ، إذ طمع فى أن يؤمن به أبوه لموعدة وعدها إياه بأنه سيؤمن ، مما جعل إبراهيم عليه السلام يستغفر له ، حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ (١) .

ولقد ضاق والد إبراهيم بابنه ، فهدده بأن يرجمه إذا استمر فى دعوته ، أو انصرف عن الآلهة التى كان يعبدها أبوه ، يهدده أبوه بذلك ، فى الوقت الذى يحاول هو معه أن ينقله من الشرك إلى الإيمان ﴿ **يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا .** ﴾(٢) حول هذه الأحداث كانت هجرة إبراهيم — عليه السلام — الهجرة الأولى إلى « أور » .

هاجر إبراهيم فى نقلته الأولى من أجل الدعوة إلى مدينة « أور » الكلدانيين ، وهى مدينة كانت قرب الشاطىء الغربى من الفرات ، يدعو هناك إلى ربه ، ويبعد عن أبيه ويعتزله ، بعد أن وجه إليه وإلى قومه أشد إنذار وأعنفه ، إذ قال لهم : ﴿ **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين** ﴾(٣) وإنما كان هذا الإنذار شديدا وعنيفا ؛ لأنه كشف لهم دخائلهم السيئة حيث يعبدون الأصنام مجاملة من بعضهم لبعض ، فيؤثرون علاقة زائلة على عبادة الله وتوحيده ، فإذا كانوا يوم القيامة ، كفر بعضهم ببعض ، بل لعن بعضهم بعضا على هذه المجاملة العمياء ، وأصبحت النار مأوى لهم .

ثم أعلن أنه مهاجر بدينه وبدعوته ، مهاجر إلى ربه لا إلى عرض من أعراض الدنيا ، ولا إلى جاه أو سلطان ، وقد كافأه الله على هذه النيّة وتلك الهجرة ، بأن وهب له إسحق

---

(١) سورة التوبة : ١١٤ . (٢) سورة مريم : ٤٣ — ٤٦ . (٣) سورة العنكبوت : ٢٥ .

ويعقوب ، وجعل النبوة فى عقبه ، فهو بحق أبو الأنبياء قال تعالى فى هذه الهجرة : ﴿ **وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين** ﴾[1] .

تلك كانت هجرته الأولى .

ثم كانت منه هجرة بعد ذلك إلى فلسطين ، أرض الكنعانيين ، وكان بصحبته الركب القليل العدد من المؤمنين :

١ ـــ زوجُهُ سارة .

٢ ـــ وابن أخيه لوط .

٣ ـــ وزوج ابن أخيه لوط .

وقد ورد فى السيرة النبوية عند الحديث عن هجرة المسلمين إلى الحبشة ، أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد هاجر إلى الحبشة ، واصطحب معه زوجه رقية بنت محمد ﷺ وروى أن النبى ﷺ قال فى ذلك : « إن عثمان أول مهاجر بأهله بعد لوط » .

وعاش إبراهيم وهذا الركب القليل العدد بفلسطين يدعو إلى الله ، ولكن لم يطل به المقام هناك ، فقد كان يكثر التنقل نحو الجنوب داعيا إلى الله .

ثم كانت هجرة ثالثة إلى مصر ، وكان ذلك فى عهد ملوك الرعاة العماليق[2] الذين يسميهم اليونان « هكسوس »[3] .

وتلك الرحلة هى التى ذكر فيها أن إبراهيم عليه السلام قال عن زوجه سارة إنها أخته ، فى مواجهة أحد ملوكهم الظالمين ، وبقى إبراهيم عليه السلام فى مصر فترة يدعو إلى الله .

ثم كانت هجرته الرابعة إلى الحجاز ، وكان قد بنى بهاجر وسافر بها إلى الحجاز ، وجعلها تقيم فى مكة ، ورزق منها بولده إسماعيل نبى الله عليه السلام .

وفى مكة بنى إبراهيم البيت الحرام والكعبة ، وكان يتردد على هاجر وولدها ، فلما كبر

---

(١) سوره العنكبوت : ٢٦ ـــ ٢٧ .

(٢) لفظ عماليق أو عمالقة مجهول والغالب أنه منحوت من اسم قبيلة عربية كان موطنها شمالى العقبة ، وكان أهل بابل يطلقون عليهم ماليق وأضافت يهود إلى الكلمة لفظ « عم » بمعنى شعب فقالوا عماليق أو عمالقة .

(٣) هكسوس تصحيف للفظ فرعونى قديم هو خفا وخاسوت أى حكام الأراضى الصخرية الأجنبية وقد اجتاحوا مصر سنة ١٧٣٠ ق . م واستمروا بها قرنا ونصف قرن حتى أجلاهم عن البلاد أمراء طيبة فى صعيد مصر .

إسماعيل بنيا الكعبة قال تعالى : ﴿ **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[1] .

ونستلهم من هذه الهجرات والرحلات فى سبيل الدعوة أمورا ، تنفع الدعاة إلى الله فى كل مكان وزمان :

١ ــ كل الأرض ملك لله على وجه الحقيقة ، والداعية الحق من لا يستوحش من أرض غير أرضه ، مادام سوف يدعو فيها إلى الله ، كما فعل خليل الله عليه السلام ــ العراق وأور وفلسطين والأردن ومصر والحجاز وفلسطين ثانيا .

٢ ــ أن الهجرة تكون لله وإليه ، لا إلى طلب أمن أو نجاة ، أو عرض من أعراض الدنيا .

٣ ــ الداعية إلى الله دائم البحث عن أرض جديدة ، يدعو فيها إلى الله ، إذا ضاقت عليه أرضه .

٤ ــ المفهوم الصحيح للوطنية ، هو الأرض التى يعلو فيها صوت الحق ، ويعبد فيها الله وحده لا شريك له .

والمفهوم الدقيق للجنسية ، هو العقيدة وليست رقعة من تراب ، فإذا توطن المسلم فى أرض أحبها ، وجعل الدينُ حبها من الإيمان .

كل تلك أمور نستلهما من هجرات إبراهيم عليه السلام .

وبعد : فلقد تبين لنا أن المعالم البارزة فى قصة إبراهيم عليه السلام مما ينبغى أن يتنبه إليه الدعاة أربعة معالم هى :

أ ــ الصراع من أجل التوحيد مع قومه .
ب ــ الصراع مع الملك من أجل توضيح الألوهية والربوبية .
جـ ــ الصراع مع والده وقومه من أجل ترك عبادة الأصنام .
د ــ الهجرات المتعددة بحثا عن أرض يدعو فيها إلى الله .

وأبرز ماينبغى أن يتنبه إليه الدعاة فى المعالم البارزة من حياة إبراهيم عليه السلام مايلى :

---

(١) سورة البقرة : ١٢٧ ــ ١٢٩ .

١ ـــ ضرورة التمسك بالحق والدعوة إليه بإصرار ، مهما كان الصراع قويا بين أهل الباطل الكثر الأقوياء غالبا وأهل الحق القليلى العدد والعدة غالبا ، حتى لو كان أهل الباطل ملوكا أو أصحاب جاه وسلطان ، ومهما تكن صلة الداعى بأهل الباطل آباءً أو أبناء أو أزواجاً أو عشيرة ؛ لأن الولاء لله وللحق ، هو الولاء ، أما الولاء للآباء والأبناء والعشائر ، فمرفوض ، إن كانوا فى صف الباطل ومن أنصاره ، فرض الله ذلك على الدعاة جميعا ، وتحدث عنه فى قرآنه الكريم بالنسبة لأمة محمد ﷺ .

قال الله تعالى يُعلِّم المسلمين : لمن يكون الولاء ، ولمن يكون الحب : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾[1] .

هكذا رسمت الآية الكريمة حدود الولاء والحب ، وسمّت غير الملتزمين بهذه الحدود فاسقين خارجين عن حدود الله التى أوضحها .

٢ ـــ على الدعاة أن تكون لديهم رغبة أكيدة وشديدة ، فى إقناع الخصوم بالحق ، واتخاذ كل الأساليب والوسائل المشروعة فى سبيل الوصول إلى هذا الإقناع ، ولذلك درجات منها :

أ ـــ تعرية الباطل وكشف فساده وضرره .

ب ـــ مقارنة الباطل بالحق كوسيلة من وسائل الإقناع .

جـ ـــ البحث عن الأدلة والأسانيد التى تؤيد الحق وتهدر الباطل حتى يتم الإقناع .

د ـــ الإيمان بالله لا يكفى فيه التقليد والتبعية عن غير بصر وبصيرة ، وإنما يجب أن تتضح حقائق الإيمان بالدليل والبرهان ، وأن يستقر هذا الإيمان فى القلب وأن يصدقه العمل ، وذاك هو الأسلوب القرآنى : ﴿ **وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[2] .

٣ ـــ الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وتحمل كل ما تستوجبه من أعباء ومشقات ، واحتساب ذلك عند الله ، وفى الوقت نفسه ، ضرورة رفض المساومة على شيء ، مهما كان صغيرا يتنازل عنه الداعية ، فى مقابل أى مقابل مادى أو معنوى ، ثوابى

---

(١) سورة التوبة : ٢٤

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

أو عقابى ، فقد أصر إبراهيم على الحق ، على الرغم من تهديده بإلقائه فى النار ، بل أصر عليه حتى ألقى فى النار فعلا ، وإن أهل الباطل عندما يعجزون عن مواجهة أدلة الحق ، يلجأون لسلاح القوة والإرهاب ، فيتحرك فيهم الحيوان الكامن فى الإنسان ، فيعصفون بأهل الحق ، يسجنون ، ويؤذون ، ويشردون ، ويحاربون فى الرزق ، ويفعلون كل ما تزين لهم شياطين الباطل ؛ لزحزحة أهل الحق عن موقفهم .

وأهل الحق من سنتهم ألا يخافوا فى الحق لومة لائم ، فهم مؤمنون بأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، ولن يصرف أحد عنهم أذى قدر الله عليهم أن يلاقوه .

وبهذا المنطق يواجهون الموت نفسه آمنين مطمئنين إلى أن ما أصابهم ما كان ليخطئهم ، وأن ما أخطأهم ما كان ليصيبهم ، والله من وراء ذلك كله حفيظ عليم ، يعرف ما يصلح الحق وأهله زمانا ومكانا وملابسات وهو بكل شىء عليم . وهو الذى جعل النار التى ألقى فيها خليله لتمسكه بالحق بردا وسلاما عليه . وهو قادر على أن يجعل كل نار بردا وسلاما على دعاته والمتمسكين بالحق فى كل زمان ومكان ، لقد كان ذلك منه سبحانه ، وسوف يكون دائما ، طالما تمسك الدعاة إلى الله بالحق ، ونافحوا عنه ، ولم يخافوا فى الدعوة إليه لومة لائم .

﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾[1] .

٤ ــ الهجرة والرحلة ، والتنقل فى سبيل الله ، والدعوة إليه ، عمل مشروع ، وهدى نبوى كريم ، فقد هاجر المسلمون بدينهم إلى الحبشة مرتين ، وهاجر النبى ؛ صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة .

بل لابد أن تكون الهجرة أسلوبا معتمدا للدعاة إلى الله ، عندما تضيق بهم البلاد ، وما يسودها من ظلم وتحد للحق .

نعم فى الهجرة تضحيات كثيرة ، نفسية واجتماعية ومادية ومعنوية ، لكن كل ذلك ينبغى أن يهون فى جانب ماعند الله ، إن المهاجر بدينه وبدعوته ، لِيَجِدَ المكان

---

(١) سورة الأنبياء : ٦٨ ــ ٧١ .

الذى يُمَارس فيه دعوته ، يُؤْثِر ما عند الله على ماعند الناس ، وتلك أولى علامات التوفيق والنجاح .

ومادام الدعاة إلى الله مؤمنين بأن النار قد تتحول إلى برد وسلام ، فما لهم لا يؤثرون ما عند الله على ماعند الناس ؟

الثالثة : دعوة موسى عليه السلام :

وموسى هو كليم الله ، وثالث أولى العزم من الرسل ، وحسبه عزما وصبرا أنه أرسل إلى بنى إسرائيل ، وما هم عليه من عناد ، وصلابة رأى ، وطمع وجحود .

وإن تاريخ دعوة موسى لأحفل تواريخ الأنبياء بالمواقف المعلمة الهادية ، إذ حفظ الله موسى وليدا ورضيعا من متجبر فى الأرض ، يُذَبِّح أبناء بنى إسرائيل ، ويستحيى نساءهم خادمات وجوارى وإماءً .

ومن حكمة الله أن تربى موسى عليه السلام فى بيت فرعون ، وأن هذا المتجبر قد اتخذه ولدا ؛ ليكون قرة عين له ولزوجه ، سبحان الله ، عندما يريد ولا يعلم الناس سر إرادته .

وعاش موسى فى مصر رضيعا وصبيا ويافعا ورجلا ، وشعر بانتمائه لقومه بنى إسرائيل ، لا لفرعون ، ودافع عن مظلوم من قومه ، ضد ظالم من قوم فرعون ، فوكزه موسى فقضى عليه ، وبدت على موسى سيماء النخوة والشهامة — قبل النبوة — فهمَّ بظالم ثانٍ يريد أن يبطش به ، ولكن الله صرفه عن ذلك ، وأصبح موسى حديث الناس فى مصر وائتمر به الملأ ليقتلوه .

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى إليه ، يفضى إليه أن الملأ يأتمرون به ليقتلوه ، وطلب منه أن يخرج من مصر ؛ نجاة بنفسه من هذه المؤامرات .

خرج موسى من مصر خائفا يترقب ، ونجاه الله وعبرها إلى مدين ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا**

تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ (١) .

وكان لقاء له مع نبى الله شعيب ، وطمأنه شعيب ، واستأجره ثمانى حجج ، على أن يزوجه بذلك إحدى ابنتيه ، ولما قضى موسى الأجل ، أخذ أهله ، وعاد إلى مصر ، وفى طريق عودته ، وعند جبل الطور فى سيناء ، رأى نارا ، فلما ذهب إليها يستطلع أمرها ؛ ﴿ **نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾(٢) .

ونبأه الله سبحانه ، وكلفه بالدعوة إليه ، وسلحه بالمعجزات الملائمة لما كان يجيد الكهنة فى مصر والسحرة منهم ، وهو السحر فخاطبه بقوله : ﴿ **وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإه إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ (٣) . وصار موسى بهذا الخطاب نبيا داعيا إلى الله .

دعوة موسى عليه السلام مرت بمرحلتين هامتين :

الأولى : توجيهه الدعوة إلى عبادة الله ، إلى فرعون .

والثانية : دعوته إلى عبادة الله قَوْمَهُ بنى إسرائيل .

وفى كلٌ صراع وعمل متواصل ، وصبر واحتساب ، ولنتحدث عن كل واحدة منهما :

١ ــ صراعه مع فرعون :

كان فرعون يدّعى الربوبية ، إذ استخف قومه ، فأطاعوه ، وعبده كثير منهم من دون الله ، فوجه الله إليه موسى ، عليه السلام ، بالقول اللين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإلى الحق لعله يتذكر أو يخشى .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحوار بين موسى عليه السلام ، الداعية إلى الله ، وفرعون الذى يدعى الربوبية ، قال تعالى : ﴿ **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال رب إنى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا**

---

(١) سورة القصص : ٢٣ ــ ٢٥ .　　(٢) سورة القصص : ٣٠ .　　(٣) سورة القصص : ٣١ ــ ٣٢ .

ينطلق لسانى فأرسل إلى هارون . ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون .

ـ قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون . فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى إسرائيل .

ـ قال ألم نُرَبِّك فينا وليدا ولبثت فينا من عُمُرِك سنين . وفعلت فَعْلَتك التى فعلت وأنت من الكافرين .

ـ قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين .. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها علىَّ أن عَبَّدت بنى إسرائيل .

ـ قال فرعون وما رب العالمين .

ـ قال رب السمٰوات والأرض وما بينهما إن كنتم مُوقنين .

ـ قال لمن حوله ألا تستمعون .

ـ قال ربكم ورب آبائكم الأولين .

ـ قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون .

ـ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .

ـ قال لئن اتخذت إلـٰهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين .

ـ قال أو لو جئتك بشىء مبين .

ـ قال فأت به إن كنت من الصادقين .

ـ فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين .

ـ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون .

ـ قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل سحار عليم . فجمع السحرة إلى ميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين .

ـ قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين .

ـ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .

ـ فألقوا حبالهم وعصيَّهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون .

ـ فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون .

— **فألقي السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون .**

— **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين .**

— **قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون . إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنَّا أول المؤمنين ﴾**[1] .

إنه حوار غنى عن الشرح والتفسير وصراع بين الحق والباطل يدرك نتيجته كل لبيب .

ثم دارت بين موسى عليه السلام ، وفرعون أحداث وأحداث ، وكان من فرعون الطغيان والجبروت والقهر والتعذيب ، وكان من موسى عليه السلام ، الصبر والإصرار على الحق ، وجنى كل منهما ثمرة ما زرع ، أما فرعون فقد هلك وأدركه الغرق ، وأما موسى ، عليه السلام ، فقد نجا ومن معه بمعجزة ما كانت لتخطر لأحد على بال ، معجزة غيرت من طبائع الأشياء التى عهدها الناس آلاف السنين ، حيث انفرق البحر ، فكان لموسى ومن معه طريق فى البحر يابس ، حملهم إلى الشاطىء الثانى إلى النجاة ، وهال فرعون ما رأى ، وخيل إليه أن تلك ظاهرة طبيعية حدثت ، وستظل فأمر جنوده باتباع موسى واللحاق به ، فتغيرت طبيعة الماء مرة ثانية ، وأطبق البحر على فرعون وجنوده ، وغشيهم من اليم ما غشيهم .

كل ذلك مفصل فى القرآن الكريم أدق تفصيل وأوضحه ، ولكننا نكتفى هنا بالآيات الدالة على النتيجة ، قال تعالى : ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إلـٰه إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون** ﴾[2] إنها نهاية معروفة ، يجيد معرفتها الدعاة إلى الله ، ويعلمون أن توقيتها عند الله زماناً ومكاناً ، ويدركون أن استعجال هزيمة الباطل ، خطأ منهم ؛ لأن هذه العجلة قد تفوت عليهم فرصاً رائعة ، للنضج والممارسة الجيدة ، لأعمال الدعوة وأعبائها ، والتسلح لها بما يناسبها من الأسلحة والتحصن ضد الأعداء بما لابد منه من وسائل التحصين .

---

(١) سورة الشعراء : ١٠ — ٥١ .

(٢) سورة يونس : ٩٠ — ٩٢ .

٢ ـ صراعه مع قومه بنى إسرائيل :

إن أول ما يلحظه العقلاء من الناس ، الذين رأوا بأعينهم ، ما دار بين موسى عليه السلام ، وفرعون ، إدراكهم بما لا يقبل الشك أن موسى عليه السلام ، نبى مؤيد بالمعجزات وأن الله نصره على عدو متجبر ، وأولى الناس بذلك قوم موسى بنو إسرائيل ، فقد كان عليهم أن يكونوا أشد الناس إيماناً بنبوة موسى ، إذ قد رأوا بأعينهم ما لم يره سواهم .

ولكن الأمر كان على عكس ذلك تماماً ، فقد عاندوا موسى ، وكفروا نبوته ، وأجحفوا معه ، وجادلوه عن الباطل بالباطل ، ومن أجل ذلك غضب الله عليهم ، إذ آتاهم من الأدلة والبراهين ما يجب أن يجعلهم مؤمنين ، ولكنهم كانوا من عتاة المعاندين لدين الله .

وحسبك بقوم بينهم نبيهم المؤيد بالمعجزات الإلـٰهية ، يحاولون أن يرتكسوا ويرتدوا ، ويعبدوا الأصنام ، حكى ذلك عنهم القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلـٰها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ (١) .

ولم يكتف بنو إسرائيل بذلك ، فيرتدعوا عن عبادة الأصنام ، وإنما انتهزوا فرصة ذهاب موسى ، عليه السلام ، لكلام ربه ، فعبدوا عجلاً جسداً صنعوه بأيديهم ، حكى الله ـ سبحانه ـ عنهم هذا الشرك به فى قوله تعالى : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ (٢) .

وكان بنو إسرائيل ـ كما وصفتهم التوراة التى بأيديهم بصلابة الأعناق وبالتمرد ـ كانوا يقفون من موسى عليه السلام موقف العناد والرفض فى معظم ما يأمرهم به ؛ فقد أمرهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة « فلسطين » فرفضوا متعللين بعلل واهية ، تدل على ضعف الإرادة ، وخور العزيمة وعناد نبى الله ، عليه السلام ، فكان أن عاقبهم الله سبحانه ، بأن حرمها عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، جزاء عادلاً على عصيان أمر

---

(١) سورة الأعراف : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٢) سورة الأعراف : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

النبوة ، قال تعالى فى ذلك : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههٰنا قاعدون . قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** ﴾ (١) .

ولئن كان صراع موسى عليه السلام ، مع فرعون قد انتهى بغرق الباطل فى البحر ، وإرادة الله أن يبقى جسد فرعون ؛ ليكون عبرة وعظة لكل متجبر فى الأرض يعاند الحق ويتحداه ، لئن كان ذلك وتلك نتيجته ، فإن صراعه مع قومه لفيه أكثر من دلالة فى تاريخ الدعوة والدعاة .

ولننظر فى بعض هذه الدلالات :

أ ــ أن الكفر بالحق والعناد له قدر مشترك بين الناس جميعاً ، إلا من هدى الله ، سواء فى ذلك فرعون المتأله المتجبر ، أو بنو إسرائيل الذين ينتمون إلى عدد من الأنبياء .

ب ــ أن العناد يورث الكفر بل الشرك ، فإن بنى إسرائيل لجوا بموسى ، وطغوا عليه ، وتحدوا ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده ، إذ طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً صنما يعبدونه من دون الله ؛ لأنهم رأوا فى طريقهم بعض عباد الأصنام ، فألغوا عقولهم وقلوبهم ، وطلبوا صنماً يعبدونه .

جـ ــ أن المعاند وقد أعماه الباطل ، يلغى عقله ، ويُقْدِم بالفعل على عبادة صنم يصنعه بيديه ، دون إدراك لمدى نفع هذا الصنم أو ضرره ، وتلك طبيعة فى المعاندين .

وإن فى قصة موسى كلها معالم بارزة فى تاريخ الدعوة والدعاة ، تهدى وتنير الطريق أمام الذين يسلكون طريق الله ، ويدعون إلى دين الحق ، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه المعالم الهادية فيما يلى :

---

(١) سورة المائدة : ٢٠ ــ ٢٦ .

١ ــ أن التوجه إلى مراكز الكفر والقوى الظالمة فى عقر دارها ، ودعوتها إلى الله ، وإلى الحق ، مطلوب ليبلغ الدعاة عن ربهم ، وأن هذا التوجه يستوجب على الدعاة أمرين :

الأول : استعمال القول اللين والاستمالة ، والجدال بالتى هى أحسن ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ وذلك يتطلب الحكمة والموعظة الحسنة وتحين الظروف والملابسات وحسن التأتى وغير ذلك من الأسباب .

الثانى : البحث عن الأدلة والبراهين التى تؤيد الحق وتنصره على الباطل ، وإذا كانت الأدلة والبراهين عند أنبياء الله ، معجزات خارقة لعادات الناس وما ألفوا ، فإن الدعاة إلى الله لهم من التاريخ ، ومن كمال المنهج واستقامته ووفائه بحاجات البشرية كلها ، بل من العقل والحكمة أكثر من دليل وأكثر من برهان .

٢ ــ اقتناع الداعى إلى الله بل إيمانه بأن المدعو بحاجة دائماً إلى من يشجعه على الانتقال إلى الإيمان ، وما ييسر له تبديد الوساوس وهمزات الشياطين ، وأن على الداعى بناء على ذلك أن يلتمس إلى ذلك كل أسلوب وكل وسيلة مادام ذلك فى إطار ما شرع الله وأحلّ ، وإن تقصير الداعى إلى الله فى شىء من ذلك ، تقصير فى عمله يحاسب عليه .

فقد قدم موسى إلى فرعون تسع آيات بينات ، ولو كان فرعون راشدا لكفته واحدة ، ولكن هذا العدد هو الذى يظاهر بعضه بعضا على الحق ، ويبدد حجج المعاند التى هى فى الواقع واهية .

يتعلم الدعاة ذلك من قول الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا** ﴾[١] .

فإذا كان النبى يأتى بتسع معجزات ، فإن الداعية يجب أن يبحث عن الأكثر

(١) سورة الإسراء : ١٠١ ــ ١٠٢ .

من الأدلة والبراهين وإذا كان فرعون موسى لم تقنعه المعجزات التسع ، فإن بعض الناس من المدعوين اليوم لا يكتفون بمثل هذا العدد من الأدلة والبراهين .

٣ ــ الدعوة إلى الله ، توجب على الداعية الصبر على المدعوين وعدم اليأس من إيمانهم ، مهما عاندوا وكابروا ، كما تستوجب على المدعوين ــ لو عقلوا ــ الطاعة والدخول فى حوزة الحق .

وما بين الصبر الواجب على الدعاة ، والدخول فى حوزة الحق الواجبة على المدعوين ، يكون من الداعى إلى الله ، أعمال جليلة منها :

أ ــ حرصه الشديد على هداية الناس .

ب ــ دعاؤه لهم حتى يدخلوا فى الهداية .

جـ ــ تقديم الأدلة والبراهين على الحق .

د ــ تبديد الأوهام المعشِشة فى عقولهم .

هـ ــ عدم اليأس منهم أبدا .

وأُسْوَة الدعاة فى ذلك كله محمد خاتم الأنبياء ﷺ ، إذ يدعو لقومه : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » (١) .

الرابعة : دعوة المسيح عيسى عليه السلام :

وهو رابع أولى العزم من الرسل ، ودعوته امتداد لدعوة موسى عليه السلام ، والذين أرسل إليهم هم بنو إسرائيل كذلك ، وهى دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، عن طريق شريعة عبده ورسوله عيسى ابن مريم .

وكانت دعوة عيسى عليه السلام ، كدعوات موسى وإبراهيم ونوح ، وكل نبى سبقه حلقة من سلسلة النبوات التى خُتِمَت بمحمد ﷺ وبرسالته التى نسخت ما سبقها من الرسالات ، وأوجبت على الناس كل الناس أن يدخلوا فى دين الإسلام خاتم الأديان وأتمها وأكملها .

ولقد كان جهد عيسى عليه السلام مع قومه من يهود ، جهداً فائقاً وصبره عليهم وعلى

---

(١) البخارى : صحيحه : باب الأنبياء .

عنادهم ، صبرا عظيما ، لقد عانى منهم شيئا كثيرا ، وقدم لهم من الآيات والمعجزات ، ما كان ينبغى عليهم أن يؤمنوا به ، ولكن من آمن به منهم قليل من كثير ، وتلك سنة أهل الإيمان دائما ، هم قلة وسط كثرة ، ولكنها القلة الناجية ، القلة التى تربح حياة أبدية غير زائلة ، القلة التى تعرف بدقة معنى التضحية فى سبيل الله بالمال والنفس والجهد والوقت ، وترى فى ذلك ربحا أعظم الربح ، وإنه لكذلك ، القلة العازمة ، التى بها ينتشر الحق ، وتكون أحسن العقبى .

دعوة عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، جولات مع الباطل وأهله والمكذبين وأنصارهم من شياطين الإنس ، دعوة قامت كغيرها من دعوات الأنبياء جميعا على الدعوة إلى توحيد الله بالعبودية والربوبية ، وسوف نسرد هذه الجولات واحدة واحدة بالقدر الذى يتسع له المقام .

الجولة الأولى : دعوة بنى إسرائيل إلى عبادة الله وترك ما هم فيه من اختلاف وتفرق فى الدين ، قال تعالى : ﴿ **ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم** ﴾ (1) .

وخلاصة دعوة عيسى من هذه الآيات الكريمة تكمن فيما يلى :

١ ـــ أنه جاءهم بالحكمة وهى النبوة ، وهى إصابة الحق بالعلم والعقل ، وهى فعل ما ينبغى على وجهه وفى وقته .

٢ ـــ أنه جاءهم ليبين لهم بعض الذى يختلفون فيه ، وكانوا مختلفين على النحو الذى سنبينه بعد .

٣ ـــ أنه جاءهم يطالبهم بطاعته فى عبادة الله وحده .

٤ ـــ أنه جاءهم يُدلل على كل ذلك بالآيات والمعجزات ، التى كان من شأنهم معها أن يؤمنوا ، ولكنهم لم يفعلوا إلا قليلا منه .

ولنوضح القول فى هذه المرتكزات الأربعة فى دعوة عيسى عليه السلام فإن فيها فائدة كبرى للدعاة إلى الله .

● **أما أنه جاءهم بالحكمة** : فمعناها أنه جاءهم بنبوة من عند الله ورسالة

---

(1) سورة الزخرف : ٦٣ ـــ ٦٥ .

وتكاليف ، وأنه بذلك قد ضمن لهم الخير لو اتبعوه ، مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** ﴾ [1] والنبوة شاملة لإصابة الحق بالعلم والعقل ، وشاملة لفعل ما ينبغى على الوجه الذى ينبغى فى الوقت الذى ينبغى ، أى جاءهم بخير الدنيا والآخرة .

● **وأما أنه جاءهم ليبين لهم الذى اختلفوا فيه أو بعضه :** فقد كانوا اختلفوا فى الدين ، حتى تفرقوا شيعا وأحزابا ، فكان من أبرز طوائفهم المتمسكة بما تراه المتعصبة له أربع طوائف :

الأولى : الصدوقيون : وهم من نسل هارون أخى موسى . وكانت هذه الطائفة متشددة فى الدين ، وبخاصة فى شكلياته وطقوسه وكانت تنكر البدع ، وكانت لا تؤمن أن هناك يوما للقيامة ــ كما كانت هذه الطائفة تحل لنفسها من المتع ما تحرمه على الآخرين . وكانت وظيفة هذه الطائفة الولاية على الكهانة والقيام على الهيكل .

الثانيـة : الفريسيون : وهم طائفة يغلب علها الزهد والتصوف ، مع اعتزاز بعضهم بالعلم والمعرفة ، وكانوا فى خلاف مع الصدوقيين ، ينكرون عليهم التشدد ، وينكرون عليهم جحدهم ليوم القيامة .

وفى هذه الطائفة غرور وخيلاء ، على الرغم من زهد بعضهم وتصوفه ، وفيها كذلك متفصحون يتلاعبون بالألفاظ ، مما جعل المسيح ــ عليه السلام ــ ينكر عليهم : الخيلاء وشقشقة اللسان .

الثـالثة : السامريون : وهذه الطائفة تدين بالكتب الخمسة فى العهد القديم المعروفة بالكتب الموسوية ، وتجحد الكتب الأخرى غير هذه الخمسة ، فى حين يقدسها سواهم وهذه الطائفة خليط من اليهود والآشوريين .

والرابعة : الأسينيون : وكانوا شديدى التقشف ، يأخذون أنفسهم بالشدة ، بل يأخذون كل من انتمى إليهم بالشدة ، وكان مذهبهم متأثرا ببعض المذاهب الفلسفية القديمة ، كما كانوا يعيشون فى عزلة عن اليهود .

فجاء المسيح إلى تلك الطوائف وغيرها من المختلفين على أنفسهم فى الدين وفى الحياة ؛ ليبين لهم ويوضح ، ويزيل ما بينهم من خلاف ، فيردهم إلى عبادة

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .

الله وحده وترك كل ما خرجوا إليه من ضلال وباطل ـــ وكان هذا من صلب رسالته ـــ عليه السلام ـــ ولكن مَنْ آمن بما جاء به فى هذا المجال قليل ، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل فى كل زمان ومكان .

● **وأما أنه جاءهم يطالبهم بأن يطيعوه فى عبادة الله وحده** : فقد أعلن لهم دستور التوحيد وهو : ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ (١) .

وهذا الدستور التوحيدى قام على أسس هى :

أ ـــ عبادة الله وحده لا شريك له .

ب ـــ طاعة الله ورسوله .

جـ ـــ تقوى الله ، أى خوف عقابه .

د ـــ الاعتقاد بأن هذا التوحيد هو الصراط المستقيم .

وهذا الدستور ، يتضمن كل خير ، وينهى عن كل شر ، ولكنهم خالفوه ، بل حاربوه ، بل تآمروا على قتله ، فخيَّبهم الله ، ورفعه إليه .

● **وأما أنه دلّل على كل ماجاء به بالبينات والمعجزات** : فإن ذلك ثابت وصحيح قال الله تعالى : ﴿ **ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ (٢) .

والجولة الثانية للمسيح عليه السلام : كانت مع قومه بنى إسرائيل ، بعد أن كذبوه ، وعاندوه ، ودبروا لقتله ، وهموا به وفعلوا ، لولا أن رفعه الله إليه ، هؤلاء المكذبون المعاندون كانت لهم من قبل المسيح عليه السلام مواقف كفر وعناد ، وكانت لهم مع المسيح مواقف كفر وعناد ، وكانت لهم من بعد المسيح مواقف كفر وعناد وشرك .

---

(١) سورة آل عمران : ٥١ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ ـــ ٥١ .

حكى عنهم القرآن الكريم ذلك ، وكان الله قد أخذ عليهم الميثاق ، وكان فيه : أن يدخلوا بيت المقدس سجدا ، وأن يعظموا السبت الذى طلبوا أن يكون لهم عيدا ، ولكنهم كفروا بآيات الله السابقة ، والتى جاء بها المسيح ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ، وقالوا على مريم ما قالوا من البهتان العظيم ، إذ اتهموها فى عرضها ، وقالوا ـ من بعد ـ إنا قتلنا المسيح عيسى ، بعد أن قبضنا عليه ، وزعموا أنهم صلبوه .

كل ذلك سجله عليهم القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** ﴾ (١) .

ولقد تمثلت هذه الجولة فى حياة المسيح عليه السلام فى عدد من القضايا :

الأولى :أنهم نقضوا ما أخذ الله عليهم من مواثيق ، ولما ذُكِّروا قالوا : قلوبنا غير قابلة لأن تعى شيئا ، عنادا منهم ، وإصرارا على الباطل .

والثانية :أنهم كفروا بآيات الله السابقة ، التـى جاء بها المسيح ، وقتلوا من أنبياء الله قبل المسيح من قتلوا .

والثالثة :أنهم زعموا أن مريم أتت بالمسيح من الزنا .

تلك هى أبرز قضايا الجولة الثانية من جولات المسيح مع بنى إسرائيل قومه . ثم بلغ بهم التحدى للمسيح مداه ، فحاكوا مؤامرة لقتله ، ودلهم عليـه يهوذا ، فقبضوا عليه ، وصلبوه ، وقتلوه ، هكذا يزعمون ، وهو زعم نقضه القرآن الكريم فى الآيات الكريمة التى سقناها آنفا .

والجولة الثالثة للمسيح عليه السلام : كانت مع الحواريين ، وهم تلامذة المسيح وأنصاره ، الذين بعثهم فى القرى ، يدعون إلى الله ، كما علمهم المسيح عليه السلام وهم :

١ ـــ سمعان أو بطرس الصياد .

(١) سورة النساء : ١٥٥ ـــ ١٥٨ .

٢ — اندراوس أخو سمعان .

٣ — يعقوب بن زبدى .

٤ — يوحنا أخو يعقوب .

٥ — فيلبس .

٦ — توما .

٧ — متى العشار .

٨ — يعقوب بن حلفى .

٩ — لباوس .

١٠ — سمعان التانوى .

١١ — يهوذا الإسخربوطى .

وعلى الرغم من أنهم تلامذة المسيح ، وأقرب الناس إليه ، إلا أنهم أرادوا أن يختبرو يختبروا ربه ، إذ قالوا له : هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السمـ

فقال لهم : إن كنتم مؤمنين بالله فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حـ غير ما قدمت لكم .

قالوا : نريد أن نأكل من هذه المائدة ؛ لتطمئن قلوبنا ، ونعلم عن معاينة أنك صـ فيما أخبرتنا به عن الله سبحانه ، ونشهد لك بالمعجزة عند من لم يشهدها .

فاستجاب لهم عيسى وطلب من الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، يكون نزولها عليهم عيدا للمؤمنين ، ومعجزة تؤيد الحق ، ورزقا طيبا ، قال الله : سأنزل المائدة من السماء ، فمن جحد بعد ذلك فإنى أعاقبه عقابا لا أعاقبه لأحد من العالمـ لأنه كفر وجحد بعدما عاين وشاهد دليل الإيمان الذى اقترحه هو بنفسه .

تحدث القرآن الكريم يصف هذه الجولة ، قال تعالى : ﴿ ... **إذ قال الحواريو عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إنى منزلها عليكم**

يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ﴾ [1] .

تلك كانت أبعاد هذه الجولة الثالثة للمسيح عليه السلام وتتمثل فيما يلى :

البعد الأول : تشكك أو تردد من حوارييه وتلامذته ، يريدون أن يؤمنوا إيمانا محسوسا ، تراه أعينهم ، وتأكل من شواهده أفواههم ، مائدة تنزل من السماء .

البعد الثانى : تحذير من المسيح لتلاميذه : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، ولا تطلبوا أكثر مما قدمت من آيات .

البعد الثالث : إصرار من الحواريين على إنزال المائدة ، حتى يأكلوا منها ، وتطمئن قلوبهم ، ويتأكدوا أن المسيح قد صدقهم فيما أخبرهم به عن ربه ، وليكونوا شهداء على هذا الصدق عندما يرون المائدة ويأكلون منها .

البعد الرابع : أن استجاب لهم المسيح ، وطلب من الله أن ينزل عليهم مائدة ؛ تكون لهم عيدا ورزقا .

البعد الخامس : أن الله أجاب طلب رسوله ، وأنزل المائدة ، ولكنه توعد من يكفر بعد أن شاهد بحواسه بأن الله سوف يعذبه العذاب الذى لا يعذبه لأحد من العالمين ؛ لأنه أهل لذلك العذاب ؛ بكفره بعد كل ذلك .

والجولة الرابعة : كانت لدعوة المسيح ودينه ، بعد أن كرمه بأن رفعه إليه ، فضلَّ كثير من قومه ، فاتخذوه إلهًا يعبد من دون الله ، بل اتخذوا أمه إلهًا كذلك ، وكان عجيبا أمرهم فى ذلك !!! أليس منهم من رموا مريم بالزنا ؟ كيف إذن يتخذونها إلهًا ؟ أليس منهم من دبروا قتل المسيح ؟ مالهم يعبدونه بعد ذلك ؟

إن هذا التحول من النقيض إلى نقيضه لأدل على الضلال والغفلة ، وضياع العقول ، وإن الفترة الطويلة التى قضاها بينهم المسيح عيسى ابن مريم ـــ وهى ثلاثون عاما إلى أن نبئ ، وثلاث سنوات بعد النبوة ـ لم تستطع أن تجعل منهم عقلاء ، يفرِّقون به بين الله سبحانه وعبد من عباده ، يتخذونه وأمه إلهين من دون الله سبحانه .

حكى القرآن الكريم مجمل هذه الجولة فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن**

---

(١) سورة المائدة : ١١٢ ـــ ١١٥ .

مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ (١) .

وجولة خامسة : للحق مع أتباع عيسى من يهود إذ كان قد أخبرهم المسيح عليه السلام بأنه سيأتى من بعده رسول خاتم هو محمد ﷺ ، ولكن أنسالهم وأحفادهم عندما جاء محمد ﷺ أنكروه ، وكتموا ماعندهم من علم بذلك .

فضح القرآن كذبهم وكتمانهم الحق الذى بَلَّغهم به رسولهم فى قوله سبحانه وتعالى : **﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** (٢) .

وفى حياة المسيح عليه السلام ودعوته ، وما واجه به بنى إسرائيل وما واجهوه به ، بل فى موقفه مع حوارييه نِبْراس يهتدى به فى كل دعوة إلى الله ، فهى تاريخ حى من تاريخ الدعوة إلى الله يعلم ويهدى .

وإن أبرز المعالم فى دعوة المسيح عليه السلام مما يستفيد به الدعاة إلى الله فى طريق دعوتهم ما يلى :

١ ـــ على الرغم من الإعجاز الإلهى فى خلق عيسى ابن مريم من امرأة ، دون أن يمسها بشر ـــ كما خلق حواء من رجل دون أن يغشى امرأة ، وكما خلق آدم من طين دون

---

(١) سورة المائدة : ١١٦ ـــ ١١٩ . (٢) سورة الصف : ٦ ـــ ٩ .

رجل وامرأة ــ وتلك من أكبر المعجزات ، على الرغم من ذلك ــ وكل ذلك يدعو إلى الإيمان بالله ــ فإن الكفر وحزبه يأبون إلا أن يُصِموا آذانهم ، ويعموا أبصارهم ، ويقولوا ــ كما قال أسلافهم ــ قلوبنا غلف ، فلا يستجيبون للحق عنادا منهم وتحديا ، وكفرا بآيات الله البينات .

فمهما يقدم الداعية إلى الله لمن يدعوهم من أدلة وبراهين وحجج وشواهد ، فلن تكون فى قوتها كالمعجزات التى منح الله أنبياءه ورسله ــ عليهم السلام ــ ومع ذلك وُوجِهوا بالتكذيب والتحدى ، فليتوقع الدعاة إلى الله أن يكذبوا ، وأن يعاندوا ويتحدوا ، فتلك سنة الدعوات والدعاة ، وما على الدعاة أمام ذلك إلا الصبر والاحتساب .

٢ ــ أهل الكفر والعناد لا يَفْتُرون ولا يملون من تحدى الإيمان والهدى والحق .

فعلى أهل الإيمان والدعوة إلى الحق ألا تضيق صدورهم بهذا الكفر والتحدى ، وألا يَفْتُرُوا أو يملوا المضى فى طريق الحق ، مؤثرين الصبر والحرص على نقل الناس من الضلال إلى الهدى ، فهذا ينبغى أن يكون شأن الدعاة إلى الله ؛ فالمسيح عيسى ابن مريم ، رسول الله ، يخبره ربه يوم القيامة ، أن قومه اتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، زاعمين أنه أمرهم بذلك ، ومع ذلك يقول المسيح لربه : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فأى حجم للرحمة فى قلبه حتى يقول لربه ﴿ **وإن تغفر لهم** ﴾ مع عبادتهم غير الله ، وافترائهم على المسيح ، وبهتانهم عليه ؟ غير أن المسيح علق المغفرة على المشيئة الإلهية ، والله قد قضى ألا يغفر لمن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .

٣ ــ على الدعاة إلى الله أن يستوعبوا التعامل مع الأولياء والمخلصين ، فإن فى قصة المسيح عليه السلام درساً عظيماً ، فقد ربى حوارييه وعلمهم وبثهم ينشرون عنه الدعوة فى قرى اليهود ، وهم أقرب الناس إلى المسيح بحكم التلمذة على يديه ، ولكنم طالبوه بما يكون شاهدا محسوسا ؛ ليصدقوا ما قاله لهم عن ربه . كان ذلك شأن الحواريين ، فما بال غيرهم من المدعوين الذين لم يتّلمذوا على يد نبى ؟

إن على الدعاة أن يتوقعوا حتى من الأولياء والمخلصين طلبات مماثلة ، مما يدخل فى الحس والمشاهدة ، وإن عليهم على الرغم من ذلك ، ألا يغضبوا من ملتمس دليل

محسوس ، وإنما عليهم المبادرة إلى تقديم هذا الدليل الحسى مااستطاعوا ؛ لأن ذلك واجبهم ، وهو فى الوقت نفسه يزيد المؤمنين إيمانا ، والمخلصين إخلاصا ، غير أن تقديم الدليل الحسى المشاهد يوجب على من يعرض عليه أن يرى فيه الحق كل الحق ، وأن يصل به إلى الهدى كل الهدى .

الخامسة : دعوة محمد ﷺ :

وهى دعوة رسول الله ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وخامس أولى العزم من الرسل فى الترتيب التاريخى ، ولكنه أولهم وإمامهم فى الدعوة إلى الله .

ولقد كان من فضل الله على البشرية ، أن حفظ لها سيرة محمد ﷺ مفصلة تفصيلا شديدا ، دون سيرة أى رسول آخر من رسله فى هذا التفصيل ، لسابق علمه ، بأنه الرسول الخاتم ، وأن دينه الدين الكامل التام .

وإن دعوة محمد ﷺ رائد أولى العزم من الرسل فيما بذل فى سبيل الله ، لهى الدعوة التى تقدم للدعاة إلى الله فى كل زمان ومكان ، أبرز معالم الدعوة إلى الله ، وأهم مايجب أن يتخلق به الدعاة إلى الله ، بل أولى ماينبغى أن يتسلح به الدعاة إلى الله من خلق وعلم وعمل لتكون لديهم البصيرة وهم يدعون إلى الله .

إن دعوة محمد ﷺ وقد صَدَّق لما بين يديه من الكتب — لهى الدعوة الجامعة لأركان الدعوة إلى الله وشروطها وأهدافها ووسائلها وأسبابها ونتائجها ، وهى الدعوة التى توجه الدعاة وتعلمهم كيف يستكملون أهلية الدعوة إلى الله ، بل هى الدعوة التى ترسم صورة دقيقة الأبعاد لطبائع المدعوين ، وتحدد مايلائم هذه الطبائع من وسائل وأساليب .

وهذا الكتاب بأبوابه وفصوله ومجمله وتفصيله إنما يتصدى لتوضيح دعوة محمد ﷺ ، من حيث فقهها ، ومراحلها ، ودعاتها ، والمدعوون إليها ، وعندما تنتهى أيها القارئ الكريم من قراءة الكتاب ، فقد عرفت إذن دعوة محمد ﷺ ، رائد أولى العزم من الرسل .

وإلى حديثنا عن بقية فصول هذا الباب والأبواب التى تليه ومن الله نستمد العون والتوفيق .

الفصل الثالث

أسباب الدعوة إلى الله

أسباب الدعوة إلى الله

السبب : هو العلة ، وهو : كل ماينشأ عنه أثر أو تغيير أو حركة . أو هو : الحالة التى تسبق بالضرورة أى حدث أو تغيير أو حركة وهو العلية أو السببية ، والأصل أن النتائج محكومة بالأسباب أو العلل ، ومربوطة ربطا منطقيا .

ومن المسلم به أن الحوادث والتغييرات لاتقع فى حياة الناس عشوائيا ، ولا بمحض الصدفة ـــ كما يقول بعض الغافلين ـــ ولكنها تحدث فى شكل مترابط ، بطريقة محكمة، بحيث تؤدى إحداها إلى حدوث التالية لها ، وهكذا ... فكل مافى الكون والحياة أوجده الله سبحانه بإرادته وأمره ، على النحو الذى اقتضته مشيئته سبحانه فى الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات ، وعلى كل إنسان أن يتعلم من هذا وذاك ، وأن يلغى من فكره قضية العشوائية والصدفة ؛ فإنه لا يقول بها إلا أولئك الذين تعجز قلوبهم وعقولهم عن أن تدرك أن لهذا الكون مدبرا حكيما .

والدعوة إلى الله : عمل وحدث وتغيير وحركة ، وبالتالى فإن التماس السبب أو الأسباب لها ، عمل عقلى منطقى من جانب ، ثم عمل منهجى علمى من جانب آخر .

والدعوة إلى الله سبحانه قد أوجبها ـــ عز شأنه ـــ على أنبيائه ورسله وعلى المؤمنين ، وجاء محمد ﷺ بدعوة جعلها فرضا مفروضا على كل من اتبعه ﷺ : ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ...** ﴾ فلابد لنا والأمر كذلك ، أن نبحث عن الأسباب التى أوجبت الدعوة إلى الله على خاتم رسله محمد ﷺ ، وعلى كل من آمن به واتبعه من ذكر أو أنثى .

وإن هذه الأسباب فى تصورى تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول منهما : نابع من صميم العقيدة ونصوص الدين .

والقسم الثانى : أوجبته المفاهيم الصحيحة للعقيدة والدين .

ولكل قسم من القسمين معنا حديث .

القسم الأول :

الأسباب النابعة من العقيدة ونصوص الدين :

السبب الأول من هذه الأسباب :

هو أن الله سبحانه قد طالب الإنس والجن بعبادته وحده لا شريك له ، ولا سبيل يلائم ذلك إلا أن يرسل إليهم رسلا يطالبونهم بتنفيذ أمر الله سبحانه ، وذلك أن للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وظائف وأعمالا ، كلفهم الله بها عندما أوحى إليهم ، وطالبهم بالتبليغ عنه ، هذه الوظائف والأعمال يمكن أن نجملها فيما يلى :

أولا : إرشاد عقول الناس إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، ذاته وصفاته وأسمائه ، وأفعاله ، وما فرض عليهم من نظام ومنهج فى حياتهم الدنيا ، وما أعد لهم فى حياتهم الأخرى .

ثانيا : تعليم الناس من أنباء الغيب ما هم فى حاجة إلى أن يعلموه ، حتى تصفو نفوسهم ، وتستريح قلوبهم ، ويقبلوا على عبادة الله ، وهم يعلمون أن هناك حياة أخرى وحسابا وجنة ونارا وملائكة ينقلون الوحى إلى الأنبياء وكتبا وقضاء وقدرا ، وأنهم من أجل ذلك لم يخلقوا عبثا .

ثالثا : توضيح ما أحل الله لهم ، وما حرم عليهم مما يؤدى الأخذ به إلى صالح معاشهم ومعادهم ؛ حيث لم يحل الله لهم شيئا إلا وفيه مصلحتهم دنيا وآخرة ، ولم يحرم عليهم شيئا إلا وفيه ضرر لهم فى الدنيا أو فى الآخرة .

رابعا : توجيه الناس ومطالبتهم بأن يعيشوا حياتهم الدنيا متآخين متحابين ، تجمعهم عبادة الله وحده لا شريك له ، مستعينين بهذه العلاقات على إنجاز ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وعلى دفع ما يضرهم فى الدين والدنيا ؛ لأن الإنسان وحده دون غيره ، ودون تعاون وتناصر ، لا يستطيع أن يمارس حياته بصورة راشدة .

خامسا : تهذيب نفوسهم وأخلاقهم ، وتوجيهها نحو الفضائل والقيم الرفيعة ، وضبط نزغاتهم وشهواتهم وأهوائهم بضابط ما شرع الله ، وما أحل وما حرم ؛ ليعيشوا حياة نقية نظيفة ، تحقق لهم رضا الله فى الدنيا والآخرة

سادسا : تبيين ما اختلفت فيه عقول الناس ، وما تضاربت فيه شهواتهم وأهواؤهم بل

مصالحهم ، حي يفصل الأنبياء للناس هذه الأمور ، ويضعون لهم النظام الذى يفصل بعدالة بين المتخاصمين منهم دون محاباة أو حيف .

بعد أن أوضحنا وظائف الأنبياء والرسل فى صورتها المجملة وهى الوظائف التى تعينهم على مطالبة الناس بعبادة الله وحده لا شريك له ، أكد الله سبحانه وتعالى هذا السبب الأول للدعوة إلى الله فى قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [1] .

وهذا النص الكريم فيه دلالات على ما نحن بصدده نذكرها على النحو التالى :

١ ــ الله سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن ليعبدوه ، فليس لخلقهم هدف إلا عبادة الله وحده ، وإقرارهم له بالربوبية والعبودية .

بعضهم يقر له بهذا طوعا ، وهم المؤمنون ، يقرون له بذلك فى الشدة والرخاء .

وبعضهم لا يقرون بذلك إلا كرها ، أو فى الشدة والبلاء ، دون النعمة والرخاء ، كما صورهم سبحانه فى قوله : ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور** ﴾ [2] .

٢ ــ مادام الله قد كلف العباد بعبادته ، فكيف يتم تكليفه لهم وهو لا يكلمهم كفاحا ؟ كان لابد إذن من إرسال الرسل إليهم ليبلغوهم عن ربهم .

والله سبحانه لا يكلم رسله بشكل مباشر ، إلا القليل منهم الذى أراد أن يكلمه تكليما ، فكيف ينقل الرسل عن ربهم أوامره ونواهيه ؟ كان لابد من الوحى والملائكة ، كما كان لابد من إنزال كتب ، تعد دساتير نظام ، كل ذلك من الغيبيات التى ترتبت على عبادة الله وحده ، التى هى سبب من أسباب الدعوة إلى الله .

يؤكد هذا المعنى الذى ذكرناه العلامة الاجتماعى المسلم الشيخ عبد الرحمن ابن خلدون فى قوله :

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨ . (٢) سورة لقمان : ٣٢ .

(اعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا ، فضلهم بخطابه ، وفَطَرهم على معرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده ، يعرفونهم بمصالحهم ، ويحرضونهم على هدايتهم ، ويأخذون بحجزاتهم عن النار ، ويدلونهم على طريق النجاة ، وكان فيما يلقيه الله إليهم من المعارف ، ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار ، الكائنات المغيبة عن البشر التى لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم ، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم ، قال ﷺ : « ألا وإنى لا أعلم إلا ماعلمنى الله ») [1] .

٣ ــ نستطيع أن نضم إلى ذلك سببا هو أنه مع حاجة الناس إلى أن يشقوا طريقهم فى حياتهم الدنيا ، على أساس تحقيق المصالح ، ودفع المفاسد عنهم ، وهى حاجة ملحــة ما لم تحدث فاتت عليهم الحياة الدنيا نفسها ، وعقول الناس لا تستطيع وحدها ــ بحكم ما هيأ الله لها من قدرات ــ أن تتعرف على جلب المصالح ، ودفع المفاسد ، والعيش فى أمان ــ ومن أجل قصور هذا العقل البشرى ، كان لابد من دعاة إلى الله ، يستكملون هذا النقص ، وذاك القصور ، فبدأ الله دعاته بالرسل والأنبياء ، وتتابع من بعدهم الدعاة إلى الله على نفس الطريق ، وهذا سبب واضح ورئيسى وجوهرى فى آن واحد .

وإذا كان قصور العقل البشرى عن إدراك ما يجلب له المصلحة ، ويدفع عنه المفسدة فى الدنيا قائما ، وماثلا فى الأذهان ، فإن قصوره عن إدراك شىء من عالم الغيب أشد وضوحا ، وعالم الغيب بما يحفل به من ملائكة ويوم حشر وحساب وجنة ونار ، عالم لابد من معرفته ومعرفة موقف الإنسان منه ؛ إذ به تصح العقيدة ، وتسلم العبادة ، ويستقيم التجمع البشرى ، فلابد إذن ممن يحدثون الناس عن عالم الغيب ، كما حدثوهم عن عالم الشهادة ، وهؤلاء هم رسل الله وأنبياؤه ، ثم الدعاة إلى الله من بعد ذلك ، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

السبب الثانى من أسباب الدعوة إلى الله :

أن الله سبحانه وتعالى أراد للناس جميعا أن يتعارفوا ؛ ليتم بينهم الاجتماع على صورته النافعة ، من تعاون وتفاهم وتناصروتآزر ، حول كل ماينفعهم فى معاشهم أو معادهم ،

---

[1]) ابن خلدون : المقدمة : ٧٧ ط الأزهرية ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٣٠ م .

جاء ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (١) .

وهذا النص الكريم ، فيه دلالات على مانحن بصدده نذكرها فيما يلى :

١ ـــ أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعا من أصل واحد هو آدم عليه السلام وحواء ـــ ذكر وأنثى ـــ وجعل بينهم نسبا وصهرا ، ثم نشرهم شعوبا وقبائل فى مختلف بقاع الأرض ، ونوعهم أشكالا وألوانا وألسنة مختلفة ، وطالبهم بالتعارف ؛ ليتم بينهم تواصل وتعاون ، عليه تقوم الحياة .

ولعل هذا الاختلاف فى الشعوب والقبائل والألوان والألسنة ، مع ضرورة التعارف بينهم من أكبر وأهم مايميز الدين السماوى ، عن النظم الاجتماعية الأخرى ، ويدعم فكرة الإنسانية والإنسان الذى كرمه الله سبحانه .

فالدين لا يقيم وزنا لهذه الفروق اللونية ، أو العرقية أو اللسانية ، التى فرقت بها النظم بين الناس ، حتى جعلت منهم سادة وأتباعا ؛ وإنما التمايز بين الناس فى الدين ـــ أىّ دين ـــ بالإيمان والكفر وما يترتب عليهما من طاعة وتقوى أو معصية وإجرام .

٢ ـــ الإنسان دائما كما فطره الله سبحانه فى حاجة إلى أخيه الإنسان منذ تاريخ الإنسانية الباكر من لدن آدم عليه السلام ، وكلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام فى تذليل عقبات العيش ، كلما اشتدت حاجة الإنسان إلى الإنسان .

استمر ذلك حتى بلغت الإنسانية رشدها ، فمن الله عليها بخاتم الأديان وأتمها وأكملها ، وهو الإسلام ، فأوجب هذا الدين التعارف بين الناس ، أوجبه إيجابا ، الناس كل الناس من مؤمن وكافر ، ثم جعل الأخوة بين المؤمنين ، وأوجب على المتعارفين والمتآخين أنماطا من العلاقات لابد منها لتقوم الحياة :

أ ـــ أوجب التعارف بين الجميع .

ب ـــ أوجب التعاون بين الجميع ؛ لجلب مصلحة أو دفع مفسدة .

جـ ـــ أوجب الأخوة بين المؤمنين ، وجعل لها شروطا وآدابا وحقوقا وواجبات .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

ومن هنا بدت أمور بحاجة إلى تنظيم ، فكيف يتم التعارف بين الناس جميعا وماهى حدوده وآدابه ؟

وكيف يتم التعاون بين الناس جميعا وماهى حدوه وآدابه ؟ وكيف يتم التآخى بين المؤمنين ، وما حقوق الأخوة وواجباتها ؟ وماالنظم أو المناهج التى تنظم هذا كله ؟

ومن الذى يقوم بتبليغ هذه النظم والمناهج عن واضعها سبحانه وتعالى ؟ مادمنا قد أكدنا ، أو تأكد لدينا قصور عقول البشر عن أن تضع نظاما ، أو منهجا يحقق مصالح الدنيا ، فضلا عن مصالح الدنيا والآخرة ؟

من يقوم بهذا كله سوى رسل الله وأنبيائه المصطفين الأخيار ، والدعاة إلى الله من وراء ذلك ؟ .

٣ ـــ مصالح الناس بحكم خلقهم وفطرتهم التى فطرهم الله عليها مختلفة ، ورغباتهم بحكم تكوينهم متباينة ، فما ينفع هذا قد يضر ذاك ، وما يحقق رغبة هذا قد لا يحقق رغبة ذاك .

وعيوب الإنسان معروفة ومقررة ، وهى داخلة كذلك فى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولا تخلص منها إلا بالتهذيب والتعليم والتأديب .

عيوب الإنسان الفطرية معروفة ، نذكر منها مايلى :

أ ـــ الضعف : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ [(١)] .

ب ـــ اليأس : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور** ﴾[(٢)] .

جـ ـــ كفران النعمة : ﴿ **فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا** ﴾ [(٣)] .

د ـــ الجدل : ﴿ **وكان الإنسان أكثر شىء جدلا** ﴾ [(٤)] .

هـ ـــ الظلم والجهل : ﴿ **وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** ﴾ [(٥)] .

و ـــ الخصومة : ﴿ **خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين** ﴾ [(٦)] .

ز ـــ البخل : ﴿ **وكان الإنسان قتورا** ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة النساء : ٢٨ . (٢) سورة هود : ٩ . (٣) سورة الإسراء : ٦٧ .

(٤) سورة الكهف : ٥٤ . (٥) سورة الأحزاب : ٧٢ . (٦) سورة النحل : ٤ .

(٧) سورة الإسراء : ١٠٠ .

ح ـــ الهلع : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا** ﴾ [1] .

ط ـــ الغفلة : ﴿ **يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ [2] .

ى ـــ الطغيان : ﴿ **إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى** ﴾ [3] .

وغير ذلك من عيوب الطمع والكذب والنفاق والغش ، مما لا نستهدف حصره ؛ وإنما ندلل به على عيوب الإنسان .

فإذا كان الإنسان فيه كل هذه العيوب ، فكيف يستطيع أن يتعاون مع إنسان آخر للعمل معه على جلب مصلحة أو دفع مفسدة ؟

إن ذلك لايكون إلا بالرسل الذين يعالجون هذه العيوب ، ويهذبون تلك الطباع ، لتستقيم لهم الحياة ، ويخف التعادى أو يزول ، فذاك سبب جوهرى من الأسباب النابعة من العقيدة ونصوص الدين الإسلامى للدعوة إلى الله .

السبب الثالث من أسباب الدعوة إلى الله :

أن الله تبارك وتعالى استخلف الإنسان فى الأرض ، وأوجب عليه أن يؤدى واجبات الاستخلاف ، التى من أهمها القيام على أمر الأرض ، التى سخرها الله ومافيها للإنسان ، بحيث يفيد منها مااستطاع فى حدود ماشرع الله .

بل طالبه بأكثر من ذلك بأن يعمرها ، ويجيد إعمارها له ولمن بعده إلى أن تقوم الساعة ، ففى الحديث الشريف : « إذا قامت القيامة على أحدكم وفى يده فسيلة فليغرسها » .

والنص القرآنى الذى يوجب ذلك هو قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** ... ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ [5] . وهذان النصان القرآنيان الكريمان يمكن أن نجد فيهما من الدلالة على أن للدعوة سببا فيهما مايلى :

---

(١) سورة المعارج : ١٩ ـــ ٢١ .
(٢) سورة الانفطار : ٦ .
(٣) سورة العلق : ٦ .
(٤) سورة النور : ٥٥ .
(٥) سورة هود : ٦١ .

١ ـ الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن يستخلفهم فى الأرض كما كانت سنته فى استخلاف الذين من قبلهم من المؤمنين الذين يعملون صالحا .

والخلافة : النيابة عن الغير ، إما لغيبته ، أو موته ، أو عجزه ، وإما لتشريف المستخلف ، وعلى هذا الوجه الأخير ، جاء استخلاف الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات أولياء الله كما قال تعالى : ﴿ **هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض** ﴾ (١) وقال : ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض** ﴾(٢) ، وقال : ﴿ **ويستخلف ربى قوما غيركم** ﴾ (٣) .

فالله سبحانه قد شرف المؤمنين بأن جعلهم خلفاء عنه فى الأرض ؛ ليقوموا بواجب هذا الاستخلاف .

وواجب الاستخلاف كما يبدو لنا هو مايلى :

أ ــ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

ب ــ والإسلام لله بمعنى النطق بالشهادتين ، والعمل بمقتضاهما ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

جـ ــ والعمل الصالح الذى يرضى الله سبحانه ، ويعود على الناس بالخير فى دنياهم وآخرتهم ، ولا يكون العمل صالحا ، إلا إذا كان فى إطار ما أحل الله أو أوجب ، وبعيدا تماما عما حرم أو نهى أو كره .

وكيف يؤدى الناس هذه الواجبات ، بل كيف يعرفونها ؟ ومن الذى يعلمهم الإيمان والإسلام والعمل الصالح ؟ إنهم رسل الله وأنبياؤه أوجب عليهم الله سبحانه أن يبلغوا عنه وأن يعلّموا . ثم أوجب ذلك على الدعاة إليه من بعدهم .

فهذا سبب من أسباب الدعوة إلى الله .

٢ ــ الله تبارك وتعالى وعد الذين استخلفهم عنه فى الأرض من المؤمنين ، الذين يعملون الصالحات ، أن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

فما هذا الدين الذى سيمكن له بوساطة من استخلفهم ؟ ومن الذين

---

(١) سورة فاطر : ٣٩ .　　(٢) سورة الأنعام : ١٦٥ .　　(٣) سورة هود : ٥٧ .

سيعرّفون الناس بهذا الدين ؟ . وماهي صور التمكين للدين الذى ارتضاه الله للناس ؟ وماهو الخوف الذى سيبدله الله أمنا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ؟ كل هذه التساؤلات لا يستطيع الإجابة عنها ، إلا من اختار الله من رسول أو نبى ، وأوحى إليه وعلمه وكلفه بالتبليغ عنه .

إن ذلك — كذلك — سبب جوهرى من أسباب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

٣ — الله تبارك وتعالى استعمر الناس فى الأرض ، الناس كل الناس ؛ لأن الآية الكريمة التى ذكرناها ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ كانت فى الحديث عن ثمود قوم صالح عليه السلام ، ولكن المعنى أن الله استعمر فى الأرض كل إنسان وليس من كان من قوم صالح عليه السلام ؛ لأن ذلك مقتضى الحكمة الإلهية ، ومقتضى المنطق ، ولذا كان أسلافنا يقولون : إن العبرة فى آيات القرآن ومافيها من أحكام « بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

﴿ **واستعمركم** ﴾ بمعنى : طلب منكم أن تعمروها . والعمران قريب فى المعنى من التحضر ، بل قد يكون هو ، فالإنسان مطالب من الله أن يتحضر .

والتحضر يتضمن أنماطا سلوكية رفيعة ، فى السلوك الاجتماعى ، وحب العمل ، وحسن التوزيع له بين الأفراد ؛ لأنه من الحضارة ، وهى تقابل البداوة والهمجية ، وهى مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى الذى يتضمن تقدما فى ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية ؛ بل فى مظاهر الرقى العلمى والأدبى والفنى .

ومن يعلم الناس معنى العمران والتحضر ؟

ومن يفقههم بأبعاد الحضارة وأمدائها ؟

ومن يحول بينهم وبين التنازع من أجل الحضارة ؟

إن كل ذلك لا يحل قضاياه إلا أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

وذلك سبب أكيد من أسباب الدعوة إلى الله ، يضاف إلى السببين السالفين ، ويدعم مانقول من أن الدعوة إلى الله لها أسباب وعلل دعت إليها وأوجبتها .

وبعد : فقد وجدنا فى القسم الأول من أسباب الدعوة إلى الله ، الأسباب النابعة من العقيدة ونصوص الدين ، هذه الأسباب الثلاثة ، وما يتفرع من كل منها من مفردات ، ولعلنا قد أوضحنا وشفينا ، فإن يكن ذلك كذلك فالفضل لله وحده ، وإن لم يكن فعسى أن يتصدى لهذه الأسباب من هو أكثر علما وفقها منا ، فيسدى إلينا نصحا نغذى به ماقلنا ، ونشكره أو يستقل هو مشكورا بالكتابة عن هذه الأسباب .

وحديثنا فيما يلى عن القسم الثانى من قسمى الأسباب التى أدت إلى الدعوة إلى الله .
ونسأل الله التوفيق .

القسم الثانى :

الأسباب التى أوجبها الفهم الصحيح للعقيدة والدين :

الفهم الصحيح للعقيدة والدين ، هو الفهم النابع من كتاب الله ، وسنة رسوله ، ﷺ ، وما حولهما من علوم وشروح وتفاسير ، وبغير التقيد فى الفهم بذلك ، فلن يكون صحيحا بحال من الأحوال .

وهذا الفهم الصحيح للعقيدة والدين ، يقوم على أسس وأركان مسلم بها بين المسلمين منذ زمن بعيد ، وستظل كذلك من المسلمات بين المسلمين ، لأنها نابعة من الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

وتلك الأسس والأركان هى فى تصورنا كما يلى :

أولا : أن المسلمين جميعا أمة واحدة فى العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق والسلوك ، وهم فى ذلك وحدهم دون سائر الأمم ، مهما تباعدت أقطارهم ، واختلفت ألسنتهم وألوانهم .

وأن هذه الوحدة مفهوم صحيح للعقيدة وللدين ، والنصوص الإسلامية المؤيدة لذلك أكثر من أن تحصى فى هذه الأوراق .

وهذا يستتبع أن تظل هذه الوحدة قائمة ، وأن تقاوم كل عناصر الفرقة والاختلاف ، وليس ذلك إلا بالدعوة إلى الله ، فالوصول إلى هذه الوحدة وإزالة العوائق من أمامها سبب من أسباب الدعوة إلى الله ، وسنفصل القول فى ذلك بعد استعراض هذه الأسس والأركان .

ثانيا : أن المسلمين اليوم فى مستهل القرن الخامس عشر الهجرى ، بل نهاية العقد الأول منه ، يعيشون ظروفا سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، تحول بينهم وبين أن يتحاكموا فيما بينهم إلى شرع الله الذى اختار لهم ، والحيلولة بينهم وبين ذلك أوقعتهم فى كثير من المشكلات ، وأوقعت بهم فى كثير من الظلم والإجحاف ، وباعدت بينهم وبين ماشرع الله لهم ، فازدادوا بذلك سوءا على سوء ، وفرقة إلى فرقة ، وتأخرا إلى تأخر .

ثالثا : أن المسلمين مطالبون دائما بأن يعملوا ما وسعهم العمل على أن يسودهم كتاب

الله وسنة رسوله ﷺ ، وذلك يتطلب تغيير الواقع السيىء الذى يعيشون ، بالأسلوب المشروع الذى أحله الله ، وباركه وهدى إليه رسوله ﷺ ، ودعا إليه ، ومن أجل إحداث هذا التغيير فى تلك الأمة الواحدة فإن لنا حديثا مفصلا فى ذلك ، نسأل الله أن يعين عليه ويوفق .

إن هذا التغيير المنشود ، هو الذى سيحقق للمسلمين الحياة الكريمة الآمنة العادلة المنصفة التى ترفرف عليها شريعة الله .

هذه الأسس الثلاثة التى ذكرنا ، تستوجب علينا أن نتحدث بالتفصيل عن التغيير ، وهو سبب من أسباب الدعوة إلى الله ، وبعض موجباتها فى هذا العصر الذى نعيشه ، والذى بلغ فيه عدد المسلمين أكثر من ألف مليون مسلم ، فى عالم إسلامى ترامت أطرافه ، واتسعت أرجاؤه وتعددت أسماؤه ونظمه ومناهجه ، مع أن الأصل فيه هو الوحدة كما ذكرنا آنفا .

الوحدة الإسلامية ، هى قدر العالم الإسلامى ومصيره طال على ذلك الزمان أو قصر ، وواتت الأسباب أم فاتت ، وكثر الأعداء أم قلوا . والوحدة الإسلامية هى قمة التغيير وذؤابته ، كما أنها هى التى تدعم بقاء المسلمين متمسكين بشرع الله ، ماضين فى طريق الحق .

التغيير ضرورة حياة للمسلمين ، والعالم الإسلامى كله فى ذلك سواء ، وقد يتصور بعض الناس أن هذه الرقعة المترامية الأبعاد ـــ وهى العالم الإسلامى ـــ تعجز الدعاة أو تصيب عملهم بالعقم ، أو ـــ كما يحلو لبعض المثبطين أن يقولوا ـــ إن التغيير على هذا المستوى حرث فى البحر ، ولكن الحقيقة غير ذلك .

فإن العالم الإسلامى مهما اتسع ، ومهما ترامت أطرافه ، فإن العقيدة تقرب هذه المسافات ، وتطوى أمامها كل الأمداء .

ومن أجل هذا التغيير الذى هو سبب جوهرى من أسباب الدعوة إلى الله ، سوف يكون حديثنا فيه على النحو التالى :

١ ـــ ظروف العالم الإسلامى اليوم .

٢ ـــ ضرورة التغيير أو دواعيه .

وتحت كل من هاتين النقطتين تفصيلات وتفصيلات نرى الحديث فيها ضرورة منهج ؛ إذ إننا نتحدث عن أهم مافى هذا الباب من فصول وهو : أسباب الدعوة إلى الله أو موجباتها ؛ ليتنبه الغافل ، ويعى الذاهل ؛ ويحيا من حىّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

١ ــ ظروف العالم الإسلامى اليوم

العالم الإسلامى اليوم تتقارب أقطاره على ما بينها من بعد فى المكان ، وتتعارف مجتمعاته على ما بينها من فروق فى اللون واللسان ، وتتبين المعالم التى تسوده من العادات والتقاليد ، على ما بين هذه العادات والتقاليد من تغاير وتمايز .

فكيف كان ذلك ؟ وماذا أدى إليه ؟

لقد أدى إلى هذا التقارب والتعارف رغبة أكيدة من بعض المسلمين المصلحين أولا ، وما يَسَّره الله من وسائل الاتصال المعاصرة ، كأجهزة الإعلام ، مرئية ومسموعة ومقروءة ، وأجهزة البرق والهاتف والبريد ، وأجهزة الانتقال السريعة المتعددة ثانيا ، وما مَنّ الله به على الأمة الإسلامية من روابط وثيقة أبرزها العقيدة الإسلامية ، وما تغرزه فى المسلمين من عبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ثابتة راسخة على مر الأيام .

إن ثبات ما تغرزه العقيدة الإسلامية فى المسلمين ورسوخه ، يتمثل فى أن الفريضة يلتزم بها المسلم فى كل مكان على وجه الأرض ، وأن الحرام ينتهى عنه كل مسلم فى أى مكان ، وكذلك الشأن فى الأخلاق والآداب ، فلن يختلف المسلمون يوما على فضيلة الصدق والأمانة والعفة والوفاء والإخلاص ، وغيرها من القيم ، مهما تباعدت بهم الأماكن ، ولن يختلفوا على رذيلة الكذب والخيانة والفاحشة والغدر والنفاق ، وما إليها من رذائل مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم .

لقد أصبح الحديث عن المجتمعات الإسلامية فى أقصى المشرق الإسلامى ، والتعرف عليهم ميسورا لأهل المغرب الإسلامى ، والعكس صحيح .

وأصبحت القضية التى تهم المسلمين فى المشرق ، وتثير فيهم الحماس لتحليل أسبابها ، والعمل على حل ما فيها من مشكلات ، هى حديث المسلمين فى المغرب ، لا يحول بينهم

وبين الاهتمام بها ، عجز عن المعرفة ، ولا قصور فى التصور ، ولا جهل بالتحليل والعلاج .

كما أصبح رصد الظواهر الاجتماعية فى مجتمع مسلم مًّا ، وتسجيلها ، وتحليلها ، ووضع خطة لعلاجها ، وتقويم هذه الخطة ومتابعتها ، أصبح كل ذلك ممكنا ، بل ميسرا لمن أراده ، وعقد العزم على الوصول إليه مادام مؤهلا لذلك مهما تباعدت الديار .

ولقد أدى هذا القُرب العقيدى الوجدانى والعقلى والعملى كما أدى هذا التقارب والتعارف إلى تشابه القضايا والظواهر فى المجتمعات الإسلامية تشابها يكاد يصل إلى حد التطابق فى كثير من المسائل والقضايا .

ولقد دعم هذا التشابه ، أو التطابق فى القضايا والظواهر ، أمور عديدة نعد من أبرزها :

١ ــ أن العدو الذى يكيد للمجتمعات الإسلامية عدو واحد ، أو متوحد فى الكيد لها ، وإلحاق أكبر قدر من الإضرار بها ــ على الرغم من تعدد هذا العدو واختلافه فى المعتقد والمذهب والمكان والزمان ــ أو على الأقل تعويقها عن التقدم والنهوض ، والحيلولة بينها وبين مواكبة النهضة .

٢ ــ أن هؤلاء الأعداء حريصون على قهر المجتمعات الإسلامية ، وإغراقها فى كثير من المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية التى يصطنعونها لها ، أو يخططون لبروزها ، لكى تأخذ بخناق الناس فى كل مجتمع مسلم .

٣ ــ أن هؤلاء الأعداء تجمعهم رابطة قوية فيما بينهم ، هى الحقد على الإسلام لأسباب كثيرة ، بعضها قديم وبعضها وسيط ، وبعضها حديث ، تمثلت دائما فى أنواع ثلاثة :

أ ــ اليهودية أو الصهيونية ــ دون فارق بين الكلمتين كما يزعم قصار النظر ــ وما يتفرع عن اليهودية من مؤسسات عسكرية وثقافية واقتصادية وفكرية .

ب ــ المسيحية أو الصليبية ــ دون فرق بين الكلمتين كما يزعم قصار النظر أيضا ــ وما تفرزه هذه الصليبية من حكومات ودول ومؤسسات وتيارات فكرية وثقافية وأدبية وفنية ، تغرق فيها الوعى الإسلامى وتخدره وتسلبه إرادته .

جـ ـــ الإلحادية أو الاشتراكية أو الشيوعية ـــ دون فرق كذلك بين الكلمات إلا في أذهان الغافلين ـــ وما تفرزه من حكومات ودول ومؤسسات وأفكار وفنون وآداب ونظم شمولية ، ساحقة للإنسان ، قاهرة لإرادته .

وهؤلاء الأعداء الثلاثة ، وإن اختلفوا فيما بينهم ، وكثيرا ما يختلفون ، إلا أن نقطة اللقاء والتفاهم ، هي الكيد للإسلام والمسلمين .

إن هؤلاء الأعداء جميعا أو شتى ، يحرصون على أن لا تقوم للمجتمعات الإسلامية قائمة ، وهم يخططون لذلك ، ويبذلون قصارى ما يملكون من جهد وعلم ومال ، لكي يحققوا نجاحا في ضرب العالم الإسلامي ، وتمزيق مجتمعاته ، والحيلولة بين هذه المجتمعات وبين الوصول إلى الالتزام بمنهج الإسلام في الحياة .

ومن أجل ذلك ، يقومون بعمليات الغزو الفكري والثقافي للمجتمعات الإسلامية ، غزوا ظاهراً أو مستترا ، يستهدف الفرد المسلم ، رجلا وامرأة ، طفلا وشابا ؛ ليحول بينه وبين دينه ومنهجه ونظامه وأخلاقه وآدابه .

• إنهم يغرقون المجتمع المسلم في خضم هائل من المناهج والأخلاق والآداب ، التي تعارض منهج الإسلام ، بل تحاربه ، مبهرجين ذلك على المسلمين ، بالتزويق والتلوين والحداثة والتقدمية ، داعمين لها بكل ما أوتوا من حول وحيلة ، بالغين في ذلك حد المكافأة المالية لبعض الضعاف .

ومن أجل ذلك أيضا ، يقومون بعمليات الحرب والاستيلاء على ديار المسلمين والسيطرة على مقدراتهم الاقتصادية ، وسلب كل ما يمكن سلبه من أسباب قوة المسلمين ، القوة المادية الماثلة في الأرض والبحر وما يذخران به من خيرات ، والقوة المعنوية وما تحفل به من إيمان تستعذب معه الشهادة في سبيل الله ؛ وما قصة تمكين اليهود من فلسطين بغريبة في هذا المجال ، ولا هي ببعيدة من أبناء هذا العصر ، إنها أشبهت قصة الأندلس المسلمة .

إن أعداءنا يلبسون لنا في كل يوم زيا ، ويُلَبِّسون علينا حقيقة نواياهم ، فيزعمون لنا أو للغافلين منا أنهم أنصار حقوق الإنسان ، وهم في الوقت نفسه ، يغرون بالمسلمين أعداء لهم ، يهدرون فيهم حقوق الإنسان ، بل كرامة الإنسان !!!

ويزعمون أنهم يقدمون لنا المعونات ، وهم في الوقت نفسه قد استولوا على خيرات

بلادنا استيلاءً عاجلا أو آجلا ؛ إذ يقدمون لنا القروض ، باسم رغبتهم فى تنمية مجتمعاتنا ، فى حين يطلبون من الفوائد الربوية على هذه القروض ، ما تعجز البلد المستدينة عن تسديد فوائده الربوية ، فضلا عن القروض نفسها ، إنهم بذلك ــ وعن عمد ــ يسوقون المجتمعات الإسلامية وحكوماتها نحو هاوية الديون والقلق ، ومزيد من الاضطراب الاقتصادى ، فالسياسى ، فالاجتماعى .

إنهم كثيرا ما يصطنعون المعارك فيما بينهم ، أو على مستوى مجالس الرأى والشورى عندهم حول الموافقة على بيع أسلحة لنا بأموالنا التى تدفع عاجلة بالثمن الذى يملكون وحدهم تحديده ، أو آجلة بالربا الذى يقدرونه .

لماذا نبشترى السلاح من عدو لنا وصديق لأعدائنا ؟ لنخوض به حربا هم الذين خططوا لها ، وصنعوا أسبابها ، وأغروا بها السذج الغافلين قصار النظر منا ؟

إنهم فى هذا التخطيط سواء ، الشرق الملحد المعادى لنا بإلحاده ، والغرب الصليبى الحاقد المعادى لنا بصليبيته ، وأذناب كل وأتباعهم فى أوربا وآسيا وإفريقيا واستراليا ، كل أولئك يد واحدة على ما بينهم من اختلاف ، مادام العدو هو المسلمين ، يؤرثون بيننا نيران حروب ، تشترى أسلحتها منهم بأموالنا ومقدراتنا ، بل بحريتنا السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية ، أى بمستقبلنا كله ، فضلا عن حاضرنا .

ومن أراد التأمل والتدبر والعظة أو تشكك فى شىء مما نقول ــ وهذا من حقه ــ فلينظر إلى هذه الحروب وإلى الذين صنعوا أسبابها وحركوا بواعثها ، وليحسب كم تكلفنا مما نطيق ومما لا نطيق ؟ وكم تبدد من أموال ورجال ؟ ومن يستطيع أن يخرج منها منتصرا ؟

إن إشارة إلى هذه الحروب لتدل على كثير مما يراد بنا ، لنشر إلى : حرب الخليج بين العراق وإيران الجارتين المسلمتين .

حرب الصحراء المغربية بين المغرب والبوليساريو ، ومن يدعمونها ، وهم جميعا مسلمون .

حرب الشرق الأوسط بعامة التى اشتملت على حروب .
حرب لبنان مع الفلسطينيين .
وحرب لبنان مع سوريا .

وحرب لبنان مع لبنان !!!! .

وحرب سوريا مع الأردن والفلسطينيين ..

وحرب سوريا مع العراق ، وهى حرب مضمرة أخطر من الحرب الظاهرة .

وحرب سوريا مع سوريا !!!

وحرب الحدود بين السعودية والكويت التى انتهت بمنطقة محايدة .

وحرب قطر والبحرين التى طُوِّقت بَعْدَ ضحايا وخسائر .

وحرب ليبيا مع العالم العربى كله تقريبا .

وحرب ليبيا مع العالم الإسلامى معظمه .

وحرب ليبيا مع كل نظام مستعمر لا يدور فى فلكها .

وحرب ليبيا مع ليبيا !!!

وأهم حرب صنعها أعداؤنا هى حرب إسرائيل لنا ، بعد أن ساعدوها ، ومكنوها من احتلال أرضنا ، بل أعز أجزاء أرض المسلمين ، تلك الحرب المستمرة أبدا المؤيدة باستمرار من أعداء المسلمين .

إذا استثنينا حرب إسرائيل مع العرب ؛ لأنها ذات أسباب حقيقية ، فإن سائر الحروب الأخرى مصطنعة ، ومدبر لها بليل ، يشجع عليها الذين يستفيدون من ورائها ، صنّاع الأسلحة ، وتجار الأسلحة وأعداء الأمة الإسلامية .

وإن حرب أفغانستان تشبه حرب العرب وإسرائيل ؛ لأنها احتلال للأرض من الشيوعيين الذين يلبسون أقنعة أفغانية .

إن أعداءنا باصطناعهم لهذه الحروب ، يزرعون العداوة بين المسلمين عربا وغير عرب ، ويذكون نارها ، ويمدونها بكل مايزيد سعارها ، يصنعون ذلك بأنفسهم حينا ، أو بما لهم فى بلادنا من نفوذ أحيانا أخرى ، أو بمن لهم عندنا من خبراء ومستشارين أمناء جدا ، وحريصين جدا جدا على مصالح بلادنا ومجتمعاتنا !!!

سل — إن شئت — عن أسباب الخلاف بين أى بلدين إسلاميين فى العالم كله ، تجد وراء هذا الخلاف خطة ، وتدبيرا ، وأصابع واضحة أو خفية ، تحرك أسباب هذا الخلاف .

وإن تعجب فعجب استجابة بعضنا لبذر بذور الفرقة والخلاف غفلة منهم

وسذاجة — ولا نسئ الظن بالنوايا ، فنقول دعما منهم للفرقة والخلاف عن قصد — وتجاهلا للأخ والصديق وإقبالا وموالاة للغريب والعدو !!!

واعجبا ... إذ قيض الله لنا سلاحا ذاتياً نابعا من أرضنا وترابنا ، استطعنا أن نحمله على أعدائنا حينا وجيزاً من الزمان ، فما لبثوا أن جعلوه سلاحا أجوف ، ثم سلاحا علينا لا لنا ، وهو سلاح النفط .

ولنا مع النفط قصة لابد من تسجيل بعض عناصرها هنا : انقلب سلاح النفط من سلاح فى أيدينا إلى سلاح فى أيدى أعدائنا ، فكيف كان ذلك ؟

كان النفط — وهى نعمة أنعم الله بها علينا — بالنسبة لنا ، أمل المستقبل المشرق الذى يضيف إلى مزروعاتنا ومصنوعاتنا قوة ، قد تمكننا من الاكتفاء الذاتى فى حاجاتنا الأولية والضرورية ، كان ذلك كذلك ، لو أحسنا استخدامه ، وعرفنا كيف نشكر النعم .

ولكننا لم نتعامل مع هذه الطاقة بالأسلوب الراشد العلمى الذى يمكن من استثماره لصالحنا ، وعلى الرغم من أن الثراء النفطى بلغ عندنا حداً لم يكن أحسن الناس ظنا يتوقعه إذ تجاوز كل الحسابات والتوقعات ، فقد ارتفعت عائداته من تسعة مليارات من الدولارات الأمريكية عام ١٩٧٢ م إلى مائتين وخمسة من المليارات فى عام ١٩٧٩ ، وقدرت الفوائض المالية النفطية المستثمرة فى الغرب — المعادى لنا — بنحو ثلاثمائة مليار من الدولارات الأمريكية فى عام ١٩٨٠ م ، وكان ذلك بالنسبة لأربع دول عربية نفطية فقط [١] .

كان المفروض علينا مع هذه الزيادة فى العائدات ، أن نبنى قاعدة للإنتاج غير النفطى ، قوية وراشدة ، وأن نستغل هذه الزيادة لتطوير البلاد ، وتحديث الصناعة ، وتوسيع الرقعة الزراعية ، ودعم التعليم وتأمين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، بدلا من إيداع هذه الأموال فى مصارف بلاد الأعداء أو للقيام بمشروعات فيها ، ولكنها الغفلة — ولا أقول التعمد فالله أعلم بالنوايا — والانخداع بنصائح الخبراء والمستشارين الأمناء جدا على مصالحنا ومستقبلنا هى التى جعلتنا نذهل عن الحقائق الأولية والمسلمات الرئيسية فى تنمية المجتمعات ، فتسربت منا الثروة النفطية إلى غير قنواتها الشرعية ، فحولناها إلى مال سائل فى مصارف الغرب ، لم يحقق ربحا بالقطع وإنما حقق خسارة بالقطع كذلك عند إعادة تقدير

---

(١) د . طه عبد العليم — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية . جريدة الأهرام فى ٩ / ٥ / ١٩٨٦ . مع شكنا دائما فى سلامة الإحصاء الذى يصنعه الغرب ويصدره لنا .

قيمة هذه الأموال نتيجة طبيعية للتضخم من جانب وللمضاربين من جانب آخر .

ولم يزل أعداؤنا بنا وبنفطنا ، يكيدون ، ونستجيب ، ويخدعون ، وتنطلى علينا الحيل ، حتى أوصلونا إلى تقليل إنتاجنا فى النفط وإلى خفض أسعاره على الرغم من قلة إنتاجه عما كان عليه من قبل ، وتلك نتيجة طبيعية للغفلة والتبعية .

لقد غفلنا عن توظيف نفطنا لصالحنا وغفلنا عن أنهم بدأوا يبحثون عن إيجاد طاقات بديلة وأنهم نجحوا فى ذلك ، غفلنا عن أنهم بعد أن خفضوا سعر النفط كونوا مخزونا هائلا يمثل احتياطيا يكفى لخفض سعر النفط بصورة مستمرة ، غفلنا عن كل ذلك ، فكان لهم ما أرادوا ، وأخذنا نزدرد الآلام .

وبعد : أليست هذه حربا نفطية ضارية تضاف إلى الحروب التى اصطنعوها لنا ؟ بل فرضوها علينا ؟ اللهم بلى .

ولكى نعرف الأثر الواضح لأصابع أعدائنا فضلا عن آثار بصماتهم ، لابد أن نتساءل عن سر الصراعات والخلافات فى العالمين العربى والإسلامى .

أتوجد موجبات للخلاف والصراع بين بلدان العالم العربى مثلا ؟ مع تقارب الفكر والثقافة واللغة والتراث والآلام والآمال والحاضر والمستقبل ؟ فضلا عن العقيدة والأخلاق والآداب ؟

أتوجد موجبات للخلاف والصراع بين بلدان العالم الإسلامى ؟ مع توحد العقيدة والعبادة والمعاملة ، ووحدة المصير فضلا عما يوجبه الإسلام على المسلمين من الأخوة ؟

ولنلق بعض الضوء على ذلك ... لندرك الأهداف .

ففى العالم العربى خلاف يصل إلى حد الصراع بين معظم بلدانه ، ما سبب هذا الخلاف ؟ ومن الذى يؤرث ناره ، ويذكى أواره ؟ وعلى سبيل المثال :

ما سبب الخلاف بين مصر وغيرها من بلدان العالم العربى ؟ من الذى حرك هذا الخلاف ، ومن الذى أوجد أسبابه ؟ ومن الذى جعل له هذه الآثار التى تضر ، بل أضرت بالعالم العربى كوحدة سياسية ــ كما ينبغى أن يكون ــ فى مواجهة عدو مشترك ؟

ما سبب النزاع بل الحرب بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، أو الذى بينها وبين

الأردن والعراق ولبنان ومصر ، وكثير من بلدان العالم العربى ؟ من صاحب المصلحة فى هذا ؟ أهو السوريون ؟ أم العرب ؟ أم سواهم ؟

وما سر الصراع اللافت للنظر بين لُيبيا ومصر ، بل بين ليبيا وجميع بلدان العالم العربى ، دون استثناء ، حتى أولئك الذين تحالفهم أو تدعو للوحدة معهم أو لتكوين جبهة ؟

ما السبب الذى وراء الحرب بين المملكة المغربية والجزائر وليبيا — الحرب المقنعة التى تلبس قناع البوليساريو — من المستفيد من هذه المعارك ؟ لماذا لم تنشأ هذه الحرب أيام كانت الصحراء فى حوزة إسبانيا ؟ أين كان المناضلون ومؤيدوهم آنذاك ؟

ماذا عزل السودان عن مصر ؟ ثم ماذا عزل جنوبى السودان عن شماليه ؟ ثم ماذا بين السودان وليبيا والعراق ؟

ماسر تفتيت العالم العربى إلى أجزاء ؟ من المستفيد من هذه الفرقة والشتات ؟ إن دعاة التفتيت يمارسون التفتيت فعلا ، ويزعمون أنهم دعاة وحدة ؟

لماذا أقصيت مصر عن الجامعة العربية ؟ ومن المستفيد من هذا الإقصاء ؟ العرب أم إسرائيل ؟ أم أعداء العرب من هنا وهناك ؟

لماذا وصلت الأوضاع بالجامعة العربية إلى حد العجز عن اتخاذ قرار بأن يجتمع أعضاؤها — فى بعض الأحيان — وذلك أضعف الإيمان ؟ وهل تستطيع والحالة هذه أن تتخذ قرارا حقيقياً ، يفصل فى نزاع بين دولتين عربيتين ؟

لماذا فتتت الجامعة العربية وفقد أعضاؤها الثقة فيها فأخذوا يفكرون لأنفسهم فى روابط ، تكون بديلا عن الجامعة العربية ، فعزلوا أنفسهم عزلا نفسيا سياسيا عنها ، كما حدث ذلك فى دول الخليج العربى ، ودول المغرب العربى ، ودول المشرق العربى .

ما أسباب ذلك ؟ ليس أبرز الأسباب — بالطبع — أن دول الخليج وجدت نفسها — فجأة — دولا غنية بين دول فقيرة !!! وإنما تعدت الأسباب ذلك ، إلى ما هو غير مقبول عربيا ، فضلا عن أنه غير مقبول إسلاميا ؛ إذ عزلت نفسها بمؤسسات تربوية تخصها ، وجامعات لا تقبل فيها أحدا من غير أبنائها ، إلا فى القليل النادر .

من الذى سول هذا العزل وبرره ؟ من هذا العبقرى المسموع الكلمة المخلص جدا لكيان الأمة العربية ، الذى دعم هذا التفتت والتفكك ؟

لقد مات العربى جوعا فى السودان والصومال وغيرهما من البلاد العربية ، فى حين كانت أموال النفط تبعثر ذات اليمين وذات الشمال !!!

لماذا تزامن إنفاق العرب لأكثر من ستين مليارا من الدولارات الأمريكية على الأمن والدفاع مع أكبر أنواع العدوان على العالم العربى ، والعربدة العسكرية فى أرجائه فى النصف الأول من عقد الثمانينات ؟

من الذى أشار بهذه العربدة ؟ ومن الذى استفاد منها ؟ ومن الذى أنتج السلاح ؟ ومن الذى اتّجر فيه ؟

وسؤال حائر طائر لا يجد له مستقرا وهو : لماذا لم يكن العراق على وجه التحديد — وهو دولة خليجية جغرافيا بل وبكل معيار — من دول مجلس التعاون الخليجى ؟

ما سر الدعوة الرائجة الآن فى إيجاد جبهة من دول المغرب العربى — المغرب والجزائر وتونس وليبيا ؟

لماذا لم تدع إليها موريتانيا أولا ؟ ولماذا دعيت أخيرا ؟

ماذا يبقى للجامعة العربية بعد ذلك من دول؟ أم أنهم فطنوا مؤخرا إلى أن الجامعة العربية كان إنشاؤها مقترحا من انجلترا المستعمرة ؟

ما بقى إلا أن ينطلق نداء إلى أن تصبح كل دولة عربية دولة بذاتها لا تربطها بجاراتها العربيات أى روابط !!!

إن ذلك ليس ببعيد على كيد أعدائنا ، كما أنه ليس ببعيد على تقبل رجال السياسة فى العالم العربى ، ماداموا يجالسون الخبراء الأجانب ، والمستشارين الأعداء الأمناء جدا على مصالح الأمة العربية ومستقبلها !!!

هذا عن العالم العربى ، وما يحفل من تساؤلات ، وما يَعجّ به من قضايا ومشكلات ، وما سوف يؤدى به إلى كل ما يرضى العدو ، ويسوء الصديق .

فماذا عن العالم الإسلامى ؟

فى العالم الإسلامى خلافات وصراعات كذلك ، كما فيه تفتيت وتفكيك لوحدته وعراه !!!

أولا : تحالفت دول المشرق والمغرب ، على أن تزيل من الوجود دولة الخلافة العثمانية ، وعملت لذلك ماوسعها ، ويوم أسقط نظام الخلافة الإسلامية فى تركيا — على ماكان فيه من عيوب — كان يوم فرح أكبر فى الشرق والغرب على السواء ، بل كان يوم فرح لدى الغافلين الذاهلين عما يدور حولهم ، من دعاة القوميات البديلة للإسلام — القومية العربية والطورانية والفرعونية والفينيقية والكردية وما إلى ذلك وهو كثير .

وكان « مصطفى كمال » أول والغ فى دم الخلافة ، ثم خلفته ذئاب وكلاب كثيرة ، تلغ ، وتمضغ ، وتستمرئ ، حتى صار الأمر إلى ما صار عليه الآن ، ليس هناك وحدة ، ولا شبه وحدة إسلامية ، ولا خلافة ولا نظام إسلامى صميم للحكم ، فى أى بلد إسلامى .

ثانيا : ابتعلت الثورة الشيوعية الملحدة المعادية للإسلام والمسلمين ، ست جمهوريات أو دويلات أو اتحادات إسلامية بحكم سكانها ، وقضت هناك على كل ماهو إسلامى ، حتى حرمت على الناس أن يحتفظوا بالمصاحف ، أو يؤدوا الفرائض . هذه الجمهوريات أو الولايات هى :

أذربيجان ، وأزبكستان ، وطاجيكستان ، وتركانيا ، وقازاخستان ، وقرغيزيا .

وقد قضى فيها على الإسلام ماديا ومعنويا .

ثالثا : الهند المسلمة — إلا قليلا فى الماضى — جاءها العدو بشركاته ، ثم بجيوشه ، ثم قسمها إلى قسمين غير منطقيين جغرافيا ، إذ كان قسم منها هو الهند ، والقسم الآخر هو باكستان ولكن تفصله بعض الهند ، تفصل شرقيه عن غربيه ، ولعل ذلك كان مقصودا يومها ؛ ليصير إلى ماصار إليه الآن باكستان وبنجلاديش .

وما كان هذا التقسيم ، إلا بعد مجازر ، وقف فيها أعداء الإسلام والمسلمين مع الهندوس ، ثم دعم وتأييد لانفصال بنجلاديش عن باكستان ، بعد حروب ومجازر كذلك .

رابعا : أفغانستان المسلمة على حدود روسيا ، يسلط عليها من أذناب الشيوعية ، من يريدون تجريدها من دينها وجعلها تابعة ذليلة تدور فى فلك الإلحاد ، والمجتمع الدولى لا يفعل شيئا ، بل إن أنصار حقوق الإنسان لم يفزعهم ما يجرى على المسلمين الأفغان ، من ويلات حرب غير متكافئة فى عتادها ، ولا فى عدد المقاتلين فيها ، ولكن كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

خامسا : إيران والعراق والحرب الطاحنة المدمرة ، التى دامت بينهما مايقرب من تسع سنوات ، لماذا نشبت هذه الحرب ؟ ومن الذى شجع عليها ؟ أهى تلك الجزر التى تحدثوا عنها ؟ أم هى الملاحة فى الخليج وشط العرب ؟ أم هى غير ذلك كله ؟

ولماذا تواكبت هذه الحرب مع نمو الثروة النفطية أيام كان النفط ذا سعر غال ؟ أهى الرغبة فى استنزاف ثروة المسلمين ، وبخاصة أن إيران والعراق كلاهما من كبريات الدول الإسلامية المصدرة للنفط ؟

وكيف انشق العالم العربى على نفسه فى هذه الحرب ، منهم من يؤيد إيران ، ومنهم من يؤيد العراق ؟ وأين فوران القومية العربية وجَيَشَانِها عند من أيدوا إيران من العرب ؟ أم هى الخطة المرسومة ، التى لابد أن يسعوا فى طريقها ، خداما أتباعا لمن أشار عليهم بهذا التأييد ؟

وكم كان حجم الخسائر من المال والرجال والعتاد ؟ ألا يساوى ذلك ثمن عشرات الجزر لو أنها كانت تباع ؟ من ذلك العبقرى الصديق اللدود ، الذى كان يمد بالمال والسلاح كلا من العراق وإيران ؟ ألم يدل ذلك على شىء ؟ إن بعض العرب ــ وهذا ما قالته وكالات الأنباء ــ كان يؤيد العراق علنا ويؤيد إيران سرا ؟ أهناك أعجب من هذا ؟

سادسا : لنتساءل الآن عن دول العالم الإسلامى كم عددها ؟ وما هو حجمها ؟ وما مدى فاعليتها فى كل قضايا العالم الإسلامى ؟ وإلى من تنحاز فى المؤسسات والهيئات الدولية ؟ أتنحاز إلى الحق مهما كان وإلى الإسلام فى كل أرض ظلم فيها المسلمون ؟ أم تنحاز إلى سادتها ومقرضيها ، ومصدرى القمح لها ؟

إن عدد الدول المسلمة كثير :

ففى آسيا سبع وعشرون دولة مسلمة ــ بما فيها الجمهوريات الست التى اغتصبها الاتحاد السوفيتى .

وفى إفريقيا ثمان وعشرون دولة مسلمة .

وفى أوربا دولة مسلمة واحدة هى ألبانيا .

فهذه ست وخمسون دولة مسلمة ، تمثل أكثر من ثلث أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، فهل لها فى الهيئة هذا الوزن ؟

إن عدد المسلمين يزيد بكثير عن ألف مليون مسلم ــ كما تقول إحصائيات الأعداء ــ وفى بلادهم من المقدرات الاقتصادية ما فيها ، فهل لهذا العدد الكبير وزن يوازى هذا العدد ؟ هل لهذه الدول وزن سياسى فى الهيئات الدولية ؟ هل لها تأثير اقتصادى ؟ هل لها تأثير فكرى أو ثقافى ؟ هل لها قدرة على الإسهام فى حل قضية أو مشكلة إسلامية ؟ نسأل فى ذلك هيئة الأمم المتحدة فإنها بالقطع عندها الجواب الصحيح .

سابعا : الأقليات المسلمة فى العالم ، وهى سبع عشرة أقلية فى آسيا ، وست عشرة أقلية فى إفريقيا ، وخمس عشرة أقلية فى أوربا ، وست عشرة أقلية فى الاتحاد السوفيتى . واثنتا عشرة أقلية فى أمريكا ، ومجموعها : ست وسبعون أقلية مسلمة فى العالم ، ويزيد عددها على مائة مليون مسلم .

هذه الأقليات المسلمة فى مواطنها ، هل تحصل على حقوقها ؟ وهل تعامل بمثل ما تعامل به الأقليات غير المسلمة فى تلك البلاد ، فضلا عن أن تعامل كما تعامل الأكثرية ، وما دلالة هذه المعاملة ؟ وماذا فعل العالم الإسلامى فى هذه القضية ؟

وبعد : فتلك صورة مجملة غاية الإجمال لظروف العالم الإسلامى : أكثرياته وأقلياته ، عربية وغير عربية جمعناها بهذا الإيجاز ــ الذى نرجو ألا يكون مخلا ــ لنخلص منها إلى عدد من الحقائق ماكان لنا أن نتحدث عنه ابتداء قبل أن نجمل هذه الصورة ، حتى نقدم على الحقائق التى نخلص إليها ــ أدلة وبراهين من واقع العالم الإسلامى وظروفه ــ فنكون بإذن الله وفضل منه قد خلصنا إلى حقائق لا تقبل جدلا ولا مماراة من غافل هنا أو هناك ، أو ذاهل ينعق بما لايسمع ، فضلا عن موالٍ لعدو دينه وأمته والعياذ بالله .

الحقيقة الأولى :

أن العالم الإسلامى أو المجتمعات الإسلامية بعامة فى بلادها ودولها ، يحال بينها وبين دينها ، ومنهج حياتها ، ودستور ربها ، وأخلاقها وآدابها ، بفعل أعداء متحالفين ــ مهما اختلفوا ــ يملكون من الوسائل والإمكانات ، مايجعلهم دائما قادرين على تحقيق أهدافهم ، التى تكاد تنحصر فى إبعاد المسلمين عن دينهم ، أو إلهائهم عنه ، ومن ثم استضعافهم واستغلالهم ، وربطهم بالتخلف والضياع والديون بأوثق الروابط وأعتاها .

تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاهل أو غافل .

الحقيقة الثانية :

هى ضرورة التغيير ، تغيير هذه المجتمعات المسلمة — ولا أقول الإسلامية — تغييرا يتناول كل مافيها ، من مناهج ونظم ومبادئ وقيم وأخلاق ، تخالف الإسلام ، أوْ لَا تتفق مع آداب الإسلام ؛ ذلك لأن هذه المناهج والنظم وافدة على المسلمين ، غازية لهم ، تستهدف إقصاءهم عن دينهم ، أى عن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وهذا الإقصاء متعمد مقصود ؛ إذ هو الخطوة الأولى للأعداء ، كى يفرغوا الأمة المسلمة من طاقتها وإمكاناتها ، فتضعف ، فتصبح لقمة سائغة لهم — على النحو الذى نراه اليوم — بالنسبة لكثير من بلاد المسلمين .

والحقيقة الثالثة :

أن متطلبات التغيير ودواعيه قائمة فى كل بلد من بلاد المسلمين ، والظروف فى كل تلك البلاد متشابهة ، والعدو واحد أو يكاد — وإن بدا لبعض الناظرين أنهم أعداء متعددون .

المجتمعات المسلمة فى كل بلد من بلاد المسلمين ، تعيش نفس الظروف التى تعيشها أخواتها ، وتتعرض لنفس المخططات ، بل لذات الأنواع من الغزو الفكرى والثقافى ، وأحيانا الغزو العسكرى ، ويراد لها أن تمشى فى نفس الطريق ، الذى يؤدى بها إلى الانعزال عن دينها ، أى عن سعادتها فى الدنيا والآخرة .

فالتغيير إذن ضرورة حياة بالدرجة الأولى ، وضرورة رد اعتبار بالدرجة الثانية .

وهذا ماسنوضحه والله والمستعان .

٢ — ضروروة التغيير .. أو دواعيه

إذا كانت المجتمعات المسلمة — كما أسلفنا — على هذا القدر من التقارب فى الظروف ، فإن الحديث عن مجتمع واحد منها ، قد يكون فيه غناء عن الحديث عنها جميعا ، لقوة التشابه التى أوضحنا عددا من أطرافها — فى الغاية والوسيلة والعقيدة والعبادة والعادة بل فى الحروب الموجهة ضدها ، والعدو الذى يشن عليها هذه الحروب ثم — وهو الأهم — فى بعدها اليوم عن الإسلام ونظامه .

وسوف نحاول فى الصفحات التالية ، أن نرد ذلك إلى أسبابه فنقول :

لقد أصبح من المسلمات الآن أن المجتمعات المسلمة ، أو الدول التى تحكم البلاد المسلمة ، كلها فى حاجة إلى التغيير ، فقد أصبحت هذه المجتمعات المسلمة لأسباب عديدة ، بعيدة عن الإسلام : منهجه ونظامه وآدابه ، بعدا يلفت النظر العابر ، فضلا عن النظر المتأمل الفاحص ، بل بعداً يجعلها غير معذورة ، ولا محسوبة فى عداد الدول الإسلامية .

فما أسباب ذلك ؟ وهل لذلك من علاج ؟

إن الأسباب سوف نوضحها الآن .

وإن العلاج : هو التغيير أى العودة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

فما الأسباب ؟

أولاً : إقصاء منهج الله عن الحكم :

لا ينكر أحد من المنصفين أن منهج الله الذى اختاره للناس نظام حياة ، قد أقصى عن حياتهم ، وحيل بينهم وبينه بعشرات الأسباب ، ولاشك كذلك فى أن بعض الدول لاتزال على استحياء ، من المجاهرة بإقصاء منهج الله صراحة ، فلجأت إلى ترقيعه بمناهج وضعية وافدة على المسلمين من الشرق أو الغرب .

ولسنا نقول ــ كما يحلو لبعض الناس أن يقولوا ــ إن هذه المناهج الوافدة الوضعية ، شر كلها ، ولكننا نؤكد أنها لا تلزمنا معاشر المسلمين ، فيما يتصل بعقيدتنا أو عبادتنا التى شرع الله لنا ، وربما وجدنا فيها فى بعض الظروف ، ماينفع بعض الناس ، فيما يتصل بأمور الدنيا والمعاش .

وربما كانت هذه المناهج الوضعية مفيدة لأصحابها ومن وضعت لهم من غير المسلمين ــ مع شكنا كثيرا فى ذلك بدليل المشاهدة ــ أكثر مما تفيد المسلمين ؛ وذلك أن الأصل فى المناهج والنظم أن تنبع من القيم السائدة فى المجتمع الذى وضعت له ، وبالقطع فإن مجتمعاتهم تسودها قيم تغاير قيمنا ، ومعتقدات تعارض معتقداتنا ، ومن هنا قد تفيدهم فى معاشهم احتمالا ، ولكنها لا تفيدهم فى معادهم يقينا .

فكيف الحال بالمسلمين ؟

على أن هذه المعتقدات والقيم التى تسود مجتمعات غير مسلمة بحاجة ملحة ــ

كذلك ـــ إلى التغيير ، كى تستقيم على الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فتستقى من النبع الإلهى الصافى ، والمورد الربانى النقى ، الذى اختاره رب الناس للناس جميعا ، وهو الدين الإسلامى : منهجه ونظامه .

نوجه هذه الدعوة لهم حتى يتخلصوا من كثير مما يعانون منه من خلل فى القيم الخلقية والسلوكية ، ومن أعداد هائلة من المرضى نفسيا وعصبيا ، ومن المنتحرين والراغبين فى الانتحار .

نقول هذا لهم ـــ ونحن فى أسف ـــ لأن كثيرا من المجتمعات المسلمة يأخذ حكامها من المناهج الوضعية أخذا كاملا ، أو أخذا جزئيا ، يرقعون به منهج الله ـــ سبحانه .

وخلاصة القول فى هذا السبب : أن المجتمعات المسلمة تعيش بمعزل عن المنهج ، الذى اختاره الله وصنعه ليحقق للناس صالحهم فى معاشهم ومعادهم .

وهذا يحتاج إلى تغيير .

ثانيا : إقصاء القيم الإسلامية :

هناك إقصاء للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية عن مجتمعات المسلمين ، إقصاء مقصود به عزل المسلم عن دينه وقيمه ، ليقع بعد ذلك فريسة للأخلاق الوضعية الهابطة .

وخلق المسلم مأخوذ من الاقتداء بمحمد ﷺ وخلقه ﷺ خلق عظيم كما وصفه ربه سبحانه وتعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [1] وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن ، أما تقرأ : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ » فامتثال القرآن يجب أن يكون خلقا لكل مسلم فمهما أمره القرآن بأمر ائتمر ومهما نهاه عن شيء انتهى .

والأخلاق الإسلامية ، لم تنبع من البيئة ، ولامن أعراف الناس ، ولا من مصالحهم وإنما تنبع من القرآن ، من الوحى ، وتستمد من صفات الله المطلقة ، ليحققها الناس فى حدود طاقتهم ؛ كى يحققوا بذلك إنسانيتهم فى أوج كمالها البشرى ، فيكونون بذلك أهلا لتكريم الله ، واستخلافهم فى الأرض ، والتمكين لدينهم ، وتبديلهم بخوفهم أمنا .

أين كل ذلك مما هو شائع ذائع فى كثير من مجتمعات المسلمين اليوم ؟ إن الأخلاق

---

(١) سورة القلم : ٤ .

السائدة فيها تستبيح الربا ، والغش ، والسرقة ، والرشوة ، والكذب ، والخداع ، والظلم ، والعدوان ، والعكوف على الشهوات ، والإسراف فى كل شىء ، حتى أضحت هذه الرذائل ـــ بكثرة ماشاعت ـــ كأنها الأصل ، وأضحت الفضائل غريبة نائية .

لا أقول هذا مبالغا ، وإنما السجلات ودفاتر الأحوال فى أقسام الشرطة ، تقوم على ذلك شاهدة .

ولا أقول إن القوانين أو الحكومات ، تسوغ هذا ولا تحاسب عليه ، وإنما أقول إنها ليست حازمة فى إلزام الناس به ، وليست جادة فى الإقناع به ، وليست حريصة على أن توقع عقوبة ـــ مما حدَّد الله ـــ على مرتكب لأى رذيلة من هذه الرذائل .

إن العقوبات التى حددها الله سبحانه لكل جريمة عقوبات زاجرة ، تستطيع بحكم ما فيها من حكمة إلٰهية أن تقضى على الرذيلة ، أو تحاصر صاحبها ، حتى يتوب إلى رشده ، بينما العقوبات الوضعية ، جوفاء باردة ، لا ترد مجرما ، ولا تمنع من ارتكاب رذيلة ، ولا يجرى فيها التقاضى بالسرعة التى تردع ، حتى إن بعض المجرمين ، يفضلون السجون على حياتهم العادية ، لما تنطوى عليه أنظمة السجون من خلل .

وهذا يحتاج إلى تغيير ..

ثالثا : فساد أساليب الحكم :

النظام الذى تحكم به المجتمعات المسلمة فى بلادها نظام غير إسلامى ، فى حين لا خلاف بين المسلمين على النظام الذى يجب أن يحكم به المسلمون ، فهو النظام الإسلامى الذى مارسه رسول الله ﷺ ورضيه الله سبحانه للبشرية كلها دينا ؛ لتعيش وفق مبادئه وقوانينه وأخلاقياته .

ونستطيع هنا أن نشير إلى غاية هذا النظام الإسلامى فى كلمتين اثنتين هما :

العــدل : بمعناه الشرعى الذى هو : المساواة فى المكافأة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والعدل بمعناه المطلق الذى يقتضى العقل حُسنه .

والشورى بمعنى التشاور أى الوصول إلى الرأى ، بمراجعة القادرين على إبداء الرأى ، للاتفاق على أنضج الآراء ، وأكثرها تحقيقا لمصالح الدنيا والآخرة .

كما نستطيع أن نسمى هذا النظام بالشريعة والمنهاج على اعتبار ذكره ابن عباس رضى

الله عنهما هو : أن الشريعة ماورد بها القرآن ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾[1] والمنهاج هو ماوردت به السنة ، فالنظام هو : الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

وإذا كانت غاية النظام هى العدل والشورى ، فإن فقهاء القانون فى أى عصر ، أو فى كل عصر ، مهما تصوروا من قوانين ، فلن يخرجوا بعد الجهد الجهيد بغاية أحسن من العدل والشورى ، فالناس فى ظل العدل والشورى يستطيعون أن يعيشوا حياة إنسانية كريمة ، تعطيهم حقوقهم ، وتلزمهم بواجباتهم ، وتؤمنهم على حاضرهم ومستقبلهم .

أما الأسلوب الذى يحقق العدل والشورى فمقبول بل ليس عليه كبير خلاف ــ طالما لم يصطدم بالشريعة الإسلامية اصطدام تعطيل أو تعويق ــ وعلى سبيل المثال : فإن الحياة النيابية السائدة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ــ مع تعديلات طفيفة لها ــ صالحة لأن تحقق العدل والشورى مادامت تستمد دستورها وقوانينها من الإسلام ، حتى لو أدى ذلك إلى تكوين أحزاب ، إذ لاحرج من ذلك مادام كل حزب يلتزم بهذه الغاية والهدف ، وهى العدل والشورى من خلال النظام الإسلامى ، ولا بأس أن تختلف الأحزاب بعضها مع بعض ، حول اختيار أسلوب أو آخر ، يوصل إلى تحقيق العدل والشورى ، بشرط ألا يصطدم مع الشريعة الإسلامية .

والأصل فى البلدان الإسلامية أن تحكم وفق شرع الإسلام ومنهاجه ، وأن تساس بهما فى كل شعبة من شعب الحياة الإنسانية ، مع ضرورة اجتهاد المجتهدين من المسلمين فى كل مايستجد على حياة المسلمين من متغيرات ، طالما لم يجدوا نصا دينيا ؛ إذ لا اجتهاد مع النص .

ولابد أن ننبه هنا إلى أن كثيرا مما جاء فى كتب الفقه الإسلامى ، هو اجتهاد فقهاء عاشوا فى تلك الظروف ، واجتهدوا فيما لم يجدوا فيه نصا ، فإن وافقنا مااجتهدوا فيه ، أخذنا به ، وإلا كان لنا نفس الحق فى الاجتهاد ، وفى أن يكون لنا من الفقه فى أمور الحياة ما يخصنا .

هذا هو الأصل فى حياة المسلمين ، وفى اجتهاد المجتهدين منهم .

---

(١) سورة الجاثية . ١٨ .

غير أن الواقع الذى تعيشه المجتمعات الإسلامية ، مغاير لذلك الأصل تماما ، فالغالبية العظمى للبلدان الإسلامية تحكم وفق مناهج وضعية وافدة علينا تصطدم فى كثير مما جاءت به مع الشريعة الإسلامية ، وتعمل على إقصاء الشريعة عن الميدان ، كما أن المجتهدين فى عصرنا قلة ، وبعض هذه القلة يرى أن ما جاء على ألسنة المجتهدين من أسلافنا فى كتب الفقه الإسلامى ، لازم لنا ، بغض النظر عن الواقع والمتغيرات ، وهذا خطأ ، كذلك ، وكلاهما بحاجة إلى تغيير .

ومهما تعددت أسماء الأنظمة الوضعية ، وتغيرت أسماؤها من ديمقراطية ، إلى اشتراكية ، أو إلى شيوعية ، وجمهورية كانت أم ملكية أم قبلية ، فإن الجوهر واحد فيها كلها وهو البعد عن المنهج الإسلامى ، والقرب من المناهج الوضعية .

بل ربما قلنا مطمئنين : إن هذه الأنظمة الوضعية قد أثبتت فشلها حتى فى المجتمعات التى صدرتها إلينا ؛ فلو قسنا الأمور فى تلك المجتمعات بمقياس ما تحققه من مصالح للناس فى دنياهم فقط ــ وهذا قصور وتجاهل للحياة الآخرة ــ فإننا سوف ننتهى إلى الحكم بفشل هذه الأنظمة ، حتى فى بلادها ، فما بالنا بها فى بلاد المسلمين ؟

وإذا كان رب الناس قد وضع للناس نظاما ومنهجا ، فلماذا العدول عنه إلى ماوضعه الناس ؟ مع مافى الناس ؛ كل الناس ، من قصور فى الفكر ، فطروا عليه ، فاستحال وسوف يستحيل عليهم فى يوم ما ، أن يأتوا بنظام يعادل نظام الله ، فضلا عن أن يحل محله ، ويقصيه .

إن العدول عن نظام الله ومنهجه إلى نظم الناس ومناهجهم ، افتيات على رب الناس سبحانه وتعالى وتضييع أكيد لمصالح الناس فى دنياهم وآخرتهم .

ألا يحتاج ذلك إلى تغيير ؟ ....

رابعا : تعامل مجتمعاتنا مع حكامها :

الأصل فى الحاكم فى أى مجتمع مسلم ، أنه موكل أو مفوض من الأمة لتولى قيادتها ، وفق شريعتها ومناهجها فى كل مرافق حياتها ، بل إن بعض الفقهاء يقولون : إن الحاكم مستأجر من الأمة ؛ ليقوم بحراسة الدين وسياسة الدنيا .

والحاكم وهو يمارس هذا العمل ، خاضع لسلطان الأمة التى وكلته ، بل يكون متهما بالبغى ــ عند بعض الفقهاء ــ إن هو لم يمتثل أمر الأمة ، فتحدى إرادتها ، ومارس من

العمل مالا تريد ، إذ هى صاحبة التوكيل أو التفويض .

والحاكم ليس هين الشأن فى الإسلام ـــ على الرغم من خضوعه لسلطان الأمة ـــ فإن طاعته من طاعة الله ورسوله ، وهى واجبة على كل مسلم ، مالم يأمره حاكمه بمعصية لله .

ومعونة الحاكم بالرأى والنصيحة ، أو بالجهد والوقت والمال ، أو بالكيد للعدو ، واجبة كذلك على كل مسلم قادر ، طالما أن الحاكم يقوم بعمله ، ويحقق العدل والشورى .

ويجوز عصيان الحاكم إذا أمر بمعصية لله ، ولكن لابد من نصحه ، ثم يجوز خلع الحاكم ، إذا لم يستجب للنصح واستمر فى الإخلال بواجبات عمله ، إخلالا يضر الناس فى دينهم أو فى دنياهم .

تلك أمور واضحة لدى كل عارف بالإسلام : نظامه ومنهجه فى أى زمان ومكان ، بحيث لا يكابر فى ذلك إلا جاهل أو معاند ، والجاهل يبصر بالتعليم ، والمعاند يؤطر على الحق أطرا ، حتى يلتزم به ، هذا هو الأصل فى تعامل المسلمين مع حكامهم ، وفق ماشرع الله لهم ؛ لأن للحكام حقوقا ، كما أن عليهم واجبات .

فكيف تعامل مجتمعات المسلمين حكام اليوم ؟

الغالبية العظمى من المسلمين اليوم ، يهابون أصحاب السلطة ويخافونهم ، فيعجزون عن توجيههم ، وإسداء النصح لهم ، بل يبلغ بهم هذا الخوف حد الهلع أحيانا ، فيجعلهم يتصورون أن الحكام قادرون على كل شيء ، فاهمون فى كل أمر ، فيطلبون منهم النصح والمشورة رياء ونفاقا ، ويهللون بأنهم نصحوا بكذا أو وجهوا إلى كذا ، والأصل فى ذلك النصح والتوجيه أن يكون من أصحاب الرأى والخبرة والمستشارين .

والغالبية العظمى ـــ كذلك ـــ يسكتون عن أخطاء الحكام ، بل يعللون أحيانا هذه الأخطاء ، ويبحثون لها عن مبررات ، وبعض المقربين من الحكام ، يتلمسون ويلتمسون أى أمر يرضى الحكام ، فيؤدونه مهما تجاوزوا فى هذا الأمر ، ومهما ظلموا آخرين ، أو أعطوا لمن لا يستحق مالا يملكون .

ولعل منشأ هذا الخوف أو الهلع ، يعود إلى واحد من الاحتمالات التالية :

أن بعض الحكام يمارسون البطش بالناس فيورثهم ذلك جُبنًا وهلعا ، لأن طبائع الناس فى عمومهم إيثار الدعة والعافية .

أو أن بعض الحكام يبلغ به الغرور حد أن يرى نفسه فوق النصيحة أو النقد .

أو أن بعضهم يتصور أنه القَيِّم على الناس ، الحريص وحده على مصالحهم ، بأكثر مما يحرصون هم عليها ـــ غرورا يبرره لديهم دعواهم أن الشعب قاصر ، لايستطيع أن يُميز بين مايصلحه ومايضره ، مع أن هذا الحاكم المغرور مسئول عن هذا الشعب وقصوره وجهله ، إن صدقت دعواه فيما يدعى .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن عددا من الحكام فى البلدان الإسلامية ، تولوا الحكم نتيجة لثورة ، أو انقلاب عسكرى استطعنا أن نجد علة أخرى وراء خوف الناس ، وهلعهم من الحكام ، فقد ألف الناس أن العسكريين سريعا مايبطشون بمن يسدى إليهم النصح غرورا بالقوة المادية التى يملكون .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن عددا من بلدان العالم الإسلامى قد عانى مواطنوه من القهر والسجن والتعذيب والاعتقال والتنكيل ، وأخذ الناس بالظنة ، ومبالغة أجهزة الرصد فى الدولة فى عملها ، حتى يتجسس الأخ على أخيه ، والزوج على زوجه ـــ كما حدث هذا فعلا فى كثير من القضايا التى كشف عنها النقاب أخيرا ـــ وجدنا علة أخرى وراء خوف الناس من الحكام ، وتجنب الاحتكاك بهم فضلا عن إسداء النصح لهم ، فضلا عن توجيه النقد لسياستهم إذا لم تكن محققة لمصالحهم .

ولقد أدى ذلك إلى نتائج سيئة نذكر منها :

أن كثيرا من أصحاب الرأى والمشورة والخبرة ، نأوا بأنفسهم وآرائهم عن الحكام ، مؤثرين السلامة والعافية ، فأدى ذلك إلى حرمان المجتمع كله ، من رأى صائب ، وعلم نافع ، وعمل يحقق مصالح الناس .

وأن بعض أصحاب الرأى والمشورة ، انخذلوا أمام أنفسهم وضمائرهم ، فقبلوا أن يشيروا على بعض الحكام المغرورين بما يرون الأخذ به ، ويبررون لهم مايريدون ، حتى فى التجاوزات التى يمارسها بعضهم ، افتياتا على حقوق المواطنين ، فانعزل الحاكم بذلك عن الرأى المخلص ، والكلمة الصادقة ، ووجد نفسه محاطا بعدد من المنافقين ، والضُّعَفاء والمبررين ، حتى ولو كانوا من أهل الرأى والعلم والمشورة ، فخسرت البلاد قبل أن يخسر الحكام ، وقبل أن يخسر المنافقون .

هذه الصورة التى ذكرنا لبعض الحكام ، وتعامل المحكومين معهم ، صورة صادقة

مستقاة من واقع عدد من البلدان الإسلامية ، بل من مذكرات عدد من المقربين من الحكام ، وهو واقع سيّىء يحتاج إلى تغيير ؛ فالحاكم أيًّا كان عسكريا ، أم مدنيا ، ملكا أو رئيسا أو أميرا ، موكل من الأمة أو من الجيش ــ والجيش جزء من الأمة ــ للقيام بمسئولياته القيادية والسياسية ، لصالح الدين والدنيا .

لابد أن تعتدل صورة الحاكم ــ على هذا النحو ــ فى أذهان الناس ، حتى تستقيم الأمور ، ويتقدم أهل النصح للحاكم بما ينصحه ويوجهه عندما يحتاج إلى نصح وتوجيه .

ولابد لهذا الحاكم مادام فى بلد إسلامى أن يجعل شرع الله ومنهجه ، له الصدارة فى كل شىء ، وهو النظام الذى يخضع له المجتمع كله ، امتثالاً لأمر الله ؛ واستجابة لتوكيل أمة مسلمة له .

ولابد أن يتعامل الناس مع حكامهم وفق ما أوجب الله عليهم فى شريعته من طاعة ومعونة ونصح وحب ، دون خوف أو جبن أو نفاق .

إن الحاكم بصورته الراهنة فى البلدان الإسلامية معزول من الرأى الآخر ، لايسمع إلا آراء المنافقين ، فيحرم نفسه من مشورة المخلصين ، وإن على الحكام أن يدركوا أن المنافقين لهم ، هم أول المنقلبين عليهم عندما تدول دولتهم .

تلك صورة شائهة لكثير من حكام العالم الإسلامى ولكثير من الناس الذين يتعاملون معهم .

وكل هذا يحتاج إلى تغيير ...

خامسا : التمثيل النيابى :

هذه المجتمعات فى البلدان الإسلامية ، وما يحيط بها من نظام نيابى ، سواء أكان مجلسا واحدا ، أم مجلسين ، ومهما اختلفت أسماؤها ، من مجالس شعب إلى أمة إلى شورى إلى شيوخ ــ إذا كان هذا النظام موجودا فى بعض بلدان العالم الإسلامى فإنه يحتاج إلى نظر ...

فإذا كان الأصل فى هذه المجالس أن تكون مجالس تشريع ، تشترع للناس مايلائم من قوانين ونظم ، فإن الأصل فى أعضائها أن يكونوا على مستوى التشريع من حيث العلم والثقافة العامة والخاصة والقدرة على ذلك ــ مع تحفظنا على لفظ تشريع فى مجتمع

إسلامى ــ بينما الواقع المشاهد أن كثيرا بل معظم أعضاء هذه المجالس فى معظم البلدان الإسلامية ، لا يوجد فيهم إلا القليل النادر ممن هم على مستوى القدرة على التشريع .

على أن الطريقة التى تختار بها هذه المجالس ، التى تمثل فئات المجتمع ، طريقة غير سليمة من جانب ، وغير أمينة من جانب آخر .

ولنفصل القول فى أنها غير سليمة وغير أمينة :

أما أنها غير سليمة : فلأن فيها افتياتا على حق الناخب فى الإدلاء بصوته ، وإهدار هذا الصوت فى ظروف بعينها .

وذلك أن الصور المعمول بها فى عدد كبير من البلدان الإسلامية تفتات على حق الناخب فى الاختيار وتزور إرادته تزويرا ، وذلك أن المرشح الذى يحصل على الأغلبية البسيطة ــ وهى حصوله على أكثر الأصوات بين المرشحين حتى لو كانت أقل من خمسين بالمائة من عدد الأصوات ، أو يحصل على الأغلبية المطلقة وهى أكثر من خمسين بالمائة من أصوات الناخبين ، فينتخب لذلك ، إنما ينتخب مع إهدار أصوات الناخبين التى حصل عليها المرشحون الذين لم يفوزوا ، وفى ذلك حرمان للأقليات من التمثيل النيابى والأقليات جزء من المجتمع لها الحق فى أن تمثل .

كما أن بدعة الانتخابات بالقائمة[1] ــ وهو نظام انتخابى قسم البلاد إلى دوائر كبيرة جدا ــ يعجز المرشح على أن يمر بها مرورا ، ويستحيل عقلا أن يكون معروفا لأهل هذه الدائرة كلهم ــ تختار كل دائرة منها عددا من المرشحين الذين تقدمهم الأحزاب السياسية المتنافسة ــ وتلك هى القائمة المفتوحة أو المطلقة ــ أو يقتصر الناخب على أن يعطى صوته لقائمة بأكملها من القوائم المتنافسة ــ وتلك هى القائمة المطلقة ــ فإن هذا وذاك يؤخذ عليهما صعوبة الفهم على كثير من الناخبين ، كما يؤخذ عليهما ما تلجأ إليه الأحزاب السياسية من تحايل ، يفقد عملية الانتخاب قدرتها على تمثيل الرأى العام .

وسواء أكان الانتخاب مباشرا ــ يختار فيه الناخبون ممثليهم بأنفسهم ــ لا بوساطة

(١) نظام انتخابى استعمل فى مصر وهو غريب ملفق ، هدفه أن يحصل حزب الأغلبية الحاكمة على أكبر قدر من الدوائر الانتخابية ، وأعجب مافيه من استهانة بعقول الناخبين أن الحزب الذى لا يحصل على الحد الأدنى من الأصوات وهو ٨ ٪ (ثمانية بالمائة) تحول الأصوات التى حصل عليها إلى الأغلبية !!! وعجبا وعجبا .... !!!! وقد أخذت مصر فى التراجع عنه خطوة خطوة .

المندوبين ـــ أى على درجة واحدة ـــ أم كان غير مباشر ـــ يختار فيه الناخب ممثلين ، يقومون عنه باختيار أعضاء المجلس من المرشحين ـــ أى على درجتين ـــ سواء أكان هذا أم ذاك ، فإنه لا يضمن تمثيل الأقليات فى المجلس .

وربما كان الأفضل والأقرب إلى التمثيل الصحيح لكل فئات المجتمع وأقلياته ، أن يؤخذ بنظام التمثيل النسبى ، أى تمثيل الأقليات السياسية فى المجتمع ، بنسبة ماحصلت عليه من الانتخابات من أصوات ، حيث توزع المقاعد المخصصة للدائرة الانتخابية فى المجلس على القوائم المختلفة ، كل بحسب نسبة الأصوات التى حصل عليها ، إلى مجموع الأصوات والدوائر[1] .

وبعد : فتلك بعض الشواهد على الخلل فى نظام التمثيل النيابى فى بعض البلدان الإسلامية .

أما أن هذه النظم غير أمينة : فلأن الأصل فيمن يشرف على إدارة الانتخابات أن يكون جهة غير منتمية لحزب من الأحزاب ، ولا إلى الحكومة نفسها ـــ وذاك عرف يتعامل به فى معظم البلدان ، التى قرأنا عنها ، أو شاهدناها ـــ كما جرت العادة بأن تتولاها الهيئة القضائية فى البلاد ، لأن الأصل فيها أنها مستقلة ، ولا تخضع لأى تأثير من السلطة التنفيذية .

وهذا الشرط البديهى فيمن يدير الانتخابات ، ما أخذ به فى حدود علمنا فى أى بلد من بلدان العالم الإسلامى المعاصر ، وإنما الحكومة هى التى تشرف على الانتخابات ، وهى حكومة حزبية غالبا ؛ ولذلك يستطيع أى غبى أن يتنبأ بنتائج الانتخابات قبل أن تتم .

وهذا هو ما أعنيه بأنها غير أمينة ، وكيف تكون أمينة مع هذا التحيز ، وهذا الافتيات على الحق ؟ كيف يسوغ فى عقل عاقل أن يكون الحكم خصما ؟ وأن يدير حزب معركة انتخابية تنافسه فيها أحزاب أخرى ؟

إن الانتخابات بهذه الصورة ، استخفاف بعقول الناخبين والمرشحين على السواء ،

---

(١) أى إذا كان عدد المقاعد المخصص لإحدى الدوائر الانتخابية ١٠ عشرة مقاعد ، فحصلت قائمة حرب على ٦٠٠ ستمائة صوت وحصلت القائمة الثانية على ٣٠٠ ثلاثمائة صوت وحصلت الثالثة على ١٠٠ مائة صوت ، فإن الحزب الأول يفوز بستة مقاعد والثانى بثلاثة والثالث بمقعد واحد وهو أقرب إلى العدالة من غيره .

ودليل على أن الحياة النيابية ، وتعدد الأحزاب إن هو إلا شكلية تضاف إلى نياشين معلقة على صدر حاكم فتفقد دلالتها .

إن حرية الرأى ، وحرية التمثيل النيابى براء من ذلك الأسلوب فى الانتخابات .

وإن التجاوزات التى حدثت فى كثير من بلدان المسلمين فى إجراء هذه الانتخابات ، لا تحتاج إلى دليل أو برهان ، ولا ينكرها إلا معاند أو مغرور .

ولسنا هنا بصدد أن نسوق أمثلة وشواهد ، حتى لا نقع فى الحديث عن بلد بعينه ؛ لأنّا نتحدث عن بلدان العالم الإسلامى ، وعن ضرورة التغيير فيه كله ، لا فى بلد بعينه ، ونحن هنا ننقد نظام انتخاب ولا ننقد بلدا بعينه فى هذا النظام .

وبعد : فهذه قضية التمثيل النيابى فى أغلب بلدان العالم الإسلامى ، تقوم على نظام غير سليم ، وغير أمين ، وهناك عدد من بلدان العالم الإسلامى ، لا تعرف بعد ماهو التمثيل النيابى أصلا ...

وكل ذلك يحتاج إلى تغيير .

سادسا : الحزبية والمعارضة :

الحزبية تعنى أن تكون فى بلد ما من البلدان أحزاب تتنافس فى سياسة الدولة وما تحتوى عليه من برامج إصلاحية ، كما تتنافس فى اختيار أحسن الطرق لإدارة هذه البرامج بهدف تحقيق الصالح العام للدولة .

والحزب بناء على ذلك منظمة سياسية تتكون من الناخبين ورجال السياسة ، يعملون مجتمعين وفق خطة يختارونها ؛ بغية الوصول إلى الحكم لتنفيذ برامجهم ، التى يرونها أنسب فى توجيه سياسة الدولة وإدارتها .

والأصل أن لكل حزب برنامجه الذى يختلف عن برنامج سواه فى الإصلاح ، وفى تحقيق العدالة ، وبشرط أن يعرض هذا البرنامج على بعض المنتمين للحزب فيقرونه .

وتتفاوت الأحزاب فيما بينها ؛ نتيجة لنجاح برامجها فى القضاء على السلبيات ، والمعوقات ، وقدرته على تحقيق الأمن والرفاه للمواطنين ، ولهذا يقبل الناس على الانضمام لحزب دون حزب ؛ لوضوح أبعاد برنامج حزب عن آخر .

هذا هو المعروف فى الحزبية والأحزاب على مستوى العالم كله ، أما فى البلدان الإسلامية فالأمر جد مختلف ، ولعل هذا الاختلاف راجع إلى أن هذه البلدان الإسلامية ، بعد أن تركت منهجها ونظامه ، وأخذت ترقع لنفسها منهجا تلفق بين أجزائه من شرق وغرب ، بعد فقد أصالتها . لعل هذا الاختلاف يرجع إلى أنها ، لما فقدت أصالتها ، وعمق مبدأ الشورى فى دينها ، وارتمت فى أحضان الديمقراطيات ، لم تستطع أن تستوعب مفردات الديمقراطية كما يجب .

الأمر فى البلدان الإسلامية يقوم على أساس أن الحزبية فيها لا تحقق مصالح المجتمع ، بقدر ما تحقق مصالحها الشخصية ، وتستهدف الوصول إلى الحكم ، لا توجيه الحكم وترشيده ــ هذا فى البلاد التى تتعدد فيها الأحزاب ــ فإذا وصلت إلى الحكم ، تبخرت الوعود ، وتناثرت مفردات البرنامج ، وكان الهم الأكبر هو قدر من المكاسب والمناصب ، إذا سمح لها الحزب الحاكم بذلك الوصول .

أما مصلحة الوطن والمواطن ، فهى تأتى فى المرحلة الثانية ، أو الثالثة ، أو لا تأتى ، مادامت قد سبقتها المصالح الشخصية ، أو العائلية ، أو الحزبية ، وهذا ديدن أحزاب الأغلبية وسائر الأحزاب على السواء ...

الا يحتاج ذلك إلى تغيير ؟ اللهم بلى ...

وأما المعارضة فليست حتما لازما للحياة الحزبية ، ولا فرضا تفرضه استقامة الحياة السياسية فى بلد مّا .

وليس الأصل فى أى نظام حكم ، أنه فاسد ، وأن القائمين عليه مقصرون مهملون ، وأن المعارضة هى التى تقاوم الفساد والتقصير والإهمال ، ليس هذا هو الأصل فى أى بلد من بلدان العالم .

وإنما الذى ينبغى أن يفهم من المعارضة ، أنها الرأى الآخر الموازى لرأى من يقودون دفة الحكم ، ويوجهون سياسة البلاد . الرأى النافع الهادى البناء ، الذى يستهدف الحق والخير والمصلحة العامة للبلاد ، قبل أى شىء .

هكذا تفهم المعارضة فى البلاد التى تحترم الرأى الآخر ، وعند المعارضين الذين يستهدفون صالح أوطانهم .

غير أن المعارضة — إن وجدت — فى أغلب بلدان العالم الإسلامى تشويش وتشويه لأعمال الحكومات وأقوالها ، وقلما سمعنا عن تلك المعارضة التى تحترم النظرة الموضوعية العلمية حول أى قضية مطروحة ، وتقدم فيها الحلول التى تراها مناسبة ، والتى تستهدف الحق ، وصالح الوطن والمواطنين .

المعارضة التى نراها فى معظم بلدان العالم الإسلامى ، تستهدف إحراج الحكومة ، وإظهارها فى صورة العاجز والجاهل ، أو صاحب المصلحة الشخصية ، دون أن تقدم بدائل وحلولا لما تعترض عليه !!!

إن هذا خروج بالمعارضة عن هدفها ، وضلال بها عن طريقها ، طريق الإصلاح ، بعرض الرأى الآخر .

ولقد تستبد بالمعارضة — غفلة منها — شهوةُ التشويه لكل عمل تقوم به الحكومة ، فتفتعل وتخترع ، وتلجأ إلى الكذب والإشاعات والتضليل ، وتجعل من الحبة قبة — كما يقولون — ثم لا تستحى أن يظهر كذبها ، ويستبين تضليلها ، فتكابر ؛ إذ الغفلة عندها من تصورها أن الهدف هو إحراج الحكومة وكفى ، إن ذلك انتكاس بفقه المعارضة ، ونكوص عن المصالح الوطنية الحقيقية .

وفى الجانب المقابل : إن كثيرا من الحكومات ، والمجالس النيابية فيها ، لا تعطى المعارضة حقها فى إبداء رأيها ، ولو أفلت الرأى عبر قناة ما ، فإنها لاتوليه أى اهتمام ؛ لأنه آت من المعارضة وحسب ، بل ربما عمدت الحكومة صاحبة الأغلبية فى المجلس النيابى إلى التشويش على المعارضة ، وإخمال رأيها ، أو إهماله بغوغائية الغالبية التى تخضع لها .

وهذا باطل بل عمل غير وطنى بأى مقياس من المقاييس ، وحرمان للحكومة ولحزبها ، بل للبلد كله من رأى ربما كان الأخذ به محققا لمصلحة من مصالح الوطن عاجله أو آجله ، وما قيمة المجالس النيابية وقد تمثلت فيها فئات المجتمع كله ، إذا لم تستمع وتحترم الرأى الآخر ، وتناقشه ، حتى تنتهى فيه إلى الصواب فتأخذ به ؟

لقد رأينا الاشتطاط والتجاوز من بعض الأحزاب الحاكمة ، كما رأينا الاعتساف من المعارضة ، وكل هذا ليس لصالح الوطن ، وليس داخلا فى مفهوم الحزبية ، ولا المعارضة .

لقد سمعنا ورأينا أن بعض الأحزاب الحاكمة[1] أكرهت الناس إكراها على الانضمام

(١) كان ذلك فى مصر أيام : الاتحاد الاشتراكى ونظام عبد الناصر الشمولى المستبد فى الستينات .

إليها ، مفتاتة على كل نوع من أنواع الحرية ، واشتطت أكثر فبلغت حد الإجبار إذ حتمت على المواطن أن يكون عضوا فى الحزب الحاكم ، أو لا يَحقّ له أن يتولى عملا حكوميا ، أو عملا فى القطاع العام ــ وهو حكومى أو يكاد ــ والقطاع الخاص مختنق فى تلك الآونة ، قد استولت الحكومة منه على كل مؤسسة ، أو شركة يبلغ رأس مالها ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف جنيه ، بمعنى أن الذى لا ينضم إلى الحزب الحاكم لا يستطيع أن يعمل ، أى لا يستطيع أن يعيش !!!

بل بالغت فى ذلك إلى حد خنق المواطن ، وإسفافه التراب إذ حرمت من السفر للخارج من لم يكن عضوا فى الحزب الحاكم ، بل أكثر من ذلك اعتبرته ثورة مضادة ، وحرمته من حقوقه السياسية ، بل أكثر من ذلك ، قبضت عليه وسجنته فى السجن الحربى أو غيره من السجون ، التى زاد عددها زيادة كبيرة لتستوعب الشعب المصرى كله ، الذى لاينافق الحاكم المستبد ، وأجهزته الفاسدة .

كل ذلك حدث باسم الحرية والعدالة والرفاهية !!! وفى ظل شعار كاذب هو : « ارفع رأسك ياأخى فقد مضى زمن الاستعباد » .

تلك صورة مجملة للحزبية والمعارضة ، كما يجب أن تكون فى أى بلد من بلدان العالم ، وصورة مجملة كذلك للحزبية والمعارضة ، كما هى عليه فى كثير من البلدان الإسلامية ، مع صورة ثالثة لاعتساف الحزب الواحد الحاكم وظلمه وإكراهه الناس على تزييف مشاعرهم ، أوْ وَأْد آرائهم قبل أن يوءدوا من أجلها فى غيابات السجون .

ولعل السر فى هذا التخبط فى الفهم وفى العمل ، أن بعض البلدان الإسلامية تنقل التجارب من البلاد الشرقية ، أو الغربية ، دون أن تجرى عليها من التعديلات ، مايلائم طبيعتها ، والناس الذين يعيشون فيها .

إن الضحايا فى هذا التخبط هم الناس والأوطان .

أفلا يحتاج هذا إلى التغيير ؟

سابعاً : الأنظمه والقوانين :

البلدان الإسلامية جلها ، تعانى من الإفراط فى إصدار القوانين والأنظمة واللوائح والتفسيرات ، وقد لا يكون الإفراط فى ذلك فى حد ذاته عيبا ، ولكن عندما لا تتوقف

الأنظمة والقوانين اللاحقة عن إلغاء الأنظمة والقوانين السابقة ، فإن ذلك يدعو إلى تساؤل بل إلى دهشة وحيرة واضطراب .

لماذا أصدر القانون أو النظام الأول ؟ وما مبررات صدوره ؟ ومن الذين أصدروه من فقهاء القانون ؟ ولماذا ألغيت هذه الأنظمة والقوانين ؟ ومامبررات إلغائها ؟ ومن الذين ألغوها من فقهاء القانون ؟

وكيف يتابع رجال القضاء هذا السيل العرم من هذه الأنظمة والقوانين ؟ وكيف يطمئنون إلى عدالتها وهى فى تغيير كل يوم ؟

وماموقف المواطن المسكين الذى يريد أن يعرف ما له وما عليه فى هذه القوانين ؟ كيف يستطيع ذلك فى حين يعجز عنه رجال القانون والقضاء والمحامون فى ساحات المحاكم ؟

وإذا كان لهذا الإفراط فى إصدار الأنظمة والقوانين من سبب — ولابد لها عقلا ومنطقاً وواقعا من سبب — فإن السبب الرئيسى هو إقصاء منهج الله ونظامه عن أن يكون هو المصدر الوحيد الذى تستمد منه القوانين ، ذاك عندى سبب الأسباب أو شيخها الجليل .

وهناك أسباب أخرى نذكر منها — ولا نستطيع أن نحصيها — مايلى :

١ — التسرع والعجلة فى إصدار النظام أو القانون دون تأن ودراسة متعمقة للظروف المحيطة ، وويل للعجلين من قسوة حكم التاريخ عليهم ، وبخاصة فيما يتصل بأمة لا بفرد .

٢ — الاستجابة لرغبة طارئة لإحدى الحكومات ، التى ترى فائدة فى إصدار قانون معين ، يحقق لها مصلحة من مصالحها الذاتية — وما قانون إلغاء الوقف فى مصر ببعيد عن الأذهان كثيرا .

٣ — الرغبة فى سد ثغرة من الثغرات فى النظام الحاكم ، وقد تكون هذه الثغرة جاءت نتيجة لتجاوز أو اعتساف فى بعض الحقوق أو انتهاك لها — وماقانون التركات ورسم الأيلولة ببعيد فى مصر عن أذهان أقل الناس تذكرا وذكاء .

٤ — الرغبة فى فتح ثغرة من الثغرات تحقق للحكم مصلحة بعينها ، وقد كانت هذه الثغرة مغلقة من قبل ، ويكون ذلك لحاجة فى نفس يعقوب .

٥ ـــ الرغبة فى تبديد الرصيد السابق من الأنظمة والقوانين ، وبخاصة عندما يحدث انقلاب ، أو ثورة ويحاول الذين قاموا أن يغيروا كل ماسبق ، حتى يثبتوا لأنفسهم أنهم غيروا ـــ بغض النظر عن أن السابق كان مفيدا أو غير مفيد ـــ حتى تساند الأنظمة والقوانين الجديدة الشعارات التى يُطلقها الانقلابيون وتعزز وجودها .

وقد رأينا ـــ ومازلنا نذكر ـــ يوم كان الحكم اشتراكيا فى إحدى بلدان العالم الإسلامي ، فجاءت الأنظمة والقوانين تبرر التحول إلى الاشتراكية ، وتدعم وجودها ، فكانت الشمولية والاستبداد ، واشتراك الناس فى الفقر ؛ لأنه لاغنى فى النظام الاشتراكى ، واعتصر المواطن اعتصارا فى سبيل الحكم ، أو الحزب أو الحاكم[١] .

ولما أصبح الحكم انفتاحيا ، وخرجت البلاد من قبضة الروس ، وأصبح الموقف يبشر ببصيص من الحرية ، جاءت الأنظمة والقوانين تبارك الانفتاح وتبرره وتشترع له ما يؤكد وجوده ، وما يعدد منابره [٢] .

ولما أصبح نظام الحكم حزبيا ، وكانت هناك نتيجة لذلك معارضة ، شمرت الجماعات القانونية التى تجيد حياكة القوانين عن سواعدها وأعدت أنظمة وقوانين تشرع تعدد الأحزاب والمعارضة ، وتعطى للحزب الحاكم من السيطرة والنفوذ على كل شيء ماتُعطيه ، ابتداء من مرافق الدولة ، وانتهاء بمنافذ الفكر .

ثم جاءت المعارضة التى ولدت بقانون ونظام ، ودخلت مجلس الشعب تمارس عملها ، ولكنها قهرت فى داخله ، وحيل بينها وبين ماتريد ، وما توشك أن تقوم على قدم ، حتى تعوق لها تلك القدم ، على الرغم من أن المعارضة فى مجلس الشعب لم تستهدف مايجب أن يستهدف فى كثير من الأحيان ، فلم نسمع عن برنامج متكامل قدم بديلا لبرنامج الحكومة ـــ إلا أن يكون المجلس قد قبره ؛ لأنه صادر عن المعارضة[٣] .

وكل ذلك تجاوز لحدود حق الحزب الحاكم ولحدود حق المعارضة على السواء .

والأصل فى الأنظمة والقوانين فى أى بلد إسلامى أن تعود بها إلى المنهج الذى رضيه رب الناس للناس ، ولا خوف على حاكم أو نظام ، من أن يفعل ذلك ، فإن أنظمة الإسلام

---

(١) كان ذلك فى مصر فى عهد عبد الناصر .
(٢) كان ذلك فى مصر فى عهد الرئيس السادات .
(٣) كان ذلك فى مصر فى عهد الرئيس مبارك

وقوانينه هى العدالة المطلقة للحاكم والمحكوم على السواء .

وكل مايتصوره الحكام من مخاوف إذا هم طبقوا منهج الله ، ليس صحيحا ، وليس يرد على ذهن عاقل من العقلاء ، ما الخوف من نظام وضعه رب الناس للناس ؟

وكل مايثيره المتشددون باسم الإسلام من مخاوف ليس صحيحا كذلك ، لأنه لا يتشدد فى الدين ؛ إلا جاهل به وبمقاصده ، ضحل الفقه لهذا الدين .

وبعد : فإن هذه الأنظمة والقوانين الكثيرة إلى حد الإسراف ، غير محققة للعدالة فى كثير من أحوالها ، ولا هى جالبة للأمن والأمان فى أى بلد من بلدان العالم الإسلامى .

ثم إنها غير نابعة من منهج الله وشريعته فى معظم ما جاءت به من قوانين .

ثم إنها عاجزة عن ضبط المجتمع ، وتوجيهه نحو غايته ، أو تحقيق العدالة والأمن له .

إن هذه الأنظمة والقوانين فيها من عيوب البشر الذين وضعوها كل مايصيب البشر من قصور وعجز عن الاستيعاب .

وإذا كان منهج الله وشريعته بين أيدى الناس ، وقوانين هذه الشريعة قادرة على تحقيق الأمن والأمان لمن يأخذ بها ، بل قادرة على مقاومة السلبيات كلها ، وقد قام على ذلك من التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه ، شاهد وشاهد ، فلماذا النكوص عنها ، واللجوء إلى سواها .

وإلى أن يسود قانون الله ومنهاج الإسلام ؛ أليس هذا العبث فى إصدار الأنظمة والقوانين محتاجاً إلى تغيير ؟

بلى إنه محتاج إلى التغيير

ثامناً : تيارات الغزو الفكرى والثقافى :

المجتمعات المسلمة تتعرض دائماً ــ منذ عصر الحروب الصليبية فى الشرق الإسلامى ٤٩٢ هـ إلى ٦٩١ هـ ــ إلى أنواع من الغزو غير العسكرى ، فقد بدل العدو أسلحته مع استمرارية الحرب ، فى حين تصور الغافلون من المسلمين أن الحرب قد وضعت أوزارها يوم خرج آخر جندى صليبى من بلاد المسلمين عام ٦٩١ هـ .

إن العدو بعد أن انهزم عسكرياً بدّل أسلحته واستمر فى غزونا بألوان من الغزو الذى لا

يقل خطرا عن الغزو العسكرى ، ومن هذه الألوان :

١ ـــ الغزو الفكرى .

٢ ـــ والغزو الثقافى .

٣ ـــ والغزو الأخلاقى .

٤ ـــ والغزو الاقتصادى .

٥ ـــ والغزو التربوى .

٦ ـــ والغزو الإعلامى

ولابد من أن نلقى ضوءاً على كل واحد من هذه الألوان ، حتى تتضح الصورة لكل ذى بصر وبصيرة ، وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة .

١ ـــ الغزو الفكرى :

وهو يستهدف عقول المسلمين يجردها من الحق الذى تؤمن به ويحشوها بالباطل الذى يحقق مصالحه وأغراضه . إن إفساد عقيدة المسلمين من بين ما يستهدفه الغزو الفكرى .

وإن تشويه العقيدة الإسلامية ، ومنهج الإسلام فى الحياة ، وشخصية الرسول ﷺ من بين أهداف الغزو الفكرى ذات الأولوية[1] .

٢ ـــ الغزو الثقافى :

ويستهدف تشويه ثقافة المسلمين الإسلامية ؛ لتحل محلها ثقافة الغرب أو الشرق ، ليذوب الانتماء إلى الإسلام ويحل محله الانتماء أو الولاء لثقافة الغرب ـــ كما هو مشاهد فى كثير من بلدان العالم الإسلامى .

وإن أجهزة الإعلام لتلعب دوراً بارزاً فى هذا المجال ، من كتاب ، وصحافة ، وإذاعة مرئية ومسموعة ، وسينما ومسرح ، وسائر أجهزة الاتصال .

وإن ما تجره هذه الوسائل على المسلمين من مفاسد لأكثر مما تجلبه لهم من مصالح .

٣ ـــ الغزو الأخلاقى :

ويستهدف أخلاق المسلمين ، بحيث تصبح كأخلاقهم أى لا حرام ولا محظور ، وإنما إشباع للرغبات فى الحرام ، وانتشار للمباذل والمفاسد ، وشيوع للغش والكذب والخداع

(١) للمؤلف : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ط دار البحوث بالكويت ـــ ارجع إليه إن شئت التوسع .

والجبن والبخل وعدم المبالاة . وقد استعمل هذا النوع من الغزو آلات رهيبة ، بدأت **بالصحيفة والمجلة** ، ثم مرت بالمسرح والسينما ، ثم الملاهى والمباذل وحانات الخمور وإباحة الدعارة ، وذاك من شأنه أن يقتلع من نفوس المسلمين كل فضيلة إلا من عصم الله ، وإنهم فى هذا الخضم لقليل .

٤ ــ الغزو الاقتصادى :

ويستهدف إفقار بلاد المسلمين وإغراقها بالديون لأعدائها ، وله ارتباط وثيق بالأخلاق وإفسادها ، فإذا انحلت أخلاق فرد ، ولم يعد يخشى الله ، فإنه لا يؤدى عمله على وجهه ؛ لأنه تجاهل الرقيب الحسيب ، وتحايل على المراقبة البشرية الواهية ، ومن هنا يقل الإنتاج ويسوء ، فتحتاج البلاد إلى ما يسد هذا النقص ، فتكون القروض والديون والربويات والوقوع فى أسر الأزمات الاقتصادية الطاحنة ، والعجز عن سداد ربا القرض فضلاً عن القرض نفسه .

وهذا تبسيط شديد للغزو الاقتصادى واختصار أشد لأسبابه ، غير أن الإضافة الواجبة للغزو الاقتصادى هنا ، هى تلك الحروب التى تفرض على المسلمين ، لتستنزف ثرواتهم ، فيحتاجون إلى ديون يواجهون بها احتياجهم إلى الأسلحة ، التى صنعها أعداؤهم للحرب ، التى دبرها أعداؤهم كذلك !!!

٥ ــ الغزو التربوى :

وهو أخطر أنواع الغزو ؛ لأنه يستهدف عقول المسلمين ومناهج تعلمهم ، بالسيطرة على المؤسسات التربوية فى بلاد المسلمين .

وغالباً ما تكون هذه السيطرة بشكل غير مباشر ، بعد أن كانت بشكل مباشر أيام « دنلوب » و « جب » ، إنهم الآن يعلمون أبناء المسلمين فى جامعاتهم فى بلادهم ــ على هيئة بعثات توفدها جامعات المسلمين ــ وهناك يخلعون من أنفسهم كل ولاء أو انتماء للإسلام فيما يتصل بالتربية والتعليم ، ويلقنونهم أساليب الغرب فى التربية ، فإذا عاد هؤلاء المبتعثون إلى بلادهم ، ساعدوهم على توسد المناصب القيادية فى التعليم ، ثم أخذ هؤلاء يفرزون سمومهم ــ وهى سموم ؛ لأنها تحاول أن تفسد تكوين الأمة ، وتبدل ولاءها ــ ولابد أن نقول : **إن هذه الأساليب الغربية فى التربية قد تكون ملائمة بل نافعة لهم هم ، لأنهم طرحوا قضية الدين والتدين وراء ظهورهم من عدة قرون ، ولكنها لا تصلح لنا بحال ،**

وذلك لسببين :

الأول : أن الدين والتدين عندنا ، هو الذى ينظم حياتنا الدنيا وحياتنا الأخرى ، وأننا لا نعانى — كما عانوا — من الكنيسة المنحرفة عن المسيحية الحقة ، ولا من رجال الدين الذين يفرضون نفوذهم ، وأحياناً إتاواتهم على الناس ، ولا اضطررنا يوماً لأن نشترى قراريط فى الجنة ، ولا نتوقع أن يصدر علماء الإسلام عندنا صكوك غفران ، أو صكوك حرمان فالأمر مختلف جداً ؛ ولهذا لا ينفعنا أسلوبهم فى التربية والتعليم .

والثانى : أننا لا نعانى فراغاً فى مناهج التربية الإسلامية ، حتى نحاول أن نسده بما عندهم ، فضلاً عن أن ما عندهم — كشأن التربية فى أى مكان — نابع من القيم السائدة فى مجتمعهم ، وهو غير القيم السائدة عندنا ؛ ولهذا لا تصلح لنا مناهجهم ، ولا أساليبهم فى هذا المجال .

وإن جمع الشواهد والبراهين التى تدل على أن المسلمين مغزوون تربوياً ، لا يتسع له هذا المجال ، ولا هذا الكتاب ، وإنما يلتمس فى مجال آخر وفى كتاب آخر[1] ، وسوف نتحدث عنه بإيجاز فى « التعليم » .

٦ — الغزو الإعلامى :

وذلك بالسيطرة على وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى ، حيث كانت فى نشأتها فى بلاد عديدة شركات أجنبية فى بلاد المسلمين ، أو بتوجيه السياسة الإعلامية نحو إضعاف الاعتزاز بالإسلام ، بما تقدمه وسائل الإعلام من مواد ، توصل إلى ذلك أو تساعد عليه[2] .

هل يمكن إحصاء عدد الأفلام ، أو المسرحيات ، أو التمثيليات التى تباعد بين المسلمين ، وبين التمسك بإسلامهم ؟

هل يمكن إحصاء هذا السيل من الأغنيات المحرضة على الفسق والفجور ، والمستهينة بالقيم الأخلاقية ، والمشجعة على التمرد على سلطة الأبوين ، والمعلمين ، بل وعلى كل سلطة ؟

---

(١) أحيل على البحوث والدراسات التى أعدت فى المؤتمر التى عقدته جامعة الملك عبد العزيز بمكة عام ١٩٧٦ م باسم : « مؤتمر التعليم الإسلامى الأول » .

(٢) سيكون لنا حديث مفصل عن الإعلام ومدى حاجته إلى التغيير .

هل يليق بمجتمع مسلم يدين بدين الإسلام ، أن تعرض عليه وسائل الإعلام راقصات عاريات ، أو ممثلات شبه عاريات ؟

إن هدف الغزو الإعلامى ، هو إضعاف الأمة أخلاقياً ، فإذا ضعفت أخلاقياً ، عاشت تابعة ذليلة مدينة ، تسعى فى ركب أعدائها سليبة الإرادة مستجدية .

هذه التيارات الغازية ، وافدة علينا من مجتمعات لا تدين بدين الإسلام ، ولا تحترم قيمه ومبادئه ، وهى تيارات تفرض علينا عادات وتقاليد بعيدة عنا كل البعد ، وغير ملائمة لنا من أوجه كثيرة .

إن هذه التيارات قد غيرت فى البداية ملابس رجالنا ، ثم ملابس نسائنا إلى الأسوأ الذى يغضب الله ؛ لأنه يخالف ماشرع ، وغيرت عاداتنا فى تناول الطعام والشراب ..

وغيرت نظامنا فى المشى والحركة والتحية .. وغيرت لساننا فى كثير من الكلمات العربية الإسلامية ، إلى كلمات من لغاتهم نلوكها دون ضرورة أو حاجة ، مع أننا إذا انهزمت ألسنتنا ، فقد انهزمت عقولنا ـــ لأن الإنسان يفكر باللغة ـــ ثم انهزمت شخصياتنا ، وهذا مايحاولونه جاهدين .

ولقد فشت فينا بهذه التقاليد الوافدة علينا محرمات حرمها علينا ديننا ، فأخذنا نمارسها ، متناسين حرمتها ، وذلك مثل :

مراقصة الرجال للنساء ،
ومعاقرة الخمور ،
ولعب الميسر ،
وأكل لحم الخنزير ،
وكشف النساء لعوراتهن ،
وتخنث بعض الرجال ،
وترجل بعض النساء .

ومن عجب أن أعداءنا يربطون للغافلين منا بين التقدم والرقى وبين ماتفرزه هذه العادات والتقاليد فى مجتمعاتنا المسلمة من أنواع الرذيلة !!! ألا ما أقدرهم على التضليل .

وبعد : ألا يحتاج الإعلام فى العالم الإسلامى إلى تغيير ؟

تاسعا : التعليم :

أهم ما وجه إليه عدونا اهتمامه ، وصوب إلينا فيه سهامه ، هو التعليم ، فقد كان له فى كل بلد إسلامى كيدٌ آثم ، يقضى على الثمرة المرجوة من التعليم ، بعد اقتلاع القيم التى يغرسها فى النفوس والعقول .

ولأن التعليم عمود النهضة وعمادها ، وذخر اى أمة وسنادها ، فإن بقاء التعليم فى البلدان الإسلامية ملتزما بمنهج الإسلام ، فيه خطر أى خطر على أعدائنا ومخططاتهم المضادة لنا ، ولأن الأمة الإسلامية أمة العلم والتعليم ؛ إذ هى الأمة التى بدأ كتابها السماوى « القرآن الكريم » بكلمة اقرأ فى أول ما أنزل على محمد ﷺ ، فلا بد من تشويه هذا التعليم وإجهاضه ، إذا استحال عليهم اجتثاثه .

وإن نظرة إلى التعليم فى العالم الإسلامى المترامى الأبعاد ، لتدلنا على أن هذا التعليم ، قد اهتز من أعماقه وتحول عن هدفه ، وسار فى غير مساره ، فأنتج أنصاف المتعلمين ، بل أرباعهم وأخماسهم ، ووقف دون الاكتشاف والابتكار ، وأخذ يَقُم فتات الموائد ، وفضلات البحوث والاختراعات .

إن نظرة إلى أهداف التعليم فى العالم الإسلامى أو إلى مناهجه ، خططا وبرامج ومقررات ومدارس ومدرسين ، لتدلنا على كثير من الانحراف عن جادة الحق ، والانجراف فى متاهات رَسَمَ حدودها ، وبيّت لنا الوقوع فيها أعداء الأمة الإسلامية من شرق وغرب .

ولنلق ضوءا على بعض السلبيات فى هذا المجال :

١ ــ المتعلم الآن فى المدارس والمعاهد والجامعات يحتقب [1] كثيرا من الباطل والزيف مما تدسه عليه مناهج التعليم ، ويمجد من لا يستحق التمجيد ، ويعتز بما لا يستأهل شيئا من اعتزاز ، ويهون من شأن ثقافته وتراثه ولغته ، بل دينه فى الأعم الأغلب ــ إلا من عصم الله ــ فهل هذا هو التعليم ؟

٢ ــ المتعلم فى العالم الإسلامى كله ، يربى على إهمال الدين والتدين ، وعلى وصف المؤمنين المتمسكين بدينهم بأنهم رجعيون ، أو متطرفون ، أو متزمتون ، أو يمينيون ، عندما يكون اليسار هو المسيطر المستبد !!!!!

---

(١) يحتقب : يكتسب .

فأى ولاء ينمو عند هذا المتعلم ، وأى انتماء يمكن أن ينمى فيه ؟

٣ ــ الأصل فى المتعلم المسلم أن يجد فى معلمه القدوة الحسنة فى العلم والخلق والسلوك ؛ فهل يجد المتعلم هذا فى معلمه ؟ إنها ندرة نادرة !!!

٤ ــ الأصل فى المعلم أن يكون من أهل الذكاء والمعرفة والصلاح والإخلاص والأمانة ؛ لأنه يقوم بأخطر عمل على مستوى المجتمع وهو تكوين أفراده ، فهل تختار كليات إعداد المعلمين ــ فى أى بلد إسلامى ــ الذين يلحقون بها وفق هذه المعايير ؟

٥ ــ الأصل فى المتعلم المسلم أن يعرف بدقة وتفصيل سيرة الرسول ﷺ ، ليأخذ منها القدوة الحسنة ، ويشق طريقه فى الحياة على هداها ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** .... ﴾ [1] إذ لا يمكن أن نربى المتعلم المسلم ، بأسلوب إسلامى ، أمثل من الاطلاع الواعى على سيرة الرسول ﷺ .

فهل أخذت دراسة السيرة النبوية ، فى المقررات الدراسية ، فى المرحلة الأساسية ، أو الثانوية ، أو الجامعية ، حظها من الاهتمام ؟

ولماذا يهمل تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الحد اللافت للنظر ؟ أين هى سيرهم فى مقررات التاريخ فى المراحل التعليمية المختلفة ؟

وأين تاريخ المصلحين من المسلمين والقادة منهم ، والعلماء المبرزين فى شتى الميادين ؟

ومن الذى يشوه تاريخهم وفكرهم ويتجاهل جهودهم ؟ ومن الذى يذر التراب على الأئمة ، من أمثال : ابن تيمية ، وابن القيم ، والعز بن عبد السلام ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده وحسن البنا ؟ ومن الذى يصف دولة الخلافة العثمانية ــ على الرغم من أنها ليست المثل الإسلامى الكامل للحكم ــ بأنها استعمار تركى ؟

من الذى يفعل هذا كله ، ويحشو به أذهان المتعلمين فى العالم الإسلامى كله ؟ إن المتعلم عندنا ــ فى العالم الإسلامى ــ يعرف عن الغرب : رجاله وحضارته أكثر مما يعرف عن الإسلام : رجاله ، وحضارته ، وقادته ، ومصلحيه !!!

إن التعليم فى العالم الإسلامى رُمِىَ بداهية مدمرة للخلق والفضيلة ، هى الاختلاط بين

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

البنين والبنات ، بهذا الأسلوب الشائن الكريه ، اختلاط المتعلمات المتبرجات بالمتعلمين فى هذه المرحلة الخطيرة من مراحل العمر .

إن مايجرى بين المتعلمين والمتعلمات ، لا يسوغ فى مجتمع مسلم ، ومع ذلك نجد له من المؤمنين والأنصار ، حشدا هائلا من الغافلين ، أو من الممالئين لكل فكر معاد للإسلام .

إن الأصل ألا يكون هناك اختلاط فى معاهد التعليم بين البنين والبنات ، فإن دعت ضرورة ـــ ومأأراها دَاعية ـــ فلابد أن تستر البنت مأأمر الله بستره ، ولابد أن تحظر الخلوة بها مع أحد من الرجال طلاباً أو أساتذة .

وإن مانسمع عنه ونراه من آفات اختلاط البنات بالبنين فى معاهد التعليم ، أبشع وأشنع من أن نتحدث عنه هنا بتفصيل أو استيعاب .

هذا هو التعليم فى بلداننا الإسلامية ، وتلك آفاته وسلبياته ، أفلا يحتاج ذلك إلى التغيير ؟

بلى إنه محتاج إلى التغيير .

عاشرا : الإعلام :

تعددت وسائل الإعلام فى عصرنا هذا تعددا كبيرا ، مابين إعلام مرئى كالسينما والمسرح والتلفاز ، ومسموع كالمذياع مع سائر المرئيات كذلك ، ومقروء كالصحف والمجلات والنشرات والكتيبات والكتب .

وهذا التعدد له أثره وأحيانا خطره على البيت والمدرسة والشارع ، وعلى القيم السائدة فى مجتمع مسلم فى أى بقعة من بقاع الأرض ، مايشك فى ذلك أحد اليوم ، إلا أن يكون غير ملم بأهمية الإعلام فى المجتمعات .

إن الإعلام بوسائله المتعددة ، كان قادرا على القيام بعمل جليل فى التوجيه والترشيد وسد كل ثغرة يتجاهلها التعليم ، أو البيت أو المجتمع .... فهل فعل ؟

إن وسائل الإعلام وما تقدمه للناس فى الكثير الغالب ، تشيع فيهم من القيم الفاسدة ، والأخلاق الهابطة مايمثل خطرا داهما على المجتمعات الإسلامية أى خطر ، من قصص وروايات تحبب قارئها فى الرذيلة ، وتكشف عن أسوأ ما فى الإنسان وهى حيوانيته

وانعتاقه من أجلها من إنسانيته وخلقه ، ومن تمثيليات ، أو مسرحيات ، أو أفلام أقل مايقال فيها : إن كثيرا منها يشجع على الجريمة والفساد والإفساد بالتمرد على سلطة الأبوين ، والمدرسة ، والمجتمع ، وأى سلطة فى الدولة ، ثم يتباكون على انتشار الجريمة ، وهم الذين غذوها ، ومدوها بأهم أسبابها ، بل شجعوا عليها وحرضوا !!!

إن الصحف وما تنشره من مقالات ، تؤكد على هذه المعانى ، وتبحث لها — فيما يسمى بالنقد — عن مبررات ، وإن بعض هذه المقالات ليدعو إلى الخرافة والدجل ، والضلالة والهذيان ، وإن الصحف والمجلات لتفسح صدرها ، وتعطى من صفحاتها لهذا الهذر ، بأكثر مما تنشر من الكلمات والمقالات الجادة ، كأنها متحالفة مع أعدائنا وأعداء ديننا وأخلاقنا .

وأما الأغانى فأغلبها يدعو إلى الميوعة والتخنث للبنين ، والتمرد للبنات والبنين ، بل إلى الفجور والفسق للشباب بوجه عام ، ولولا أن هذا الكتاب فى الدعوة إلى الله ، لذكرت أمثلة من هذا وذاك وذلك ، ولكن القارئ يسمع كل هذا رضى أو كره ؛ لأنه مفروض عليه فرضا إن قاومه فى بيته ، فلن يستطيع أن يقاومه فى الشارع أو العمل .

ثم تأتى البرامج الدينية فى وسائل الإعلام ، إذ لابد من طرح عدد من الأسئلة حول هذه البرامج مثل :

هل هى دينية حقا ، بمعنى أنها تدعو إلى التمسّك بالدين ؟

هل هى برامج قد أعدت إعدادا جيدا من حيث التأليف والإخراج ، بحيث تحقق هدفا دينيا ؟

هل يختار مقدمو هذه البرامج ، والمتحدثون فيها اختيارا جيدا ، أم أنه سد فراغ ، وادعاء أن فى وسائل الإعلام برامج دينية ؟

هل المقصود أن تكون هذه البرامج منفرة من الدين والتدين ، أم هو سوء توفيق من المشاركين والمقدمين لها ؟

إن القليل النادر من هذه البرامج مقبول ، أو يرتفع إلى مستوى الجودة ، بمعيار أى مشاهد مسلم ، يرغب أن يرى ، مايقوى إيمانه ، ويزيد صلته بدينه .

وبعد : فهذه وسائل الإعلام فى معظمها ، وهذا ماتقدمه فى الكثير الغالب دون

مبالغة أو تحيز ، إلا من عصم الله من قلم أو لسان يخاف الله ويتقيه ، فيقدم ماينفع الناس فى أمور دينهم ودنياهم — وهم قليل — لا يشكلون الحجم المناسب بالنسبة لما يقدم فى وسائل الإعلام .

فما سر ذلك ؟ .. ومن صاحب المصلحة فيه ؟

وإذا كان الأمر على هذا النحو ، أفلا يحتاج إلى تغيير ؟

بلى إنه محتاج إلى تغيير .

حادى عشر : الملاهى :

العالم الإسلامى يغص بكثير من دور الملاهى الليلية والنهارية ، وما يقدم فى هذه الدور من ألوان الفسق والفجور ، كالرقص الموصوف بأنه شرقى ، وموائد الخمور ، وقاعات الميسر ، ومايؤدى إليه ذلك كله ، من تبديد طاقة الأمة ، وإفساد أخلاقها ، والعبث بأموالها ؛ ليأكل الآثمون بالباطل .

وتلك الأوكار أو العلب أو المخابىء التى تتعاطى فيها المخدرات والمفترات ، من كل ما يضر بالإنسان عقله وجسده ، فضلا عن خلقه ودينه .

وهذه التجارة الشائعة الذائعة فى الرقيق الأبيض ، من بنات الليل ومحترفات البغاء من الساقطات أو غيرهن .

وهؤلاء الرجال — وما هم برجال — ممن احترفوا القوادة ، واتخذوها حرفة ومعاشا ، بل شاركتهم فى ذلك بعض النساء ، وأولئك الذين اتخذوا من بيوتهم أعشاشا لطلابى المتعة الحرام ، ولم يستح بعضهم من زوجه ، أو بنته ، أو ولده ، والذين تكشف عنهم حملات الشرطة مابين آن وآن .

وهؤلاء الذين يتجرون فى المخدرات والمفترات ، ويثرون من ورائها ثراء فاحشا ، ويهدمون بذلك أفراد المجتمع ، ويدمرون حياة الشباب بهذه السموم .

وغير هؤلاء وأولئك من الذين يعملون على هدم البناء الاجتماعى ، وتقويض إنسانية الإنسان .

هؤلاء جميعا ، ومعهم من لم يتسع الكلام للحديث عنهم ، هم الذين شجعوا على الجريمة والفساد .

القتل ، والسرقة ، والنصب ، والاحتيال ، والغش ، والتزوير ، والزنا ، واغتصاب النساء ، والخطف وفرض الإتاوات ، هذا كله ، وغيره كثير هو مفرزات الملاهى وما يدور فيها .

العجب العاجب أن أجهزة الشرطة فى معظم بلدان العالم الإسلامى تتعقب هذه الجرائم والمجرمين ، وتكشف كل يوم النقاب عن جريمة ، ولكنها تمنح تراخيص لدور الملاهى ولا تحظر التردد عليها !!! إن هذا من العجب العجاب ؛ يصرح بفتح حانة للخمر ، ثم يضبط المخمور فى الشارع ويعاقب ، ويصرحون بالملاهى والمراقص ، ثم يضبطون بعض المتلبسين بالبغاء ويحاكمونه ، ياويل هؤلاء من أولئك ، وياويل رجال الشرطة من أنفسهم .

لقد قرأنا عن أعجب الجرائم وأغربها ، وأدخلها فى الضرر بالمجتمع ، ومع ذلك لم يتحرك أحد لإلغاء هذه الدور التى تفرز كل هذا الفجور ...

وهذا فى أمس الحاجة إلى التغيير .

ثانى عشر : الشعارات :

وهى فى العالم الإسلامى كثيرة ، وموظفة ، وهادفة ، والذين يطلقون هذه الشعارات ، يعلمون بدءا أنهم كاذبون مخادعون ، وأن لهم أهدافا خبيثة يسعون إلى تحقيقها بهذه الشعارات .

وإن المشاهد لهذه الشعارات ، ليدرك بأدنى تأمل أنها تهدف إلى عكس مايتضمنه الشعار .

ولقد انتقل أسلوب اتخاذ الشعار من الأفراد والجماعات والجمعيات التى تميز نفسها بشعار بعينه ، انتقل هذا إلى بعض الدول والحكومات ، فاتخذت شعارات معينة ، هى أدرى الناس بأنها تعمل ضدها .

ثم انتقلت العدوى إلى بعض البلدان الإسلامية ، فاتخذت شعارات كاذبة ومضللة ، ولا يعنينا هنا من هذه الشعارات ــــ وهى كثيرة ــــ إلا شعار النص فى بعض الدساتير ، على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر ، أو مصدر تستمد منه القوانين والأنظمة فى الدولة التى تطلق هذا الشعار ، وأخذت دول هذا الشعار تطنطن ، وتدندن ، وتدعى ، حتى ملأت الآفاق ، فى حين أنها تعلم كذب نفسها وخداعها ، وتعطيلها لمفهوم الشعار ، وما يدل عليه .

وليست العبرة عند العقلاء من الناس بأن يطلق شعار ما ، وإنما العبرة بالعمل وفق ما يدل عليه هذا الشعار ، فإذا لم يقترن العمل بالقول والتطبيق بما يدل عليه الشعار ، فإن الشعار يظل أجوفَ ، مهما حمل من عبارات منتقاة بدقة ودالة بقوة .

إن العالم الإسلامى لا بد أن يكون له شعار هو : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولا بد أن يعمل وفق منطوقِ هذا الشعار ، وإلا فقد خسر العالم الإسلامى وخاب .

وإن العمل بمقتضى هذا الشعار ، هو الإسلام كله فى كل شعبة من شعب الحياة ، وما أصدق الإمام أبا الأعلى المودودى ـــ رحمه الله ـــ عندما قال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » منهج حياة .

لقد أعلنت بعض البلدان الإسلامية شعار تطبيق الشريعة الإسلامية فى حياة الناس ، وفهمت أو فهم بعض الناس أن تطبيق الشريعة الإسلامية ، هو إقامة الحدود فحسب :

كرجم الزانى المحصن .
وقطع يد السارق غير المحتاج إلى طعام .
وجلد الزانى غير المحصن .
وجلد شارب الخمر ، وقاذف المحصنات والمحصنين بغير حق .
وقتل وصلب قطاع الطريق .
وقتل اللائطين.

وكل ذلك جيد ، ونافع للمجتمع ، وقامع للجريمة ، ورادع لكل مجرم ، لكن هل هذه الحدود وحدها ، هى الشريعة الإسلامية الواجبة التطبيق ؟

إن الحدود جزء من الشريعة فأين سائرها ؟
أين الشريعة فى الربا ؟
وأين الشريعة فى الكذب والغش والتزوير ؟
وأين الشريعة فى رفع الظلم والمعاناة عن الناس ؟
وأين الشريعة فى تحقيق الأمن والأمان لكل مواطن مسلم أو غير مسلم ؟
وأين الشريعة فى النظام الاجتماعى ؟
وأين الشريعة فى النظام الاقتصادى والسياسى ؟
وأين الشريعة فى العدل والشورى ؟

لقد أعلنت ثلاث دول مسلمة أنها تطبق الشريعة الإسلامية فى حياة الناس ، فهل أعلنت ذلك نتيجة وعى ودراسة وإدراك صحيح لمقاصد الشريعة ، أم كان ذلك لعبة سياسية ، تستقطب اهتمام الشارع المسلم ، وتصرفه عن المناداة بتطبيق الشريعة فى كل صرفق من مرافق الحياة ؟

وهذه الشعارات على هذا النحو ... ألا تحتاج إلى تغيير ؟

بلى والله إنها لمحتاجة إلى تغيير .

وبعد : لقد توسعنا نسبيا فى أسباب الدعوة إلى الله وقسمنا هذه الأسباب إلى قسمين :

الأول منهما : نابع من صميم العقيدة ونصوص الدين .

والثانى : أوجبته المفاهيم الصحيحة للعقيدة والدين . ثم رصدنا هذا وذاك ، وتوسعنا فى القسم الثانى ، بما يجلى الحق ويظهر الحقيقة ، فعلنا ذلك ، وأفضنا فى تفصيل القول فيه مع إيماننا بأن البحث عن الأسباب منهجية علمية يقضى بها التأليف ، وتسهم فى الإقناع بالحجة والإمتاع بتتبع أحداث التاريخ .

فعلنا هذا وإن كنا فى داخلنا مقتنعين تماما بكلمة واحدة فى هذه الأسباب تغنى عنها جميعا ، ولكنها تغنى المؤمنين وتلك الكلمة هى : أن الله سبحانه قد أوجب الدعوة إليه على كل من اتبع محمدا ﷺ .

هذا وحده يغنى عن كل سبب قدمناه ، أو يقدمه أى باحث ، يكتب فى أسباب الدعوة إلى الله .

ولقد استهدفت من هذا الفصل أن أقول للمترددين فى ممارسة الدعوة إلى الله ، وللمتصورين خطأً أنها واجب علماء الإسلام وحدهم ، وللخائفين من عواقب العمل في الدعوة إلى الله — وإنِ للعمل بها لتضحيات وصبرا وجلدا واحتسابا عند الله لكل ما يصيب الدعاة إليه وإن ما يصيبهم لكبير — **أردت أن أقول لهؤلاء جميعاً :**

إن الدعوة إلى الله واجب دعت إليه أسباب كثيرة منها النقلى الذى يستند إلى أصول الدين ونصوصه ، ومنها العقلى الذى يمليه على المسلمين واقعهم ومدى بعده عن الإسلام ووجوب تغييره نحو الأحسن ، وأنه واجب لا فكاك منه لقادر عليه ، إنه فى

كلمات :

القيام بواجب الدعوة إلى الله أو الإثم والحرج والمعصية لأمر الله والمخالفة لصريح كتابه ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى .... ﴾ تحدثت بهذا لأقول فى ختام هذا الفصل الخطير من فصول هذا الباب :

ألا هل بلّغت ؟ اللهم فاشهد .

الفصل الرابع

أركان الدعوة إلى الله

أركان الدعوة إلى الله

مادامت الدعوة إلى الله ، هى الدعوة إلى دينه الخاتم ، وهو الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، من عند الله وحيا يوحى ، الدين الذى تمثل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، بمعناه الواسع الذى يشمل أحاديث الرسول ﷺ وسيرته ؛ مادامت الدعوة إلى الله هى كل هذا ، فإن لها بهذا المفهوم ، أركانا تقوم عليها ، وأسسا ينبنى عليها ، صرحها السامق العتيد .

هذه الأركان أو الأسس — فى تصورى واجتهادى — ثلاثة هى :

العقيدة :وما تلقيه فى القلوب والعقول من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر .

والعبادة:وما تفرضه من توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج للبيت الحرام لمن استطاع .

والخلق :أى السلوك فى المجتمع ، وما يجب أن يشتمل عليه من صلاح ذاتى ، ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعدل وإحسان وجهاد فى سبيل الله ، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد .

كل واحد من هذه الأركان أساس يقوم عليه بناء الدين الإسلامى وحضارته كلها ، وهذه الأركان وإن بدت للناظر وكأنها منفصل بعضها عن بعض ، إلا أنها فى الحق مترابطة متماسكة يفضى أولها إلى تاليها ، وتاليها إلى مابعده ، فالعقيدة الصحيحة أساس ، وتقوم عليها العبادة ، والعبادة السليمة أساس ، يقوم عليها السلوك الفردى والسلوك الاجتماعى ، وهذا السلوك على المستوى الفردى أو الجماعى ؛ إذا جاء وفق مانادت به العقيدة ، وما حددت ملامحه العبادة ، فهو العمل الصالح ، وليس وراء هذا الترابط والتماسك ترابط أو تماسك .

ولنفصل القول فى الحديث عن هذه الأركان ....

١ ــ العقيدة

العقيدة تعنى مايجب أن يعتقده المسلم ، ليقيم عليه عبادته وسلوكه وعمله كله ، الفردى منه والاجتماعى .

والعقيدة الإسلامية مرتكزها « الإيمان » ، وتتناول :

الإيمان بالله .

والإيمان بملائكة الله .

والإيمان برسل الله .

والإيمان بكتب الله .

والإيمان باليوم الآخر .

والإيمان بالقضاء والقدر .

أ ــ فالإيمان بالله سبحانه :

يعنى معرفته الشاملة ؛ ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله ، كل ذلك فى جانب ما يجب علمه من الله سبحانه وتعالى ، بحيث يكون مصدر هذا العلم ، هو ماجاء فى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

كما أن الإيمان بالله يعنى ــ كذلك ــ وبعد هذه المعرفة ، الانقياد لله ، والاستسلام له فى كل ما يأمر به ، وما ينهى عنه ، ممن بلّغه عنه رسوله محمد ﷺ ، طمعا فى مرضاته سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾ [1] .

والإيمان بالله هو المحور الذى يدور حوله كل ماجاء به الإسلام من نظم ومبادئ وقيم ، ابتداء من المعتقد إلى الكلمة إلى العمل إلى العبادة إلى كل ما له صلة بشئون الحياة فى المعاش والمعاد .

كل عمل وكل شىء فى حياة المسلم ، يدور حول ذات الله ، وكل عمل يقصد به وجه الله ، هذا هو الأصل ، وهو الدين ، وإلا فإن الإنسان لفى خسر ، والعياذ بالله .

---

(١) سورة النساء : ١٢٥ .

ب ـــ والإيمان بملائكته سبحانه :

يعنى تكملة لازمة للإيمان به سبحانه ؛ لأنهم أو لأن بعضهم هو الذى جاء بالقرآن من عند الله إلى محمد ﷺ .

والإيمان بالملائكة يعنى الإيمان بوجودهم ، وبحقيقتهم ، ومنزلتهم ، ووظيفتهم فى نظام هذا الكون ، إيمانا بعيدا تماما عن كل ما زعمته الفلسفات والنظريات حول الملائكة ، من تصور أنهم آلهة أو شركاء لله أو بنات ، أو لهم الشفاعة ، أو النفع ، أو الضرر .

بين القرآن حقيقتهم فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾(١) فهم على وجه الحقيقة عباد الله ، خاضعون لأمره ، وهم يدبرون من أمر الكون مايأمرهم الله به وبتدبيره ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ (٢) وهم يسبحون الله ، ويسجدون له ، ويخافونه ، ويفعلون مايؤمرون ﴿ **ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾(٣) .

وهم بالنسبة للإنسان ، قد أمروا بالسجود لآدم ، فسجدوا إلا إبليس ، وهم الذين ينزلون بالوحى من عند الله ، على رسله وأنبيائه ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾(٤) .

ومن الملائكة من يقبض الأرواح عند الموت ، ومنهم من يسجل على الإنسان عمله ، كما وردت بذلك النصوص الإسلامية . فالإيمان بالملائكة على هذا النحو ، مكمل للإيمان بالله سبحانه ، وهو يعصم عن الزلل فى الفكر والتصور ، كما يعصم عن المبالغة أو التهوين فى شأن الملائكة ، فهم فى كلمات قرآنية كريمة ﴿ **لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾(٥) .

جـ ـــ والإيمان برسل الله سبحانه :

يعنى الإيمان بأن الله تعالى قد رحم البشرية حين أرسل لها رسلا اصطفاهم وفضلهم على كثير من خلقه ، وخصهم بنقل وحى الله إلى عباده ، لينقلوهم بذلك الوحى ، من الكفر إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى .

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ ـــ ٢٧ . (٢) سورة النازعات . ٥ . (٣) سورة النحل : ٤٩ ـــ ٥٠ .
(٤) سورة الشعراء : ١٩٢ ـــ ١٩٣ . (٥) سورة التحريم : ٦ .

وهؤلاء الرسل قد أعدهم الله ، وآتاهم العلم والحكمة ، وحدد لهم وظائفهم مع عباده ، ولأنهم قد اجتمعت فيهم هذه الصفات وعلى رأسها تكليف الله لهم بالتبليغ عنه سبحانه ، فإنه لا يجوز لعاقل من الناس ، أن يقبل من أحد سواهم ، أى معلومات عن الله سبحانه ذاته ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله ؛ لأن تلك وظيفة الأنبياء والرسل وحدهم ، دون سائر خلق الله ، كما لا يقبل من سواهم شريعة إلهية ، أو منهجا أو نظاما ، فهذا بعينه هو المكمل للإيمان بالله .

ويجب الإيمان بالرسل إكمالا وتتميما للإيمان بالله ، فهم المبلغون عنه ، الأمناء فى تبليغهم ، الصادقون فيما يقولون ، وهم أهل الفطنة والذكاء ، الذين يحسنون دعوة الناس إلى الله ، ومعنى ذلك أن أى مدع للإيمان بالله ، أو الإيمان بشرعه ومنهجه ونظامه ، وله مصدر فى هذا الإيمان غير الأنبياء والرسل ، فهو كاذب ضال مضل ، خارج عن زمرة المؤمنين متبع لغير سبيلهم .

كما يجب الإيمان بالأنبياء والرسل جميعا ، ممن قص الله علينا قصصهم فى القرآن الكريم ، أو ممن تحدث عنهم محمد رسول الله ﷺ ، فى سنته المطهرة ، مع الإيمان بأنهم جميعا دعوا إلى الله ، وإلى توحيده بالألوهية والربوبية ، وبأنهم جميعا طالبوا الناس بعبادة الله ، الذى لا إله لهم غيره .

كما يجب الإيمان بأن محمدا ﷺ ، هو آخر الأنبياء والمرسلين ، وخاتمهم ، وأن شريعته ناسخة لكل شريعة سبقتها فى الوجود ، وأن أهل الأديان ، جميعا ــ ممن أدركوا بعثة محمد ﷺ ، فعاصروه أو جاءوا بعده ــ يجب عليهم الإيمان بالله ، ودخول دين الإسلام ، الذى تضمن أكمل الشرائع السماوية ، وأتمها ، وأرضاها لله سبحانه وتعالى .

د ــ والإيمان بالكتب السماوية :

يعنى إتماما للإيمان بالرسل وإكمالاً للإيمان بالله ، فهم الذين أوحيت إليهم هذه الكتب من عند الله ، والإيمان بهذه الكتب السماوية ، يوجب أن يكون المؤمن بها ، مؤمنا بأن محتواها العام غير خارج أبدا عن دائرة التوحيد ، ودائرة العبادة لله، وأن كل كتاب من كتب الله ــ قبل أن يدخل عليه تحريف أو تشويه ــ إنما كان يستهدف صالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

مع الإيمان بأن هذه الكتب ، ماحدث فيها زيادة أو نقص عن طريق نبى من الأنبياء ،

فقد حرم الله عليهم ذلك ، ومنعهم منه ، وإنما دخل التغيير والتحريف والتشويه على أيدى أصحاب الأهواء والضلالات .

الإيمان بكتب الله ، وماإحتوته إجمالا ، الكتب التى ورد ذكرها فى القرآن والسنة ، مع الإيمان بأن الرسل قد بلغوا هذه الكتب صحيحة عن ربهم ، وأنهم هدوا بها أقوامهم ، كما أمرهم الله سبحانه فى قوله تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا** ﴾ [1] فقد أخبر الله سبحانه أنه أرسل الرسل ، وأنزل عليهم الكتب فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...** ﴾ [2] .

هذا مجمل الإيمان بكتب الله ، المكمل للإيمان به سبحانه ، والمتمم للإيمان بالملائكة عليهم السلام وبالأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

أما تفصيل الإيمان بالكتب فيقتضى كلاما أوسع وحديثا أشمل ، وليس هنا مجاله .

أما من حيث اتباع كتاب بعينه من كتب الله ، فإن القرآن الكريم وحده هو الواجب الاتباع ؛ لأنه آخر الكتب السماوية وناسخها . فالإيمان به من يوم نزل على محمد ﷺ إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، هو واجب كل إنسان على وجه الأرض ، من يهودى ، أو نصرانى ، أو تابع لأى ملة أو نحلة ، لأنه الحق الذى تكفل الله بحفظه ، فبقى ، وسيظل صحيحا سليما بريئا من التغيير ، أو التشويه ، أو التحريف ، فى حين لم يتكفل الله — سبحانه — بذلك بالنسبة لأى من كتبه السابقة ؛ لسابق علمه بأنّ القرآن هو الكتاب الكامل التام المحفوظ .

مع ضرورة الإيمان بكل ماجاء فى القرآن تفصيلا ، والأخذ والالتزام بكل مافيه ، قال سبحانه : ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [3] .

ومع ضرورة الإيمان بأن سنة محمد ﷺ شارحة للقرآن ، بل مكملة له ، فالإيمان بكل ماجاء فيها ، مثل الإيمان بالقرآن الكريم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه » [4] .

---

(١) سورة الأنبياء : ٧٣ .

(٢) سورة الحديد : ٢٥ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٥ .

(٤) الإمام مالك : الموطأ : ٢ / ٢٠٨ ط الحلبى ١٣٤٩ هـ .

هـ ــ والإيمان باليوم الآخر :

يعنى الإيمان بأن هناك حياة بعد الموت وبعثا وحسابا وأن هذا اليوم يسمى اليوم الآخر ويسمى يوم القيامة ، وقد أوجب الإسلام الإيمان باليوم الآخر أو بالآخرة قال تعالى : ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** ﴾ [1] .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن : الإيمان بأن لكل مخلوق فى الدنيا نهاية وأجلا ، وأن نظام العالم كله منته إلى فناء عند أجل محدود ، وأن الله سبحانه بعد فناء هذا العالم سوف يبعث الناس ، بأن يحييهم مرة ثانية ، ثم يحاسبهم ويجازيهم ، وأن هذه الدنيا كلها ، ليست إلا معبرا ومجازا للحياة الأخرى قال تعالى : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ [2] وقال عز شأنه : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق** ﴾ [3] .

وفى هذا اليوم الآخر تُوَفَّى كل نفس ماكسبت ، وفق عدل إلٰهى يحصى بدقة على الناس أعمالهم فى الحياة الدنيا ، ويجازيهم بعدل أو برحمة ، ولا يظلم الناس شيئا ، قال سبحانه : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ [4] .

و ــ والإيمان بالقضاء والقدر :

يعنى التسليم لله فى كل أمر ، واعتقاد أن كل ما يجرى على الإنسان فى الحياة ، إنما جرى ويجرى بقضاء الله وقدره ، وأن على المسلم أن يتقبل ذلك بالرضا ، وأن يسأل الله العافية دائما ؛ لأنه لا يدرى ماقدر له .

كما أن على المسلم أن يستغفر ربه ويتهم نفسه كلما وقع له شر فى الحياة ، وأن يحمد الله ويسأله المزيد كلما وقع له خير ، وما لم يفعل ذلك ، فقد جزع ، ورفض التسليم لقضاء الله وقدره ، ودخل فى دائرة الإثم والحرج ، فقد جاء فى الحديث القدسى الشريف قول الله تعالى : « من لم يرض بقضائى وقدرى فليلتمس ربًّا سواى » [5] .

---

(١) سورة الأنعام : ٣١ . (٢) سورة الروم : ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون : ١١٥ . (٤) سورة الأنبياء : ٤٧ .

(٥) المناوى : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ١٥٥ ط صبيح القاهرة ١٣٧١ هـ

وإن سخط بعض الناس ، أو نفورهم ، من أن يصيبهم مكروه ، نزق أو سفه بمعيار المؤمنين ؛ إذ لا يسع المؤمن إزاء مايصيبه فى الدنيا ، من فقر ، أو مرض ، أو أى شر ، إلا أن يستسلم لقضاء الله ، ويرضى به ، فقد روى الإمام ابن ماجه بسنده ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق ، أنه « يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه ، أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيقول : اكتب عمله ، وأجله ، ورزقه ، وشقى أم سعيد ، فو الذى نفسى بيده ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى مايكون بينه وبينها ، إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها » [1] .

هذا عن الركن الأول من أركان الدعوة ، وهو العقيدة ، وما يجب أن تحتويه من إيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقضاء والقدر .

---

(١) ابن ماجه : سننه : المقدمة باب فى القدر ١ / ٣٩ ط دار الفكر .

٢ ـ العبادة

وتتناول :

أ ـ شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله :

ونعنى بالعبادة ترجمان العقيدة ، وممارسة الإيمان بصورة عملية ، وهذه العبادة مفروضة من الله فرضا على كل مسلم ، لايسع أحدا من المسلمين أن يدعها ، ثم يدعى أنه مسلم .

والعبادة فى الإسلام ، تبدأ بشهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذه الشهادة أول أركان الإسلام كله ، قال رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إلٰه إلا الله ، وأنَّ محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » (١) .

والعبادة فى معناها التفصيلى ، تعنى الالتزام بأركان الإسلام الخمسة ، وعدم التفريط فى شىء منها ؛ لأنَّ الدين كل الدين ، هو الإسلام قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (٢) .

ولن يقبل من أحد من الناس ـ بعد نبوة محمد ﷺ ـ أى دين غير الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ (٣) .

والجزء الأول من شهادة التوحيد يستلزم أن لا معبود بحق إلا الله ، وأنه سبحانه يجب الإيمان به كما وصف هو نفسه ، وكما سمى نفسه ، وكما وصفه الرسول ﷺ .

والجزء الثانى من الشهادة يستلزم اتباع محمد ﷺ ، فى كل ماجاء به ، قال تعالى : ﴿ **وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٤) .

ولقد جاء محمد ﷺ ، للبشرية كلها بالهداية والمنهاج الذى يصلح للناس دنياهم وآخرتهم ، روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ماأمرتكم به فخذوه ومانهيتكم عنه فانتهوا » (٥) .

---

(١) أخرجه الشيخان ومعظم أئمة الحديث . (٢) سورة آل عمران : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ . (٤) سورة الحشر : ٧ . (٥) الهندى : كنز العمال : ١ / ١٧٥ .

واتباع ماجاء به محمد ﷺ ، فيما جاء به ، ألزم للمسلمين فى كل حين للتغلب على كل مشكلة تعترض حياتهم ، فقد جاء ﷺ ، بشرح وتفصيل للقرآن الكريم ، وهو لا ينطق عن الهوى ، وقد صح عنه قوله ـــ فيما رواه ابن ماجة بسنده : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » [1] ، كما صح عنه قوله ـــ فيما رواه أبو داود بسنده عن العرباض بن سارية : « أيحسب أحدكم متكئا على أريكته أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا مافى هذا القرآن ، ألا وإنى والله قد أمرت ، ووعظت ، ونهيت عن أشياء ، إنها كمثل القرآن أو أكثر ، وإن الله تعالى لم يحل أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب ، إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوكم الذى عليهم » [2] .

وهناك عشرات الأحاديث النبوية ، التى تؤكد مكانة السنة من القرآن ، وتشرح وظيفتها ، وكأن الرسول ﷺ كان بتلك الأحاديث يرد ، منذ أربعة عشر قرنا ، على أولئك الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، إذ قالوا بأن سنة النبى ﷺ ، غير ملزمة . بل إن منهم من اتهم السنة النبوية كلها ، بأنها غير صحيحة النسبة إليه ﷺ ، مخالفين بذلك أحاديث الرسول ﷺ نفسها ، ومخالفين إجماع الصحابة ، وإجماع التابعين وتابعيهم ، وإجماع علماء الحديث ، وعلماء الفقه ، فى كل عصور الإسلام .

خاطبهم الرسول ﷺ وقطع عليهم كل سبيل يسلكونها فى ضلالهم ، فيما رواه الترمذى بسنده عن المقدام بن معد يكرب ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل عسى رجل ، يبلغه الحديث عنى ، وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه ، وإن ماحرم رسول الله كما حرم الله » [3] .

ب ـــ إقام الصلاة :

وهى علامة الإسلام ، ودليله ، وراحة النفس والقلب ، وقرة العين ، ومفزع المؤمن عندما يَحْزِبُه أمر .

وهى أبرز صفات المؤمنين وأهمها ، بل هى عماد الدين أو عموده ، وهى التى تنهى

---

(1) السابق : ١ / ١٧٤ ورواه ابن ماجه أيضا . (2) السابق : ١ / ١٧٤ .
(3) السابق : ١ / ١٧٣ .

عن الفحشاء والمنكر وهى أكثر العبادات تكررا فيما فرض الله سبحانه .

بل إن الصلاة ، هى العهد الذى بيننا معشر المسلمين ، وبين الناس ممن يعلنون دخولهم فى الإسلام .

وما أظننى بحاجة إلى سرد الأدلة والشواهد والنصوص ، على أن الله فرض الصلاة ، وجعلها موقوتة خمس مرات فى اليوم والليلة ، ولا يستدعى المقام أن أتحدث عن أهميتها فى تربية المسلم ، وإعداده أحسن الإعداد ، ولا أنا بحاجة إلى الحديث عن التغليظ على من تركها مهملا أو متكاسلا ، أما من تركها جاحدا فهو كافر والعياذ بالله .

إن كل ذلك من المعلوم من الدين بالضرورة ، وهو أوليات لا يحتاج الدعاة إلى أن أذكرهم بها ، وإلا فإن النهار يحتاج إلى دليل !!!

جـ ـ إيتاء الزكاة :

وهى كما وصفها الله سبحانه زكاة للنفس ، وطهارة لها ، وتزكية لها من كثير من أمراضها .

كما أنها للمال طهارة من كثير من أدوائه وأوجاعه ، وإن أخطر أدواء المال ، وأصعب أوجاعه أن يحبس عن مستحقيه .

والزكاة سياج متين ، يحفظ على المجتمع المسلم كيانه ، وروابطه الطيبة ، ويوقظ فى الناس مايجب أن يتيقظ فيهم من التعاطف ، والتراحم ، والتكافل ، بل يجعل من الأمة الإسلامية كلها جسدا واحدا ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وإن نظام الزكاة فى الإسلام لقادر تماما على تأمين حاجة أصحاب الحاجة ، وإن النظر فى مصارف الزكاة أى مستحقيها من الناس ، ليؤكد أن الإسلام يقيم وزنا ، أى وزن ، لحاجة المجتمع ، كما يحافظ على سد حاجة الفرد .

فإن أصحاب الحق فى الزكاة كأفراد هم :

الفقراء ،

والمساكين ،

والعاملون عليها ،

وفى الرقاب ،

والغارمون ،

وابن السبيل .

فكل منهم تدفع عنه الزكاة حاجته بصورة فردية ، وإن كانت تعود على المجتمع بشكل آخر ، حيث يكون المجتمع أحسن حالا ، كلما قل فيه عدد الفقراء والمساكين والعبيد ، والمدينين ، والمنقطعين عن أهلهم ومالهم .

وأما أصحاب الحقوق من غير الأفراد فهم :

المؤلفة قلوبهم ،

وفى سبيل الله .

وهذان الصنفان من الناس ، منظور فى إعطائهم من الزكاة إلى صالح المجتمع المسلم كله ، فإذا وجد من الناس من يستطيع أن يوجه كيده أو شره للمسلمين ، ثم رُئى أنه يصرف كيده وشره ، بأن يعطى مالا ، فإن ذلك جائز ، لصالح المجتمع المسلم كله ، وهو يعطى عندئذ من أموال الزكاة .

وكذلك فى سبيل الله سواء أكان ذلك لدعم المقاتلين فى سبيل الله ، وإعداد العدة لهم ، أم كان أى عمل يحقق مصلحة عامة للمسلمين ، أو يدفع عنهم ضررا عاما ، فكل ذلك فى سبيل الله ، وذاك مصلحة للمجتمع كله .

د ـــ صوم رمضان :

وهو نصف الصبر ، والصبر نصف الإيمان ، وهو تزكية للنفس ، وتربية لها ، وتقوية للروح ، وشحذ لها ، بتجريدها وقتا ليس بالقصير من مطالب البطن والفرج ـــ وهى مطالب مادية عنيفة قد ترتكس بالإنسان عن إنسانيته فى بعض الأحيان ـــ فالصوم تهذيب لهذه المطالب بشكل مباشر ، وشحذ لهمة الروح بهذا الإمساك بشكل غير مباشر .

والصوم فى الإسلام جُنة من كل شر ، وتدريب على سعة الخلق ، واحتمال أذى الناس ، ومضايقاتهم ؛ « فإن سَابَّه أحد ، أو شاتمه ، فليقل إنى صائم » وسعة الخلق ، تطبع المجتمع كله بطابع التسامح ، والتآخى ، وصولا إلى التوادّ والتراحم ، فالتعاون ، فالتكافل .

والصوم مقاومة صارمة للشيطان ، وما يوسوس به من إقبال على الإفراط فى الشهوات ،

ولذلك كان جزاء الصائم عند الله أكرم الجزاء ، « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » .

ومخطىء من يظن أن الصوم ، مجرد إمساك عن الطعام والشراب وشهوة الفرج ؛ إذ إن الصوم أكثر من ذلك وأكبر ، فهو مدرسة يتعلم فيها المسلم ، كيف يضبط شهواته كلها ؛ وكيف يتصرف فيها ومعها ، بدقة وتوقيت وانضباط .

وقد قال أسلافنا فى الصوم : إنه ثلاث درجات :

صوم العامة : وهو الإمساك عن شهوتى البطن والفرج .
وصوم الخاصة : وهو الإمساك عن كل مايغضب الله .
وصوم خاصة الخاصة : وهو الإمساك عما سوى الله .

وليس المسلم مطالبا بمجرد الإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، وإنما هو مطالب بالإمساك عن كل ما يغضب الله ، ومنتدب فى هذا الشهر بالذات إلى الإمساك عما سوى الله .

وبالتالى فإن من الغفلة والسذاجة ، ما يفعله بعض الممسكين عن شهوتى البطن والفرج ، عندما يحشدون على موائدهم آخر اليوم ، مايضيع عليهم ثمرة الإمساك فى أدنى مستوياته .

هـ ــ حج بيت الله لمن استطاع إليه السبيل :

وهو قصد لله بكل عمل من أعمال الحج ، بدءا من النية ، وانتهاء بآخر المناسك فيه ، وذلك لمن استطاع إلى ذلك سبيلا .

وإذا كان قصد بيت الله بالزيارة ، لإقامة مناسك الحج ، عملا رئيسا فى العبادات ، التى فرضها الله على عباده ، فإن علينا أن نتأمل فى عبادة الحج ، حتى لا تبقى عند بعض الناس ، رحلة وسياحة ولقبا .

إن فى الحج لدروسا عميقة للمؤمنين نذكر منها :

١ ــ أنه عبادة سنوية تفرض على القادر من المسلمين ؛ ليفرغ من مشاغله ومشكلاته الدنيا ، ويقبل على الله فى تلك الأرض الطاهرة ، مجيبا دعوة ربه هاتفا : لبيك اللهم لبيك ، وذاك درس الانخلاع من الدنيا ومطالبها ، حينا من الوقت .

٢ ــ أن التجرد من المخيط والمحيط يعنى : أن يتذكر الإنسان وهو ينخلع من زينة الحياة الدنيا ، وما يتميز به الناس من علامات وشارات ، فيتذكر أنه سيحشر إلى الله متجردا ، أكثر من ذلك « حفاة عراة غرلا » وذلك يحيى قلبه ويعمق صلته بالله .

٣ ــ أن الطواف بالبيت ، والسعى بين الصفا والمروة ، يرده إلى الفطرة التى فطره الله عليها ، دون تصنع فى مشية أو امتطاء لمركب ، فضلا عن إقناعه نفسيا وعقليا ، بأن يطوف حول بيت الله ، ويدعوهُ ويتوسل إليه ، ويهرول إليه ، ليتذكر دائما أن محور حياة المسلم هو الله ، وأنه يجب أن يدور معه ومع كتابه ومنهجه حيث دار ، لا يفارق ولا يخالف ، وإنما هى الحركة الدائبة المستمرة ، حتى يلقى الله .

٤ ــ والوقوف بعرفة درس وأى درس ، والمبيت بمزدلفة كذلك ، وقضاء ليلتين أو ثلاث بمنى ، فيه مافيه من العظات والعبر ، مالا يوجد فى مكان آخر على وجه الأرض .

٥ ــ ورمى الجمار وما ينبىء عنه من ضرورة رجم الشيطان ، والتخلص من تأثيره ، وتكرار هذا الرمى فى أوقات بعينها ، له من الدلالات ماله ، وهكذا سائر ما فى مناسك الحج .

٦ ــ أن الحج مؤتمر عام للمسلمين من كل أنحاء الأرض ، يتعارف فيه المسلم على أخيه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ويتدارس المسلمون أوضاعهم وقضاياهم ، من منطلق أنهم أمة واحدة ، فتكون العظة ، وتكون النصيحة ، وتكون أخوة الإيمان .

إن عبادة الحج لهى أوسع العبادات مدلولا ، وأقدرها على التقارب بين المسلمين ، من مشارق الأرض ومغاربها ، فى مؤتمر سنوى ، يفرضه الله فرضا على القادرين من المسلمين .

لهذا لم يكن عجبا أن من حج ، ولم يرفث ، ولم يفسق ــ أى حافظ على مناسك الحج ، دون أن يشوبها مايسىء إليها ــ عاد من حجه ، كيوم ولدته أمه ، مغفورا له ــ بوعد من رسول الله ﷺ ــ سائر ذنوبه التى قدم بفضل من الله ورحمة ، وأن عليه أن يتقى الله فيما يستقبل من أيام .

وبعد : فذلك مفهوم العبادة ، فيما فرض الله على عباده من فرائض ، بل فيما ندبهم إليه من نوافل من جنسماافترض عليهم وذلك مثل :

الذكر .. من جنس الشهادتين . .

وصلاة النافلة .. من جنس الصلاة
وصيام التطوع .. من جنس الصوم .
وصدقة التطوع .. من جنس الزكاة .
والعمرة ... من جنس الحج .

غير أن العبادة أوسع فى الإسلام ، من الفرائض بعينها ، والنوافل بعينها ، إن لها معنى فسيحا سنتحدث عنه بعد قليل .

لكنَّا نختم الحديث فى العبادات التى فرضها الله ، أو ندب إليها من جنس مافرض ، بحديث قدسى شريف ، هو قول الله تعالى : « ماتقرب إلى العبد بمثل أداء الفرائض ، وإنه ليتقرب إلى بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت رجله التى يمشى بها ، ويده التى يبطش بها ، ولسانه الذى ينطق به ، وقلبه الذى يعقل به ، وإن سألنى أعطيته ، وإن دعانى أجبته » [1] .

وأى فلاح أو نجاح أحسن من ذلك ؟

و ـــ العبادة بمعناها الواسع :

العبادة غاية التذلل لله ، ولا يستحقها سواه ، وهى أنواع كثيرة غير الفرائض والنوافل ، فكل الأعمال التى بها يقوم الإنسان فى يومه وليلته ، يمكن أن تكون عبادة لله ، يُثابُ عليها فاعلها ، إذا كانت النية فيها إرضاء الله ، والاستعداد بها لعبادته ، بشرط واحد هو ألا تكون هذه الأعمال مما حرّم الله أو كرّه الشرع ممارستها .

وعلى سبيل المثال :

فإن الطعام والشراب مع نية التقرب به إلى الله للتَّقَوِّى على عبادته سبحانه يصبح عبادة لله .

وإن النوم واليقظة لكذلك .
وإن التأمل والتفكر لكذلك .
وإن الحركة والسكون لكذلك .

---

(١) **المناوى** : الأحاديث القدسية ١٥٠ ط صبيح ١٣٧١ هـ ـــ ١٩٥٢ م .

وهكذا سائر الأعمال ، التى يمارسها الإنسان فى حياته ، فى ظل ما قدمنا ، تعد عبادة ، يثاب عليها فاعلها بإذن الله تعالى وذلك أن الإنسان كله ـــ لا عمله وحده ـــ إنما خلقه الله ، وأوجده على هذه الدنيا ، ليعبده سبحانه : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** .... ﴾ (١) .

(١) سورة الذاريات . ٥٦ .

٣ ـ الخلق

ونعنى بة القيم الخلقية ، التى يجب أن تحكم سلوك الإنسان فى المجتمع ، وتحدد له نوع العمل الذى يجب عليه القيام به بوصفه واحدا من المسلمين ، يعيش فى مجتمع من الناس مؤمنين وغير مؤمنين .

وهذا العمل أو السلوك الذى تحدده ، وتوجه إليه الأخلاق الإسلامية ، له شعب وفروع ، أو خطوط عامة ينتمى إليها كل عمل من الأعمال مهما كان صغيرا .

ومن المعروف المسلم به فى الإسلام أن العمل الصالح مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان ، وأن الإيمان بغير عمل صالح ، مجرد أمانىّ ، لا وزن لها ولاقيمة ، فضلا عن أثر ؛ لأنه من المقرر فى الإسلام أن الإيمان ليس بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل .

وإن القرآن الكريم ، ليؤكد لنا مدى هذا الارتباط بين الإيمان والعمل الصالح ، بعطفه العمل الصالح على الإيمان فى عدد كبير من آياته ، بلغت أكثر من مائتى آية كريمة ، مثل قوله سبحانه : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ (٢) .

وإنما سمى العمل صالحا ؛ لأن فيه مرضاة الله من جانب ؛ ولأنه يحقق صالح الإنسان فى معاشه ومعاده من جانب آخر . وكل مايرضى الله لابد أن يتضمن مصلحة للإنسان فى دنياه وأخراه .

أما مجالات هذا العمل الصالح أو السلوك الاجتماعى الذى يجب أن يسلكه المسلم فى حياته فهى :

أولا : شعب الإيمان .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثالثا : العدل والإحسان .

رابعا : الجهاد فى سبيل الله .

---

(١) سورة الكهف : ٣٠ .

(٢) سورة البقرة : ٨٢ .

وأنبه هنا إلى أن هذه المجالات ، قد تكون فرضا فى بعض الأحيان ، وقد تكون نافلة فى أحيان أخرى ، وقد تكون عملا اعتياديا أو اختياريا فى أحيان ثالثة ، ولكنها على كل حال من الأعمال التى تقضى بها القيم الأخلاقية الإسلامية .

أولا : شعب الإيمان :

وقد حددها جميعا المعصوم ﷺ في حديث نبوى شريف ، رواه أصحاب السنن بأسانيدهم عنه ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وستون ــ أو بضع وسبعون ــ شعبة أعلاها ــ أو أرفعها أو أفضلها على اختلاف الروايات ــ قول : لا إلٰه إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [1] .

وقد ألف فى هذه الشعب الإمام البيهقى كتابا سماه :

« مختصر شعب الإيمان » عدها فيه سبعا وسبعين شعبة .

وسوف نذكر هذه الشعب ، دون شرح لها ، ولا تعرض لأدلتها من الكتاب والسنة ــ كما فعل البيهقى ــ لتكون نبراسا فى طريق الدعوة إلى الله يستنير بها الداعى إلى الله والمدعو إليه على السواء .

وهى كما رتبها البيهقى : [2]

١ ــ الإيمان بالله عز وجل .
٢ ــ الإيمان برسل الله عز وجل أجمعين .
٣ ــ الإيمان بالملائكة .
٤ ــ الإيمان بالقرآن ، وجميع الكتب المنزلة قبله .
٥ ــ الإيمان بأن القدر ــ خيره وشره ــ من الله .
٦ ــ الإيمان باليوم الآخر .
٧ ــ الإيمان بالبعث بعد الموت .
٨ ــ الإيمان بحشر الناس بعد مايبعثون من قبورهم إلى الموقف .
٩ ــ الإيمان بأن دار المؤمنين ، ومأواهم الجنة ، ودار الكافرين ، ومأواهم النار .

---

(١) رواه أصحاب السنن جميعا .

(٢) انظر كتاب : مختصر شعب الإيمان . إدارة الطباعة المنيرية القاهرة ١٣٥٥ هـ .

١٠ ـــ الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل .
١١ ـــ الإيمان بوجوب الخوف من الله عز وجل .
١٢ ـــ الإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل .
١٣ ـــ الإيمان بوجوب التوكل على الله عز وجل .
١٤ ـــ الإيمان بوجوب محبة النبى ﷺ .
١٥ ـــ الإيمان بوجوب تعظيم النبى وتبجيله وتوقيره .
١٦ ـــ شح المرء بدينه ، حتى يكون القذف فى النار ، أحب إليه من الكفر .
١٧ ـــ طلب العلم : وهو معرفة البارى تعالى ، وماجاء من عند الله ، وعلم النبوة ، وما تميز به النبى عن غيره . وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ، ومعرفة ما تطلب منه الأحكام كالكتاب والسنة والقياس وشروط الاجتهاد .
١٨ ـــ نشر العلم ؛ لقوله تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ .
١٩ ـــ تعظيم القرآن المجيد ، بتعلمه وتعليمه ، وحفظ حدوده وأحكامه ، وعلم حلاله وحرامه ، وتبجيل أهله وحفاظه ، واستشعار ما يهيج البكاء من مواعيد الله ووعيده .
٢٠ ـــ الطهارة .
٢١ ـــ الصلوات الخمس .
٢٢ ـــ الزكاة .
٢٣ ـــ الصيام .
٢٤ ـــ الاعتكاف .
٢٥ ـــ الحج .
٢٦ ـــ الجهاد .
٢٧ ـــ المرابطة فى سبيل الله .
٢٨ ـــ الثبات للعدو ، وترك الفرار من الزحف .
٢٩ ـــ أداء الخمس من المغنم إلى الإمام ، أو عامله على الغانمين .
٣٠ ـــ العتق بوجه التقرب إلى الله ، عز وجل .
٣١ ـــ الكفارات الواجبات بالجنايات ، وهى بالكتاب والسنة أربع كفارات :
كفارة القتل ،

وكفارة الظهار ،

وكفارة اليمين ،

وكفارة المسيس فى صوم رمضان .

ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية ؛ لأنها إما عن ذنب سبق ، أو يراد به : التقرب إلى الله تعالى بشيء ، يعنى إثر أمر قد وقع ، ذنبا كان أو غير ذنب .

٣٢ ــ الإيفاء بالعقود .

٣٣ ــ تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها .

٣٤ ــ حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ويدخل فيه : الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والفحش .

٣٥ ــ الأمانات وما يجب فيها من أدائها لأهلها .

٣٦ ــ تحريم قتل النفوس والجنايات عليها .

٣٧ ــ تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف .

٣٨ ــ قبض اليد عن الأموال ويدخل فيها تحريم السرقة ، وقطع الطريق ، وأكل الرشا ، وأكل ما لا يستحقه شرعا .

٣٩ ــ وجوب التورع فى المطاعم والمشارب ، والاجتناب لما لا يحل فيها .

٤٠ ــ تحريم الملابس والزى والأوانى ، ومايكره منها .

٤١ ــ تحريم الملاعب والملاهى ، المخالفة للشريعة .

٤٢ ــ الاقتصاد فى النفقة ، وتحريم أكل المال بالباطل .

٤٣ ــ ترك الغل والحسد .

٤٤ ــ تحريم أعراض الناس ، ومايجب من ترك الوقيعة .

٤٥ ــ إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء .

٤٦ ــ السرور بالحسنة ، والاغتمام بالسيئة .

٤٧ ــ معالجة كل ذنب بالتوبة .

٤٨ ــ القرابين ، وجملتها : الهدى ، والأضحية ، والعقيقة .

٤٩ ــ طاعة أولى الأمر .

٥٠ ــ التمسك بما عليه الجماعة .

٥١ ــ الحكم بين الناس بالعدل .

٥٢ ـــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٥٣ ـــ التعاون على البر والتقوى .

٥٤ ـــ الحياء .

٥٥ ـــ بر الوالدين .

٥٦ ـــ صلة الأرحام .

٥٧ ـــ حسن الخلق .

٥٨ ـــ الإحسان إلى المماليك .

٥٩ ـــ حق السادة على المماليك وهو : لزوم العبد سيده ، وإقامته حيث يراه له ويأمره به ، وطاعته فيما يطيقه .

٦٠ ـــ حقوق الأولاد والأهلين وهى : قيام الرجل على ولده وأهله ، وتعليمه إياهم من أمور دينهم ومايحتاجون إليه .

٦١ ـــ مقاربة أهل الدين ، ومودتهم ، وإفشاء السلام بينهم .

٦٢ ـــ رد السلام .

٦٣ ـــ عيادة المريض .

٦٤ ـــ الصلاة على من مات من أهل القبلة .

٦٥ ـــ تشميت العاطس .

٦٦ ـــ مباعدة الكفار والمفسدين ، والغلظة عليهم .

٦٧ ـــ إكرام الجار .

٦٨ ـــ إكرام الضيف .

٦٩ ـــ الستر على أصحاب القروف أى الذنوب .

٧٠ ـــ الصبر على المصائب ، وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

٧١ ـــ الزهد وقصر الأمل .

٧٢ ـــ الغيرة وترك المذاء أى اللين والرخاوة .

٧٣ ـــ الإعراض عن اللغو .

٧٤ ـــ الجود والسخاء .

٧٥ ـــ رحم الصغير وتوقير الكبير .

٧٦ ـــ إصلاح ذات البين .

٧٧ ـــ أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه ، ويكره له مايكرهه لنفسه ، ويدخل فيه : إماطة الأذى عن الطريق المشار إليها فى حديث أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ فى الصحيحين : « الإيمان بضع وستون ـــ أو بضع وسبعون ـــ شعبة أفضلها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » (١) .

وينبغى أن نلحظ أن هذا المجال الأول ، قد اشتمل على سائر المجالات التى عددنا آنفاً فى مجالات أربعة ، ولكننا آثرنا أن نتحدث عن كل مجال على حدة ، حتى نزيد من الشرح والتفصيل ماينفع الدعاة إلى الله ، ويضع أيديهم على مفردات كل مجال على حدة ، وبالله التوفيق .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

من أخلاق الدين الإسلامى ، أن يصبغ المتدينين به بصبغة القوة والشجاعة والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله .

تاريخ الإسلام يشهد بذلك ، وفوق هذا التاريخ ، ومن قبله ، شهادة آيات القرآن الكريم ، وأحاديث المعصوم ﷺ .

فلماذا القوة والشجاعة والتضحية ؟

لا شك أن الإسلام لم يطلب من المسلمين التحلى بهذه الصفات ، لذات الصفات ، وإنما طلبها ، لتكون حياة الناس على هذه الأرض ـــ الناس كل الناس وليس المسلمون وحدهم ـــ آمنة مطمئنة ، منتجة نافعة ، تصلح الدنيا ، وتعد للآخرة ، وسواء أكان هؤلاء الذين يعيشون هذه الحياة داخلين فى الدين الإسلامى منتمين إليه ، أم كانوا يعيشون فى كنف نظامه ، وتحت مظلته فلا فرق ؛ لأن الحياة الإنسانية يجب أن تكون كريمة آمنة ، منتجة نافعة لكل أحد ، وفق النظام الخاص الذى شرعه الإسلام ، وقسم فيه الناس إلى مؤمنين ، وكافرين يجحدون الألوهية والتوحيد والنبوة والشريعة جميعا ، أو يجحد بعضهم بعضا ، وجعل للمؤمنين ولكتابهم ونظامهم الهيمنة على الكافرين ، وجعل لأهل الكتاب ـــ

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب الإيمان .

(٢) والإمام مسلم : صحيحه : باب الإيمان .

من يهود ونصارى — حق العيش الآمن فى المجتمع المسلم ، إذا ماأدوا ماعليهم ، والتزموا بآداب الإسلام فى الحياة . وجعل تعاملا آخر ، مع غير القابلين للإسلام ، من غير أهل الكتاب .

وهذه الأنظمة وتلك الشريعة ، لا يمكن أن ينفذها المسلمون ، أو يقوموا على أمرها ، إلا إذا كانوا أصحاب قوة وشجاعة وتضحية ، فبذلك يمكن الله لهم دينهم الذى ارتضى لهم .

أراد الله سبحانه من المسلمين ، أن يستفرغوا كل ما فى وسعهم ، من قوة وشجاعة وتضحية ؛ ليجعلوا العالم كله ، من أقصاه إلى أقصاه ، متبعا لشريعة الدين الخاتم .

وأول تعامل مع الناس كل الناس ، فى أى زمان وأى مكان هو : **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** . ولذلك طالب الإسلام المسلمين بذلك ، فى الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، على ماسنذكر منه شواهد ولا نستقصيه ، على النحو التالى :

قال الله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (1) .

وهذه الآية الكريمة تقرر مبادئ على جانب كبير من الأهمية منها :

١ — أنّ خيرية الأمة الإسلامية ليست نابعة من عرقية ، أو لغة ، أو السكنى فى إقليم بعينه ، وإنما لما تحمله هذه الأمة من صفات هى :

أ — الإيمان بالله .

ب — والأمر بالمعروف .

جـ — والنهى عن المنكر .

٢ — أن الأمة الإسلامية ، تتجه بدعوتها ومنهجها ، إلى الناس كل الناس ، كتابيهم وغير كتابيهم .

٣ — **أن الله سبحانه قدر ذلك للأمة الإسلامية فى سابق علمه ، ثم أخرجها للناس ؛ لتقوم بذلك فتنفعهم ، والمعنى : كنتم ، ومازلتم ، مادمتم متصفين بهذه الصفات .**

---

(1) سورة آل عمران : ١١٠ .

وقال سبحانه : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [1] .

وهذه الآية الكريمة ، هى الحد الأدنى المقبول من المؤمنين ، ليكمل إيمانهم ، أما الحد الأعلى لكمال إيمان المؤمنين ، فهو فى صدر هذه الآية الكريمة وهو : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ....** ﴾ [2] .

الحد الأعلى فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أن يأمر بكل معروف كل أحد ، وأن ينهى عن كل منكر كل أحد ، وضحت ذلك أحاديث نبوية كثيرة ، سنذكر طرفا منها بعد سرد الآيات الكريمة .

قال سبحانه :﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [3] .

وهذه الآية تؤكد عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنسبة لكل مؤمن ومؤمنة . كما تؤكد ضرورة أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا ؛ ليستعينوا بهذا الولاء والتناصر ، مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقال جل شأنه : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾ [4] .

فقد عقد الله صفقة بيع رابحة مع المومنين ، بأن يقاتلوا فى سبيل الله ، ولهم على الله الجنة ، كما وعد بذلك ، ولكن المؤمن الذى عقد الله معه هذه الصفقة الرابحة ، لابد أن تكون من صفاته :

أ ـــ التوبة من كل هفوة .

---

(1) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(2) سورة آل عمران : ١٠٢ ـــ ١٠٣ .

(3) سورة التوبة : ٧١ .

(4) سورة التوبة : ١١١ ـــ ١١٢ .

ب ــ والتذلل لله سبحانه .
جـ ــ وحمد الله على كل حال .
د ــ والصائمون ، إذ الصوم سياحة المؤمنين .
هـ ــ والراكعون الساجدون .
و ــ والآمرون بالمعروف .
ز ــ والناهون عن المنكر .
ح ــ والحافظون لحدود الله .

تلك صفات المؤمنين الذين ربح بيعهم مع الله ، وهؤلاء هم الذين بشرهم الرسول ﷺ بهذه الصفقة .

وقال سبحانه : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ (1) .

والآية تدل على أن تمكين الله للمؤمنين فى الأرض ، وتمكينه لدينهم لا يأتى عفوا ، أو دون إيمان وعمل وإنما لكى يحدث التمكين لا بد من :

١ ــ إقامة الصلاة ، وهى عماد الدين .
٢ ــ وإيتاء الزكاة ، وهى أمان للمجتمع كله .
٣ ــ الأمر بالمعروف ، وهو جلب المصالح .
٤ ــ النهى عن المنكر ، وهو درء المفاسد .

بهذا يكون التمكين ، وليس المعنى أن الله يمكنهم أولا ، ثم يقومون بهذه الأعمال بعد ذلك ، لأن التمكين حينئذ لا يصادف أهله ومستحقيه .

وأمّا الأحاديث النبوية فمنها :قوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسىء ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أو يلعنكم كما لعنهم » (2) .

والحديث الشريف قاطع فى وجوب الأعمال التالية على كل مسلم :

---

(١) سورة الحج : ٤١ .

(٢) الإمام الترمذى : صحيحه : التفسير: تفسير سورة المائدة .

أ ــ الأمر بالمعروف .

ب ــ والنهى عن المنكر .

جـ ــ والأخذ على يد المسىء .

د ــ وإجبار الممتنع على أن يكون مع الحق والصواب بل فى مجال المعروف والتخلى عن المنكر .

وقال ﷺ : « من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وفى رواية أخرى : « ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » [١] .

وهذا الحديث الشريف أوجب على كل مسلم أن يغير أى منكر يراه وحدد له ظروف القدرة على ذلك فى ثلاثة مستويات :

أ ــ القدرة على التغيير باليد .

ب ــ عند العجز عن التغيير باليد يكون التغيير باللسان .

جـ ــ عند العجز عن التغيير باليد أو اللسان يكون التغيير بالقلب وهو أضعف الإيمان .

وقال ﷺ : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه ، فإذا فعلوا ذلك ، عذّب الله الخاصة والعامة » [٢] .

وهذا الحديث الشريف ينذر بأن المسلمين إذا استطاعوا أن ينكروا المنكر ، فلم يفعلوا ، فإن الله سبحانه يعذب الخاصة والعامة معا .

نكتفى بهذا القدر من الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية ، لأن حديثنا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سوف يشتمل على كثير منها .

بهذه النصوص التى اكتفينا بها الآن نستطيع أن نؤكد لأولئك الذين فهموا من الآية

(١) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإيمان .　　(٢) الإمام أحمد : مسنده : ٤ / ١٩٣ .

الكريمة : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ فهموا أن الأمر بالمعروف ، واجب جماعة من المسلمين وحدها ، لا واجب المسلمين جميعاً ، نؤكد لهؤلاء من هذه النصوص التى سقناها ما يلى :

أ ـــ أن عامة المسلمين مطالبون بأن يأمر كل واحد منهم بالمعروف وينهى عن المنكر فى حدود قدرته .

ب ـــ أن جماعة من المسلمين لابد أن تتحدد وأن تمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك هو الحد الأدنى .

جـ ـــ أن الله سبحانه جعل صفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من صفات المؤمنين الذين عقد الله معهم صفقة بيع يقاتلون فى سبيل الله ولهم الجنة .

د ـــ أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يحتاج إلى قوة ومنعة ، لِأُطْر بعض الناس على الحق أطرا .

هـ ـــ أن التخلى عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يوجب على المتخلين عذاب الله ، سواء أكانوا من عامة المسلمين أم من خاصتهم .

و ـــ أن حياة الناس وأمنهم ورخاءهم ، لا يتحقق إلا بممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى صورتهما العامة بمعنى : أمر كل أحد بكل معروف ، ونهى كل أحد عن كل منكر ، وصيغة الجمع فى الآيات والحديث ، هى التى تؤكد ذلك .

بهذا الفهم وبهذا الإدراك انطلق سلفنا الصالحون ـــ رضوان الله عليهم ـــ الصحابة والتابعون وتابعوهم ، إلى نهاية القرن الثالث الهجرى ؛ فملأوا الأرض عدلاً وسلاماً ، وأمناً ورخاء ، فكانوا جديرين بأن يصفهم رسول الله ﷺ ، بأنهم حبر أمته .

فقد روى البخارى بسنده ، عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ». قال عمران : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً « ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السِّمن »[1] .

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : ٥ / ٢ ط دار الشعب القاهرة دون تاريخ .

أ ـ آراء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وأجمع ما قيل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هو ما قاله الإمام الغزالى أبو حامد فى كتابه : « إحياء علوم الدين » والذى نحب أن ننقل منه هنا ، ما نراه لازما للدعاة إلى الله ، وشاحذاً لهِمَمِهِم ، ومنيراً لهم طريق الدعوة إلى الله .

قال : « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه ، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وهلك العباد » (١) .

والأمر بالمعروف ، هو الأمر « بكل ما عرف من طاعة الله ، والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع من المحسَّنات ، ونهى عنه من المقبَّحات » (٢) .

وقيل : **المعروف**: هو ما قبله العقل وأمر به الشرع ووافق كرم الطبع .

والمنكر : ما ليس فيه رضا الله تعالى من قول وفعل .

ب ـ حكمه شرعا :

وحكمه فقهياً فيه تفصيل على النحو التالى :

١ ـ جمهور أهل السنة : يرونه فرض كفاية . ونحن هنا نحترز من سوء الفهم لفرض الكفاية وهو قول بعضهم : « إنه هو الذى إذا فعله البعض سقط الإثم عن الجميع » فهذا فهم قاصر يحتاج إلى تكميل ، والأخذ به يجعل الأمة الإسلامية فى تواكل وقعود .

والذى نميل إليه أن يكمل المعنى ، بحيث يفهم من فرض الكفاية أن لابد أن تحصل بالقيام به الكفاية ، فلو قام به بعض المسلمين ، ولم يتحقق بقيامهم به الكفاية ، لا يسقط الإثم عن الجميع ، فتلك ضميمة من وجهة نظرى لابد منها .

وهكذا يجب أن ننظر إلى فرض الكفاية على أنه يجب أن تتحقق به الكفاية .

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ٢ / ٢٦٩ ط الحلبى .

(٢) ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث مادة . عرف .

٢ ــ يرى بعض العلماء أن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فرض عين فى الأحوال التالية :

أ ــ على من يرى المنكر من زوجته وأولاده .

ب ــ على من يرى الإخلال بواجب شرعى .

جـ ــ على من يرى منكراً لا يراه سواه ، وهو قادر على إزالته .

د ــ على والى الحسبة ، فتلك وظيفته (١) .

٣ ــ يرى بعض العلماء أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فضيلة يتنفل بها .

٤ ــ ورأت طائفة من العلماء ، أن فى حكمه تفصيلاً ، على النحو التالى :

أ ــ أنه واجب فى الواجب فعله ، أو الواجب تركه ، ومندوب فى المندوب فعله أو تركه .

ب ــ أن الأمر بالواجب واجب ، وبالنافلة نافلة ، وأما النهى عن المنكر فكله واجب .

جـ ــ أن مقصود النهى عن المنكرات أربع درجات :

١ ــ أن يزول ويخلفه ضده ،

٢ ــ أو يقل وإن لم يزل بجملته ،

٣ ــ أو يخلفه ما هو مثله ،

٤ ــ أو يخلفه ما هو شرٌّ منه .

والأولان : مشروعان ،

والثالث : موضع اجتهاد ،

والرابع : محرم (٢) .

وقد توسع الإمام الغزالى فى الحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا عجب فى ذلك منه ، فقد سماه ــ كما أسلفنا ــ القطب الأعظم فى الدين .

وسوف نأخذ مما قال الغزالى ، ما نراه مناسباً وكافياً للحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بصدد ما حددناه من أنه المجال الثانى من مجالات العمل الصالح والسلوك

(١) ورد ذلك فى شرح الإمام النووى على صحيح مسلم فى حديث : من رأى منكم منكرا ... الحديث .

(٢) ابن تيمية : الحسبة ٦٧ وما بعدها بتصرف .

الاجتماعى ، النابع من أخلاق الإسلام ــ وهو الركن الثالث من أركان الدعوة إلى الله كما أسلفنا .

جـ ــ تفصيل رأى الإمام الغزالى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

قسم الإمام الغزالى كلامه عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى أربعة أبواب ــ كما سماها .

ونحن هنا نذكرها بتصرف ، واختصار على النحو التالى :

الباب الأول : فى وجوبه وفضيلته .

والباب الثانى : فى أركانه وشروطه .

والباب الثالث : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات .

والباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وتفصيل ذلك :

الباب الأول :

فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته .

ويدل على ذلك ــ بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه ــ الآيات والأخبار والآثار .

فمن الآيات :

قوله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [1] .

فقد نَعَتَ المؤمنين ، بأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية .

ومن الأخبار [2] :

ما رواه الترمذى بسنده قال : قال رسول الله ، ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ،

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢) الخبر : الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ .

ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

وروى أبو داود بسنده ، عن أبى ثعلبة الخشنى قال : سألت رسول الله ﷺ ، عن تفسير قوله تعالى : ﴿**لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** .. ﴾ فقال : « يا أبا ثعلبة ، مر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهَوىً متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام ، إن من ورائكم فتنا ، كقطع الليل المظلم ، للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم » . قيل : بل منهم يا رسول الله . قال : « لا بل منكم ؛ لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعوانا » .

وأما الآثار [1] :

فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما ، لا يجل كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ويدعو عليه خياركم ، فلا يستجاب لهم ، وتنتصرون ، فلا تنصرون ، وتستغفرون ، فلا يغفر لكم » .

الباب الثانى :

فى أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشروطه .

الأركان : أربعة ، ولكل ركن شروط :

الركن الأول :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشروطه

الشرط الأول : أن يكون مكلفا مسلما قادرا :

- **فالمكلف : يخرج المجنون والصبى ، فليسا من أهل الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .**
- **والمسلم : شرط يخرج الكافر ، فليس من أهل الأمر بالمعروف .**

---

(١) الأثر : الحديث الموقوف على الصحابى ، رضى الله عنه ، وهذا رأى أبى حامد الغزالى وهناك آراء أخرى فى الأثر .

• والقادر : شرط يخرج العاجز عن ذلك ، فليس له أهلية لهذا الأمر ، ويدخل فيه آحاد الرعايا ، وإن لم يكونوا مأذونين . ويدخل فيه الرقيق والمرأة والفاسق .

الشرط الثانى : الإيمان :

ولا يخفى وجه اشتراطه ؛ لأن هذا نصرة للدين ، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوٌّ له ؟

الشرط الثالث : العدالة :

وهو شرط عند بعض الفقهاء .

وجمهورهم لا يشترطه ؛ لأن العدالة لو اشترطت ما أمر أحد بمعروف ، ولا نهى أحد عن منكر ، كما قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ، ولم ينه عن المنكر ، إلا من لا يكون فيه شيء (أى عَدْلاً) لم يأمر أحد بشيء ؛ فأعجب ذلك مالكاً .

الشرط الرابع : كونه مأذوناً من الإمام :

وهو شرط قال عنه الغزالى : « وهذا الاشتراط فاسد ، فإن الآيات والأخبار التى أوردناها ، تدل على أن كل من رأى منكراً ، فسكت عليه عصى ؛ إذ يجب نهيه أينما رآه ، وكيفما رآه على العموم ، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام ، تحكم لا أصل له .

والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ما لم يخرج الإمام المعصوم ، وهو الإمام الحق عندهم ، وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا ، بل جوابهم ، أن يقال لهم ، إذا لجأوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم : إن نصرتكم أمر بالمعروف ، واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر ، وطلبكم لحقكم ، من جملة المعروف ، وما هذا زمان النهى عن الظلم ، وطلب الحقوق ؛ لأن الإمام الحق لم يخرج .

فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ؛ ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً ، فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية ، إلا بتفويض من الوالى ، وصاحب الأمر ؟ فنقول :

أما الكافر فممنوع ؛ لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام ، والكافر ذليل ، فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم .

وأما آحاد المسلمين ، فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة ، وما فيه من عز السلطنة ، والاحتكام لا يحوج إلى تفويض ، كعز التعليم والتعريف ؛ إذ لا خلاف فى أن تعريف التحريم والإيجاب ، لمن هو جاهل له ، ومُقْدِم على المنكر بجهله ، لا يحتاج إلى إذن الوالى ... » [1] .

ثم قال الغزالى : ومراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خمسة هى :

- التعريف ،
- والوعظ بالكلام اللطيف ،
- والتعنيف ،
- والمنع بالقهر ،
- والخامس الضرب حتى يمتنع .

وهذا الخامس وحده يحوج إلى استعانة ، وجمع أعوان من الجانبين ، ويجر ذلك إلى قتال ، فهذا وحده الذى يحتاج إلى إذن الإمام .

أما سائر المراتب فلا تحتاج إلى هذا الإذن من الإمام ثم قال :

أما التعريف والوعظ ، فكيف يحتاج إلى إذن الإمام ؟

وأما التعنيف والتجهيل والتحميق ، والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجرى مجراه [2] فهو كلام صدق ، والصدق مستحق ، بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر [3] كما ورد فى الحديث . فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته [4] فكيف يحتاج إلى إذنه ؟..

ثم قال : واستمرار عادات السلف ، على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، للولاة أنفسهم ، قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض ، بل كل من أمر بمعروف ، فإن كان الوالى راضياً به ، فذلك ، وإن كان ساخطاً له ، فسخطه له ، منكر يجب الإنكار عليه ،

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ٢ / ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

(٢) وذلك كقول الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لمن ينهاه : يا جاهل ، يا أحمق ، يافاسق ، يامن لا تخاف الله .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٤) يعنى إذا اقترف الإمام خطأ فإنه ينهى عن المنكر وجوبا .

فكيف يحتاج إلى إذنه فى الإنكار عليه ؟ » [1] .

الشرط الخامس : كون الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر قادراً :

فلا يخفى أن العاجز ليس له أن ينكر المنكر إلا بقلبه ، وفى حديثه عن العجز ، تفصيل وتوسع ، يلتمس فى كتاب إحياء علوم الدين .

الركن الثانى :

ما فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

قال : « والمنكر المنهى عنه هو كل منكر موجود فى الحال ، ظاهر للناهى عن المنكر بغير تجسس ، معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد ، فهى أربعة شروط :

الأول : كونه منكراً أى محذور الوقوع فيه فى الشرع ، وهو أعم من المعصية .

والثانى : كونه موجوداً فى الحال ، بمعنى أنه لا إنكار على منكر مضى زمن إيقاعه ، ولا على منكر لم يقع بعد ، لأن إنكار ما لم يقع بعد فيه إساءة الظن بالمسلم .

والثالث : كونه ظاهراً من غير تجسس ، فكل من ستر معصيته فى داره ، وأغلق بابه ، لا يجوز أن يتجسس عليه ، وقد نهى الله تعالى عنه .

والرابع : كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد ، إذ كل ما فيه اجتهاد فى اعتباره منكراً فلا نهى فيه ، فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى ، أكله الضب ، والضبع ، ومتروك التسمية ....

الركن الثالث :

المأمور بالمعروف المنهى عن المنكر :

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكراً ، وأقل مايكفى فى ذلك أن يكون إنساناً .

ولا يشترط كونه مكلفاً ؛ إذ بينا أن الصبى لو شرب الخمر منع .

ولا يشترط كونه مميزاً ؛ إذ بينا أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة ، أو يأتى بهيمة ، لوجب منعه .

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ٢ / ٢٧٧ .

الركن الرابع :

نفس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وله درجات ومراتب هى :

١ ـــ التعرف : ونعنى به طلب المعرفة بجريان المنكر ، وهو ممنوع ؛ لأنه تجسس منهى عنه ، لكن إذا أخبره عدلان ، أو عدل واحد ، أو من تقبل روايته نهى عنه .

٢ ـــ التعريف بالمنكر : إذ قد يقدم عليه المقدم عن جهل ، فإذا عرف أنه منكر تركه ، كالسوادى [١] يصلى ، ولا يحسن الركوع ، أو السجود ؛ فيعلم .

٣ ـــ النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى : وذلك فيمن يقدم على الأمر ، وهو يعلم أنه منكر .

٤ ـــ التعنيف بالقول الغليظ الخشن : وذلك عند العجز عن المنع باللطف والوعظ ، كقوله له : يا فاسق ويا أحمق ويا جاهل ألا تخاف الله ، ويا غبى ويا سوادى .

ولا يجوز أن يعنفه بيا كاذب أو يا زانى ؛ لأن ذلك من الفحش المنهى عنه .

٥ ـــ التغيير باليد : وذلك ككسر الملاهى ، وإراقة الخمور ، وخلع الحرير عن رأسه أو بدنه ... إلخ .

وكل ذلك يتناول بحيث يبطل صلاحيته ، دون إفساده ، ويتوقى كسر أوانى الخمر ، وإنما يريقها فقط :

٦ ـــ التهديد والتخويف كقوله : دع عنكَ هذا ، أو لأكسرن رأسك ، أو لأضربن رقبتك وما أشبهه ، وما ينبغى أن يهدده بشىء لا ينوى فعله ، فذاك كذب ، ولا بشىء ممنوع شرعاً ، كقوله : لأنهبن دارك ، أو لأضربن ولدك .

٧ ـــ مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك : مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة ، والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف .

٨ ـــ أن لا يقدر عليه بنفسه : ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح ، وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ، ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ، فعندئذ هناك اختلاف فى احتياج ذلك إلى إذن الإمام .

---

(١) السوادى : هو غير المتحضر أو من كان من أهل البداوة .

فقال بعضهم : لابد من إذن الإمام ، ولا يستقل به آحاد الناس ؛ لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن ، وهيجان الفساد ، وخراب العباد .

وقال آخرون : لا يحتاج إلى الإذن ، وهو الأقيس ؛ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته ، تَجرُّ إلى ثوانٍ والثوانى تجر إلى ثوالث ، وقد ينتهى لا محالة إلى التضارب . والتضارب يدعو إلى التعاون ، فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ، ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ، ودفع معاصيه ، ونحْنُ نجوّز للآحاد من الغزاة ، أن يجتمعوا ، ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار ، قمعاً لأهل الكفر ؛ فكذلك قمع أهل الفساد جائز ؛ لأن الكافر لا بأس بقتله ، والمسلم إن قتل فهو شهيد ، فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله ، والآمر بالمعروف « المحتسب » المحق إن قتل مظلوماً ، فهو شهيد .

وعلى الجملة ، فانتهاء الأمر إلى هذا ، من النوادر فى الحسبة ، فلا يغير به قانون القياس بل يقال : كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه ، فالمسألة له إذن محتملة كما ذكرناه » (١) .

الباب الثالث :

فى المنكرات المألوفة فى العادات .

تنقسم هذه المنكرات إلى قسمين :

١ ـــ منكرات مكروهة :

يكون النهى عنها مستحباً ، والسكوت عليها مكروهاً ، وليس بحرام ، إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه ، فيجب ذكره له ؛ لأن الكراهة حكم فى الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه .

٢ ـــ منكرات محظورة :

ويكون النهى عنها واجباً ، والسكوت عليها محظوراً ، كالإساءة فى الصلاة ، بترك الاطمئنان فى الركوع والسجود ، وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث النبوى الشريف

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ٢ / ٢٩٢ .

وقد فصل الإمام الغزالى ، أنواع هذه المنكرات ، وذكر نماذج لها فى المساجد ، والأسواق ، والشوارع ، والحمامات ، ومنكرات يمارسها الناس مع ضيوفهم فى استعمال أوانى الذهب والفضة ، أو فرش الحرير وغيرها .

ثم تحدث عن المنكرات العامة فقال :

« اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان ، فليس خالياً فى هذا الزمان عن منكر ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس ، وتعليمهم ، وحملهم على المعروف : فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد ، فكيف فى القرى والبوادى ؟ ومنهم الأعراب ، والأكراد ، والتركمانية ، وسائر أصناف الخلق » (١) .

الباب الرابع :

فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

قال :

« قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف ، وأن أوله : التعريف ، وثانيه : الوعظ . وثالثه : التخشين (التعنيف) فى القول ، ورابعه : المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة ....

والجائز من جملة ذلك مع السلاطين : المرتبتان الأوليان وهما :

التعريف ، والوعظ :

وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان ، فإن ذلك يحرك الفتنة ، ويهيج الشر ، ويكون ما يتولد عنه من المحذور أكثر .

وأما التخشين فى القول كقوله : يا ظالم يا من لا يخاف الله ، وما يجرى مجراه ، فذلك إن كان محرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه ، فهو جائز ، بل مندوب إليه ... ، لأنه شهادة وقد قال رسول الله ﷺ : « سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك » أخرجه الحاكم (٢) .

---

(١) السابق : ٢ / ٢٩٩ .

(٢) السابق : ٢ / ٣٠٠ بتصرف واختصار فى كل ما نقلناه عنه ، ومن أراد التوسع ، فعليه بالكتاب ، والله يوفقه .

انتهى ما نقلناه عن الإمام الغزالى ، وفيه عظة لكل متأمل من الدعاة إلى الله

ثالثاً : العدل والإحسان :

وهو المجال الثالث من المجالات الأربعة التى حددنا ، نتيجة للخلق الإسلامى ، والسلوك الاجتماعى .

والعدل : يقتضى المساواة وهو التقسيط على سواء ، ومنه ما روى : بالعدل قامت السمٰوات والأرض ، والعدالة كالعدل .

والعدل نوعان :

الأول : عدل مطلق يقتضى العقل حسنه ، ولا ينسخ فى زمن ما ، ولا يوصف بالاعتداء بوجه مّا ، نحو : الإحسان إلى من أحسن إليك وكف الأذى عمن كف أذاه عنك .

والثانى : عدل يعرف بالشرع ويمكن أن ينسخ فى بعض الأزمنة كالقصاص وأروش [1] الجنايات وأصل مال المرتد .

والعدل هو المساواة فى المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

والإحسان: أن يقابل الخير بأكثر منه ، والشر بأقل منه ، وقال سفيان بن عيينة : العدل فى قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ هو : استواء السريرة والعلانية ، من كل عامل لله عملاً .

والإحسان . أن تكون سريرته أحسن من علانيته ،

والفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته . وقال ابن مسعود : إن أجمع آية فى القرآن الكريم فى سورة النحل : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ .

وقال سعيد عن قتادة : قوله تعالى ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** .. ﴾ الآية . ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ، ويستحسنونه ، إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيء ، كانوا يتعايرونه بينهم ، إلا نهى الله عنه ، وقدم فيه ، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها ، قال ابن كثير : ولهذا جاء فى الحديث : « إن الله يحب معالى الأمور ، ويكره سفسافها »[2] .

---

(١) الأروش جمع أرش : وهو دية الجراحة .

(٢) أخرجه الهروى فى الغريب .

والأصل فى عمل المسلم ، وسلوكه ، وتعامله كله ، أن يكون مشتملاً على العدل ، بعيداً عن الظلم ، وأن يكون فيه محسناً ، والإحسان فوق العدل ، فإذا كان العدل أن يأخذ ما له ، ويعطى ما عليه ، فإن الإحسان أن يأخذ أقل مما له ، وأن يعطى أكثر مما عليه .

فالإحسان زائد على العدل ، وأرفع درجة منه .

وتحرى العدل ، واجب شرعاً .

وتحرى الإحسان ، ندب وتطوع وزيادة فى الخير . وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً .

ونعود للإمام الغزالى ، فننقل عنه قوله فى العدل والإحسان : « والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال ، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ، ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا فى معاملات الآخرة .

فلا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل ، واجتناب الظلم ، ويدع أبواب الإحسان ، وقد قال تعالى : ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (٣) .

والتخلى عن العدل ، يؤدى إلى الظلم وهو حرام ، وهذا الظلم يوقع ضرراً بالمسلمين ، وهو نوعان :

الأول : يعم ضرره الناس .

والثانى : يخص ضرره بعض الناس .

وكل منهما أقسام :

النوع الأول : الذى يعم ضرره الناس ، أقسام كثيرة ، ذكر منها العلماء ما يلى :

١ ـــ الاحتكار للطعام وغيره ، مما يحتاج إليه الناس ، ففى الاحتكار ضرر عام للناس ،

---

(١) سورة القصص : ٧٧ . (٢) سورة النحل : ٩٠ . (٣) سورة الأعراف : ٥٦ .

وهو حرام ، فقد روى أحمد والحاكم بسند جيد ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً » (١) .

٢ — ترويج ما هو زائف : أى غش العملات ، وترويج الزائف منها ، ففيه ضرر عام بالناس ، وهو غش كذلك ، وقد روى أئمة الأحاديث بأسانيدهم : « من غشنا فليس منا » (٢) .

و النوع الثانى : الذى يخص ضرره بعض الناس ، أقسام كذلك ، والأساس فى هذا النوع : أن المسلم يجب أن يحب لأخيه ، ما يحب لنفسه .

وتلك الأقسام هى :

١ — لا يثنى على السلعة بما ليس فيها ؛ لأن ذلك كذب وظلم ، وكلاهما حرام ، وأبشع من ذلك ، أن يثنى على السلعة بالحلف ، ففيه فوق الظلم والكذب ، الحرمان من نظر الله إليه يوم القيامة ، فقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن أبى ذر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : المنان ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٣) .

٢ — لا يكتم عيباً فى السلعة ظاهرا أو خفيا ، فإن أخفى شيئا ، فقد ظلم وغش ، وكلاهما حرام كما أسلفنا . فقد أخرج الحاكم والبيهقى ، عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل لأحد يبيع بيعا ، إلا أن يبين آفته ، ولا يحل لمن يعلم ذلك ، إلا تبيينه » .

٣ — لا يكتم فى وزنها ومقدارها شيئا ، وذلك فى الميزان أو الكيل قال تعالى : ﴿ **ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ (٤) ولا يخلص هذا إلا إذا رجح إذا أعطى ، ونقص إذا أخذ ، ولما اشترى رسول الله ﷺ شيئاً قال للوزان ، لما كان يزن ثمنه : « زن وأرجح » رواه الترمذى وقال حسن صحيح (٥) .

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه . باب التجارات .

(٢) رواه مسلم فى باب الإيمان وأبو داود فى البيوع والترمذى فى البيوع .

(٣) رواه الإمام مسلم فى باب المساقاة

(٤) سورة المطففين : ١ — ٣ .

(٥) الترمذى : صحيحه : البيوع .

٤ ـــ ألا يكتم من سعره ، ما لو عرفه الشارى لم يشتر ، أى يصدق فى السعر سعر الوقت ، ولا يخفى منه شيئا ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان ، ونهى عن النجش فى حديثين متفق عليهما ، الأول من رواية أبى هريرة ، والثانى من رواية أبى هريرة وأنس .

أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرفقة ، ويتلقى المتاع ، ويكذب فى سعر البلد ، فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تلقوا الرُّكْبَان ، ومن تلقاها، فصاحب السلعة بالخيار ، بعد أن يقدم السوق » [1] كما نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ [2] ، أى أن يقدم البدوى البلد ، ومعه قوت ، يريد أن يتسارع إلى بيعه ، فيقول الحضرى : اتركه عندى ، حتى أغالى فى ثمنه ، وأنتظر ارتفاع السعر ، وهذا فى القوت محرم ، وفى سائر السلع فيه خلاف ، والأظهر أنه محرم ؛ لعموم النهى ؛ ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة .

ونهى رسول الله ﷺ عن النجش ، وهو : أن يتقدم إلى البائع بين يدى الراغب المشترى ، ويطلب السلعة بزيادة ، وهو لا يريدها ، وإنما يريد مواطأة . وهذا محظور كذلك .

والإحسان : ندب وفضل ، ويستطيع المسلم أن ينال درجته ، فيكون قريباً من الله ، ومن رحمته ، بواحد من ستة أمور :

١ ـــ ينبغى للمسلم ألا يغبن أخاه المسلم ، بما لا يتغابن به فى العادة ، فأما أصل المغابنة : فمأذون فيه ؛ لأن البيع للربح ، ولا يمكن ذلك إلا بغبنٍ مّا ، ولكن يراعى فيه التقريب ، فإن بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد ، إما لشدة رغبته ، أو لشدة حاجته فى الحال إليه ، فينبغى أن يمتنع من قبوله ، فذلك من الإحسان .

٢ ـــ احتمال الغبن ، وذلك إذا اشترى طعاماً من ضعيف ، أو شيئاً من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ، ويتساهل ويكون به محسنا ، وداخلاً فى قوله عليه الصلاة والسلام : « رحم الله امرأً سهل البيع سهل الشراء »[3] .

٣ ـــ استيفاء الثمن وسائر الديون . والإحسان فيه يكون مرة فى المسامحة وحط بعضه ،

---

(١) البخارى : صحيحه : باب البيوع . (٢) السابق : البيوع .

(٣) الإمام الترمذى : صحيحه : باب البيوع .

ومرة بالإمهال والتأخير ، ومرة بالمساهلة ، كل ذلك مندوب إليه ، ومحثوث عليه ؛ لقوله ﷺ : « رحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء »[1] ولقوله ﷺ : « من أنظر معسراً أو ترك له ، حاسبه الله حساباً يسيرا » [2] .

٤ ــ توفية الدين ، ومن الإحسان فيه حسن القضاء ، وذلك بأن يمشى إلى صاحب الحق ، ولا يكلفه بأن يمشى إليه يتقاضاه ، فقد قال رسول الله ﷺ : « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه .

٥ ــ خوف التاجر على دينه ، بحيث لا يشغله معاشه ، وتجارته ، عن معاده ، وآخرته ، فلو فعل يكون عمره ضائعاً ، وصفقته خاسرة ، وما يفوته من الربح فى الآخرة ، لا يفى به ما يناله فى الدنيا ، وخوف المسلم على دينه فى التجارة ، يتطلب منه ما يلى :

أ ــ حسن النية .

ب ــ قصد القيام بتجارته أو صفقته ، بفرض من فروض الكفاية .

جـ ــ لا يمنعه سوق الدنيا ، عن سوق الآخرة ، وسوق الآخرة هو المساجد ، ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة** ﴾[3] .

د ــ لا يقتصر على ذلك ، بل يلازم ذكر الله فى السوق ، ويشتغل بالتهليل والتسبيح .

هـ ــ ألا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة ، وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج .

و ــ ألا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواقع الشبهات .

ز ــ أن يراقب جميع مجارى تجارته . ومعاملته مع كل واحد من معامليه ، فإنه مراقب من الله سبحانه ، ومحاسب عليه ، فليعد لجواب يوم الحساب .

وبعد : فهذا هو مجال العدل والإحسان ، وهو صورة مشرقة وضاءة فى الخلق الذى يجب أن يكون عليه المسلمون عموماً والدعاة إلى الله على وجه الخصوص .

وهو من مفردات الركن الثالث من أركان الدعوة إلى الله ، فليعتبر بذلك أولو الأبصار .

---

(١) السابق : البيوع .　　(٢) رواه مسلم فى باب الزهد .　　(٣) سورة النور : ٣٧ .

رابعاً : الجهاد فى سبيل الله ، والاستعداد له والإعداد .

وهو المجال الرابع من مجالات العمل والسلوك الذى يوجبه على المسلم خلق الإسلام وقيمه . ويتناول :

معنى الجهاد وأصناف الناس أمام المجاهدين :

والجهاد لغة هو : بذل الجهد ـــ بالضم ـــ وهو الوسع والطاقة

أو هو : المبالغة فى العمل من الجَهد ـــ بالفتح ـــ .

وفى الشرع هو : بذل الوسع والطاقة ، بالقتال فى سبيل الله ، عز وجل ، بالنفس ، والمال ، واللسان ، أو غير ذلك .

أو هو : المبالغة فى بذل النفس ، والمال ، واللسان فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا .

وهذا المجال أخصب المجالات فى الدعوة إلى الله ، وأعظمها فائدة ، وأعمها نفعاً للدين ، ومع ذلك فهو المجال الذى تحالفت كثير من القوى المعادية للإسلام والمسلمين على أن يتخلى المسلمون عنه ، فضيعوه أول ما ضيعوا من أركان الدين ، فذلوا وضعفوا ، وتحكم فيهم أعداؤهم ، وانحسرت دعوة الله عن عباد الله .

وللجهاد تسميات متعددة فى كتب الفقه الإسلامى ، وكتب السِّيَر ـــ جمع سيرة ـــ بل إن كتب الحديث الشريف نفسها وردت له فيها أسماء متعددة .

وإنما سمى « السير » لأنه يبين سيرة المسلمين ، فى التعامل مع غيرهم من الناس .

وهذا التعامل يكون مع النوعيات التالية من الناس ، فى أى زمان وأى مكان :

١ ـــ مع المشركين من أهل الحرب .

٢ ـــ ومع المرتدين ، الذين هم أخبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار .

٣ ـــ ومع أهل الكتاب ، أهل الذمة ، وأهل الأمان .

٤ ـــ ومع أهل البغى الذين حالهم دون حال المشركين ، وإن كانوا جاهلين وفى التأويل مبطلين .

١ ـــ فمعاملة المسلمين للمشركين فى الجهاد هى :

أ ـــ وجوب دعوتهم إلى الدين .

ب ـــ وقتال الممتنعين منهم عن الإجابة .

وذلك لأن صفة الأمة الإسلامية فى الكتب المنزلة : « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وبهذه الصفة كانوا خير الأمم ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ..** ﴾ ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى ، فعلى كل مؤمن أن يكون آمراً به داعيا إليه ، وأصل المنكر الشرك ، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد ، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه .

والجهاد فرض قائم مستمر إلى يوم الساعة قال رسول الله ﷺ : « الجهاد ماض منذ بعثنى الله ، تعالى ، إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتى الدجال » .

وفريضة الجهاد على نوعين :

الأول : فرض عين على كل من يقدر عليه بقدر طاقته ، وذلك عندما يكون النفير إليه عامًّا ، قال تعالى : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالا ...** ﴾[1] وقال : ﴿ **ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض** ﴾ إلى قوله : ﴿ **... عذاباً أليما** ﴾[2] .

والثانى : فرض كفاية إذا قام به البعض ، سقط الإثم عن الباقين ؛ لحصول المقصود ، وهو كسر شوكة المشركين ، وإعزاز الدين .

٢ ـــ ومعاملة المسلمين للمرتدين :

إذا ارتد المسلم عن دينه ـــ والعياذ بالله من ذلك لكل أحد ـــ فإن تعامل المسلمين معه يكون على النحو التالى :

أ ـــ عرض الإسلام عليه ، ليعود إليه ، ويتراجع عن ردته فإن أسلم وعاد ، قبل منه .

ب ـــ وإن أبى العودة إلى الإسلام ، قتل فى مكانه ، إلا إذا طلب أن يؤجل ، فإن طلب ، أجل ثلاثة أيام ، فإن أسلم بعدها قبل ، وإلا قتل . والأصل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **تقاتلونهم أو يسلمون** ﴾[3]

---

(١) سورة التوبة : ٤١ . (٢) سورة التوبة : ٣٨ . (٣) سورة الفتح : ١٦ .

وقوله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه »[1] .

٣ ــ معاملة المسلمين لأهل الكتاب :

وأهل الكتاب ، هم اليهود والنصارى ،وهم نوعان فى التعامل :

- أهل ذمة ،
- وأهل أمان .

أولاً : معاملة أهل الذمة منهم :

أ ــ وجوب دعوتهم إلى ترك دينهم ، والدخول فى الإسلام خاتم الأديان ، وأكملها وأتمها ، والذى وجب عليهم من خلال كتبهم ــ قبل أن تحرف ــ أن يدخلوا فيه عند ظهوره .

ب ــ إن قبلوا ذلك وقامت الدلائل عليه ، فهم كالمسلمين فى الحقوق والواجبات .

جـ ــ إن أبوا فرضت عليهم الجزية ــ وهى قدر من المال ، يؤدى كل سنة ، عن العاقل البالغ الذكر منهم ــ ويصبحون بذلك أهل ذمة .

وعقد الذمة مؤبد ، ويشترط فى أهل الذمة أن يقبلوا أحكام الإسلام فى غير العبادات ..

ويشترط فيهم لكى يعايشوا المسلمين ما يلى :

ــ ألا يذكروا كتاب الله ، بطعن ولا تحريف .
ــ ألا يذكروا رسول الله ، بتكذيب ولا ازدراء .
ــ ألا يذكروا دين الإسلام ، بذم له ، ولا قدح فيه .
ــ ألا يصيبوا مسلمة ، بزنى ، ولا باسم نكاح .
ــ ألا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله .
ــ ألا يعينوا أهل الحرب ، ولا يؤووا للحربيين جاسوساً ...
ــ وهناك شروط أخرى أقل أهمية .

د ــ ما لم يقبل أهل الذمة (أهل الكتاب) الإسلام ، ولا قبلوا دفع الجزية ، أنذروا بالحرب ، ثم حوربوا.

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : كتاب الجهاد .

أما حقوق أهل الذمة على المسلمين فهى :

١ ــ حماية الدولة الإسلامية لهم ، برفع الظلم عنهم ، أو دفعه ، والمحافظة عليهم ، ومنحهم حرية التعبد كما يريدون .

٢ ــ منحهم الحق فى الإقامة الآمنة ، والتنقل الآمن .

٣ ــ عدم التعرض لهم فى عقيدتهم وعبادتهم .

ثانياً : معاملة أهل الأمان منهم :

وهم المستأمنون الذين هم من أهل الكتاب ، ولكنهم ــ بعد عرض الإسلام عليهم ــ أبوا ، وطلبوا إعطاءهم مهلة ، أو عهداً إلى حين .

وهؤلاء لهم نفس المعاملة السابقة ، إلا أن عهدهم ليس أبديًّا ، كأهل الذمة ولكنه موقوت بوقته ، فإذا انتهى الوقت نبذ إليهم الإمام .

٤ ــ معاملة المسلمين لأهل البغى :

وأهل البغى يُسمّون فى بعض كتب الفقه « الخوارج » وهؤلاء هم الذين خرجوا فى فتنة على المسلمين وإمامهم ، واستعصموا بقوة ومنعة ، فهؤلاء يجب على المسلمين أن يقاتلوهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ...** ﴾[١] .

والأمر فى الآية الكريمة للوجوب ؛ لأن الخارجين قصدوا أذى المسلمين ، والإساءة إلى الدين ودفع ذلك واجب ؛

ولأن خروجهم معصية ، ففى القيام بقتالهم ، نهى عن المنكر ، وهو فرض .

أنواع الجهاد فى سبيل الله :

الجهاد ــ كما أوضحت الشريعة ــ : بذل الوسع والطاقة فى سبيل الله ــ عز وجل ــ بالنفس والمال ، أو اليد واللسان والقلب ؛ لذلك رأينا أن نتحدث عن أنواع الجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون الأمة الإسلامية على بينة من أمرها ، وليكون الدعاة إلى الله ، على بصيرة من هذه القضية .

---

(١) سورة الحجرات : ٩ .

النوع الأول : الجهاد بالنفس

وهو المقصود فى الحديث النبوى الشريف : « فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ... » فمجاهدة بل قتال أعداء الله ، أعداء دينه ومنهجه ، والتضحية بالنفس فى قتالهم ، واجب شرعاً لكل قادر عليه ، فإن قتل المجاهد فى هذه المعارك ، فقد فاز بدرجة الشهيد .

وأعداء الله ، وأعداء الدعوة الإسلامية كثيرون ومنهم :

١ ــ المشركون والكفار ومن إليهم .

٢ ــ والمرتدون عن دين الإسلام ، بعد إذ هداهم الله إليه .

٣ ــ وأهل البغى والفساد الخارجون على جماعة المسلمين وإمامهم .

٤ ــ والمجاهرون بعصيان الله المصرون على ارتكاب الكبائر .

وهؤلاء ــ كما قدمنا ــ قتالهم إما أن يكون فرض عين إذا كان هناك نفير عام ، وإما أن يكون فرض كفاية يسقط الإثم فيه عن الجميع ، إذا قام به البعض ، فتحققت بقيامهم به الكفاية .

ويكون النفير عاماً عند غلبة أعداء الإسلام على بلد مسلم باحتلال أرضه ، أو تعريض أهله للقتل أو الخطر .

ولابد لى من ذكر رأى عالم جليل ، من علماء الفقه الإسلامى ، لقب بملك العلماء « هو الكاسانى » فإن له تفريقاً جيداً بين فرض العين وفرض الكفاية فى الجهاد ، وقد ذكر رأيه هذا فى كتابه الموسوعى « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » .

يقول : « فإذا ما عم النفير ، بأن هجم العدو على بلد فهو ــ أى الجهاد .

« **فرض عين** » :

يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله تعالى : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[1] قيل نزلت فى النفير . وقوله سبحانه : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا**

---

(١) سورة التوبة : ٤١ .

ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[1] .

لأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت لأن السقوط عن الباقين بقيام البعض به ، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل ، فبقى فرضا على الكل عينا بمنزلة الصوم والصلاة ، فيخرج العبد بغير إذن مولاه ، والزوجة بغير إذن زوجها ، لأن منافع العبد والمرأة فى حق العبادات المفروضة عيناً ، مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً ، كما فى الصوم والصلاة ، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه ؛ لأن حق الوالدين لا يظهر فى فروض الأعيان كالصوم والصلاة ، والله تعالى أعلم »[2] .

« **وفرض كفاية** » :

قال الكاسانى فيه : « وهو إذا لم يكن النفير عاماً ، ومعناه : أن يفترض على جميع من هو من أهل الجهاد ، لكن إذا قام به البعض سقط عن الباقين لقوله عز وجل : ﴿ **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى** ... ﴾ [3] ووعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى ، فلو كان الجهاد فرض عين فى الأحوال كلها ، لما وعد القاعدين الحسنى ؛ لأن القعود يكون حراماً ، وقوله : سبحانه وتعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين** ... ﴾ [4] الآية .

ولأن ما فرض له الجهاد وهو الدعوة إلى الإسلام ، وإعلاء الدين الحق ودفع شر الكفرة وقهرهم يحصل بقيام البعض به .

وكذا النبى ، عليه الصلاة والسلام ، كان يبعث السرايا ، ولو كان فرض عين فى الأحوال كلها لكان لا يتوهم منه القعود عنه فى حال ، ولا أذن لغيره بالتخلف عنه بحال .

وإذا كان فرضاً على الكفاية ، فلا ينبغى للإمام أن يخلى ثغراً من الثغور ، من جماعة من الغزاة ، فيهم غِنًى وكفاية ، لقتال العدو ، فإذا قاموا به ، يسقط عن الباقين ، وإن ضعف أهل ثغر عن مقاومة الكفرة ، وخيف عليهم من العدو ، فعلى من وراءهم من

---

(١) التوبة : ١٢٠ .
(٢) الكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ٧ / ٩٨ ط الجمالية ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م .
(٣) سورة النساء : ٩٥ .   (٤) سورة التوبة : ١٢٢ .

المسلمين ، الأقرب فالأقرب ، أن ينفروا إليهم ، وأن يمدوهم بالسلاح والكراع(1) والمال ؛ لما ذكرنا أنه فرض على الناس كلهم ، ممن هو من أهل الجهاد ، ولكن الفرض يسقط عنهم بحصول الكفاية بالبعض ، فما لم يحصل لا يسقط .

ولا يباح فيه ـ أى في الجهاد الذى هو فرض كفاية ـ للعبد أن يخرج بغير إذن سيده ، وللزوجة أن تخرج بغير إذن زوجها ؛ لأن خدمة المولى ، والقيام بحقوق الزوجية ، كل ذلك فرض عين ، فكان مقدماً على فرض الكفاية ، وكذا الولد لا يخرج إلا بإذن والديه ، أو أحدهما إذا كان الآخر ميتاً ؛ لأن بر الوالدين فرض عين ، فكان مقدماً على فرض الكفاية »(2) .

وبعد هذا النقل عن ملك العلماء « الكاسانى » نعود فنقول : إن هذا هو الجهاد بالنفس أو باليد ، كما أوضحنا آنفاً ، فهو عمل باليد وكيد ، وحركة وتعرض للأخطار .

* **أهمية الجهاد فى الإسلام :**

لأن الأمة الإسلامية أمة جهاد ، ولأن فريضة الجهاد ماضية عليها إلى يوم القيامة ، فقد كان ولا يزال للجهاد فى الإسلام أعظم الأهمية ، تلك الأهمية التى أكدتها كثرة النصوص من الكتاب والسنة ، والتى سقنا منها بعضها ، ونسوق الآن بعضاً آخر ، فنقول :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾(3) .

٢ ـ وقال سبحانه : ﴿ **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما** ﴾(4) .

٣ ـ وقال سبحانه : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾(5) .

٤ ـ وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم**

---

(1) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .
(2) الكاسانى : بدائع الصنائع : ٧ / ٩٨ . السابق .
(3) سورة البقرة : ٢١٦ .
(4) سورة النساء : ٧٤ .
(5) سورة الأنفال : ٦٠ .

لا يفقهون ﴾ [1] .

٥ ــ وقال سبحانه : **﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾** [2] .

٦ ــ وقال سبحانه : **﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾**[3] .

٧ ــ وقال سبحانه : **﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾**[4] .

٨ ــ وقال سبحانه : **﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنهم بنيان مرصوص ﴾** [5] .

وأما الأحاديث النبوية فنسوق منها :

١ ــ روى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ » قلت : بلى يا رسول الله قال : « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد »[6] .

٢ ــ وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ما يعدل الجهاد ؟ قال : « إنكم لا تستطيعون » فردوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » ، فقال فى الثالثة : « مثل المجاهد فى سبيل الله مثل الصائم القائم الذى لا يفتر من صلاة وصيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله »[7] .

٣ ــ وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله

---

(١) سورة الأنفال : ٦٥ . (٢) سورة التوبة : ١٤ . (٣) سورة التوبة : ٢٩ .
(٤) سورة التوبة : ١١١ . (٥) سورة الصف : ٤ .
(٦) الترمذى : صحيحه : ٤ / ١٢٤ ط الكتبى دون تاريخ . (٧) السابق : ٣ / ٨٨ .

ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة[1] ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذُلًّا ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

٤ ــ وأخرج ابن عدى فى الكامل بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الزموا الجهاد تصحوا وتستغنوا » .

٥ ــ وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ، وإن لكل أمة رهبانية ، ورهبانية أمتى الرباط فى نحور العدو » .

٦ ــ وروى أحمد والطبرانى فى الكبير ، وأبو يعلى بسندهم جميعاً ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثت بين يدى الساعة بالسيف ، حتى تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

٧ ــ وروى الإمام أحمد بسنده وكذا أبو داود والنسائى بنفس السند ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق » .

٨ ــ وروى الإمام أحمد بسنده ، عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل فى نفسه صادقاً ، ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحاً فى سبيل الله ، أو نكب نكبة ، فإنها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن جرح به جراح فى سبيل الله ، كان عليه طابع الشهداء » .

٩ ــ وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « والذى نفسى بيده ، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ، ولا أجد ما أحملهم عليهم ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده ، لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم

---

(١) ورواه فى البيوع ، والعيبة أن يبيع الشىء قبل أن يستوفيه ويقله من مكانه أو يبيع الصكوك ، وكل ذلك منهى عنه أو العينة : أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم ، إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به عاجلا . النهاية فى غريب الحديث جـ ٣ ص ٣٣٣ .

أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل » .

١٠ ـــ وروى البخارى بسنده ، عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

١١ ـــ وروى البخارى بسنده عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من جهز غازياً فى سبيل الله تعالى ، فقد غزا ، ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير ، فقد غزا » .

١٢ ـــ وروى النسائى بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس إن من خير الناس رجلاً عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه ، أو ظهر بعيره أو على قدمه ، حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله ـــ تعالى ـــ لا يرعوى بشىء منه » .

١٣ ـــ وروى الترمذى بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس ، فأقمت فى هذا الشعب ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ، وجبت له الجنة » .

وبعد : فإن هذه النصوص الشريفة من الكتاب والسنة ، وغيرها كثير[1] تؤكد أهمية الجهاد فى سبيل الله ، وأن الأمة الإسلامية إذا لم تعط هذه الفريضة حقها ، فقد ضعفت وذلت فى الدنيا ، واستحقت عذاب الله فى الآخرة .

إن الجهاد فى سبيل الله يجب أن يكون شعار المسلمين إلى أن تقوم الساعة .

النوع الثانى : الجهاد باللسان

وهو أنواع :

إن الجهاد فى سبيل الله ، ومن أجل الدعوة إليه باللسان والكلمة ، يمثل المرتكز الأول لنشر الدعوة إلى الله وبثها فى الناس ، موالين كانوا أم معادين .

---

(١) من أراد التوسع فعليه بباب الجهاد فى معظم كتب السنة الصحاح وعليه برسالة للإمام الشهيد حسن البنا هى « رسالة الجهاد » .

ولقد قامت الدعوة الإسلامية فى بدايتها على الكلمة ، بل كان ذلك ، شأن كل دين ، نزل به كتاب سماوى ، على رسول من رسل الله ، قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ (١) .

فهو كتاب الله يجب أن يبلغ إلى عباده ، وهذا البلاغ أو البيان والتبيين ، واجب الرسل عليهم السلام وواجب كل داعية إلى الله من أمة محمد ﷺ .

واجبٌ واجبُ الأداء ، لا يخشى فيه مؤديه لومة لائم ، ولا سطوة ظالم أو غاشم ؛ لأن الله حسيب من يبلغون عنه ، وهو مثيبهم على تبليغهم وكافيهم ، قال تعالى : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا ﴾(٢) .

هكذا كان شأن دعوة الإسلام على لسان محمد ﷺ ، بدأت بأمر من الله لرسوله ﷺ ، بأن يقرأ ويتأمل فى الكون من حوله ، مما خلق الله ، و بخاصة فى خلقه للإنسان من علق ، ويتأمل فى قدرة الله على تعليم الناس الكتابة والقراءة ، وتعليمهم ما لا يعلمون ، وطالبه بأن يتأمل فى نوع من الناس ، وذلك الإنسان الذى يطغيه المال والقوة ، فيتحدى الحق ويمارى ويعاند ، ويصد عن دعوة الله .

طالب الله رسوله بأن يقرأ فى صفحة الكون ؛ ليرى هذا كله مما خلق الله .

ولما أراد لنبيه أن يجاهد قومه بالكلمة ، أمره أن ينذر أقرب الناس إليه ، وهم عشيرته ، فهم أدعى الناس ، لأن يستجيبوا له ، فنزل عليه قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾(٣) .

ثم وسع له دائرة الدعوة بالكلمة ، فأمره أن يصدع — أى يجهر ويعلن — بالحق الذى أنزل إليه ، معرضاً عن كل المغريات التى أغراه بها المشركون ليكف عن دعوته ، موقناً وهو ماض فى سبيل الدعوة الشاق ، الملىء بالعقبات والتحدى ، بأن الله سوف يكفيه ويحفظه ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلـٰها آخر فسوف يعلمون** ﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٩ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٤) سورة الحجر : ٩٤ — ٩٦ .

ثم استمر أمر الله لرسوله ، بأن يدعو ، ويجاهد فى سبيل الدعوة ، بالكلمة واللسان ، ثلاثة عشر عاماً ، فى مكة المكرمة ، قبل أن يأمره بالدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيلها بالسيف ، بعد انتقاله إلى دار الهجرة ، المدينة المنورة .

فكان مما أنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (١) .

فأوجب عليه أن يكون سبيله فى الحياة ، هو الدعوة إلى الله ، وأوجب ذلك على كل من اتبعه ، واشترط عليه ، وعلى الدعاة أن تكون الدعوة إلى الله على بصيرة ، أى : علم ومعرفة ، ويقظة قلب ، وانفتاح فكر وعقل .

بل جعل الله تبارك وتعالى الجهاد فى سبيله باللسان ، من أحسن ما يقدمه المسلم ، من قول وعمل وإعلان ، فقال سبحانه : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾(٢) .

ومن البصيرة فى الدعوة إلى الله ، اتباع الأساليب التى حددها الله فى الدعوة إليه ، والتى تتضح فى الآيات الكريمة التى ختمت سورة النحل ، وهو قوله تعالى ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾(٣) .

وسوف نوضح هذه الأساليب ، ونحن نتحدث عن وسائل الدعوة ، وأساليبها ، بعون الله تبارك وتعالى .

والجهاد فى الدعوة إلى الله بالكلمة واللسان ، يتنوع إلى أنواع عديدة ، لا يغنى بعضها عن بعض ، وإنما يجب أن تتوازى ، وأن تواكب مراحل الدعوة ، وأولويات كل مرحلة .

وكان يسعنا أن نعدد هذه الأنواع فى إجمال ، يقتصر على أسمائها ، ثم تلتمس فى مظانها من المراجع ، ولكننا آثرنا أن نفصل بعض التفصيل ؛ لأن الكتاب موجه إلى الدعاة العاملين فى حقل العمل الإسلامى ، ــ ونحن نعلم أن أعباءهم ثقيلة ــ ففصلنا لهم الحديث فى

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .   (٢) سورة فصلت : ٣٣ .   (٣) سورة النحل : ١٢٥ ــ ١٢٨ .

هذه الوسائل ؛ لعلها تغنى بعضهم عن الرجوع إلى المراجع والمظان .

وهذه الأنواع للدعوة بالكلمة واللسان هى :

١ ـــ الخطبة ،

٢ ـــ والمحاضرة ،

٣ ـــ والدرس ،

٤ ـــ والمناظرة ،

٥ ـــ والرسالة ،

٦ ـــ والمقالة ،

٧ ـــ والكتاب ،

ولكل منها حديث مناسب بإذن الله تعالى بعد قليل .

الأصول الشرعية للجهاد بالكلمة :

والأصل الشرعى فى الدعوة بالكلمة قول الله تعالى فى الآيات التى ذكرناها فى بداية حديثنا ، عن الجهاد باللسان وهى :

الآية ذات الرقم : ١٨٧ من سورة آل عمران .

والآية ذات الرقم : ٣٩ من سورة الأحزاب .

والآية ذات الرقم : ٢١٤ من سورة الشعراء .

والآيات ذوات الأرقام : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ من سورة الحجر .

والآية ذات الرقم : ١٠٨ من سورة يوسف .

والآية ذات الرقم : ٣٣ من سورة فصلت .

والآيات ذوات الأرقام : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ من سورة النحل .

ونضيف إلى ذلك الأحاديث النبوية الشريفة التالية :

١ ـــ روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علىّ متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار »[١] .

---

(١) الترمذى : صحيحه : ٤ / ١٤٧ .

٢ ــ روى الترمذى بسنده ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »(١) .

٣ ــ وروى البخارى بسنده ، عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » متفق عليه(٢) .

٤ ــ وروى البخارى بسنده ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ، ويعلمها » متفق عليه(٣) .

٥ ــ وروى البخارى بسنده ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً : فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها ، وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هى قيعان : لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثلُ من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلّم : ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » متفق عليه(٤) .

٦ ــ ورى الإمـام مسلـم بسنـــده ، عن أبى هريــرة رضى الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا »(٥) .

٧ ــ وروى الترمذى بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الدنيا ملعونة ــ أى بعيدة عن الله تعالى ــ ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالماً أو متعلماً »(٦) .

٨ ــ وروى الترمذى بسنده ، عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) السابق : ٤ / ١٤١ .

(٢) الإمام النووى : رياض الصالحين : ٤٨٥ ط دار الكتاب العربى بيروت ــ دون تاريخ .

(٣) السابق : ٤٨٥ .

(٤) السابق : ٤٨٦ .

(٥) الإمام النووى : رياض الصالحين : ٤٨٧ .

(٦) السابق : ٤٨٧ .

« فضل العالم على العابد ، كفضلى على أدناكم » ثم قال ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل السمٰوات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلّمِى الناس الخير »(١) .

٩ — وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار »(٢) .

١٠ — وروى أبو داود بسنده ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضا بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السمٰوات ، ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »(٣) .

كل هذه النصوص الإسلامية ، تؤكد أهمية التبليغ بالكلمة ، والعلم والتعلم والتعليم ، فى مجال الدعوة إلى الله ، وفى الوقت نفسه ، توجب الدعوة إلى الله بالكلمة واللسان ، على كل قادر عليها .

ولنتحدث فيما يلى عن كل نوع من أنواع الجهاد بالكلمة واللسان ، على النحو الذى وعدنا به ، فنقول ومن الله نستمد العون والتوفيق .

---

(١) السابق : ٤٨٨ .　(٢) السابق : ٤٨٨ .　(٣) السابق : ٤٨٨ .

النوع الأول : الخطبة

وهى لون من ألوان القول ، يحشد له الخطيب من الأسباب مايمكنه من التأثير فى سامعيه ، وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق :

الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين .

والإمتاع بحسن اختيار الكلمات ، وجميل العبارات ، وملائم الإشارة ، والدقة فى اختيار الموضوع الذى يشد اهتمام الناس ، مع حسن سمت الخطيب ، وجميل صوته ، وقدرته على إجادة فَنَّى الوصل والفصل فى الكلام .

ولقد كانت الخطابة فى الإسلام — وماتزال — من أهم وسائل الدعوة إلى الله باللسان ، بل لا نجاوز الحق كثيراً إذا قلنا : إنها أهم وسائل الدعوة إلى الله .

ولئن كان للعرب قبل الإسلام خطابة وخطباء مشاهير ، إلا أن الإسلام أحدث فى الخطابة تغييراً يكاد يكون شاملاً فى : موضوعاتها ، وألفاظها ، وخصائصها كلها .

وإذا كان الجو الذى تنتعش فيه الخطابة ، هو جو الحرية فى التعبير أو الحرية عموماً — أو ما يسمونه اليوم بالديمقراطية — فإن الإسلام قد كفل من هذه الحرية قدراً كبيراً ، جعل لأصغر أو أقل فرد فى المجتمع ، أن يراجع رئيس الدولة أو أمير المؤمنين ، مادام على حق فى هذه المراجعة ، دون خوف أو رهبة من سلطانه وإذا كان الناس فى الجاهلية — قبل الإسلام — قد عاشوا هذه الحرية ، فأبوا بفطرتهم أن يستبد بهم أحد ، فضلاً عن أن يستعبدهم بجاهه أو سلطانه ، إلا أن يعجزوا ويتحكم فيهم ظالم أو جبار ، فإن الإسلام دعم حرية الإنسان ، بأن كان حربا على الظالمين والطغاة ، وحرر العبيد ، أو من كانت قد ضربت عليهم العبودية فى حرب أو غارة — حررهم تقرباً بذلك إلى الله أو كفارات — لذلك ازدهرت الخطابة ، ووجدت أنسب الموضوعات وأحسن الظروف .

وإذا كانت الخطابة الجيدة تنبع من شعور الخطيب الفياض ، وحماسه الدافق ، وعاطفته الجياشة ؛ إذ الأصل فى الخطابة الجيدة ، أن ينقل الخطيب ما فى قلبه من المشاعر ، إلى قلوب الناس ، وما فى عقله إلى عقولهم ، إذا كان الأمر كذلك — وهو كذلك بالفعل — فإن الإسلام ملأ قلوب الناس عموماً ، والخطباء على وجه الخصوص بمشاعر إيمانية فياضة ، وحماسة دافقة للحق الذى آمنوا به ، والدين الذى اعتنقوه ، فكانوا

بذلك دعاة إلى الله ، منافحين عن الحق فازدهرت لذلك الخطابة فيهم أيما ازدهار .

وإذا كانت المجادلات والمحاورات ، ووسائل الإقناع من حجة ومنطق وبرهان وشاهد ، هى اللبنات التى تقوم عليها الخطابة ، فإن الإسلام علم الناس أصول الجدل للوصول إلى الحق ، وعلمهم كذلك كيف يحتجون ، وكيف ينافحون عن الحق الذى يدعون إليه ، وكان القرآن الكريم مدرسة فى مناهج الجدل الذى يستهدف إظهار الحق ، فانتقلت الخطابة بالإسلام والمسلمين إلى طور أحسن ، ومستوى أرفع ، بكل مقياس من مقاييس فن الخطابة .

وإذا كانت بساطة الأسلوب ، سمة بارزة من سمات أصالة الخطابة وقوتها ، وكان التقعر فى الكلام والمعاظلة فيه ، والتكلف فى البلاغ ، علامة ضعف فى الخطابة ، وركاكة فى الخطبة ، فإن الإسلام علم الناس بالقرآن الكريم ، وبأحاديث النبى ﷺ ، كيف يختارون الأسلوب السهل الميسر ، ولا يتعاظلون فى الكلام ، ولا يغربون فى الألفاظ والمعانى .

ولم يكتف الإسلام بذلك ، وإنما حدث نهى مباشر من رسول الله ﷺ ، عن التكلف والمعاظلة ، وتزويق الكلام ، حتى لا يكون كسجع الكهان ، وعن التقعر والتفصح والتشدق والفيهقة ـــ كل ذلك فى أحاديث صحيحة ـــ فجاءت الخطابة الإسلامية ، خالية من كل هذه العيوب ، نابعة من القلب ، داخلة فى القلب ، فى أسلوب سهل ميسر ، مقنع للعقل ، فارتقت وازدهرت .

وإذا كانت آفة الخطابة التطويل خشية الإملال ، فإن الإسلام حارب المبالغة كلها فى كل شىء ، وحاربها فى الخطابة ـــ إلا لضرورة ـــ وفى خطب الرسول ﷺ ، المنقولة إلينا ، ما يؤكد ذلك ، بل وفى وصاته للخطيب بالاختصار والتركيز ، فى قوله وهو يوصى الخطيب ، بأن يطيل صلاته ، ويقصر خطبته ، وجعل ذلك فى الإسلام دليلاً على فقه الرجل فى دينه .

وقد تنوعت الخطابة فى الإسلام ، إلى أنواع عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـــ خطبة الجمعة .

٢ ـــ خطبة العيدين .

٣ ـــ خطبة الحض على الجهاد فى سبيل الله .

٤ ـ خطبة المحافل والوفود ، كخطب الوفود التى وفدت على النبى ﷺ ، ورد خطباء النبى عليهم .

٥ ـ خطب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كلما دعت إلى ذلك حاجة .

٦ ـ خطبة السياسة كخطبة السقيفة .

٧ ـ خطبة الوصية كما كان يخطب رسول الله ﷺ فى أمرائه وقواده على الجيوش .

٨ ـ خطبة النكاح .

٩ ـ خطبة المناظرة والجدل ، كخطب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى الخوارج وغيرهم .

١٠ ـ خطبة المناسبة الخاصة ، كخطبة الرسول ﷺ ، بعد أن صلى صلاة الكسوف ، إذ قال بعض الناس : إن الشمس قد كسفت لموت إبراهيم بن محمد ﷺ .

وقد تميزت الخطابة فى الإسلام بخصائص ، نحب أن نذكر منها ما يلى :

١ ـ ظهر فيها الطابع الإسلامى وقد تمثل فيما يلى :

أ ـ استهلت بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، والخطبة التى تخلو من ذلك تستهجن ، كما أطلقوا لقب « البتراء » ـ يعنى المقطوعة ـ على كل خطبة لم تبدأ بحمد الله .

ب ـ ووشحت ـ أى زينت ـ بآيات من القرآن الكريم ، كما زينت بالصلاة على النبى محمد ﷺ ، والخطبة التى تخلو من ذلك تستهجن كذلك ، وتلقب « بالشوهاء » أى السيئة .

جـ ـ واقترن حمد الله والثناء عليه فيها بالشهادتين : « شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله » فإذا خلت الخطبة من ذلك ، لقبوها « بالجذماء » أى المقطوعة المعيبة ، كأنها مصابة بالجذام .

د ـ وختمت الخطبة بحمد الله وشكره ، والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ .

٢ ـ كثر فيها الاقتباس من آيات القرآن الكريم ، ومحاولة محاكاة أسلوبه ، يقول الجاحظ فى ذلك : « كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن ، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة وحسن

الموقع »[1] .

فأقبل الناس على حفظ القرآن الكريم ، يزينون بآيه خطبهم فى المحافل والمجامع ، ومن لم يكن حافظاً لشىء من القرآن ، عجز أن تكون خطبته جيدة مؤثرة .

٣ ـــ اتجهت الخطبة إلى الطول نسبياً ، وبخاصة إذا كانت خطبة سياسية تشتمل على حوار وجدال ، وكان ذلك فى الغالب بعد عصر النبى ﷺ ، حين اشتدت الحاجة إلى ذلك .

٤ ـــ بدت فى معظم الخطب قوة العاطفة ، وشدة الإيمان ، ووفرة الحماس ، لما يدعو إليه الخطيب ، فقد كان دائماً أو فى الغالب يدعو إلى خير .

٥ ـــ أصبح أسلوب الخطبة سهلاً مقنعاً ، لا تقعر فيه ، ولا تكلف ولا معاظلة .

٦ ـــ أصبحت المعانى والأفكار جيدة هادفة منسقة متماسكة ، تحذو حذو القرآن والسنة فى الموضوعات التى تتحدث عنها .

وبعد : فتلك معالم فى الخطابة للدعاة إلى الله أرجو أن يستفيدوا بها وأن يلتزموها ما وسعهم .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : ١ / ١١٨ . ط السندوبى .

النوع الثانى : المحاضرة

والمحاضرة أسلوب من أساليب القول ، يجالس فيه المتحدث من يتحدث إليهم ، ويتكلم معهم بما يحضره ـ ولذلك سميت محاضرة ـ ويقال : فلان حسن المحاضرة أى مجيد لحديثه مع الناس ، من حيث تنويرهم وإقناعهم بما يقول .

أولاً : علاج موضوع المحاضرة :

والمحاضرة نوع من الجهاد باللسان والكلمة ، فى سبيل الله ، وفى الدعوة إليه .

والمحاضر يطرح موضوعاً بعينه ، فى محاضرته ، طرحاً علمياً يخضع فيه للأسلوب العلمى فى البحث والتحرى عن الموضوع .

وللمحاضرة أجزاء رئيسية ، يلجأ إليها المحاضر ، الراغب فى الإجادة ، نشير إليها فيما يلى :

١ ـ يقدمْ لموضوع المحاضرة بمقدمة مناسبة تثير اهتمام الناس ، وتجذبهم نحو متابعة المحاضرة .

٢ ـ يعالج موضوع المحاضرة بما يلى :

أ ـ يسرد ملاحظاته على الموضوع .

ب ـ يتتبع الأسباب التى جعلت من الموضوع مجالاً للأهمية .

جـ ـ يبين الأدلة والبراهين ، التى تؤيد وجهة نظره فى الموضوع .

د ـ يذكر وجهات النظر الأخرى المخالفة له ، ويناقشها فى موضوعية وحياد . ثم يرد عليها تأييداً لوجهة نظره .

٣ ـ ينهى محاضرته بتلخيص لأبرز النقاط التى انتهى إليها فى محاضرته ، ولا بأس أن يذكرها مرتبة مرقمة ، حتى يخرج السامع بحصيلة مركزة .

٤ ـ يقدم بعض المقترحات التى يراها ضرورية لموضوع المحاضرة ، والتى لم يستطع الحديث فيها لسبب من الأسباب .

ثانياً : أهداف المحاضرة :

لكل محاضرة هدف أو أهداف ، ما ينبغى أن تغيب عن المحاضر فى تناول أى جزء من أجزاء المحاضرة ، التى ذكرنا آنفاً .

وهذه الأهداف هى :

١ ــ توضيح موضوع غامض من الموضوعات التى تهم جماعة المسلمين ، ولم تتح فرصة لتوضيحه أيا كان هذا الموضوع : اجتماعياً ، أو سياسياً ، أو اقتصادياً ، أو ثقافياً ... إلخ .

٢ ــ تعليل ظاهرة ، أو مشكلة من الظواهر ، أو المشكلات التى يعانى منها مجتمع ما من المجتمعات المسلمة ، بحيث يرد هذه الظاهرة ، أو المشكلة إلى أسبابها التى أدت إليها ، مع ذكر تصور لعلاج هذه الظاهرة أو المشكلة .

٣ ــ الرد على تهمة أو فرية وجهت للإسلام ، فكره ، أو منهجه ، أو تراثه ، أو تاريخه ، أو أى شىء يتعلق بحضارته عموماً .

٤ ــ المعاونة فى إزالة بعض العوائق ، التى تقف فى طريق العمل الإسلامى ، بالبحث عن الأسباب التى أدت إلى هذا العائق ، والعمل على إزالته .

٥ ــ طرح موضوع جديد من مبتكرات المحاضر ، بحيث تكون له علاقة بالعمل الإسلامى ، مع مناقشة أبعاده مع السامعين ، فى حوار مفتوح ، يزداد به الموضوع نضجاً وثراء ، ويدعم فكرة الشورى والرأى الآخر .

ثالثاً : عدة المحاضر وآلاته :

وهى وسائل يستعين بها المحاضر ، لتكون محاضرته على نحو جيد ، قادر على تحقيق تلك الأهداف ، التى أشرنا إليها آنفاً ، وتلك العدة أو الآلات هى :

١ ــ المعرفة الجيدة بالمنهج العلمى فى البحث .

٢ ــ الإحاطة الجيدة بكل ما أثير حول موضوع المحاضرة ، من آراء ومناقشات موضوعية .

٣ ــ الابتعاد ما أمكن عن وسائل إثارة العواطف ؛ لأن ذلك غير ملائم فى أى محاضرة ؛ لأنه ليس من المنهج العلمى ؛ ولأنه يحول بين السامع ، وبين الاقتناع بما ينادى به المحاضر من رأى .

٤ ــ التدقيق فى اختيار موضوع المحاضرة ، بحيث يكون من بين ما يشغل المسلمين فى حاضرهم أو مستقبلهم .

٥ ــ الاهتمام باستعمال الألفاظ العلمية الدقيقة الواضحة الدلالة ، والابتعاد عن الألفاظ

الموهمة ، أو الفضفاضة ، التى تحتمل وجوهاً عديدة ، تضل الحقيقة بين هذه الوجوه فى الغالب .

٦ ــ الابتعاد ما أمكن عن التصوير الخيالى للمعانى ؛ لأن ذلك بعيد ــ إلى حد كبير ــ عن الأسلوب العلمى الذى أوصينا به آنفاً .

ومادام هدف المحاضر هو إقناع السامعين بوجهة نظره ، فإن التصوير الخيالى للمعانى ، يدخل بالمحاضر فى متاهات ، كثيرا ما يجر إليها الخيال

٧ ــ الاهتمام الشديد بأن يكون موضوع المحاضرة ، ولغتها ، والحوار الدائر فيها من جانب المحاضر ، ملائماً لمستوى السامعين ، ولطبائعهم ، وظروفهم الاجتماعية والسياسية والثقافية ، حتى تحقق المحاضرة هدفها ، وحتى يتأسى المحاضر بأدب مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وهو من أبرز علامات التوفيق فى المتكلم أيا كان نوع كلامه .

وبعد : فهذا ماأوصى به الدعاة إلى الله ، وهم يحاضرون داعين إلى الله ، وإن فيه لخيراً كثيراً بإذن الله تعالى .

النوع الثالث : الدرس

وهو دعوة إلى الله بالكلمة عن طريق حلقة تعقد مع عدد من الناس حضروا إلى من يدرس قصدا فى المسجد ، أو فى أى مكان ملائم .

والدرس وسيلة هامة من وسائل تفقيه الناس فى أمور دينهم ودنياهم ، كما أنه وسيلة جيدة لإيجاد علاقات وروابط بين المهتمين بشئون دينهم من الناس علماء ومتعلمين .

وسوف يكون حديثنا عن الدرس متناولاً للنقاط التالية :

١ ـــ موضوع الدرس :

لابد أن يختار موضوع الدرس بدقة وعناية ، بحيث يحقق ملاءمة ، ويثير اهتماماً بالنسبة للظروف التالية :

أ ـــ نوعية المستمعين ومستواهم الثقافى .
ب ـــ طبيعة الموضوع نفسه ، من حيث صعوبته وسهولته .
جـ ـــ طبيعة الزمان والمكان الذى يلقى فيه الدرس .
د ـــ مدى اهتمام الناس بالموضوع ، وإقبالهم عليه .
هـ ـــ أسلوب العلاج للموضوع ، وطريقة عرضه من الناحيتين ، العلمية والفنية .
و ـــ ضرورة اختيار موضوع الدرس من المواد التالية :

أولاً : القرآن الكريم من حيث :

١ ـــ تجويده وآداب تلاوته .
٢ ـــ علومه وأصول تفسيره .
٣ ـــ تفسيره .

ثانياً : السنة النبوية المطهرة من حيث :

١ ـــ متن الحديث وضبطه .
٢ ـــ علوم الحديث وأصوله .
٣ ـــ شرح الحديث .
٤ ـــ فكرة مبسطة عن أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمجاميع .

ثالثاً : السيرة النبوية المطهرة من حيث :

ـــ قراءتها من كتاب جيد معتمد .

٢ ـــ شرحها وأخذ العبرة منها .

٣ ـــ فكرة عن أشهر كتب السيرة النبوية وأشهر المؤلفين فيها .

رابعاً · الفقه الإسلامى من حيث :

١ ـــ فكرة عامة عنه ، وعن نشأته .

٢ ـــ أبرز الأئمة فيه .

٣ ـــ دراسة عدد من موضوعات العبادات .

٤ ـــ دراسة عدد من موضوعات المعاملات .

٥ ـــ دراسة الحدود .

٦ ـــ دراسة المواريث .

خامساً : التاريخ الإسلامى من حيث :

١ ـــ أشهر كتبه وأشهر مؤلفيه .

٢ ـــ اختيار كتاب منه لدراسة موضوع أو أكثر فيه .

٣ ـــ فكرة عن التاريخ الإسلامى على يد من شوهوه من أعداء الإسلام .

سادساً : تاريخ الصحابة من حيث :

١ ـــ كتبة الوحى منهم .

٢ ـــ العشرة المبشرون بالجنة منهم .

٣ ـــ الخلفاء الراشدون .

٤ ـــ أشهر رواة الحديث منهم .

٥ ـــ عدد من القواد منهم .

سابعاً :أى موضوع علمى ، أو اجتماعى ، أو سياسى ، أو اقتصادى : يرى الداعية حاجة الناس إليه ، ويراعى فيه الدقة والعناية فى اختياره .

٢ ـــ جمهور الدرس :

يختلف جمهور الدرس عن جمهور الخطبة اختلافاً بينا ، من حيث الاعتبارات التالية :

أ ــ جمهور الدرس ، قليل العدد بالنسبة لجمهور الخطبة .

ب ــ جمهور الدرس ، أتى قاصدا الدرس ، وجمهور الخطبة قد يكون قاصداً لها ، أو غير قاصد .

جـ ــ جمهور الدرس يقل فيه العاميون ، ممن لا يحسنون القراءة والكتابة ، بينما جمهور الخطبة قد يكثر فيه هؤلاء العاميون ؛ لأنهم فى الأصل يقصدون الصلاة .

د ــ جمهور الدرس تتاح لهم فرصة المناقشة والحوار مع من يدرس لهم ، بينما هذا غير متاح مع جمهور الخطبة ــ وإلاّ وقعوا فى سوء أدب مقاطعة الخطيب ــ .

هـ ــ جمهور الدرس بحاجة إلى الألفاظ والعبارات المحددة الواضحة الهادئة المقنعة المعتمدة على البرهان والشاهد ، بينما جمهور الخطبة قد يحتاجون إلى إثارة الحماس والعواطف فى مواقف معينة ، كالخطب السياسية مثلاً .

٣ ــ لغة الدرس :

تتميز لغة الدرس لكى ينجح ويؤدى وظيفته إلى عدة صفات أهمها :

أ ــ اللغة السهلة فى ألفاظها الخالية من كل غريب فى اللفظ ، أو فى المعنى ، ومن كل مهجور من الكلمات

ب ــ العبارات الواضحة القادرة على نقل المعنى إلى ذهن السامع ، دون إسراف فى التزويق والتحسين ؛ لأن ذلك يكون فى الغالب على حساب المعنى ، ودرجة وضوحه .

جـ ــ التزام الفصحى لغة القرآن ما أمكن ذلك ، مع الاستعانة أحياناً ببعض العبارات العامية ؛ ليزداد المعنى وضوحاً فى ذهن بعض السامعين الذى ليس لهم حظ من التعليم كبير ، ولكن ذلك لابد أن يكون قليلاً ؛ لأنه قل من يقصد الدرس من غير المتعلمين .

د ــ الاقتباس من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية المطهرة ، ومن مأثور ما قاله الصحابة ، رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح .

هـ ــ الاستشهاد بالأمثال والقصص القرآنية ، وقصص السنة النبوية ، والسيرة المطهرة ، فذلك أبسط فى لغة الدرس ، وأيسر تقبلاً عند الناس ، ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[1] .

---

(١) سورة القمر : ٢٢ .

٤ ـــ أهداف الدرس :

نريد أن ندفع وهما يجول فى أذهان بعض الناس ، وهو أن الداعية إلى الله عندما يلقى درساً ، يكون هدفه فقط ، مجرد تفهيم الناس محتوى الدرس وموضوعه ، فذلك واحد فقط من أهداف الدرس الذى يلقيه داعية إلى الله يعرف طريقه ومكانه فى العمل الإسلامى .

ولكن مع هذا الهدف ، أهداف أخرى للدرس ، نشير إليها فيما يلى :

أ ـــ التعرف ـ من خلال الدرس ـ على الناس ، وتوثيق الصلة بهم ؛ إذا كان عددهم يسمح بذلك ، ومحاورتهم وسؤالهم والإجابة على أسئلتهم ، تتيح هذه الفرصة ، التى يبحث عنها الداعية إلى الله ، بل يرحل إليها .

ب ـــ التأثير فى الناس ، وربطهم بالعقيدة الإسلامية ومبادئها ، لا بشخص من يدرس لهم .

جـ ـــ تقرير مفاهيم خاصة بالإسلام فى نفوس الناس ، وتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة ، مما يبثه أعداء الإسلام فى الناس .

د ـــ غرس القيم الفاضلة ، والأخلاق الإسلامية فى نفوس الناس ، من خلال ما يثار فى الدرس من مسائل وقضايا ، وتلك مهمة لا يجيدها إلا الدعاة إلى الله ـــ لا المحترفون ممن يؤدون الدرس وظيفة ، ويؤجرون عليها إلا من عصم الله .

هـ ـــ تعويد الناس أدب الإسلام فى الحوار ، متى يسأل السائل وكيف ؟ ومتى يناقش وكيف ؟ ومتى يعترض وكيف ؟ ومتى يكمل ويستكمل وكيف ؟ ومتى يرفضون الرأى الآخر وكيف ؟

و ـــ استطلاع آراء الناس فى كثير من القضايا والمسائل ، التى تشغل الرأى العام الإسلامى فى أى مكان ، بل فى كل مكان ، إن كانوا أهلاً لمثل هذا الاستيعاب.

٥ ـــ مُعد الدرس :

وهو الداعية إلى الله ، وكيف يعد هذا الدرس ، وماذا يلزمه من مصادر ومراجع ، وألوان ثقافة دينية وإسلامية ، وعامة وخاصة ، ومتخصصة ، وماذا يلزمه من قدرات ومهارات واستعدادات .

وهل هناك قائمة لموضوعات معينة ، نختار منها الدروس ، أم أن كل بيئة ، وكل قوم ،

وكل مجتمع من مجتمعات المسلمين ، له ما يناسبه من موضوعات الدروس ، بل له ما يناسبه من طرق عرضها ؟

كل ذلك لازم وضرورى ، وهو ما سوف نتحدث عنه بتفصيل بعون الله تعالى فى الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب وهو باب : فقه الداعى إلى الله .

النوع الرابع : المناظرة

هى حوار يقوم بين اثنين أو أكثر ، حول قضية من القضايا ، يبدى كل طرف من أطراف الحوار وجهة نظره فى الموضوع المطروح للمناظرة ، بهدف إحقاق الحق ، والدفاع عنه بالحجة والبرهان .

والمناظر هو الذى يجادل ويحاج ، ويؤيد ما يذهب إليه من رأى بالأدلة والبراهين ــ **والأصل فيه أن يكون هدفه إظهار الحق ، وتأييده ، فإن كان يناظر للجدال وشهوة التغلب** على الخصم فذلك باطل نهينا عنه شرعاً ، فقد روى الترمذى بسنده ، عن أبى أمامة ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون** ﴾ [1] .

أما الجدال لإظهار الحق ، فمحمود ، بل مطلوب فى مجال الدعوة إلى الله ، بل وسيلة من وسائلها ، ولكن الله سبحانه قيده بأن يكون جدالاً بالتى هى أحسن ، قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[2] .

وإذا كانت المناظرة ــ فى الإسلام ــ مجادلة ومحاورة تستهدف إظهار الحق ، والاستدلال عليه ، فإن الداعية إلى الله فى حاجة إلى هذا النوع من الجهاد بالكلمة واللسان ، يؤيد به الحق الذى يؤمن به ، ويبطل به الباطل الذى يقف فى طريقه ، وهذا وذاك من أهداف الدعاة إلى الله .

وحديثنا عن المناظرة يتناول النقاط التالية :

أولاً : أهداف المناظرة :

إن المناظرة المقبولة فى الإسلام ، إنما تقبل ؛ لأن لها أهدافاً ، شرعها الإسلام ، ورضى عنها ، وهذه الأهداف فى تصورنا هى :

١ ــ إظهار الحق فى قضية من القضايا ، التى تتصل بظروف المسلمين ، وتمثل أهمية ما فى

---

(١) الترمذى : صحيحه . ٥ / ٥٥ ط الفجالة الجديدة ــ القاهرة والآية الواردة فى الحديث هى ذات الرقم ٥٨ من سورة الزخرف .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

حياتهم ، مع إقامة الحجة والبرهان على وجه الحق فيها .

٢ ــ إبطال حجج الخصوم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين ، ويتصدون للعمل الإسلامى ، يقيمون أمامه العراقيل ، لكن بشرط أن يكون إبطال هذه الحجج بالطريقة التى وصفها الله تعالى بأنها : ﴿ **بالَّتى هى أحسن** ﴾ كما وردت فى الآية السابقة

٣ ــ إثراء الفكر والثقافة وتعميقها بالنسبة للسامعين ، بطرح القضايا والمسائل التى لا تزال موضع جدل ونقاش بين الناس ، حتى يصل المناظرون فيها إلى رأى صائب ونافع .

ثانياً : موضوع المناظرة :

لكى تكون المناظرة مثرية نافعة ، بل جادة مستهدفة إظهار الحق ، يحسن أن يختار موضوعها بعناية ، وفى تصورنا أن موضوع المناظرة يستحسن أن يكون من تلك الموضوعات التى نقترح أو قريباً منها . وهى :

١ ــ مسألة أو قضية من مسائل العمل الإسلامى عموماً ، أو قضايا الدعوة الإسلامية على وجه الخصوص فى أى قطر من أقطار المسلمين ، أيا كان نوع هذه المسألة أو القضية ، مادام التناظر فيها يحقق مصلحة للمسلمين فى دنياهم وآخرتهم .

٢ ــ مشكلة تتضارب فيها الآراء ، ولم ينته فيها أصحاب الآراء إلى رأى حاسم ؛ بقصد الوصول إلى هذا الرأى الحاسم .

٣ ــ بعض معوقات العمل الإسلامى بعامة ، أو بعض معوقات الدعوة الإسلامية بخاصة ، لتحليلها ، والوصول فيها إلى أسلوب للتغلب عليها وإزالتها .

٤ ــ تحديد موقف الإسلام والمسلمين من تيار بعينه من التيارات المعادية للإسلام ، أو التيارات التى تتذبذب بين تأييد ومعارضة ، ليعرف المسلمون من لهم ومن عليهم .

٥ ــ التناظر حول أسلوب العمل الإسلامى الملائم لقطر من الأقطار الإسلامية ، والوسائل الملائمة لتحقيق هذا الأسلوب ، مع ضرورة أن يكون المناظرون من القطر نفسه ، أو لهم به وبظروفه إحاطة .

ثالثاً : المناظرون :

ويشترط فيهم ــ من منظور إسلامى ــ أن يكونوا أهلاً للقيام بهذا العمل العلمى

الخطير ، وهذه الأهلية تتمثل فى عدد من الصفات هى :

١ ـــ أن يكون من أهل الاختصاص ، فى الموضوع الذى يناظر فيه ، بل من أهل التعمق فى هذا الاختصاص ، والمكانة المبرزة فيه .

٢ ـــ وأن يكون ممن يعرف عنهم رحابة الصدر ، وسعة الأفق ، وتحمل جدل المجادلين ، وقبول آرائهم ، ثم رد غير الصالح منها بهدوء وموضوعية ، حتى يستبين الحق .

٣ ـــ وأن يكون من الغيورين على دينهم ، وعلى العمل الإسلامى ، وعلى الدعوة الإسلامية وله فى ذلك اهتمام وعناية ، ومن أولئك المؤمنين بوجوب الدعوة الإسلامية ، على كل قادر عليها .

٤ ـــ أن يكون من أصحاب القدرة التعبيرية ، الذين يحسنون اختيار العبارات الدالة ، والكلمات الواضحة ، التى تسعف السامع ، وتساعده على الوصول إلى الحق ، بعرض الحجج والبراهين .

ومعنى ذلك أن يكون بعيداً تماماً ، عن التكلف والتقعر والتفصح والمبالغة والإغراب والتعقيد .

٥ ـــ لا بأس أن يشارك فى المناظرة بعض أصحاب الجاه والمنصب ، بل السلطة فى بعض الأحيان ، مادام قد عرف عنهم أنهم من أصحاب الأمانة والتقوى والحرص على إظهار الحق .

رابعاً : جمهور المناظرة :

الأصل فى هذا الجمهور أن يكون قد اختير بدقة وعناية ، بحيث يكون قادراً على متابعة الآراء ، ووجهات النظر المطروحة ، بل قادراً على استيعاب ما يثار من جدل ، وما يقدم من حجج وأدلة وبراهين .

ولو كان فى الإمكان أن يختار الجمهور ، ممن لهم اهتمام خاص بالقضية أو المسألة المطروحة للتناظر ، فإن ذلك يكون أجدى وأنفع .

أما جمهور المناظرة الذى يحشد ليملأ المقاعد فحسب ، بغض النظر عن مستواه وقدراته ، فإنه لا يستفيد شيئاً ، بل قد يسىء بوجوده إلى المناظرين أنفسهم .

النوع الخامس : الرسالة

وهى فن الكتابة إلى الغير ، ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة ، أو محاولة عقد صلة بين الكاتب وبين من كتبت الرسالة إليه ، صلة مودة فى الله وأخوة فيه .

والرسالة بهذا التحديد ، وسيلة جيدة من وسائل الدعوة إلى الله ، يلجأ إليها الذين وهبهم الله القدرة على التعبير الجميل عن المعنى النبيل .

أولاً : أهميتها :

ولابد لنا قبل الحديث عن الرسالة أن نعترف — آسفين — بأن هذا النوع من الكتابة قد قل شأنه عند المسلمين اليوم ، مع أهميته وفاعليته ، وقدرته على إحداث أوثق الروابط بين الكاتب ، ومن يكتب إليه .

ودليلنا على ذلك طرح عدد من الأسئلة تؤكد الإجابة عليها صدق ما ادعيناه من أن الرسالة قد أهملت فينا وقل شأنها ... هذه الأسئلة هى :

١ — مَنْ من المسلمين اليوم ، يكتب رسالة لأحد ، يدعوه فيها إلى الدخول فى الإسلام ؟ إن كان من غير المسلمين ؟

٢ — مَنْ منا يكتب رسالة لصديق أو زميل ، يدعوه فيها إلى الخير ، وإلى الالتزام بالإسلام وأخلاقه ، وإلى التعاون معه فى هذه السبيل ؟

٣ — مَنْ يكتب رسالة إلى معاند أو مكابر ، يحاول أن يجادله عبر الرسالة بالتى هى أحسن ، لينبهه إلى الحق والصواب ؟

٤ — مَنْ منا — وبخاصة العلماء بالشريعة — يكتب رسالة لواحد من الذين يعملون على تشويه الإسلام ، ومنهجه فى الحياة ، ورجاله ومصلحيه ، يحاول أن يقنعهم بالخطأ الذى هم عليه ، والصواب الذى يجب أن يذهبوا إليه ؟

٥ — مَنْ تلك الدولة المسلمة اليوم التى تكتب لغيرها من الدول غير المسلمة تدعوها فى هذه الرسالة إلى الدخول فى الإسلام بعد أن تعرض عليها الإسلام عرضاً جيداً ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة معروفة وتدل على أن شأن الرسالة بيننا قد قل وعملها قد تراجع سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى الدول والحكومات .

مع أن كل ذلك واجب ؛ لأن منطق النبوة « لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حمر النعم » (١) هو المنطق الذى يجب أن يستمر ، فهو الأصوب ، والأنفع ، والأوجب على المسلمين فى كل زمان ومكان .

وإن من الإنصاف للحق أن نقول ـــ بعد أن رأينا بأعيننا ـــ إن بعض أفراد جماعة الإخوان المسلمين كانوا يكتبون رسائل من هذا النوع ـــ رأينا بعضها عند من أرسلت إليهم ـــ بدعوتهم إلى الخير والهدى والاستقامة على دين الله (٢) .

ثانياً : تاريخها :

ولنا فى رسول الله ﷺ ، فى هذا الأمر أسوة ، فقد كان يأمر كتّابه ، بكتابة الرسائل : إلى الملوك ، والرؤساء ، وشيوخ القبائل ، يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وكثير منهم قد استجاب لهذه الرسائل النبوية الكريمة ، ودخل فى الإسلام فأنقذه الله من النار .

ولقد أرسل رسول الله ﷺ ، رسائله إلى العالم كله فى وقته وزمنه ، مما أمكن الاتصال به داعياً إلى الله ، وطالباً الدخول فى الإسلام ، وترك ما سواه .

وقد بلغت كتبه ، ﷺ ، ورسائله أكثر من خمسين رسالة ـــ كما عدتها كتب السيرة والتاريخ الإسلامى ـــ نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـــ كتابه إلى قيصر ملك الروم .
٢ ـــ كتابه إلى كسرى ملك الفرس .
٣ ـــ كتابه إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر .
٤ ـــ كتابه إلى النجاشى ملك الحبشة .
٥ ـــ كتابه إلى الحرث بن أبى شمر الغسانى .
٦ ـــ كتابه إلى هوذة بن على الحنفى .
٧ ـــ كتابه لأسقف بن الحرث بن كعب .
٨ ـــ كتابه إلى أساقفة نجران .
٩ ـــ كتابه إلى المنذر بن ساوى .

---

(١) النووى : رياض الصالحين : ٤٨٦ والحديث متفق عليه .

(٢) من هؤلاء الكاتبين لتلك الرسائل : الحاج عباس حسن السيسى . فإن له فيها باعا طويلا نسأل الله أن يأجره على ذلك .

١٠ ــ كتابه إلى أهل هجر .

١١ ــ كتابه إلى أقيال حضرموت .

١٢ ــ كتابه لأهل نجران .

١٣ ــ كتابه لأهل حرب وإذرح .

١٤ ــ كتابه لأهل وقف .

١٥ ــ كتابه إلى يوحنا بن روبة .

١٦ ــ كتابه إلى سراة أهل أيلة .

وقد أحصينا هذه الكتب والرسائل فى كتابنا : عالمية الدعوة الإسلامية (١) .

ثالثاً : نماذج منها :

ومن تمام الفائدة أن نذكر أنموذجاً أو أكثر من رسائله ﷺ ، ليعلم الدعاة إلى الله ، علم اليقين أن الرسالة من أهم وسائل الدعوة إلى الله .

١ ــ رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ، إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : فإنى أدعوك ، بدعاية الإسلام ؛ أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فإنما عليك إثم الأريسيين . ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ » (٢) .

٢ ــ رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

أدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين .

(١) للمؤلف : عالمية الدعوة الإسلامية ط ٣ دار عكاظ ــ السعودية .

(٢) السابق : الجزء الثانى ص ٤٦٩ وما بعدها .

أسلم تسلم ، فإن أبيت ، فعليك إثم المجوس » [1] .

٣ ــ رسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط بمصر .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله** ﴾ [2]

وقد كان كثير من علماء المسلمين ، والدعاة إلى الله ، يرسلون الرسائل إلى بعض الحكام والمسئولين ، يدعونهم فيها إلى الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن المشهور فى هذا المجال :

١ ــ رسالة الأوزاعى إلى أحد عمال بنى العباس على الشام ، فى حقوق أهل الذمة التى أوجبها لهم الإسلام .

٢ ــ رسائل الإمام ابن تيمية وهى كثيرة .

٣ ــ رسائل الإمام البنّا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين بمصر عام ١٩٢٨ م وهى كثيرة نذكر منها :

أ ــ دعوتنا .

ب ــ إلى أى شىء ندعو الناس .

جـ ــ نحو النور .

د ــ إلى الشباب .

هـ ــ دعوتنا فى طور جديد .

و ــ الإخوان المسلمون تحت راية القرآن .

ز ــ بين الأمس واليوم .

ح ــ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى ، وقد اشتملت هذه الرسالة على موضوعين هامين هما :

ــ نظام الحكم فى الإسلام .

(١) السابق : ٢ / ٤٧١ .

(٢) السابق : ٢ / ٤٧٣ .

ـــ النظام الاقتصادى .

وكل تلك الرسائل عامة ، وجهها إلى الشباب ، وإلى الحكومات ، وإلى عموم الناس ؛ ومنهم الإخوان المسلمون .

وهناك رسائل خص بها الإخوان دون سواهم ، وهى رسائل جامعة مثل :

أ ـــ رسالة المؤتمر الخامس .

ب ـــ رسالة المؤتمر السادس .

جـ ـــ رسالة الجهاد .

د ـــ رسالة الأسر .

هـ ـــ رسالة التعاليم .

وهناك ـــ كما أشرنا من قبل ـــ عدد من أفراد جماعة الإخوان المسلمين ، مارسوا كتابة الرسائل العامة والشخصية ؛ انطلاقاً من أن جماعة الإخوان المسلمين ، جماعة سلفية تقتدى بما كان عليه السلف الصالح فى هذا المجال ، مؤمنين بأهمية هذه الرسائل ، وجدواها كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله [1] .

ولابد لى أن أؤكد أن حاجة العالم اليوم ، ملحة إلى أن يعود فن الرسالة إلى ماكان عليه فى عهد النبوة ، وعهد السلف الصالح ، بعرض الإسلام على غير المسلمين ، وعرض الخير والهدى والاستقامة على من ينقصهم ذلك من المسلمين ، فإن ذلك عمل يرضى الله تبارك وتعالى ، ويوثق الروابط بين المسلمين .

وبهذا يصبح هذا اللون من الجهاد بالكلمة واللسان والرسالة ، قد سد الثغرة التى يجب أن يسدها فى مجال العمل الإسلامى والدعوة إلى الله .

---

(١) أوجه دعوة إلى كل من كانت لديه رسالة من هذه الرسائل جاءته من أحد أفراد الجماعة أن يرسلها إلىّ على العنوان التالى : ١٠ ش نجيب بسيونى النزهة ـــ مصر الجديدة ـــ القاهرة لإعداد كتاب حولها كحركة اهتمام بهذه الوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

النوع السادس : المقالة

وهى فن من فنون القول كالرسالة وغيرها ، ولون من ألوان الجهاد بالكلمة واللسان .

وهى وسيلة جيدة ، لعرض الفكرة والمشاعر فى موضوع من الموضوعات الهامة ، بأسلوب متقبل جذاب .

وقد كان لأسلافنا فى هذا المجال نصيب جيد ، نسأل الله أن يجزيهم عنه خير الجزاء .

أولاً : مكانتها :

وفى عصرنا هذا ـ وبعد انتشار الصحافة فى مستهل القرن العشرين الميلادى ، الرابع عشر الهجرى ـ أخذت المقالات الصحفية مكاناً بارزاً فى التوجيه والإقناع ، وأخذت هذه المقالات تعالج كثيراً من الموضوعات التى تحتاج إلى علاج .

وتنوعت المقالات ما بين مقالات اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وتربوية ، وفكرية ، وعلمية ، فضلاً عن الموضوعات الدينية البحتة ، التى تمثل بحوثاً ودراسات منهجية فى كثير مما يتصل بالدين .

ولقد أدت المقالة فى هذا العصر أخطر الوظائف وأجلها ، واستخدمها المصلحون والكتاب والدعاة وسيلة هامة من وسائل التأثير فى الناس ، وبخاصة عندما تكتب فى صحيفة يومية ، وتأخذ شكل عمود ثابت المكان ، أو ثابت العنوان ، حتى الأسبوعى من هذه المقالات ، أدى دوراً كبيراً فى الفكر والثقافة والتغيير .

وإذا كانت المقالة إحدى وسائل الجهاد بالكلمة واللسان ، فإن الصحافة اليومية ، والأسبوعية ، والشهرية ، بل الدورية ، جعلت للمقالة ، أكبر الشأن وأجل الأثر .

ثانياً : أبرز كتابها الإسلاميين :

ولقد تبارى كبار الكتاب الإسلاميين فى هذه المقالات ، يكتبون فيها عن موضوعات لها صلة وثيقة بالعمل الإسلامى ، فى مختلف مجالاته التربوية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها ، فأثروا الحركة الفكرية ، وعززوا الانتماء لهذا الدين ، وشجعوا على الالتزام بأخلاقه وآدابه ، ما يشك فى ذلك ، أحد من أهل الإنصاف .

وإن كتابة المقالة الإسلامية الهادفة الداعية إلى صالح الإسلام والمسلمين المبصرة

للمسلمين بكل مايهمهم فى الدين والدنيا ... إن هذه المقالات ذاعت وانتشرت فى عصرنا هذا على يد أعلامها من رجال الإصلاح الإسلامى أمثال :

١ ـــ الشيخ جمال الدين الأفغانى

٢ ـــ والشيخ محمد عبده .

٣ ـــ والشيخ عبد الرحمٰن الكواكبى .

٤ ـــ والشيخ محمد رشيد رضا .

٥ ـــ والمرحوم مصطفى صادق الرافعى .

٦ ـــ والشيخ حسن البنا .

٧ ـــ والأستاذ حسن الهضيبى .

٨ ـــ والشيخ أبى الأعلى المودودى .

٩ ـــ والأستاذ أحمد أنس الحجاجى .

١٠ ـــ والشيخ سيد قطب .

١١ ـــ والمرحوم عبد القادر عودة .

١٢ ـــ والمرحوم صالح عشماوى .

١٣ ـــ والمرحوم عمر التلمسانى .

١٤ ـــ والمرحوم عبد الحكيم عابدين .

١٥ ـــ والمرحوم أحمد حسن الباقورى . وغيرهم كثير .

هؤلاء من الراحلين الذين أفضوا إلى ربهم بما قدموا ، ونشهد أنهم قدموا الكثير ، ونسأل الله لهم خير الجزاء .

ومن الذين لا يزالون يعانون حياة الدعوة الإسلامية :

١ ـــ الشيخ محمد الغزالى .

٢ ـــ والشيخ سيد سابق .

٣ ـــ والشيخ عبد المعز عبد الستار .

٤ ـــ والشيخ عبد المنعم تعيلب .

٥ ـــ والشيخ زكريا الزوكة .

٦ ـــ والدكتور عبد العزيز كامل .

٧ ــ والأستاذ أحمد عبد العزيز جلال .

٨ ــ والشيخ أبو الحسن الندوى .

٩ ــ والأستاذ محمد لبيب البوهى .

١٠ ــ والأستاذ أنور الجندى .

١١ ــ والأستاذ محمد فتحى عثمان .

وغيرهم مما لا نتعمد حصرهم ، فهم كثير وعلى مستوى العالم الإسلامى كله .

ثالثاً : جهود جماعة الإخوان المسلمين فيها :

ولقد أخذ المصلحون من بعد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، يهرعون إلى فن المقالة ، والصحف اليومية والمجلات ، يعبرون فيها عن آرائهم فى الإصلاح ، وفى القضايا الإسلامية العامة ، ينجحون فى ذلك حيناً ، وتستطيع قوى الشر والبغى ، وتحدى العمل الإسلامى ، أن تسكتهم حيناً آخر ، حتى كانت جماعة الإخوان المسلمين ، فكان لها فى مجال الصحافة والمقالات شأن يذكر ، فمنذ البدايات ، وبعد صدور القانون الأساسى للجماعة ، واللائحة الداخلية لها صدرت المقالات والرسائل والصحف والمجلات التالية :

١ ــ رسالة المرشد العام الأولى فى ٥ من شهر رمضان ١٣٤٩ هـ ــ ٢ / ١ / ١٩٣١ م .

٢ ــ ثم رسالة المرشد الثانية فى ٥ من شهر رمضان ١٣٥١ هـ ــ ١٩ / ١٢ /١٩٣٢ م .

٣ ــ مجلة « الإخوان المسلمون » فى إصدارها الأول (وسميت جريدة) ، وصدر العدد الأول منها فى ٢٢ من شهر صفر الخير ١٣٥٢ هـ ــ ٢٤ / ٦ / ١٩٣٣ م . وظلت تصدر حتى ١٢ من شهر رمضان ١٣٥٧ هـ ــ ٤ / ١١ / ١٩٣٨ م .

٤ ــ جريدة النذير ، وقد صدر عددها الأول فى ٢٩ من شهر ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ــ مايو ١٩٣٨ م .

٥ ــ جريدة الخلود ، وقد صدر العدد الأول منها فى ٢٤ من شهر شوال ١٣٥٧ هـ ــ ١٦ / ١٢ / ١٩٣٨ م .

٦ ــ مجلة المنار ــ وكانت للسيد محمد رشيد رضا ــ ثم أوكل الورثة إدارتها إلى المرحوم الإمام حسن البنا وصدر عددها الأول بإشراف الإمام البنا فى غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ ــ ١٨ / ٧ / ١٩٣٩ .

٧ ــ مجلة « الإخوان المسلمون » الأسبوعية فى إصدارها الثانى فى ١٧ من شهر شعبان ١٣٦١ هـ ــ ٢٩ / ٨ / ١٩٤٢ ، وآخر عدد صدر منها فى ٢٦ من شهر المحرم

١٣٦٨ هـ ـ ٢٧٠ / ١١ / ١٩٤٨ م .

٨ ـ جريدة « الإخوان المسلمون » اليومية ، وقد صدر العدد الأول منها فى ٣ من جمادى الاخرة ١٣٦٥ هـ ـ ٥ / ٥ / ١٩٤٦ م ، وكان صدور آخر عدد منها فى ٢ من شهر صفر الخير ١٣٦٨ هـ ـ ٣ / ١٢ / ١٩٤٨ م .

٩ ـ جريدة الكشكول الجديد ، وقد صدرت فى ٩ من شهر صفر الخير ١٣٦٧ هـ ـ ٢٢ / ١٢ / ١٩٤٨ م .

١٠ ـ الشهاب وقد صدرت فى شهر المحرم ١٣٦٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٤٧ م . وصدر العدد الخامس والأخير فى جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ ـ مارس ١٩٤٨ م .

كما كان للجماعة نشاط فى مجال الصحافة غير ذلك ، فأصدرت عدداً من الصحف ، عقب صدور قرار حل الجماعة ١٩٤٨ م وكانت هذه الصحف هى :

١ ـ مجلة المباحث القضائية ـ وكانت مستأجرة ـ وقد صدر العدد الأول منها فى ١٣ من شهر شعبان ١٣٦٩ هـ ـ ٣٠ / ٥ / ١٩٥٠ م .

كما صدر العدد الأخير منها فى ١٥ من ربيع الآخر ١٣٧٠ هـ ـ ٢٣ / ١ / ١٩٥١ م .

٢ ـ مجلة الدعوة فى إصدارها الأول ، حيث صدر العدد الأول فى ٢٢ من شهر ربيع الآخر ١٣٧٠ هـ ـ ٣٠ / ١ / ١٩٥١ م .

٣ ـ مجلة « الإخوان المسلمون » فى إصدارها الثالث ، وقد صدر العدد الأول منها فى ١٧ من شهر رمضان ١٣٧٣ هـ ـ ٢٠ / ٥ / ١٩٥٤ م ورأس تحريرها المرحوم سيد قطب ، وصدر العدد الأخير منها فى ٦ من شهر ذى الحجة ١٣٧٣ هـ ـ ٥ / ٨ / ١٩٥٤ م .

٤ ـ مجلة الدعوة فى إصدارها الثانى ، وقد صدر العدد الأول منها فى شهر رجب ١٣٩٦ هـ ـ يوليو ١٩٧٦ م ، كما صدر العدد الاخير منها فى ذى القعدة ١٤٠١ هـ ـ سبتمبر ١٩٨١ م ثم أغلقت فى مصر فهاجرت إلى الخارج .

٥ ـ مجلة الدعوة فى إصدارها الثالث « بالخارج » ويصدرها « المركز الثقافى الإسلامى بالنمسا » وقد صدر العدد الأول منها فى محرم ١٤٠٢ هـ ـ نوفمبر ١٩٨١ م . ولا تزال تصدر فيما نعلم حتى الآن(١) .

---

(١) انظر : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين . محمد فتحى شعير .

٦ ــ مجلة لواء الإسلام وهى تصدر الآن فى مصر وقد رأس تحريرها المرحوم جابر رزق .

هذه الصحف والمجلات ، حفلت بالمقالات التى تعالج كثيراً من المسائل والقضايا الإسلامية ، ويمكن أن تسمى بحق صحافة إسلامية ، ملتزمة بالإسلام فى كل مجال من مجالاتها ، حتى فى مجال الإعلان .

وقد استطاعت المقالة فى هذه الصحف والمجلات أن تعبر بصدق ــ فى حدود ما أتيح لكتابها ــ عن هموم العالم الإسلامى بين التيارات المعادية ، كما استطاعت فى حدود ما أتيح لها كذلك أن تتحدث عن آمال العالم الإسلامى فى المستقبل القريب والمستقبل البعيد .

وإنما عدّت هذه الصحافة ملتزمة بالإسلام ؛ لأنها لم تخلط بين الدعوة للإسلام وأى شيء آخر فى صحفها ، فليس فيها ــ بعد البحث والتنقيب ــ شيء يؤخذ عليها إسلامياً ، لا من حيث المحتوى والموضوعات ، ولا من حيث نشر أى شيء يعاب على المسلم أن ينشره ، أو يطلع عليه ، ولا من حيث الإعلان ؛ فقد أوصدت بابها تماماً أمام هذه الأمور ، حتى الإعلانات التى تمثل مورداً هاماً للصحف ، التزمت فيها بقبول ما لا يخل نشره بآداب الإسلام وأخلاقياته .

فهى وإن خسرت بنبذ الإعلانات الأخرى أموالاً ، إلا أنها ربحت عند الله أن لا تعين على باطل ، وكسبت رجالاً مؤمنين من الذين لايحبون أن تقع أعينهم على شيء مما حرم الله تعالى .

إن الصحافة التى مارستها جماعة الإخوان المسلمين فى مصر على مدى عشرين عاماً ، قبل أن يصدر قرار حلها فى ١٩٤٨ م فى صحفها ومجلاتها ، تسمى عند المنصفين من الدارسين والمحللين والباحثين ، صحافة إسلامية ملتزمة ، بكل ما تدل عليه كلمة الالتزام من معنى .

وإن الصحافة التى أصدرتها الجماعة بعد قرار الحل ١٩٤٨ م ، وحتى الآن ــ على مدى أربعين سنة الآن ــ صحافة إسلامية ملتزمة كتلك ، فى نظر أىّ باحث منصف من الناس .

وإن هذا وذاك لَرَصيدٌ هائل فى الصحافة الإسلامية ، وهى مراجع ووثائق وأوراق هامة لكل من يريد أن يؤرخ فى هذه الحقبة ــ ستين عاماً ــ للصحافة الإسلامية فى هذا

العصر الذى نعيشه .

رابعاً : الصحافة الإسلامية خارج مصر :

ولقد جذبنا الحديث عن الصحافة فى مصر ، عن الحديث عن صحف إسلامية فى بلاد أخرى غير مصر ، وهى بفضل الله كثيرة وملتزمة كذلك ، ولولا أن يتسع بنا الحديث ، ونحن بصدد الحديث عن المقال كوسيلة للجهاد فى سبيل الله بالكلمة واللسان ـــ لسردنا أسماء هذه الصحف والمجلات ولتحدثنا عن المقالات والكتاب ، ولكن لذلك جهد آخر ، وكتاب آخر غير هذا الكتاب نسأل الله العون على الكتابة فيه .

إنه على أثر مصادرة نشاط جماعة « الإخوان المسلمين » فى مصر عام ١٩٤٨ م ، ظهرت صحف ومجلات ملتزمة بالإسلام فى كثير من بلدان المسلمين فى الشرق والغرب ، حملت عبء الدعوة إلى الله ، والتزمت الخط الإسلامى فيما تكتب ، وتعلن ، وحررها فى بعض الأحيان ، بعض الإخوان المسلمين فى تلك الأقطار ، وأحياناً حررها سواهم من صالحى المسلمين .

وإن هذه الصحف والمجلات ، كان بعضها بالغ التأثير فى استقطاب بعض الناس إلى الحق والهدى ، والسير فى طريق الدعوة إلى الله .

وإن بعضها نجح نجاحاً جيداً فى طرح عديد من القضايا والمسائل التى تهم العالم الإسلامى كله ، فيما يتصل بالسياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والفكر والغزو الفكرى ، والتربية والإعلام وغيرها .

وإن جميع تلك الصحف والمجلات ، التى حافظت على الطابع الإسلامى ، والالتزام بخلق الإسلام وأدبه ، قد أحدثت وعياً وإدراكاً لأبعاد القضايا الإسلامية ، ما كان ليحدث لولا جهاد هذه الصحف والمجلات ، وإصرارها على الالتزام بالإسلام وخلقه وأدبه .

وإن الموضوعية والحياد وإيثار الحق ـــ ونرجو أن نكون أهلاً لذلك ـــ لتستدعينا أن نقول ، بعد البحث والتأمل والتجول فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، بل معظمه ، بل فى كثير من بلدان العالم التى فيها تجمعات للمسلمين فى أوربا وأمريكا ـــ أن نقول ونؤكد بالمشاهدة مانقول :

إن هذه الصحافة التى سميناها إسلامية فى مصر على أيدى جماعة الإخوان المسلمين ، وفى غير مصر على أيدى بعض المنتمين إلى جماعة الإخوان فى بلادهم ، أو غيرهم من

الصالحين الملتزمين بالإسلام ، إن ذلك قد أسهم إسهاماً حقيقياً — ودون أدنى ريب — فى إيجاد صحوة إسلامية يشهد لها ، ويشهد عليها العالم كله اليوم فى العالم الإسلامى وفى كثير من بلدان الغرب .

وإن هذه الصحف والمجلات ، قد كسبت من الأنصار والمؤيدين عدداً كبيراً ، يظهر أثره فى موجات المد الإسلامى الصاعدة هنا وهناك والمشاهدة فى الشباب من البنين والبنات على السواء .

كما أن الموضوعية والحياد تستوجب علينا — كذلك — أن نقول : إن إمكانات العمل الصحفى فى تلك الصحافة الإسلامية ، لم تكن على مستوى الصحف والمجلات التى لا تلتزم بخط الإسلام . بل كانت أقل ، هذه حقيقة لابد من الاعتراف بها ، ولكن أسباب هذا القصور معروفة ، فالصحافة الإسلامية لا تلقى دعماً من حكومة من الحكومات ، ولاتروج لديها الإعلانات للشروط التى تضعها ، وبالتالى فإن الصحافة الإسلامية لم تستطع بعد أن تسد الفراغ الثقافى والإعلامى فى العالم الإسلامى .

وشىء آخر لا بد من ذكره — إنصافا وإحقاقا للحق — إن حجم التوزيع فى هذه الصحافة الإسلامية فى معظم البلدان التى تصدر فيها ، غير كاف لتغطية احتياجات القراء من المسلمين ، لنفس الظروف التى أشرنا إليها آنفاً ، وهى قلة الموارد المالية ، وعفة هذه الصحف عن قبول معونات — تكون فى أغلب الأحيان مشروطة — لكنها على الرغم من كل ذلك ، تظل ممثلة للخير فى القليل الدائم بفضل الله تعالى .

وبعد : فإن المقالات الإسلامية التى تنشر فى هذه الصحف والمجلات فى مختلف بلدان العالم الإسلامى ، والتى يحرص كتابها على إسلاميتها منهجاً واختياراً ، لهى من الجهاد بالكلمة واللسان فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى .

وإنى أوجه الدعوة من هنا إلى كل العلماء والباحثين من المسلمين ، أن يمدوا هذه الصحف والمجلات بما يساندها ويشد من عزمها ، ويمكنها من الاستمرار فى أداء رسالتها ، وهى جهاد فى سبيل الله بالكلمة واللسان والإعلام .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

النوع السابع : الكتاب

وهو وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله ، كما أنه نوع من الجهاد بالكلمة واللسان ، له أثره البارز فى الإقناع بالإسلام ، دينا ودولة ، وعقيدة وشريعة .

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية بألوف الكتب التى تعالج قضايا إسلامية عامة ، وتلك التى تعرض الإسلام عرضاً جيداً على القراء ، وقد كان ذلك شأن الكتاب من يوم عرف فى عالمنا الإسلامى يوم كان الكتاب مخطوطاً ، تتناقله أقلام النساخ ويقبل عليه كثير من الحكام والأمراء ، حتى يدفعوا فى ثمنه وزنه ذهباً فى بعض الأحيان .

أولاً : أهمية الكتاب وتشمل أموراً :

أما الآن وبعد عصر الطباعة ، فإن الكتاب أصبح أوسع انتشاراً ، وأيسر عملاً من ذى قبل ، ولكن وظيفة الكتاب بناء على ذلك ازدادت صعوبة ، ومهمته تأليفاً وطباعةً ونشراً وتوزيعاً ، أصبحت أكثر دلالة على التحضر ومواكبة المتغيرات .

إن العصر الذى نعيشه الآن ، نهاية العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى ، أضاف إلى الكتاب أعباء جديدة ، وحمله مسئوليات جسيمة ، فى مواجهة التحدى الموجه للأمة الإسلامية ، فى كل قطر من أقطارها .

إن هذا العصر قد تميز ، بأن أعداء الإسلام فيه قد بالغوا فى كيدهم للإسلام والمسلمين ، وضغوطهم ، بل حروبهم .

إنهم يحتلون بعض البلدان الإسلامية احتلالاً كاملاً فى صورة عسكرية صارخة ـــ كما هو الشأن فى احتلال إسرائيل لفلسطين المسلمة ـــ أو يخضعون بعض بلدانه لأنواع أخرى من الاحتلال عانينا منها عدداً من العقود ـــ فى القرن الرابع عشر الهجرى ـــ كالوصاية والحماية والانتداب ، أو يخضعون كثيراً من بلدانه للتبعية العسكرية [1] والاقتصادية والتربوية والثقافية والفكرية ، أو للتبعية لهم فى أنظمة الحكم والقوانين .

وإن النتيجة التى يستطيع أن يصل إليها كل مشاهد ، أنه لا توجد الآن دولة إسلامية واحدة فى العالم الإسلامى كله ، خارجة عن هذا الإطار من التبعية ، لأعداء الإسلام من غرب وشرق ، إلا إذا كان للمكابرة مكان بارز فى دعاوى بعض السذج والغافلين .

---

(١) مثل الاضطرار إلى شراء أسلحة من بلد معين دون سواه .

هذا العصر بكل تلك القوى المعادية للإسلام ، ونجد فيه المسلمون أنفسهم أمام سيل جارف من التحدى للإسلام والمسلمين ، هذا التحدى إنما يعنينا منه هنا ، تلك التهم والمفتريات التى ألصقت بالإسلام والمسلمين [1] .

هذا العصر وفيه كثير من الحكومات المسلمة ، التى ترفض أن يتحاكم الناس إلى منهج ربهم ونظامه مؤثرة على ذلك أن تكون تابعة لمناهج ونظم وافدة من أعداء الإسلام والمسلمين ، ولديها إصرار أو ما يشبه الإصرار على ذلك .

وهؤلاء الناس الذين تعلموا فى مدارس العالم الإسلامى وجامعاته ، وهى مدارس وجامعات ، لم تستق قيمها ومبادئها وفلسفتها التربوية ، ولا مناهجها ولا مقرراتها الدراسية ، من الإسلام ومنهجه فى الحياة ، هؤلاء الناس ، وهم كثير ، ومنهم من يحمل درجات علمية عليا ظاهرة جديرة بالاهتمام ، وبخاصة أنهم دائماً يحملون وزر إقصاء الشريعة عن أنظمة الحكم ، ويبررون الاستعانة بالأنظمة والقوانين الغريبة عن الإسلام المعادية له .

وهؤلاء الذين بيدهم مقاليد الفكر والثقافة والتأليف والطبع والنشر ، وكيف يوجهون الأمور فى هذه المجالات نحو ما يعود على المسلمين بأبلغ الضرر ، إذ يسلخونهم من دينهم وفكره وثقافته ، وهم كذلك كثيرون .

كل هؤلاء بحاجة ماسة وضرورية ، إلى أن يعودوا إلى الكتب الجادة ، التى تبحث بموضوعية لتقنعهم بالحق الذى لا حق سواه ، وهو أن المسلمين فى العالم الإسلامى لن يعيشوا فى أمن وأمان ، إلا إذا حكموا وحوكموا أمام منهج الله ونظامه .

إن الكتاب جهد علمى هادئ مستأن ، له ـــ أكثر من سواه ـــ قدرة على الإقناع بحقيقة ذات أهمية عظمى ، هى أن الحلول الحقيقية للمشكلات التى يعانى منها المسلمون فى أى بلد من بلادهم ، إنما هى كامنة فى تصور الإسلام لها وتصوره لحلولها .

ولا نقول : إن المكتبة الإسلامية خالية تماما من هذه الكتب ، ولكن نقول بأن مافيها يعاب عليه مايلى :

١ ـــ قلة الموجود بالنسبة للاحتياج .

٢ ـــ عدم تنوعه ؛ إذ الأصل أن يعالج كل قضية أو مسألة .

---

(١) للتوسع : انظر كتابنا : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام .

٣ ـــ نزوع بعضه إلى إثارة العواطف دون تقديم الأدلة والبراهين والوثائق على مايحتويه .
٤ ـــ قلة منافذ التوزيع مع ضعف مؤسسات النشر .

ثانيا : احتياجات الكتاب :

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الكتاب ، يظل أكثر قدرة على التشخيص . وأكثر قدرة على الإقناع بسوق الحجج والبراهين من الصحيفة أو المجلة .

إن الكتاب الإسلامى اليوم ـــ لكى يؤدى وظيفته ـــ بحاجة إلى تطوير ، ابتداء من تأليفه إلى توزيعه ، والذى أتصوره فى مجال تطويره مايلى :

١ ـــ أن يعكف على تأليفه مجموعة من العلماء لا عالم واحد ؛ لأن الجهد الجمعى فى العلم والبحث ، أيسر وأجدى أن يصل إلى اللباب .

وأعنى بالجهد الجمعى أن كل موضوع من موضوعات الكتاب ، يشترك أكثر من متخصص فى تأليفه ، وتتم مراجعة ومحاورة لكل موضوع قبل اعتباره قد فرغ من تأليفه ، لا أن يقسم الكتاب موضوعات ، على عدد من العلماء ، يستقل كل واحد منهم بموضوع .

٢ ـــ أن تكون هناك أولويات فى تأليف الكتاب الإسلامى ، بمعنى أن يحدث ترتيب ما ، وعلى سبيل المثال :

بماذا ينبغى أن نبدأ ؟

ماخريطة الاحتياجات ؟

وكيف توزع هذه الخريطة على العالم الإسلامى ؟

ما هى مؤسسات النشر التى يعتمد عليها ؟

وما هى مؤسسات التوزيع ؟

وكم عدد اللغات ـــ غير العربية ـــ التى يتحدث بها المسلمون ، والتى يجب أن يؤلف لهم بها ؟

مامدى الحاجة إلى تأليف كتب بالإنجليزية ؛ على اعتبار أنها من أوسع اللغات انتشارا ، وأن عددا كبيرا من المسلمين لا يحسنون سواها ؟

كل تلك أسئلة واردة يجب التفكير العميق فى الإجابة عليها ، إذا أردنا للكتاب الإسلامى أن يؤدى عملا فى مجال الجهاد فى سبيل الله بالكلمة واللسان .

أما أن تترك الأمور هكذا ، يكتب من شاء ، ماشاء ، لمن يشاء ، دون تخطيط ، أو تنسيق ، فضلا عن التعاون والتآزر ، فإن الكتاب ستظل فائدته محدودة من جانب ، ويظل القارىء المسلم يقرأ مايريد المؤلف لا مايريده هو .

ثالثا : متطلبات العصر فى الكتاب :

لا بد من مراعاة متطلبات العصر والبيئة ، التى يؤلف لها الكتاب ، فعلى الرغم من أن الكتاب الإسلامى فى محتواه ، يشد اهتمام أى قارىء مسلم فى أى بيئة ــ بدليل انجذابنا نحن أبناء هذا العصر إلى كتب إسلامية ، ألفت فى عصور وبيئات بعيدة عنا جدا فى الزمان والمكان ــ إلا أن مراعاة مقتضيات العصر والبيئة تخدم القارىء أولا ، ثم تخدم قضية العمل الإسلامى كله من وراء ذلك ، ولأن هذا هو الأسلوب الأمثل والأرشد .

العمل الإسلامى بحاجة إلى مزيد من البحث العلمى المنهجى ؛ ليتعرف المسلمون على موجباته وضرورته من ناحية ، وعلى أبعاده وطبيعته من ناحية ثانية ، وعلى أهدافه ووسائله من ناحية ثالثة .

وما لم نطرح هذهَ القضايا فى كتاب ففى أى مطبوعة تطرح ؟ أفى صحيفة أو مجلة ؟ إن الصحف والمجلات لا يتسع صدرها لهذه البحوث المنهجية المكثفة لا من حيث حجمها ولا من حيث ظروف قراءتها .

رابعا : مصادر تمويل الكتاب ونشره وتوزيعه :

إن الكتاب الإسلامى فى أى بلد من بلاد المسلمين ، لا يزال يمول بجهد فردى فى الغالب ، وإن الجهد الفردى لا يستطيع بحال ، أن يفى أو يواكب الاحتياجات الضخمة للكتاب ، فضلا عن أن يسبقها ويتجاوزها .

ولندع جانبا قضية استيلاء بعض حكومات الظلم والطغيان على مؤسسات إسلامية للكتاب ، فإن ذلكَ بكاء على لَبَن قد سكب واختلط بالتراب ، وإنما على المسلمين اليوم فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى أن يفكروا ، ويستوعبوا هذه الحقيقة التالية :

« إن احتياجات العمل الإسلامى ــ فى كل بلد ــ الذى يستهدف تطبيق شريعة

الله ونظامه على عباده ؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل ـــ إن هذا العمل يحتاج تماما إلى الكتاب الجيد ، وفق ماأشرنا إليه آنفا ، وإن احتياجه للكتاب لا يقل أبدا عن حاجته إلى الطاقات البشرية نفسها ، وإن هذا الكتاب ليحتاج إلى تمويل قوى قادر على نشر الكتاب ، فى أحسن صورة ، وعلى توزيعه ، فى أوسع منافذ ... تلك حقيقة لا تقبل إنكارا .

فهل يستمع إلى ذلك أهل الخير واليسار من المسلمين الراغبين فى أن يقدموا لأمتهم الإسلامية عملا جليلا ، يكون جزاؤه الأوفى عند الله ، ولن يخلو من جزاء مادى ؛ لأنه عمل فى مجال استثمارى ؟

هل يستمع إلى ذلك بعض المسلمين الصالحين الطيبين ـــ فيما نعلم ـــ الذين يستثمرون أموالهم فى الغرب فى أوربا وأمريكا هل يستمعون هل يستمعون ؟

إن من آتاه الله مالا ، وكان مستطيعا أن ينفق منه على الكتاب الإسلامى ، فهو يقوم بسد ثغرة لدى المسلمين ، تحتسب له عند الله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأى سلامة للقلب بإذن الله أفضل من توجيه المال لخدمة الإسلام والمسلمين فى هذا المجال ؟

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

وكذلك الأمر فيما يتصل بمنافذ توزيع الكتاب الإسلامى ، لا بد للكتاب الإسلامى من منافذ توزيع أمينة وجيدة ؛ لأن الكتاب الإسلامى ، يحارب فى منافذ التوزيع فى كثير من بلاد المسلمين ، فضلا عن البلاد الأخرى ، بحيث يبذل أعداء الإسلام والعمل الإسلامى ـــ من المسلمين أحيانا ومن غير المسلمين كثيرا ـــ جهوداً هائلة ، فى سبيل تعويق الكتاب الإسلامى ـــ عن أن يصل إلى طالبيه .

فلا بد من بحث عن منافذ توزيع ، تضمن وصول الكتاب الإسلامى فى أى مكان فى العالم كله ، لا العالم الإسلامى وحده إلى الراغبين فيه ، وما ذلك بعسير ولا بعيد المنال ، لو صحت النية ، وصدقت العزيمة ، وكان إرضاء الله والتقرب إليه بهذا العمل الجليل ، هو الغاية والهدف .

خامساً : إسهام العلماء فى الكتاب الإسلامى :

لقد أصبح ضروريا أن يخف إلى الإسهام فى تأليف الكتاب الإسلامى كل عالم من

المسلمين أيا كان تخصصه إذا وجد فى نفسه القدرة والكفاءة ، وأن يكون لهؤلاء العلماء جماعة ، أو رابطة ، وأن تبدأ هذه الجماعة بعقد ندوة لمناقشة أمر الكتاب الإسلامى ، وأن ينسقوا جهودهم ، وفق ماتنتهى إليه المحاورات والمشاورات فى الندوة ، وأن يضعوا خطة متكاملة لهذا العمل الجليل .

إن ذلك من واجبات الساعة لا من واجبات العصر !!!

وقد يقال : إن بعض دور النشر الفردية ، تقوم بعبء مشكور فى هذا المجال ، ولكنا نقول : إنها مهما تفعل فى مجال الكتاب الإسلامى ، فلن تستطيع أن تؤدى كل مايجب ، ولا هى بقادرة عليه ؛ لأن جهود الفرد مهما تكن تظل دائما مرتبطة بإمكانات الفرد وطاقاته ، وهى محدودة ما فى ذلك شك ما دام فردا .

على حين يستطيع جهد المجموعة أن يفعل الكثير مما تعجز عنه جهود الأفراد ، إنه وحده الذى يستطيع أن يسد الثغرات ، وأن يستجيب للاحتياجات بقوة وسرعة مناسبة .

سادسا : أمل فى الكتاب الإسلامى :

وإن جمعا من العلماء فى تخصصات متعددة — كما قلنا — هو الخطوة الأولى فى مجال الكتاب الإسلامى ، وإن خطوات ضرورية تتلو هذه الخطوة نذكر منها :

١ — دعوة هذا الجمع للالتقاء فى أى مكان فى العالم .

٢ — طرح قضية الكتاب الإسلامى أمامهم كقضية وحيدة .

٣ — محاولة الوصول إلى رأى فى علاج الكتاب الإسلامى ، على مستوى التأليف ، والنشر ، والتوزيع .

٤ — صياغة هذه التوصيات ، وتوزيعها على المهتمين بالعمل الإسلامى ؛ ليسهم كل منهم بالجهد الذى يستطيع .

٥ — وضع خطة لتأليف الكتاب الإسلامى ، ونشره وتوزيعه .

٦ — تحديد الموضوعات التى يجب البدء بالكتابة فيها ، وتحديد المشاركين فى الكتابة فى هذه الموضوعات ، ومراجعة ما يكتب ودفعه للطباعة .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

وبعد : فهذا هو النوع السابع « الكتاب » من أنواع الجهاد فى سبيل الله والدعوة إليه بالكلمة واللسان نسأل الله سبحانه أن نكون قد وفقنا فى عرضه بعون من الله وتسديد .

الفصل الخامس

أهداف الدعوة إلى الله

أهداف الدعوة إلى الله

تحدثنا فى الفصل الثالث من هذا الباب عن أسباب الدعوة إلى الله ، وتعرضنا هناك لتعريف السبب والعلة ، وبينا آنئذ أن العشوائية والصدفة غير صحيحة ، ولا يقول بها إلا الغافلون عن تدبير الله سبحانه ، وأوضحنا أن الله تبارك وتعالى ، رتب الكون ودبره وخلقه ، على أساس من الحكمة الإلهية السامية وقلنا : إن على الإنسان أن يتعلم من قانون السبب والمسبب .

وتحدثنا فى الفصل الرابع عن أركان الدعوة إلى الله ـــ وكان ذلك أوسع فصول هذا الباب ـــ وأوضحنا أن هذه الأركان ثلاثة : العقيدة والعبادة والسلوك ، وفصلنا القول فى السلوك فتناول شعب الإيمان كلها والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعدل والإحسان والجهاد فى سبيل الله ، وقسمناه إلى جهاد بالنفس والمال وجهاد بالكلمة واللسان .

وكان الهدف من هذين الفصلين الثالث والرابع ، أن تتضح فى نفس القارئ أهداف الدعوة إلى الله ، من خلال الأسباب والأركان ، فيحس بها بنفسه ، أفضل مما أن نذكر له الأهداف فى البداية ، فكأننا نفرضها عليه فرضا .

وقد جاء بعد ذلك الوقت الذى نسرد فيه هذه الأهداف سردا ، وقد اتضحت أبعادها ، والحاجة إليها فى الفصلين السابقين وسوف يكون حديثنا عن أهداف الدعوة إلى الله ، متضمنا لكلمة بين يدى الأهداف ، ثم تعديد الأهداف ورصدها .

بين يدى الأهداف

الهدف ـــ بصورة عامة ـــ هو إما أن يكون على مستوى الفرد ، أو على مستوى الجماعة ، ولكل من المستويين حديث .

فالهدف على مستوى الفرد هو : الشيء الذى يرى الإنسان أن وصوله إليه يشبع حاجة له ، وبالتالى يحرك سلوكه نحو الوصول إليه .

والهدف على مستوى الجماعة هو : الشيء الذى تنشده الجماعة عن طريق العمل .

الجماعى بحيث يكون الوصول إليه مشبعا لحاجة من حاجاتها ، وبالتالى يحرك سلوكها نحو الوصول إليه .

فالهدف على المستويين الفردى والجماعى ، هو الذى من أجله ، يبذل الجهد ، ويتم العمل .

ونود هنا أن نوضح أن الهدف قد يكون هو السبب أحيانا ، وقد يختلف عنه ؛ لأن الاتصال بينهما وثيق فالسبب محرك ودافع للوصول إلى الهدف ، وعموما فإنه فى مجالنا هذا ، قد تشترك وتشتبك الأسباب مع الأهداف وإن كان ذلك غير قائم فى كثير من المجالات والأحيان .

ونحن هنا ننشد أن نتحدث عن أهداف الدعوة إلى الله بصورة مغايرة لما تحدثنا عنه فى أسباب الدعوة إلى الله ، والله المستعان .

وقد أشرنا إلى تلك الأسباب فى الفصل الثالث ــ كما ذكرنا ــ ونحاول هنا أن نرصد من أهداف الدعوة مايوفقنا الله إليه .

رصد أهداف الدعوة إلى الله

أولا : إعانة الناس على عبادة الله سبحانه وفق ماشرع لهم ، وذلك فى الأصل عمل الرسل ــ صلوات الله عليهم وسلامه ــ ولكنه انتقل بالميراث إلى الدعاة إلى الله ؛ إذ هم العلماء بهذا الدين ، وورثة الأنبياء فى التبليغ بهذا الدين .

وإعانة الناس على عبادة الله وفق ما شرع ، تتطلب من الدعاة شرحا ، وتفسيرا ، وإرشادا ، وتنويرا ، يتضمن تعريفهم بالله ــ ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ــ وتعريفهم بكل ماجاء به محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين من منهج ، ينظم كل شيء فى معاش الناس ومعادهم .

ثانيا : إعانة الناس على التعارف فيما بينهم ، فهذا التعارف قد أمر به الله سبحانه ، وأوجبه على الناس جميعا ــ كما سبق أن أوضحنا فيما سلف من الكتاب .

وإعانة الناس على التعارف فيما بينهم ، تستوجب أن يوضح الدعاة لهم ، أن التعارف فيما بينهم هدف كبير لا تستقيم حياتهم الدنيا إلا به ، ففى جو التعارف بين الناس ، يحدث التعاون والتناصر والتآخى والمودة فى الله والتآزر فى التغلب على أى مشكلة من

مشكلات الحياة الدنيا .

التعارف بين الناس ، دون نظر إلى اختلاف لون ، أو عرق ، أو لسان ؛ لأن الله ــ تبارك وتعالى ــ جعل الناس شعوبا وقبائل ؛ ليتعارفوا .

والعبرة فى الإسلام فى التفرقة بين الناس ، لا بأجناسهم ، وألوانهم ، وألسنتهم ، ولكن بما يكونون عليه من تقوى لله وخشية .

وعلى الدعاة إلى الله أن يؤكدوا هذه المعانى ، فإنها مفاتيح للقلوب ، ولكل خير ، بل مفاتيح للإقبال على الإسلام ــ كما شاهدت ذلك فى كثير من بلدان إفريقيا ، التى تقدم فيها الكنيسة للأفارقة كل شيء ، ثم ينفرون منها إلى الإسلام ؛ لأن الكنيسة أيضا تمارس معهم التفرقة العنصرية .

ثالثا : تغيير الواقع السيّىء الذى يعيشه المسلمون ، فيباعد بينهم وبين الإسلام يوما بعد يوم ، إلى واقع إسلامى ، يقربهم من الله ومن الحق ، ومن مصالح الدنيا والآخرة .

معاونة الناس على هذا التغيير ــ وقد تحدثنا بتوسع عن التغيير فى الفصل الثانى من هذا الباب ــ إن على الدعاة أن يجعلوا الناس قادرين على إدراك أهمية هذا التغيير ، وأن يعينوهم على أن ينظموا أنفسهم وصفوفهم ؛ ليستطيعوا ممارسة هذا التغيير ، وإن على الدعاة أن يعرفوا الناس فى هذا المجال أمورا هامة هى :

ماذا يغيرون ؟

وكيف يغيرون ؟

ومتى يغيرون ؟

كل هذه الأسئلة تعتبر الإجابة عليها من أهم مفردات الدعوة إلى التغيير ومن أهدافها الجزئية الضرورية .

ومن الواضح الجلى أن واقع كل قطر إسلامى فى العالم الإسلامى كله ، وإن جمعت بينه وبين قطر إسلامى آخر مشابهات وموافقات ، فإن احترام مايمكن أن يكون بين هذه الأقطار من اختلاف أمر ضرورى ، على الداعية أن يفطن إليه ، ويضعه فى اعتباره .

رابعا : تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة ، تتناول كل جوانب شخصيته الروحية والعقلية والبدنية والسلوكية والاجتماعية ، فما لم تُربِ هذه الشخصية على أخلاق

الإسلام وآدابه ، فلن يحدث لها هذا التكامل المنشود وبالتالى ، فلن تستطيع أن تؤدى وظيفتها فى الحياة .

إن على الدعاة إلى الله أن يبذلوا فى هذا المجال جهدا ، يمكنهم من الإسهام فى تربية الأفراد المسلمين ، تلك التربية الإسلامية المتكاملة .

خامسا : إعداد البيت المسلم وتربية أفراده جميعا وفق منهج الإسلام ونظامه ؛ ليشب الأبناء فى جو إسلامى وتسيطر على البيت روح الإسلام وآدابه ، فينتج البيت للمدرسة وللمجتمع أفرادا صالحين ، بمعايير الإسلام فى الصلاح ، من ذكور وإناث ، قادرين على أداء مايجب عليهم نحو المجتمع المسلم ، الذى يعيشون فيه .

إنه بغير طبع البيت بالطابع الإسلامى ، يُخَرِّجُ أفرادا سلبيين أو أنانيين أو كسالى ، يجيدون كيف يأخذون من المجتمع ولا يعطونه ، كما هو المشاهد فى كثير من مجتمعات المسلمين ، ومادامو لا يعطون ، فقلما يجدون فى المجتمع مايأخذونه .

إن عمل الدعاة فى تبصير الآباء والأمهات نحو تربية أبنائهم ، منذ الطفولة الباكرة تربية إسلامية ، عمل جليل القدر ، عظيم الأثر .

وإن هذا الهدف لمن أهم الأهداف فى الدعوة إلى الله .

سادسا : إعداد المجتمع المسلم الذى تسوده قيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه ، والتى تسيطر على كافة مؤسساته آداب الإسلام ونظمه ، إن هذا المجتمع بتلك الصفات ، هو القادر على أن يمارس أفراده ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل ، والإحسان .

وقد تحدثنا عن أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل ، والإحسان ، فى المجتمع ، بما يؤكد أن مجتمعا مّا من مجتمعات الناس ـــ لا المسلمين وحدهم ـــ إذا لم يمارس أفراده الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل ، والإحسان ، فلن يعيش سعيدا ، ولن يحقق آمالا فى حياته الدنيا ، فضلاً عن خسرانه حياته الأخرى .

إن على الدعاة أن يبذلوا فى هذا المجال جهودا هائلة ؛ لأن أخذ الناس بممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل ، والإحسان ، أمر عظيم وذو فائدة عظيمة .

سابعا : العمل على إيجاد الحكومة الإسلامية ، التى تطبق شرع الله على عباده ، الحكومة بصفاتها الإسلامية التى أبرزها :

إحقاق الحق ،

وتطبيق العدل ،

وممارسة الإحسان ،

ورعاية المصالح العامة ،

ودرء المفاسد العامة ،

والأمانة ،

وتنمية الثروة القومية ،

ونشر دين الله فى الناس ،

ونشر التعليم الإسلامى .

وإذا كانت هذه صفات الحكومة الإسلامية ، فلا يعنينا فى شيء ، شكلها الذى تتخذه ، ولا اسمها ــ مادامت فى الشكل والاسم ، لا تخالف شرع الله ــ لأن العبرة فى الحكومة الإسلامية باللب والجوهر لا بالقشرة والعرض .

ثامنا : العمل على تحرير الأوطان الإسلامية كلها من أى عدوان واقع عليها أو احتوائها ، وتحريرها من التبعية لأى تيار من التيارات السائدة فى العالم غير الإسلامى ، واتخاذ كافة الوسائل المشروعة فى سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير .

وأول أرض يجب أن تحرر من غاصبيها ، هى فلسطين ، لا على أساس العنتريات ، التى خدع بها الناس حينا طويلا من الزمان ، يوم كانوا يطلقون شعار إلقاء إسرائيل فى البحر ، لأن الإسلام لا يلقى بأحد فى البحر وإنما يعمل على تحرير أرضه من غاصبيها ، ثم إعطاء اليهود حق العيش فى فلسطين ، على أنهم مواطنون فى هذه الأرض الإسلامية لهم ماللمسلمين ، وعليهم ماعليهم ، ماداموا ملتزمين بنظام الإسلام فى التعامل مع أهل الكتاب .

وكل عمل غير هذا ، لن يعيد فلسطين إلى المسلمين ، وكل استعانة على اليهود بأعداء الإسلام من غرب وشرق ، لن تجدى فتيلا والدليل على ذلك أنهم يحاولون منذ أربعين سنة ، ولا تؤدى المحاولات إلا إلى مزيد من التوسع الإسرائيلى ، على حساب أرض المسلمين .

تاسعا : العمل على إيجاد الوحدة بين بلدان العالم الإسلامى ، وحدة الفكر والثقافة ، وحدة الأهداف والغايات ، وحدة الاقتصاد وتكامله بين بلدان العالم الإسلامى ، ثم الوحدة السياسية .

وحدة الشعوب الإسلامية لا الحكومات ولا الحكام ؛ لأن الحكومات إلى انحلال ، والحكام إلى زوال ، أما الشعوب فباقية ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وإن أسباب الوحدة بين بلدان العالم الإسلامى لكثيرة وضاغطة ، وإن العقيدة والعبادة ، والكتاب والسنة ، والتاريخ والجغرافيا ، لمن أبرز مبررات هذه الوحدة ، المهم أن تصدق النوايا ، وأن تصح العزائم .

إن هذه الوحدة ستكون تمهيدا لوحدة الصف والكلمة ؛ لتعود الخلافة الإسلامية إلى حياة المسلمين ، فهى عمود النظام السياسى ، وعماده فى الإسلام .

ويوم كانت للمسلمين خلافة موحدة ، كانوا فى مدٍّ ، ملأ ربوع العالم عدلا وسلاما ، ويوم فقد المسلمون هذه الخلافة ، توزعوا دولا وعاشوا أشتاتا وطمع فيهم أعداؤهم .

وحسبنا اليوم ، أن المسلمين يعيشون أكثر من أربعين دولة أو حكومة ، والأصل فيهم أن يعيشوا أمة واحدة ، ودولة واحدة ، ولن تضيع على حكومة من هذه الحكومات فرصتها ، فى أن تحكم القطر الذى تعيش ، بشرع الله ونظامه ، ولكن تحت مظلة إسلامية ضخمة هى « الدولة الإسلامية » إنه أمل كبير يحتاج إلى عمل كبير .

إننا بحاجة فى تحقيق هذا الهدف إلى دعاة عالميين ، لا محليين فى كل قطر إسلامى ، وإن نواة هؤلاء الدعاة يمكن أن تبدأ فى وقت قريب .

عاشرا : العمل على نشر دعوة الله ، دعوة الحق فى العالم كله ، شرقه وغربه ، إسلاميه وغير إسلاميه ، لأن الإسلام هو دين البشرية كلها ، مهما يكن لها من دين أو نظام ؛ لأنه الدين الخاتم التام الكامل ، الذى جعل الله له الهيمنة ، على كل دين ونظام ، والذى قضى سبحانه بأن يمكن له فى الأرض ، إذا كان أهله من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، إنه الدين الذى رضيه الله للبشرية كلها دينا ، أقول للبشرية كلها ولا أقول المسلمين ؛ لأن البشرية كلها ، مطالبة بأن تدخل فى دين الحق دين الإسلام .

ومعنى رضا الله بهذا الدين ، اختياره واصطفاؤه له ، دون سائر الأديان والنظم ، التى

أنزلها من قبله ؛ لكماله وتمامه ، وملاءمته لما يصلح الناس فى دينهم ودنياهم ؛ ومن أجل هذا كان ولا يزال الخروج عن اختيار الله ورضاه ، إلى اختيار الناس ورضاهم ، حماقة مابعدها حماقة ، وسفهاً ليس كمثله سفه ، واستحقاقاً أكيداً لعقاب الله ، يوم يرجع الناس إلى ربهم فيحاسبهم ويجازيهم .

الأصل ألا يهدأ للأمة الإسلامية بال ، حتى تصل إلى تحقيق هذا الهدف .

إن المقبلين على الإسلام — فى أوربا وأمريكا كما شاهدت بنفسى — عدد غير قليل ، وقد دخلوا فى الدين ، دون أن تكون هناك أساليب ووسائل لنشر دعوة الإسلام فيهم ، فما بالنا لو خرج هذا الهدف إلى حيز الوجود ؟

إن حاجتنا إلى الدعاة إلى الله العالميين لمستمرة كذلك مع هذا الهدف الكبير ...

ألا ما أقرب إفريقيا إلى الإسلام — كما رأيت بنفسى — لو نظم للدعوة الإسلامية برنامج عمل جاد ، فى مجال نشر الإسلام ، والتعريف به .

كما أن كثيرا من دول آسيا الممعنة فى الشرق قاب قوس أو أدنى ، على الرغم من كل مايدعيه أعداء الإسلام ، أو المثبطون من المسلمين .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

الفصل السادس

أساليب الدعوة ووسائلها

أساليب الدعوة ووسائلها

الأسلوب : هو الطريقة أو المذهب أو الطريق .

وأسلوب الدعوة إلى الله ، هو الطريقة أو المذهب ، الذى يلجأ إليه الداعى إلى الله ؛ ليحقق بذلك أهداف الدعوة التى ذكرنا آنفا .

والوسيلة : هى التوصل إلى الشيء برغبة ، وهى العمل الصالح الذى يتقرب به الإنسان إلى ربه .

والوسيلة فى مجال الدعوة إلى الله ، هى العمل الذى يقوم به الداعى إلى الله ، فيحقق به أهداف الدعوة إلى الله .

وقد يلتقى الأسلوب والوسيلة فى شىء ، وقد يفترقان فى شىء ، غير أننا هنا نرى أن الأسلوب غير الوسيلة ، إذ الأسلوب طريقة أو مذهب فى العمل ، يوصل إلى الهدف بينما الوسيلة هى العمل نفسه ، أو بعض المعينات التى يستعين بها الداعية للوصول إلى الهدف ، وهما مختلفان فيما نرى ، وإن بدا بينهما تقارب .

ومن أجل هذه التفرقة التى بدت لنا ، سوف نتحدث عن كل منهما على حدة .

فنقول وبالله التوفيق .

أولا : أساليب الدعوة إلى الله

والأساليب كثيرة ، وعند التأمل فيها ، ومراجعة الذكريات التى مرت بنا ومررنا بها ، والتى لجأ إليها الدعاة ، وجدناها كما يلى :

١ ـــ أسلوبِ الشرح والتفسير لأصول الدعوة .

٢ ـــ وأسلوب المقارنة بين دعوة الحق ، والدعوات الأخرى .

٣ ـــ وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات .

٤ ـــ وأسلوب التعهد والتربية والإعداد .

٥ ـــ وأسلوب التجميع والتصنيف والتوظيف .

٦ ـــ وأسلوب الترغيب والتبشير .

٧ ـــ وأسلوب الترهيب والتهديد .

وبكل أسلوب من هذه الأساليب ، نجد مثالا أو أكثر فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية المطهرة ، وفى السيرة النبوية العطرة .

وعلى الداعية الحصيف ، أن يختار الأسلوب المناسب ، للموقف الذى هو فيه ، وللناس الذين يدعوهم ، وللبيئة التى يعمل فيها ، وليس شيء من هذه الأساليب واجبا وحده ، دون سواه ، كما أنه ليس منها أسلوب أفضل من أسلوب ، وإنما جميعها تتساوى فى الوصول إلى الهدف والغاية .

هذه كلمة لابد منها ، قبل أن نعرض بإيجاز لكل أسلوب على حدة ، حتى يتبين للدعاة معالم الطريق الذى يسلكون ، وتستبين سبيل الذين أخلصوا لله عملهم ، ودعوا إليه وإلى دينه جادين غير متواكلين .

الأسلوب الأول :

أسلوب الشرح والتفسير لأصول الدعوة :

وهو عرض الدعوة وتفسيرها ، وشرح أصولها ، وأصول الدعوة هى أصول الدين ، وأصول الدين علم يقتدر به على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ، ودفع الشبه عنها .

ومن خلال إثبات الحقائق الدينية ، وذكر حججها وبراهينها ، ودفع الشبه عنها ، يكون شرح الدعوة الإسلامية وتفسيرها ، ويكون عرضها ، وعرض مبادئها وآدابها وقيمها .

وأهم الحقائق الدينية التى يجب أن يعتنى بالكشف عنها وتفسيرها ، وشرحها مايلى :

١ ـــ كل مايتصل بالعقيدة فى ذات الله سبحانه ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وفى الملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

٢ ـــ كل ما يتصل بالعبادة من توحيد ، وصلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج لمن استطاع ، ومن نوافل وقربات .

٣ ـــ كل مايتصل بالمعاملات الإسلامية ، من عقود ، كالزواج ، والطلاق ، والبيع ، والرهن ، والشفعة ، والصرف ، والسلم ، والإجارة ، والوكالة ، والكفالة وغيرها .

٤ ـــ كل مايتصل بالحدود والقصاص ، والحرابة ، وقتال أهل البغى ، والجهاد فى سبيل الله .

٥ ـــ كل مايتصل بالفضائل ما فرض منها ، وما ندب إليه ، كالصدق ، والوفاء ، والعفة ، والأمانة ، وصلة الأرحام ، والبر ، والصبر ، والشجاعة ، وإكرام الضيف ، والجار وغوث الملهوف ، وعون المحتاج .

تلك صورة مجملة للحقائق الدينية التى يتجه إليها الداعية بالشرح والتفسير ، ويجعل ذلك أسلوبا فى الدعوة إلى الله ، وطريقا يتوصل به إلى تحقيق هدفه وغايته .

وذاك أسلوب قرآنى ورد فى القرآن الكريم ، حيث عرضت آيات كثيرة منه ، لشرح الحقائق الدينية ، وتفسيرها ، كما جاء فى معظم السور القرآنية ، التى نزلت بمكة المكرمة ، ففسرت وشرحت ما يتصل بالعقيدة فى الله سبحانه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وكلها حقائق تدعو إلى الإيمان ، وتوجه إليه .

وكما جاء فى السور القرآنية التى نزلت بالمدينة فعنيت بتوضيح الشريعة والمنهاج ، ففسرت وشرحت كل ما يتصل بالعبادات والمعاملات والآداب ، بحيث يصبح المجتمع الآخذ بما جاء فى القرآن الكريم مكيه ومدنيه ، مجتمعا متحضرا، بكل ما تعنيه الحضارة من رقى ورفعة ، متحضّرا فى عقيدته ، متحضّرا فى عبادته ، متحضّرا فى معاملاته ، متحضّرا فى أخلاقه ، وآدابه ، متحضّرا فى عاداته وممارساته اليومية .

ولو قلنا : إن القرآن الكريم كله فى مجمله ، شرح وتفسير وعرض لأصول الدعوة إلى الله ، ما جاوزنا الحقيقة فى شىء على الإطلاق .

ولو قلنا : إن جميع الحقائق الدينية التى تتصل بذات الله سبحانه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ، وإن جميع الحقائق الدينية التى تتصل بالشريعة والمنهج ، فى كل ما يعود على الإنسان بالخير فى دينه ودنياه ، قد تحدث عنها القرآن الكريم ، إجمالا فى بعض الأحيان ، وتفصيلا فى أحيان أخرى ، وأن السنة النبوية قد فسرت وشرحت وفصلت كل هذه الحقائق ، حتى أضحى الإنسان منها على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، لو قلنا ذلك ما تجاوزنا الحقيقة فى شىء على الإطلاق كذلك .

أليس ذلك أسلوبا فى عرض الدعوة إلى الله ؟

إن الداعية الواعى الموفق ، هو الذى يلجأ إلى هذا الأسلوب الناجح فى تعريف الناس بالدين ، وفى نقلهم بذلك التعريف من الضلال إلى الهدى .

الأسلوب الثانى :

أسلوب المقارنة بين دعوة الحق والدعوات الأخرى :

وهو مذهب جيد فى إقناع المدعو إلى الدخول فيما يدعى إليه ، وتلك المقارنة إن كانت موجهة إلى أهل كتب أخرى ، غير القرآن الكريم ، كاليهود والنصارى ، كانت المقارنة بين الإسلام واليهودية أو النصرانية .

وإن كانت المقارنة موجهة إلى أهل الأهواء والضلال ، كانت المقارنة بين الإسلام ، وتلك الأهواء والضلالات .

وسواء أكانت المقارنة فى هذا أم ذاك فإنه يجب على الداعى إلى الله أن يراعى فى هذه المقارنة أمورا جوهرية وأساسية ، هى مايلى :

١ ــ أن يلتزم فى مقارنته بالموضوعية والحياد والعدل ؛ لأن هدفه إحقاق الحق .

٢ ــ أن يلتزم جانب الجدال بالتى هى أحسن ، فإن مجرد غلبة الخصم ، ودحض حجته ، ليست هدفا فى ذاتها ، وإنما الهدف هو إقناع الخصم بالحجة والبرهان ، لا باللجاجة والمغالطة .

٣ ــ أن يلتزم فى مقارنته ، بأخلاق الإسلام وآدابه ، فى كل ما يقدم من براهين ، وفى كل مايدحض من حجج .

٤ ــ أن يكون راغبا فعلا فى هداية الضال ، حريصا على أن يختار له من الوسائل ما يناسبه .

٥ ــ أن يكون من أهل العلم والمعرفة بدقائق ما يقارن بينه وبين سواه ، ومعنى ذلك ، ألا يتصدى لهذه المقارنة ، إلا عالم متخصص فيما يقارن فيه ، متعمق فى فهم الإسلام ، أصوله وفروعه ومقاصده .

هذه المقارنة بين الإسلام وغيره من الملل والنحل ، أسلوب جيد ، فى نقل أهل الأديان والملل ، أو أهل الأهواء والضلال ، من باطلهم إلى الحق ، ومن ضلالهم إلى الهدى .

وهذه المقارنة لا يعقدها الداعية ، إلا لمن كان أهلا لفهمها ، واستيعاب أبعادها ، وتوسم فيه الداعية عقلانية ، تجذبه إلى الحق ، إذا ظهر له ، وتحول بينه وبين التمادى فى الباطل ، وإن عقد هذه المقارنات ، لمن ليس من أهلها ، ربما لا

تؤدى إلى نتيجة ، وربما أدت إلى عكس ما كان يقصد منها .

وهنا تكمن حصافة الداعية وخبرته بالناس ، وكياسته وحسن تقديره للظروف والملابسات .

والقرآن الكريم والسنة النبوية حافلان بمثل هذه المقارنات ، بين اليهود والنصارى والمسلمين ، وبين المؤمنين والكافرين والمنافقين ، وبين الطائعين والعصاة ، وبين أهل الصدق وأهل الكذب ، وبين المستجيبين للحق المجاهدين فى سبيله ، والمعاندين الذين يأبون إلا العناد ، وغير ذلك من المقارنات الهادفة .

وإن الهدف من هذه المقارنات فى القرآن ، أو فى السنة النبوية المطهرة ، أو على ألسنة الدعاة إلى الله فى كل زمان ومكان ، إن الهدف منها هو : أن يعمل الناس عقولهم ، وأن يتدبروا أمرهم ، وأن يكونوا بذلك على استعداد لأن يقبلوا على الحق ، وينأوا عن الباطل ، وأن يتعظوا بمن كان قبلهم من الناس ، حيث قبل الحق منهم من عقل ، فدخل فى رحاب الإيمان ، ورفضه منهم من جهل ، أو عاند ، فدخل فى ظلمات الكفر .

إن المقارنات بين دعوة الحق وغيرها من الدعوات ، جهد فائق يقوم به الدعاة إلى الله ، محتسبين الأجر عند الله ، صابرين على مشاق المقارنة ولأوائها ، لكنها على الرغم من كل ذلك ، أسلوب لازم فى بعض الأحيان .

الأسلوب الثالث :

أسلوب الرد على الشبهات والمفتريات :

وهو أسلوب فى عرض الدعوة لازم فى أحيان كثيرة ، وإنما كانت هذه الأحيان كثيرة ؛ لأنه قد جرت عادة الناس وغلب عليهم ــ منذ جاءتهم الأنبياء والرسل بالأديان السماوية ــ أن يقف عدد ليس بالقليل منهم ــ وفى الغالب مايكونون من أصحاب الجاه والسلطان ــ موقف العناد والرفض ، بل المكابرة والتكذيب لما جاءهم به الرسول إليهم ، متهمين الحق ومن جاء به ، مفترين على الحق ودعاته ، من الأباطيل والمفتريات ، ما شاء لهم عنادهم ولجاجهم .

تلك سنة فى بعض الناس ، ماتخلفت مع نبى من أنبياء الله ، عليهم السلام ، فما سلم نبى من اتهامهم له وللحق الذى جاء به ، ولا من المفتريات التى حاولوا بها أن يشوهوا الرسالة والرسول .

حكى القرآن الكريم لنا ذلك فى كثير من آياته الكريمة ، حتى إن القول بأنه مامن نبى إلا اتهم وافترى عليه ، قول صحيح ، بل يكاد يكون قاعدة ، قلّما يشذ عنها أحد .

وتظل هذه الشبه والمفتريات ، حائلا بين بعض الناس ، والدخول فى صفوف الحق ، والانخراط فى واجباته ومتطلباته ، وعلى الرغم من أن الفطرة السوية تنادى دائما ، بأن الحق أحق أن يتبع ، فإن الشبهات والمفتريات ، تقف دائما حجر عثرة ، أمام من يريد أن يخطو نحو الحق .

والداعية إلى الله يرى هذا فى بعض الناس ، ويهوله أن يظل الناس على هذا القدر من سوء الفهم ، بل يسوءه ألا ينتقل الناس من الضلال إلى الهدى ، فيشمر عن ساعده ويرد الأمور إلى نصابها، فيدفع عن الحق ما علق به من شوائب ، ويزيل من طريق الهدى ما طرح فيه من معوقات ، ويتخذ من ذلك أسلوباً لعرض دعوته على الناس ، مؤمنا بأنه مادام قد أزال العوائق ، فإن الناس مُنْدفعون إلى الحق ، متمسكون به .

ومن المسلم به فى تاريخ الإسلام كله ، قديمه ووسيطه وحديثه ، أن الشبه والمفتريات التى وجهت للدعوة الإسلامية كثيرة ، وأنها مع كثرتها ، تجد من الأنصارِ والأولياء ــ من أهل الشر والعناد ــ مايضاعف خطرها .

ولا بأس أن نشير هنا إلى بعضها ؛ لأن الإحاطة بها فى هذا المجال غير مستطاعة من جانب ، وتخرج بنا عن مجالنا من جانب آخر ، فهى الإشارة فقط ، وهى على النحو التالى :

١ ـــ شبهات ومفتريات وجهت إلى القرآن الكريم نفسه ، فى أنه من عند غير الله ، وفى أنه أساطير الأولين ، وفى أنه ملفق من الأديان التى سبقته .

٢ ـــ شبهات ومفتريات وجهت للإسلام منهجا ونظاما ، من أنه محلى أو إقليمى ، ومن أنه دين لا دولة ، ومن أنه انتشر بين الناس بالسيف والإرهاب ، ومن أن الحدود والقصاص فيه أعمال وحشية ، ومن أن تعدد الزوجات بهيمية وغير ذلك من المفتريات .

٣ ـــ شبهات ومفتريات وجهت للرسول ﷺ ، من أنه اختلق القرآن ، ومن أن الوحى الذى يأتيه من عند الله نوبات صرع ، ومن أن الذى علمه القرآن أحد الروم ، ومن أنه تزوج أكثر مما أباح للمسلمين أن يتزوجوا ، ومن أنه .... إلى آخر قائمة طويلة من المفتريات .

٤ ـــ شبهات ومفتريات وجهت إلى كبار الصحابة وكبار المصلحين من المسلمين .

وإن هذه الشبهات والمفتريات ، قد بثت فى كثير من المراجع ، ودوائر المعارف ، والموسوعات ، وأمهات كتب التاريخ العام ، التى كتبت كلها بأقلام أعداء الإسلام والمسلمين ، فضلا عن كثير من المقالات الصحفية والأحاديث والمحاضرات والمناظرات .

وإن الرد على هذه الشبه والمفتريات ، فيما يتصل بالقرآن أو بالسنة ، أو بالرسول ، ﷺ ، واجب شرعا كما أوضحنا فيما سبق من الكتاب .

وهذه الردود مجال خصيب للدعاة إلى الله ، ينقون فيه الإسلام ، من هذه الشبه والمفتريات .

وإن هذا الأسلوب فى عرض الدعوة ، أسلوب نجده كثيرا فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، حيث نجد عددا كبيرا من الآيات ، ترد على الذين يفترون على الله الكذب ، وعلى الذين يصفون الدين بما ليس فيه ، أو ماليس يليق ، هذه الآيات الكريمة تناقش هؤلاء المفترين ، وتجادل عن الحق حتى يتبين .

بل إن القرآن له منهج يخصه فى الجدل ، وله أسلوب يخصه فى رد الشبهات .

وإن مثالا واحدا أسوقه فى هذا المجال ، لأوضح به منهج القرآن الكريم فى الجدل ، لرد الشبهات ، ودحض المفتريات .

زعم المشركون والمعاندون ـــ وهم بصدد تكذيب الرسول ، وإنكار رسالته ، وتشويه مكانته ـــ أن الرسول لو كان صادقا فيما يدعى ، لاختاره الله ملكا من الملائكة ، لابشرا من الناس . حكى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون . ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ (١) .

لقد أورد القرآن الكريم فى هذه الآيات شبههم ومفترياتهم ولخصها فى مقالهم : إنك لو كنت صادقا ، لأنزل الله عليك ملكا نراه بأعيننا حتى نصدقه .

ورد عليهم بأنه لو استجاب لهم ، وأرسل مع رسوله ملكا ، كما طلبوا ، ثم عاندوا لأهلكهم ، ولم يمهلهم لحظة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لو جعل الله المؤيد للرسول فى رسالته ملكا ، كما طلبوا لجعله على هيئة البشر حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه إذ هم لا يقدرون بحكم خلقتهم أن يروا الملك على صورته الأصلية ولا أن يفهموا عنه . وعندئذ يشتبه الأمر عليهم ، ويختلط ، أهو ملك على هيئة بشر أم بشر ؟ والنتيجة بالنسبة لهم واحدة فى التكذيب ؛ لأنه لوكان على هيئة الملك لم يستطيعوا رؤيته ، ولو كان على هيئة البشر ماصدقوه .

ثم إن القرآن الكريم ، قدم لهم الأدلة فى سورة أخرى على أن الرسول يجب أن يكون من جنس من أرسله الله إليهم ، حتى يفهموا عنه وحتى يستطيع هو بلاغهم ، فقال سبحانه : ﴿ **قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** ﴾ (٢) وقال جل شأنه : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام : ٨ ـــ ١٠ .

(٢) سورة الإسراء : ٩٥ .

(٣) سورة إبراهيم : ٤ .

والأمثلة فى القرآن الكريم على رد الشبهات ودحض المفتريات كثيرة ، يوضح فيها كيف يكون الجدل ، وكيف تدفع الشبهات .

وإن النظر فى الآيات الكريمة ، التى أورد فيها القرآن الكريم شبهات إبليس ، فى رفضه السجود لآدم ، وكيف أبطل القرآن هذه الشبهات ، وألزمه الحجة ، إن النظر فى تلك الآيات ، ليعلم الناس عموما ، والدعاة على وجه الخصوص ، كيف يكون الدفاع عن الحق ، وكيف يكون دحض الباطل ، ورد الشبهات والمفتريات ، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى .

وفى القرآن الكريم جدال مع الدهريين والماديين والملاحدة ، جاء ذلك فى سورة الجاثية من قوله تعالى : ﴿ **وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ **وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ (١) .

ثم جدال القرآن الكريم مع اليهود والنصارى ومشركى العرب جدال أبطل مفترياتهم وألزمهم الحجة بعد تبديد الشبهة ، ورد ذلك فى كثير من سور القرآن الكريم .

ثم جدال القرآن عن الحق ، أمام منكرى البعث ، قد قدم من الأدلة والبراهين الداحضة للشبه والمفتريات شيئا كثيرا مقنعا ، ولما للاعتراف بالبعث من أهمية فى الإيمان ، كثرت أنواع الجدال فى القرآن مع هؤلاء الذين أنكروا البعث ، فلم يؤمنوا .

والدعاة الواعون هم الذى يحسنون رد الشبهات ، ودفع المفتريات ، فإذا أزيلت هذه انفتح العقل ، وربما القلب لتقبل الحق والاستجابة له .

هؤلاء الدعاة لهم فى القرآن الكريم ، ومنهجه فى الجدال عن الحق ، ودفع المفتريات ماينفعهم نفعا كبيرا .

إن هذا الرد للشبهات ، والدفع للمفتريات ، أسلوب من أساليب الدعوة ، يلجأ إليه الدعاة إلى الله ، عند عرض الدعوة على المتشككين والمترددين الذين قرأوا فى كتابات أعداء الإسلام مازعموه من شبه ومفتريات .

---

(١) سورة الجاثية : الآيات من ٢٤ إلى ٢٨ .

الأسلوب الرابــع :

أسلوب التعهد والتربية والإعداد :

وهو أمثل الأساليب من حيث نتائجه ، ومن حيث الثقة فى هذه النتائج ، ولكنه فى مقابل ذلك أطول الأساليب زمنا ، وأكثرها مشقة وعناء .

وهذا الأسلوب يقوم على تعهد المدعو ، وعقد صلة طيبة به ، وربطه بالدعوة والداعى ، ربطا وثيقا ، أخوة فى الله ، وحبا فيه ، ثم تعهد هذا المدعو لتربيته وفق منهج الإسلام فى التربية ، وهو منهج يستوعب كل جوانب الشخصية ، ويتعهدها بالنماء والاستقامة .

وجوانب الشخصية هى : الجانب الروحى ، والجانب العقلى ، والجانب البدنى ، والجانب الأخلاقى السلوكى الاجتماعى ، تربية كل هذه الجوانب ، وفق منهج الإسلام فى تلك التربية ــ وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى مرحلة التكوين ــ وهى ثانى مرحلة من مراحل الدعوة ، وذلك فى الباب الثانى من الكتاب بإذن الله .

هذه التربية تعد المسلم ، للقيام بكل عمل ، يتطلبه منه الإسلام ، فى أى مجال من مجالات العمل ، وهذه التربية وإن كانت ــ كما قدمنا ــ الطريق الأطول ، والأسلوب الأصعب ، إلا أنها الأسلوب الأمثل ، والأهدأ والأقدر على الوصول إلى الهدف بأمان وسلام .

وقد ناقشنا ذلك ونحن نتحدث عن التغيير ووسائله ، وفضلنا هناك هذا الأسلوب على غيره من الأساليب التى تبلغ الأهداف .

إن الداعية إلى الله ، إذا استقطب واحدا من المسلمين ، أو أكثر ، ثم تعهدهم بهذا الأسلوب من التربية والإعداد ، يكون قد وضع لبنة قوية ، فى بناء قوى قادر على مطاولة الأحداث والمتغيرات ، ولما كانت الأحداث كثيرة ، والمتغيرات مستمرة ، فإن أحسن أسلوب لمواجهة هذا وذاك ، هو التعهد والتربية والإعداد .

ويحسب هذا الأسلوب فضلا ، بين أساليب الدعوة إلى الله ، أنه أكثر الأساليب ملاءمة للعصر الذى نعيش فيه ، ذلك العصر الذى عجزت فيه المدرسة والأسرة وأجهزة الإعلام ، عن أن تسهم فى تربية الأفراد تربية إسلامية صحيحة ، لأسباب عديدة لا مجال هنا للحديث عنها .

وبحسبه فضلا ــ كذلك ــ أنه تربية على يد مُرَبٍّ ، يتعهد ويُعد ، ويباشر التربية بنفسه ، ويرقب درجات النمو ، ومراحله ، ويتعهد كل ذلك بما يصلحه .

وبحسبه أخيرا أنه أمثل الأساليب فى تربية الرجال الملتزمين بالإسلام فى كل أمورهم ــ كما دلت على ذلك الشواهد فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ــ لقد أعد هذا الأسلوب رجالا ، جاهدوا فى سبيل الله فى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ م ، وإلى الآن ، وفى أندونيسيا ، وفى الفلبين ، وفى سوريا ، وفى أفغانستان ، وخاضوا معارك ، قدموا فيها الشهداء ، وما كان لهم أن يفعلوا ذلك ، إلا لأنهم ربوا التربية الصحيحة ، وفق هذا الأسلوب من أساليب التربية .

إن هذا الأسلوب فى التعهد والتربية والإعداد ، أسلوب قرآنى ، وأسلوب مارسه النبى ﷺ ، مع صحابته ، رضوان الله عليهم .

أما أنه أسلوب قرآنى ، فإن الله سبحانه وتعالى قد ربى رسله جميعا ، بالتعهد والإعداد ، قبل أن ينبئهم ويكلفهم بالرسالات ؛ وكثيرا ما عبر القرآن الكريم عن فترة الإعداد والتربية والتعهد بقوله تعالى عن بعض أنبيائه : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** ﴾[1] وهذا فى شأن موسى عليه السلام .

وقال تعالى فى شأن يوسف عليه السلام : ﴿ **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين** ﴾ [2] .

وعبر القرآن الكريم أحيانا ، عن هذا التعهد والتربية والإعداد بقوله تعالى : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عينى** ﴾ [3] .

وبلوغ الأشد الذى ورد فى حق الأنبياء معناه : أنهم بلغوا من تعهد الله لهم وتربيته وإعداده ، الحد الذى جعلهم أهلا لتحمل أعباء الرسالة ، وما يترتب على ذلك من مواجهة للناس ، ومحاولات لنقلهم من الضلال إلى الهدى .

والدعاة إلى الله الذين تعهدهم ورباهم وأعدهم سواهم ، لحمل أعباء الدعوة ومواجهة الناس بالحق ، هؤلاء الدعاة ، هم القادرون على أن يتعهدوا غيرهم ، ويربوهم ويعدوهم . فإن ذلك ــ كما أشرنا غير مرة ــ أمثل أساليب الدعوة إلى الله ، وأقربها من النجاح .

---

(١) سورة القصص : ١٤ . (٢) سورة يوسف : ٢٢ . (٣) سورة طه : ٣٩ .

الأسلوب الخامس :

أسلوب التجميع والتصنيف والتوظيف :

وهذا الأسلوب ، له أوثق الصلة ، بأسلوب التعهد والتربية والإعداد ، بل يكاد يكون مكملا له ، لأن الداعى إلى الله ، وهو يتعهد ، ويربى ، ويعد الناس لمراحل تلائمهم من مراحل الدعوة ، سيجد أمامه عددا من أولئك الذين تعهدهم ورباهم وأعدهم ، قد بلغوا أشدهم ـــ على حد التعبير القرآنى الكريم ـــ فماذا هو فاعل بهم ؟

إن بعض الدعاة قد يتصور ، أنه قد بلغ بهم ما بلغ ، وهذا حسبه ، وقد يزين له هذا التصور أن يجد فيهم من الاستجابة للإسلام ، والانتماء ، والالتزام مايفرحه ويقول فى نفسه : ما أحسن المجتمع ، الذى يكون أفراده ، على هذا النحو من التربية والإعداد .

ولكن ذلك قصور ، فى تصور العمل الإسلامي ومستقبله ، بل ومراحله ، وأولويات هذه المراحل ، إنه قصور ، قد يصل إلى حد الإهمال فالخطأ .

فما الصواب إذن ؟

إن الداعية إلى الله ، وقد وصل بمن تعهدهم ورباهم إلى هذا الحد ، عليه أن يقوم بعمل جليل ، يكمل به ما بدأه ، فإن لم يفعل ، فربما هدم ما بناه .

هذا العمل الجليل له مراتب ثلاثة ، أو خطوط ثلاث ، يفضى أولها إلى تاليها ، ويشد بعضها أزر بعض ، ولا يتكامل عمل إسلامى إلا بها مجتمعة .

هذه المراتب هى .

ـــ التجميع .

ـــ والتصنيف .

ـــ والتوظيف .

وسوف نلقى على كل واحدة منها ضوءاً يزيل عنها الغموض ، ريثما نتحدث عنها فى مراحل الدعوة ، بشىء من التوسع يقتضيه حينئذ الحديث .

المرتبة الأولى : التجميع :

بمعنى أن يجمع الداعية ، هؤلاء الذين تعهدهم ورباهم وأعدهم ، تجميعا ، يراعى فيه

عقد روابط بين كل مجموعة فيهم ، بحيث يراعى فى كل مجموعة ، أن يكون أفرادها متقاربين ، فى طاقاتهم الروحية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والمهنية ، حتى يمكنهم أن يتقاربوا ، وأن يتحابوا فى الله .

وأولى فوائد هذا التجميع ، أن كل مجموعة متقاربة منهم إذا رغب الدعاة ، فى توجيه جرعة مكثفة لهم ، فى جانب من جوانب التربية ، كانوا أكثر استجابة لها على نحو جيد ، نظرا لما بينهم من تقارب .

وهذه الرغبة عند الداعية إلى الله ، رغبة لا يمكن التخلى عنها ، أو تأخيرها لما بعد إعداد الأفراد وتربيتهم ، وتعهدهم بوقت طويل ، بل الأصل أن ذلك التجميع ، يتلو بلوغ هؤلاء الأفراد أشدهم فى المحضن الأول للدعوة .

والمرتبة الثانية : التصنيف .

ومعناه أن هؤلاء الذين جمعوا ، ووجهت إليهم جرعة مكثفة من التربية . يجب أن يصنفوا تصنيفا ، يضع فى اعتبار المصنف لهم ، مدى الاستجابة لحاجات العمل الإسلامى ، ومتطلباته من جانب ، ويراعى فيه قدرات الأفراد ، وما منحهم الله من استعداد .

وهدف هذا التصنيف ، هو سد الثغرات ، ودفع الحاجات عند اللزوم ، وهى مرتبة تالية لسابقتها ، ومترتبة عليها ، والمصنَّفون فيها أكثر قدرة واستعدادا ، ممن سبقوهم فى مرحلة التجميع .

إن هذا التصنيف تقتضيه ضرورة الاستمرار فى تعهد الناس بالتربية والإعداد ، وتقتضيه ضرورة أن يكون العمل الإسلامى منظما مرتبا لا تقف تطلعاته عند حد ، قبل التمكين لدين الله فى الأرض .

والمرتبة الثالثة : التوظيف :

ومعنى التوظيف أن يوضع كل مصنف فى المكان الملائم لاستعداده ، وقدراته فى ضوء ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ (١) وفى ضوء ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٢) سورة الزلزلة : ٧ .

ولا يتم هذا التوظيف على وجهه ، إلا أن تحدد أهدافه ، ووسائله ، ويحدد الأشخاص الذين يلائمون العمل ، ويستوفون أهلية القيام به .

وهذه المرتبة أهم من سابقتيها ، إذ هى التى تحصد فيها الثمرة ، بعد نضج واكتمال .

ولابد أن ننبه إلى حقيقة هامة فى هذا المجال وهى : أنه مهما كان التجميع جيدا والتصنيف دقيقا ، فإن التوظيف هو الذى يحكم عليهما بالفاعلية والإيجابية ، فبغير التوظيف ، يصاب التصنيف بالعقم ، وينفرط عقد التجميع ، ويصبح الوصول إلى الهدف ، ضربا من الوهم أو الخيال .

وهذا الأسلوب : أسلوب التجميع والتصنيف والتوظيف حركى أكثر من أى شىء آخر ، وهو فى الوقت نفسه مجال حيوى ، تمارس فيه قيادات العمل الإسلامى مهامها ، بعناية وتركيز فى مجال ضيق كهذا ، تمهيدا للانطلاق فى المجال الواسع ، عندما تتعدد أمام الدعوة إلى الله مجالات العمل ، ويتسع كل مجال منها ، ليشمل أكبر عدد من المسلمين الراغبين فى العمل من أجل هذا الدين ، الراجين من وراء ذلك رضا الله سبحانه .

ولا نبالغ إن قلنا : إن هذا الأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، هو الثمرة والنتيجة للخطوات التى تسبقه ، بل هو وحده الذى يجعل للمسلمين فى مجال العمل الإسلامى قوة منظمة ، قادرة على أن ترصد الهدف ، وعلى أن تصر على الوصول إليه بتوفيق من الله وعون .

الأسلوب السادس :

أسلوب الترغيب والتبشير :

وهو أسلوب قرآنى ، يعالج فى النفس البشرية حبها للخير وحرصها عليه واستكثارها منه .

ويمكن عرض الدعوة إلى الله من خلال هذا الأسلوب ، لجذب الناس إلى الخير العميم ، الذى ينتظرهم فى الدنيا والآخرة ، إذا كانوا حيث أمرهم الله .

وماذا يمنع الداعية إلى الله ، أن يفتح الأبواب أمام الناس ، أبواب الرجاء والأمل فيما عند الله ؟

إن الرجاء هو ارتياح القلب ، لانتظار ماهو محبوب عنده ، وللرجاء أسباب لابد من توفرها حتى يحصل مايرجى ، فإن لم تتوفر هذه الأسباب والأعمال ، فإن انتظار مايرجى أدخل فى الغرور والأمانى الكاذبة منه فى أى شىء آخر .

وإذا استطاع المسلم أن يعيش على رجاء أن يقبله الله ، ويغفر له مادام يقدم الأسباب والأعمال ، فإن ذلك من صميم الدين ؛ فقد ورد فى السنة المطهرة ، مارواه ابن ماجة بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه دخل على رجل وهو فى النزع فقال : « كيف تجدك ؟ » فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى ، فقال ﷺ : « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن ، إلا أعطاه الله مايرجو ، وأمنه مما يخاف » (١) .

وفتح باب الرجاء أمام الناس من صميم الدين كذلك ، قال تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (٢) وقال سبحانه . ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ...** ﴾ (٣) .

وفى الحديث الشريف ، مارواه البخارى بسنده ، عن أنس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (٤) .

وذكر الإمام الغزالى فى تفضيل الرجاء على الخوف قوله : « وفى أخبار يعقوب عليه

---

(١) ابن ماجة : سننه : باب الزهد .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ .

(٣) سورة الرعد : ٦ .

(٤) البخارى : صحيحه : ١ / ٢٧٠ ط الشعب .

السلام أن الله تعالى أوحى إليه : أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف ؟ ؛ لأنك قلت : أخاف أن يأكله الذئب ، وأنتم عنه غافلون ، لم خفت الذئب ، ولم ترجني ؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له » (١)..

إن ترك الرجاء في الله قنوط ويأس ، نهينا عنه شرعا ، قال الله تعالى : ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ (٣) .

والدعوة إلى الله طريق شاق وعسير ، وملىء بالعقبات والعراقيل ، فمن شقّه على رجاء ورغبة ، كان ذلك أعون له وأجدى عليه ، ومن هالته المشقات ، وقامت فى وجهه العراقيل ، فيئس ، أو قنط من رحمة الله وفرجه ، فقد خالف سبيل المؤمنين . فالمؤمنون لا ييأسون من روح الله ، ولا يقنطون من رحمته ، مهما أصابهم الفشل ، ومهما وضعت فى طرقهم العراقيل ، فقد حرم الله اليأس .

ذلك أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، يفرش للسالكين إلى الله طريقهم بالأمل والرجاء ، وفى الوقت نفسه يطالبهم بالعمل ، والأخذ بالأسباب ، ويحملهم حملا على تحمل أى مشقات ، مع تحريمه اليأس والقنوط ، ليكون ذلك انطلاقا بالإسلام وبدعوة الحق والهدى والرشاد .

ذلك شأن المسلمين الجادين ، الذين يعرفون واجبهم ، وما كلفوا به .

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ١ / ١٢٥ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ .

(٣) سورة الحجر : ٥٦ .

الأسلوب السابع :

أسلوب الترهيب والتهديد :

وهو ـــ كذلك ـــ أسلوب قرآنى يعالج النفس البشرية ، وحبها للأمن والسلامة ، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر ، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها .

ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب ؛ لجذب الناس حول الحق ، خوفا من العقاب ، وخوفا من فقدان السلامة والأمن .

وإذا كان الرجاء أعلى منزلة من الخوف .

وإذا كان العمل على الرجاء ، أفضل منه على الخوف ؛ فذلك لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم إليه ، والحب يغلب مادام على الرجاء ، فإن من الناس من لا يستجيب إلا إذا خوف وهدد ، وسبحان الله فى خلقه وفيما فطرهم عليه .

وإذا كان توقع المكروه والشر فى الحال ، أو فى الاستقبال يصيب الناس بالضيق والقلب بالألم ، فيحدث الخوف ، فإننا نحب أن نوضح هنا أن الخوف مبعثه العلم بأسباب الخوف ، والعمل بما يؤدى إلى الخوف ، ولذلك نقول : إن خوف الله ينبنى على العلم بالله ومعرفته ، وأخوف الناس لربهم ، أعرفهم بربه وبنفسه ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أنا أخوفكم لله » وفى رواية : « إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له » وفى رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « والله إنى لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ (٢) .

وقد قال أسلافنا : « الخوف سوط الله ، يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل ؛ لينالوا بهما رتبة القرب من الله ، وإذا كان الإنسان لا سعادة له ، إلا فى لقاء ربه ، والقرب منه ، ولا قرب من الله ، إلا بتحصيل محبته ، والأنس به فى الدنيا ، ولا محبة بغير معرفة ، ولا معرفة إلا بدوام الفكر ، ولا أنس إلا بدوام الذكر ، ولا مواظبة على الذكر والفكر ، إلا بانقطاع الشهوات ، ولا قطع للشهوات بشىء ، كالخوف ، فهو النار المحرقة للشهوات » (٣) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) سورة فاطر : ٢٨ .

(٣) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ١ / ١٣٩ بتصرف .

والدعاة إلى اللهِ يحتاجون من الناس عملا وفكرا وذكرا وأنسا ومحبة لله ، فمن كان كذلك وهو على باب الرجاء فبها ، ومن لم يكن على باب الرجاء كان على باب الخوف ، وسيق بسوطه إلى القرب من الله ولا حرج ؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ (١) . ويقول : ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾ (٢) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** ﴾ (٣) .

والأصل أن أسلوب الترغيب ، يكون موازياً لأسلوب الترهيب ، والرجاء يوازى الخوف ، ومن خلالهما معا تكسب الدعوة إلى الله أنصارا مؤيدين ، منهم من أقبل على العمل حبا فى الله ، ومنهم من أقبل عليه خوفا منه ، وفى هذا وذاك خير ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤ .

(٢) سورة البينة : ٨ .

(٣) سورة آل عمران : ٢٨ .

ثانيا : وسائل الدعوة إلى الله

والوسيلة ـــ كما قلنا ـــ هى العمل الذى يحقق أهداف الدعوة إلى الله ، وتلك الأهداف قد حددناها آنفا وهى فى إجمال : « **إعانة الناس على عبادة ربهم ، وعلى التعارف فيما بينهم ، وعلى تغيير الواقع السيىء الذى يعيشه المسلمون ، وعلى تربية الفرد ، وإعداد البيت والمجتمع ، والعمل على إيجاد حكومة إسلامية ، تطبق شرع الله ، والعمل على تحرير الأوطان الإسلامية من كل مستغل أجنبى ، وعلى إيجاد الوحدة الإسلامية ، وعلى نشر دعوة الإسلام فى العالم كله ، وإقامة الخلافة الإسلامية** » .

والوسائل العامة للدعوة الإسلامية وتبليغها للناس يمكن أن نجملها فى ثلاث وسائل :

الأولى : التبليغ بالقول .

الثانية : التبليغ بالعمل .

الثالثة : التبليغ بالقدوة .

ولكل وسيلة من هذه الوسائل فروع ومفردات نشير إليها إجمالا على النحو التالى :

الأولى : وسيلة التبليغ بالقول :

وقد أشرنا إلى ذلك ، ونحن نتحدث عن الجهاد بالكلمة واللسان وقسمنا هذه الوسيلة آنفا إلى :

خطبة ، ومحاضرة ، ودرس ، ومناظرة ، ورسالة ، ومقالة ، وكتاب ، وتحدثنا هناك عن كل واحدة منها بما رأيناه كافيا ، وموفيا على الغاية ، ولا نجد داعيا لإعادته هنا فليعد إليه القارئ هناك .

الثانية : وسيلة التبليغ بالعمل :

والتبليغ بالعمل يتناول ثلاثة مناشط :

الأمر بالمعروف ،

والنهى عن المنكر ،

وإقامة المنشآت والمؤسسات الخدمية .

فالأمر بالمعروف ،

والنهى عن المنكر ؛ سبق أن تحدثنا عنهما بتفصيل ، ونحن نتحدث فى الفصل الرابع من هذا الباب ــ عن أركان الدعوة إلى الله ، إذ اعتبرنا آنذاك أركان الدعوة إلى الله ثلاثة : العقيدة ، والعبادة ، والخلق ، أو العمل ، أو السلوك . وجعلنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعمدة هذه الخلقيات والسلوكيات ، وفصلنا القول بما لا نحتاج معه إلى إعادة .

وكلا النوعين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسيلة عملية من وسائل الدعوة إلى الله .

وأما إقامة المنشآت والمؤسسات الخدمية :

فمعناه أن الدعاة إلى الله ، والمنضمين إليهم من الناس ، الذين استجابوا لربهم ، عليهم أن يلجأوا إلى الأسلوب العملى ، القائم على تلبية احتياجات الناس إلى المنشآت ، والمؤسسات الخدمية .

إن هذه المنشآت ، وتلك المؤسسات ، لابد أن تبدأ صغيرة ، تسد حاجة فرد أو عائلة ، ثم تكبر وتتسع ، لتسد حاجة حى أو قرية أو مدينة ، ثم تزداد تعاظما واتّساعاً لتسد حاجة المجتمع كله ، ثم تأخذ وضعها الأمثل ، بأن تعظم بعض هذه المنشآت والمؤسسات ، حتى تسد حاجة العالم الإسلامى كله ، بإذن الله .

والعاملون فى الحقل الإسلامى ، مطالبون بذلك شرعا ؛ لأن الدعوة إلى الله ، ليست مجرد كلام ، وإنما هى كلام وعمل وتنفيذ مواكب ، يتوازى فى حركته وسيره ، نحو تحقيق الأهداف مع الكلمة ومع القدوة .

وما ينبغى لعامل فى الحقل الإسلامى أن يستهين بمنشأة ، مهما كانت صغيرة ، مادامت تحقق للمسلمين مصلحة ، أو تدفع عنهم مفسدة أو حاجة ؛ لأن الصغير مع الصغير كبير ، والقليل مع القليل كثير ، ولأن أطول طريق يقطع أو يبدأ فى قطعه بخطوة واحدة ، ولأن المعصوم ﷺ ، فيما رواه البخارى بسنده ، عن أم المؤمنين عائشة قد قال فى حديث له : « ... وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » (١) إنما العيب ألا تكون هناك منشأة أو مؤسسة ، تلبى حاجات المسلمين ، مهما تكن صغيرة أو ضئيلة . .

---

(١) رواه كل أصحاب السنن .

الثالثة : وسيلة التبليغ بالقدوة :

وهى وسيلة عملية ناجحة ، تضع أمام الداعى صورة حية لما يدعو إليه ، حيث يقتدى المدعو بسيرة الداعى ، ويرى فيه الأنموذج الجيد لما يدعو إليه ، وبذلك ينجذب المدعوون إلى دعوة الله ، ويقبلون بشغف عليها ، شأن النفس البشرية ، حينما تجد الأنيس والرفيق والشريك والمعين .

غير أن أسلوب الدعوة إلى الله بالقدوة محفوف ببعض المحاذير والمزالق ، ولابد لنا هنا أن نذكر بعضها لنحذر منها ، وهى كما نتصور مايلى :

١ ـ غرور الداعى ، أو إعجابه بنفسه ، أو عمله ، عندما يرى الناس يقتدون به ، ويتأسون بعمله ، وهى آفة نعوذ بالله منها ، ونسأل الله أن يباعد بينها وبين الدعاة إليه .

٢ ـ ربط الناس بالأشخاص لا بالمبادىء ، فالأشخاص مهما كانوا ، ومهما أوتوا من صفات ، هم إلى زوال ، بحكم خلقتهم ، وما فطرهم الله عليه ، أما المبادىء فباقية مابقى على وجه الأرض أحد من الناس . فالداعية الذى يربط الناس بشخصه ، غافل عن تلك الحقيقة ، وليس له أن يغفل عنها ، وهو يعمل فى حقل الإسلام .

٣ ـ وقوع بعض الدعاة ـ والعياذ بالله ـ فى أحبولة عدم تطابق الظاهر مع الباطن ، وذلك أنه يرى أن الناس تقتدى به ، فيقتضيه هذا أن يزين من نفسه ، ومن عمله بأكثر مما هو عليه ، فى واقع الأمر وحقيقته ونسأل الله ألا يوقع أحد الدعاة فى ذلك ؛ لأن تلك آفة الآفات والعياذ بالله .

والأصل الأصيل ، الذى يجنب الدعاة هذه الآفات ، أو غيرها مما لم نذكرها هو : التواضع لله ، والشعور بأن العمل أقل من الأمل ، وأن العمل مهما كان لن يدخل صاحبه الجنة ، وإنما هو فضل الله ورحمته ، كما ورد ذلك على لسان المعصوم ﷺ : « لن يدخل الجنة أحدا عمله » ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » [1] .

---

(١) رواه أصحاب السنن ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ بعض الروايات من بعض ، مع المحافظة فى كل الروايات على المعنى .

ويحتاج الداعى إلى الله ، لكى يعطى فى دعوته القدوة الحسنة ، إلى أمور ضرورية وجوهرية ، نذكر منها :

١ ــ عمق الإيمان وحسن الصلة بالله .

٢ ــ ودقة الفهم لعمله ولدعوته إلى الله .

٣ ــ والمداومة على العمل الصالح ، وحب الخير للناس .

٤ ــ والتضحية بالوقت والجهد والمال فى سبيل الله والدعوة إليه ، فلا دعوة بغير تضحية .

٥ ــ والتواضع لله ، والاعتراف بالتقصير ، والخطأ مهما مَنَّ الله عليه به من نجاح فى دعوته ، إذ الكمال لله وحده ، ومن تواضع لله رفعه .

٦ ــ حسن الخلق ، والتأسى فى ذلك برسول الله ﷺ ، واتخاذ القرآن الكريم ، وما جاء فيه من صفات المؤمنين ، مرتكزا ومنطلقا ، للتحلى بالقيم الأخلاقية الإسلامية ، وفى بداية سورة « المؤمنون » ، ونهاية سورة « الفرقان » فرصة جيدة للتأمل فى صفات المؤمنين ، ومحاولة التحلى بها [١] .

وفى كثير من آيات القرآن الكريم ، غير هذين الموضعين ، مافيه غناء وشفاء فى التحلى بمكارم الأخلاق .

٧ ــ مراقبة الله سبحانه وتعالى فى كل قول وكل عمل يمارسه الداعية إلى الله ، لأن مراقبة الله تولد فى النفس خشيته وتقواه ، والخشية تؤدى إلى الحب ، والإقبال عليه بالتقرب بالطاعات وترك المعاصى . والحب يولد الرضا بقضائه وقدره ، وكل تلك معالم رئيسة فى شخصية كل من يتصدى للدعوة إلى الله .

٨ ــ اتخاذ الإحسان مبدأ فى الحياة وفى العمل ، وفى كل شيء يأتيه المسلم أو يدعه ؛ لأن الإحسان ، قد كتبه الله على كل شيء ، وطالب به كل مسلم ومسلمة ، ومقتضى الإحسان ، أن يأخذ الإنسان أقل مما له ، وأن يعطى أكثر مما عليه ، وتلك سمات الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى .

٩ ــ الاجتهاد فى أن يعمل الدعاة على القيام بكل عمل يؤدى إلى جلب مصلحة للمسلمين ، عامتهم أو خاصتهم ؛ لأن ذلك أصل من أصول شريعة الإسلام .

---

(١) سورة المؤمنون : ١ ــ ١١ وسورة الفرقان : ٦٣ ــ ٧٧ .

١٠ ــ الاجتهاد وبذل غاية الوسع من كل داعية إلى الله ، فى دفع الضرر أو المفاسد عن المسلمين ، عامتهم أو خاصتهم ، فإن ذلك ــ كذلك ــ أصل من أصول شريعة الإسلام .

وبعد : فتلك صورة مجملة لوسيلة الدعوة إلى الله عن طريق القدوة والله يوفق من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإن الآية القرآنية التى تعد أُمًّا فى وسائل الدعوة ؛ حيث اشتملت على الوسائل الثلاث : القول والعمل والقدوة ، هى قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [١] .

فمن الدعوة بالقول فى هذه الآية الكريمة :

١ ــ الدعوة إلى الله بالحكمة .

٢ ــ والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة .

٣ ــ والجدال بالطريقة التى هى أحسن .

ومن الدعوة إلى الله بالعمل فى هذه الآية الكريمة :

١ ــ الاقتصاد فى الرد على المساءة بمثلها .

٢ ــ الصبر على مشاق المدعوين ومتاعبهم .

٣ ــ صدق التوكل على الله .

٤ ــ عدم اليأس من المدعوين .

٥ ــ عدم الضيق بما يوجهه أعداء الدعوة إلى الدعاة .

ومن الدعوة إلى الله بالقدوة فى هذه الآية :

١ ــ تقوى الله .

٢ ــ الإحسان .

نفعنا الله بكتابه ، وبما جاء فيه من الهدى والبينات .

(١) سورة النحل: ١٢٥ ــ ١٢٨ .

الفصل السابع

نتائج الدعوة إلى الله

نتائج الدعوة إلى الله

ربما كان الأقرب إلى المنهجية ، أن يكون هذا العنوان آخر عنوان فى الكتاب بأبوابه الأربعة ، غير أنى عمدت إلى الحديث عنه ، كفصل من فصول فقه الدعوة ، وهو الباب الأول ؛ لأن الحديث عنه فى باب مستقل ، ربما يعجز الكاتب أى كاتب لضخامة ما يجب أن يرصده فى هذا الباب .

لذلك آثرت أن أشير إلى النتائج فى وقت مبكر ، وفى ترتيب باكر فى فصول الكتاب ، وأبوابه ، ليس هروبا من عناء ، أو إيثارا لدعة ، ولكن لتكون تلك النتائج فى هذا الوقت من قراءة الكتاب ، كالبشرى للقارئ ، تبعث فى نفسه الأمل ، وتثير عنده الرغبة فى المشاركة فى الدعوة إلى الله ــ وتفتح أمامه بابا من الأبواب ، يمكن أن يدخل من خلاله إلى الإسهام فى العمل الإسلامى ؛ فشأن الداعى إلى الله أن يبشر ولا ينفر وييسر ولا يعسر .

ماقصدت بالحديث عن النتائج الآن ؛ إلا هذا ، أو قريبا منه ، فعساى أن أكون فيه من الموفقين .

وسوف أرصد من هذه النتائج ، ما يتسع له المجال فى هذه العجالة ــ وربما أتيحت فرص أخرى لرصد بعض نتائج الدعوة إلى الله فى ثنايا الكتاب ــ على النحو التالى :

النتيجة الأولى :

هى أن يعرف كل مسلم ، واجبه فى الدعوة إلى الله ، ويعرف مكانه فى قافلة الدعاة ، فإن من فقه الدعوة ، التعرف على هذا وذاك ، ثم العمل وفق هذا وذاك .

النتيجة الثانية :

أن الداعية إلى الله ــ وقد فقه ــ يحاول أن يحقق فى نفسه الأهلية للدعوة إلى الله ، وهى التى عبر عنها القرآن الكريم بالبصيرة فى قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾[1] والبصيرة معرفة وعلم وفقه وتأهل لحمل الأعباء .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

النتيجة الثالثة :

هى المعرفة الجيدة بطبائع المدعوين ، والحرص على هدايتهم ، وضمهم إلى القافلة السائرة ، نحو الهدف الكبير ــ إقامة المجتمع المسلم ، فالأمة المسلمة ، فالدولة المسلمة الموحدة ، فالخلافة الإسلامية الباذخة ــ ليكونوا عونا فى كل هذا وليسهموا فى هذا التكوين ، كل بما يستطيع ، وبما منحه الله من إمكانات .

النتيجة الرابعة :

التعرف على أدواء الأمة الإسلامية ، رصدها وتشخيصها ، ووضع التصورات التى تؤدى إلى علاجها ؛ لتأخذ الأمة الإسلامية مكانها ومكانتها ، فتشع ــ كما فعلت من قبل ــ بالخير والهدى على البشرية جمعاء .

النتيجة الخامسة :

التعرف الدقيق على التيارات المعادية للإسلام وأهله ، تعرفا يكشف عن أهدافها ووسائلها ، لمقابلة هذه التيارات بما يبطل أثرها ، وما يحول بينها وبين تحقيق أهدافها فى الأمة الإسلامية .

النتيجة السادسة :

هى التعرف الجيد على أهداف الدعوة إلى الله ، وأساليبها ، ووسائلها ، ومراحلها ، وطبيعة العمل فيها ، وأولويات هذا العمل .

النتيجة السابعة :

التعرف الدقيق على أن الدعوة إلى الله ، ليست كلاما يزوق ، ولا خطبا رنانة ، ولا قصائد شعر وإنما هى إلى جوار ذلك ، عمل ونظام ، وتنظيم ومؤسسات ، ومنشآت تبدأ صغيرة ــ ولابد أن تبدأ ــ ثم تكبر وتتعاظم ، حتى تغطى احتياجات الأمة الإسلامية كلها . وهى علم على أعلى مستويات العلم ، التى تتمكن بها الأمة الإسلامية ، من أن تسخر لصالحها مافى الأرض جميعا .

هذه نتائج مباشرة لفقه الدعوة إلى الله ، وهى مجملة غاية الإجمال ، وتحت كل واحدة من هذه النتائج السبعة كثير من الفروع والمفردات ، لكن جامعا لها جميعا ، يمكن أن يصاغ فى كلمات هى : **أن يكون الأمر كله لله .**

وإنما يتحقق ذلك ، بأن يأخذ القرآن الكريم مكانه فى حياة المسلمين ، ومكانته فى قلوبهم ، وفاعليته فى نظمهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .**

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون .

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون .

أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[1] .

والمعنى الذى تؤكده هذه الآيات الكريمة ، والذى يسعى الدعاة المخلصون والمسلمون الملتزمون إلى تحقيقه ، وتطبيقه والالتزام به ، يتمثل فى أمور أكدتها الآيات الكريمة ، وهى :

١ ـــ أن دستور الإسلام الكامل التام ، الذى رضيه الله دينا للناس ، هو القرآن الكريم ، الذى لازم الحق دائما ، فى أحكامه وأخباره ، ومايصلح الناس ، ويجلب لهم ما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم .

٢ ـــ أن هذا الدستور الإسلامى ، مصدق لما أنزل الله قبله من كتب ، كالتوراة والإنجيل ـــ قبل أن يدخلهما تحريف ـــ بل هو شاهد على هذه الكتب بالصحة ، ورقيب عليها بما فيه من الحق ، وما تكفل الله به من حفظه ، واستحالة أن يدخله تحريف أو تغيير ، فمن أراد أن يعرف حقيقة أى دين نزل من عند الله ، فليلتمسه فى القرآن الكريم .

٣ ـــ الدستور الإسلامى يجب أن يحكم به المسلمون بين أهل الكتاب أنفسهم ـــ فضلا عن ضرورة الحكم به بين المسلمين ، لأنه الشريعة التى لا تظلم ولا تحابى ، ولا يجوز التحاكم إلى سواها .

---

(١) سورة المائدة : ٤٨ ـــ ٥٠ .

٤ ــ كان من حكمة الله سبحانه ، أن جعل لكل أمة شريعة ومنهاجا ، ليلتزم بها أهلها ، ولو شاء الله لجعل الإنسانية كلها ذات منهج واحد ، وشريعة واحدة ، فى كل عصر ومصر ، ولكنه جعلهم مختلفين ؛ ليختبرهم فيما آتاهم من الشرائع ؛ ليعرف من أطاعه ممن عصاه ، فعلى البشرية أن تسارع فى فعل الخير لأن مرجع الناس جميعا إلى الله ، فيعرفهم هناك حقائق هذا الخلاف والاختلاف ، ويجازى كلا بما صنع ، وبما رفض من تحكيم كتاب الله الخاتم المهيمن على كل كتاب .

٥ ــ طالب الله رسوله ــ وكل من يتولى أمر المسلمين فى أى مكان ــ أن يحكم بين الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، بما أنزل الله فى هذا الدستور الجامع ــ القرآن الكريم ــ وألا يتبع أهواء المتحاكمين ورغباتهم ، فى أن يحكموا بما أرادوا هم لا بما أراد الله .

٦ ــ حذر الله سبحانه رسوله ، وكل حاكم مسلم ، أن يصرفه المتحاكمون إلى القرآن الكريم ، عن بعض ما جاء فى القرآن ، مهما كانت الحجج التى يسوقونها ، والأسباب التى يبدونها ، لأن الموافقة على ذلك ، تعطيل لدستور الإسلام ، وهو القرآن الكريم .

٧ ــ عند رفض الناس ، أى ناس ، أن يتحاكموا إلى كتاب الله ، ورغبتهم فى سواه من النظم والقوانين أو الأديان ، فإن معنى ذلك أن هؤلاء الناس قد تولوا عما أمرهم الله ، وأن الله سبحانه سوف يجازيهم ، ويصيبهم بفساد أمورهم ، لفساد نفوسهم ، بسبب ما أقدموا عليه من التولى والنكوص ، ورفض التحاكم إلى كتاب الله ، وأحكام شريعته ، ثم هو يعاقبهم فى الآخرة على كل ما أتوا من مخالفات .

٨ ــ ليس للنبى ﷺ ، ولا لأى حاكم مسلم فى أى دولة مسلمة ، إذا رأى الناس قد أعرضوا عن التحاكم إلى كتاب الله ، أن يجزع أو ييأس من دعوتهم إلى التحاكم إلى كتاب الله ؛ لأن طبائع الناس هكذا ﴿ **وإن كثيرا من الناس لفاسقون** ﴾ يتمردون على أحكام شريعة الله ونظامها .

٩ ــ يستنكر الله سبحانه على هؤلاء الناس أن يرفضوا التحاكم إلى كتاب الله ، أو الخروج على تشريعاته ونظمه ، ويصفهم بأنهم يرغبون فى حكم جاهلى ــ وكان الحكم الجاهلى مليئا بالظلم والجور ، والتخلف الحضارى ــ إذ الجاهلية هى الحالة التى يكون عليها الناس ، قبل أن يصلهم هدى الله عن طريق أنبيائه ورسله ، ولكل أمة

جاهليتها ، وأوضح ما يميز الجاهلية ، أن الناس فيها ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ﴾[1] .

١٠ ــ ينكر الله سبحانه عليهم أن يتصوروا ، أو يتوهموا أن هناك حكما يصلحهم ، ويدفع عنه الضرر ، غير حكم الله سبحانه .

كما يقرر أن أحسن الأحكام بين الناس التى تقر فيهم العدل ، فتحمى ضعيفهم من قويهم ، هى أحكام الله التى شرعها لهم ، وألزمهم بها ، والتى اتبعها الذين يوقنون بالشرع الإلهى ، ويذعنون للحق الذى جاء من عند الله .

هكذا نفهم هذه الآيات الكريمة كنتيجة أحسن نتيجة لفقه الدعوة إلى الله .

وحسبك بالمجتمع العالمى كله ، وقد هيمن عليه خاتم كتب الله ، وأكملها وأتمها ، وأرضاها لله ، وأكثرها قدرة على جلب المصالح ، ودفع المفاسد ، حسبك بهذا المجتمع ، مجتمعا يعيش سعادة الدنيا والآخرة .

أهناك نتيجة أروع من هذا أو أجمل ؟

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ .

الباب الثانى

فقه مراحل الدعوة

ويتناول : التقديم وأربعة مراحل :

١ ـ مرحلة التعريف .

٢ ـ مرحلة التكوين .

٣ ـ مرحلة التنفيذ .

٤ ـ مرحلة التمكين .

فقه مراحل الدعوة

التقديم ...

بعد حديثنا عن فقه الدعوة ، من حيث مفهومها ، وتاريخها ، وأسبابها ، وأركانها ، وأهدافها ، وأساليبها ، ووسائلها ، ونتائجها ، واحدة واحدة ، فى الباب الأول من الكتاب ، نود أن نستحضر كل ذلك ، ونحن نتحدث عن مراحل الدعوة ؛ لأن الموضوع يكاد يكون موحدا ، وإنما قسم من أجل منهجية البحث .

ونعنى بهذا الباب الثانى : « فقه مراحل الدعوة » أن نحدد هذه المراحل ، ونبين كل ما يتصل بها فى مجال الدعوة والدعاة والمدعوين ؛ لذلك آثرنا أن نتحدث عن كل مرحلة من مراحلها الأربعة وفق منهج بحث واحد ، تناول فى كل مرحلة فصولا ستة هى :

١ ــ تعريف المرحلة ، وتحديد أبعادها .

٢ ــ طبيعة المرحلة ، ومتطلباتها .

٣ ــ أهداف المرحلة ، ووسائلها .

٤ ــ حكم الشرع فى ممارسة العمل فيها .

٥ ــ المدى الزمنى للمرحلة ، وأولويات العمل فيها .

٦ ــ برنامج المرحلة ومحتواه .

التزمنا هذه المنهجية فى كل مرحلة لنؤكد ونثبت فى نفوس الدعاة طريقة فى البحث نراها مفيدة وجيدة ، لعلهم يتخذونها سبيلا فى عملهم ، وهم يدعون إلى الله ، فإن فعلوا فقد أُجِرُوا إن شاء الله ، وأجرت معهم ؛ لأنى دللت على الخير ، وإن لم يفعلوا ، فربما وفق الله بعضهم إلى منهج أكثر توفيقا وتسديدا .

وعند النظر فى الدعوة إلى الله ، والتأمل فى شئونها ، نجد من الضرورى الاستئناس بآراء أعلام الدعوة فى عصورها المتعددة ، والاستفادة مما صنع أولئك المصلحون المجددون ؛ لنتم استفادة اللاحق بالسابق فى ذات المجال .

وقد فعلت وايم الله ، وبخاصة فى أولئك المصلحين المجددين فى أخريات القرن الثالث

عشر ، وكل القرن الرابع عشر الهجريين فأفدت منهم ، ما أسأل الله أن يجزيهم عنى وعن المسلمين فيه أحسن الجزاء .

فقد كانت لى دراسات فى مجال الدعوة إلى الله مع :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

والسيد جمال الدين الأفغانى .

والشيخ محمد عبده .

والشيخ عبد الرحمن الكواكبى .

ظهر بعضها فى كتب والبعض الآخر أعدت دراساته ولم تنشر بعد[1] .

وكان من فضل الله علىّ أن كانت لى صلة وعلاقة بالإمام الشيخ « حسن البنا » صلة تلميذ بأستاذ فى مدرسة الدعاة ، وصلة مريد بشيخ فى مجالات أخرى ، ثم قضى الرجل شهيدا ، وترك فى مجال الدعوة الإسلامية رؤية لم يسبق إليها ، وفقها لم أر له نظيرا عند واحد ممن درست حياتهم ، ممن ذكرت ، أو من غيرهم ، كما ترك أثرا فى الحركة الإسلامية المعاصرة ، لم يتركه سواه ، ممن سبقوه من المصلحين المجددين .

فكانت استفادتى بفكر الإمام البنا ورؤيته فى الدعوة إلى الله ، أكبر من سواها ، وكانت لى دراسات وبحوث فيما خلفه من رسائل وبحوث ، إلى الحد الذى يجعلنى أقول : **إن فقه مراحل الدعوة إلى الله ، على هذا النحو الذى سأسوقه ، إنما هو من فقه الإمام البنا وتوفيق الله له .**

وإن مراحل الدعوة كما أوضحها داعية العصر الحديث هى :

مرحلة التعريف أو التبليغ .

ومرحلة التكوين أو الإعداد والتربية .

ومرحلة التنفيذ أو الجهاد .

وهو تقسيم واع ، استقاه الإمام البنا من ظروف الدعوة والدعاة والمدعوين ، ومن حاجات العصر الحديث ومتطلباته .

---

(١) ظهر كتاب عن : السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وكتاب عن : جمال الدين الأفغانى .

ولكل مجتهد أن ينظر فى هذه المراحل ، فيزيد عليها ، أو ينقص منها ، وفق ما تقتضيه حاجة العصر الذى يعيش فيه ، وإن كان الأساس الذى وضعه الإمام الشهيد فى تقسيم الدعوة ، إلى هذه المراحل الثلاث ، أساسا ركينا .

وقد زدت على هذه المراحل الثلاث ، مرحلة رابعة ، أرى أن الحديث فيها أصبح ضرورة عصر ، بعد هذه المتغيرات الضخمة الشاملة ، فى حياة الناس . هذه المرحلة التى زدتها هى : « **مرحلة التمكين** » ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وهذا الاجتهاد وارد دائما ، طالما لا توجد لدينا نصوص إسلامية ، تحدد مراحل الدعوة إلى الله ، لأنه من المقرر لدى علماء الإسلام ، أنه « لا اجتهاد مع النص » لأن نصوص الإسلام دائما ، تغنى عن كل اجتهاد .

وقد استبان لنا فى الباب الأول من الكتاب أمور أهمها :

* **أنَ أهداف الدعوة إلى الله عموما هى :**

إعانة الناس على عبادة الله ، وفق ماشرع ،

ومعاونتهم على التعارف فيما بينهم ، وصولا إلى التعاون ، فالتناصر ،

ومساعدتهم على تغيير الواقع السيّىء الذى يعيشون ،

وتربية الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ،

والعمل على إيجاد الحكومة الإسلامية ،

وتحرير الأوطان الإسلامية من كل أجنبى عنها ،

والعمل على إيجاد الوحدة الإسلامية بين المسلمين ،

والعمل على إعادة الخلافة الإسلامية فى شكلها الملائم للعصر ،

مع المحافظة على جوهرها ووظائفها ،

ثم نشر دعوة الله فى العالم كله ، حتى لا يعبد غير الله فى الأرض .

* **وأن أركانها هى :**

العقيدة ،

والعبادة ،

والسلوك الاجتماعى الذى يبرز فيه ، العدل والإحسان ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* **وأن أساليب الدعوة هى :**

أسلوب الشرح والتفسير للدين ونصوصه ،

وأسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية وغيرها ،

وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات ،

وأسلوب التعهد والتربية والإعداد ،

وأسلوب التجميع والتصنيف والتوظيف ،

وأسلوب الترغيب والتشجيع ،

وأسلوب الترهيب والتهديد .

* **وأن وسائل الدعوة إلى الله فى إجمال هى :**

التبليغ بالقول ،

والتبليغ بالعمل ،

والتبليغ بالقدوة .

* **وأن نتائج الدعوة إلى الله هى :**

وجوب معرفة الله معرفة صحيحة ،

والتأهل للدعوة إلى الله بمؤهلاتها ،

والمعرفة الجيدة بطبيعة المدعوين ،

والتعرف على أدواء الأمة الإسلامية ،

والتعرف على التيارات المعادية للإسلام ،

وعلى أساليب الدعوة ووسائلها ،

واليقين بأن الدعوة إلى الله ليست مجرد كلام .

كل ذلك وغيره وضح فى الباب الأول من هذا الكتاب والحمد لله على ذلك إن كان ، ونستغفره من الخطأ والزلل .

ونضيف هنا حقيقة كبرى فى العمل الإسلامى هى :

« أن تحقيق أهداف العمل الإسلامى والوصول إلى غاياته يتطلب أحيانا — بل غالبا — تغييراً فى الوسائل واختياراً للأساليب ، بالنسبة للمتغيرات الكثيرة المستمرة فى حياة الناس جميعاً .

وأن هذه الحقيقة تستدعى أن يقسم العمل الإسلامى فى الدعوة إلى الله ، أو تقسم الدعوة إلى الله نفسها إلى مراحل ، وأن تقسم كل مرحلة فى داخلها إلى أولويات .

وعند النظر والتأمل فى الخطوات اللازمة ، لبلوغ الأهداف ، وتحقيق الغايات ، نجد الدعوة إلى الله تنقسم إلى تلك المراحل التى أشار إليها الإمام البنا ، والتى زدنا عليها نحن واحدة هى مرحلة التمكين .

ولنأخذ فى الحديث عن هذه المراحل واحدة واحدة ، بعد ذلك التقديم الذى قدمنا به للمراحل كلها .

والله ولى التوفيق .

المرحلة الأولى : مرحلة التعريف

وتشمل :

الفصـــل الأول : تعريف المرحلة وتحديد أبعادها .

الفصل الثانــى : طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

الفصل الثالــث : أهداف المرحلة ووسائلها .

الفصل الرابــع : الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فيها .

الفصل الخامس : المدى الزمنى للمرحلة وأولويات العمل فيها .

الفصل السادس : برنامج المرحلة ومحتواه .

الفصل الأول

تعريف المرحلة وتحديد أبعادها

تعريف المرحلة وتحديد أبعادها

أولا : التعريف بالمرحلة

بين التعريف والتبليغ :

هى مرحلة التعريف : أى العرفان ، وهو إدراك الشيء ، بتفكر وتدبر لأثره ، وضده الإنكار ويقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال يعلم الله ، لأن معرفة الله ، بتدبر آثاره ، دون إدراك ذاته .

ويقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال يعرف كذا ؛ لأن المعرفة تستعمل فى العلم القاصر ، المتوصل إليه بتدبر وتفكر .

والمعنى أنها المرحلة التى يدرك فيها المدعو إلى الله ، بتفكر وتدبر للآثار المحيطة به ، يدرك حقيقة الإسلام ، وكنهه ، وأهدافه ، ووسائله ، وأركانه ، وواجباته ، وشروطه ، وآدابه .

والتبليغ أو البلاغ : هى الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى فى مكان أو زمان أو أمر من الأمور المقدرة . قال تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب** ﴾ (١) .

والتبليغ عمل كل رسول من رسل الله ، عليهم السلام ، طالبهم الله بالقيام به ، وقال فى شأن محمد ﷺ : ﴿ **ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ (٢) .

والتعريف والتبليغ ، كلاهما يدور حول هدف واحد ، هو بلوغ الغاية والمقصد ، فى فهم المدعو للإسلام فهما متكاملا .

وهذه المرحلة ، مرحلة التعريف ، هى المرحلة الأولى ، أو الابتدائية فى مراحل الدعوة إلى الله ، غير أن ذلك ، ليس معناه ، أن هذه المرحلة يختار لها أفرادها ، من فراغ ودون

(١) سورة إبراهيم : ٥٢ . (٢) سورة المائدة : ٦٧ .

أدنى استعداد ، ليس ذلك صحيحا بحال .

وإنما يسبق هذه المرحلة ـــ على الرغم من أنها الأولى ـــ تمهيد لابد منه ، يهيىء الأفراد لدخول مرحلة التعريف .

هذا التمهيد يكون مع أفراد فيهم صلاح ، وممن يترددون على المساجد لأداء الفرائض وحضور الدروس .

وهؤلاء الناس يتعهدون فرادى ، لتقوية روح التدين عندهم ، وتشجيعهم على الاستزادة من أعمال الخير ، وتعليمهم تلاوة القرآن ، وعقد رابطة بينهم ، وبين السنة النبوية المطهرة ، وسيرة الرسول ﷺ .

وتوثق بهم الروابط ، وتعد لهم زيارات لأهل العلم من المسلمين ، ويشاركون فى رعاية المسجد ، وتزويده بالكتب الدينية ، والقراءة فى هذه الكتب ، كما يشاركون فى القيام بأعمال الخير الخاصة بالحى الذى يسكنون فيه ، والمسجد الذى يرتادونه ، أو العامة إن دعت ضرورة لذلك .

والأصل فى كل واحد من هؤلاء الأفراد ، أن يلزمه واحد من الدعاة ، يصادقه ويزوره ، ويكون فى خدمته بأن يعينه على ما يستطيع من أمره كله ، بحيث يشعر أن أخوة الإيمان التى حظى بها فى المسجد ، أخوة حقيقية ، لا يستغنى فيها المسلم عن أخيه المسلم .

وتتحين معه الفرص ، لإحياء المناسبات الإسلامية ، كما ينبغى أن تُحيا ـــ لا كما هو شائع فى المجتمع مما لايقره الإسلام فى بعض الأحيان ـــ وهى فرص معلمة بشكل عملى ، تسهم فى إنضاج هذا الفرد ، وتنويره فى شئون دينه .

ويا حبذا لو نظمت لعدد من هؤلاء الأفراد ، رحلات خلوية للتريض والترفيه والتجديد ، مع ضرورة أن يكون السلوك العام والخاص فى كل رحلة منضبطا مع أخلاق الإسلام وآدابه .

إن هذا لو تم على وجهه ، وبحكمة وأناة فإن هؤلاء الأفراد سيكونون بعد فترة ، قد تصل إلى سنة ، أو أقل قليلا ، مؤهلين ، لأن يُضموا إلى مرحلة التعريف .

وإنه ما لم يحدث هذا ، فإن الدعاة الإسلاميين ، سوف يحارون فى اختيار من يرشحونه ، أو يضمونه إلى مرحلة التعريف ، وضرر ذلك أن يدخل فى المرحلة من ليس

أهلا لها ، وفقد الأهلية فى عمل من الأعمال ، داعية فشل وضياع والعياذ بالله .

حتى إن المدقق فى اختيار أفراد صالحين لمرحلة التعريف ، قد يرى أنه من الضرورى ، أن تسبق هذه المرحلة مرحلة تسمى مثلا : « مرحلة التمهيد » وهو محق فى ذلك ، محتاط لأمر العمل الإسلامى ، والمنضمين إليه ، وبالتالى تكون المراحل خمسة لا أربعة ، وذلك جيد ، ولا يعاب عليه طول الفترات الزمنية ، التى يقضيها الفرد فى كل مرحلة من هذه المراحل .

وما لنا لا نمهد لمرحلة التعريف بالإسلام ، وتبليغه للناس ، بمرحلة تهيىء الناس لهذا التعريف والتبليغ ؟

إن الواجب علينا أن نفعل ، وإن الذى أوجب علينا ذلك ، أمور كثيرة نذكر منها

١ ـــ المدارس المنتشرة فى العالم الإسلامى فى مختلف مستوياتها ، لا تقدم للمسلم فى مناهجها ومقرراتها ، ما يجعله فاهما لدينه ، عارفا له تمام المعرفة ـــ وتمام المعرفة هنا ليست تخصصا ولا تعمقا ، وإنما هى فهم للإسلام ، وتطبيق له فى الحياة .

٢ ـــ وسائل الإعلام الشائعة فى العالم الإسلامى ، لا تعرف بالإسلام كما ينبغى ، وإنما تكتفى بأشياء لا تسمن ولاتغنى من جوع ، وكثيرا ما تأتى بهذه الأشياء فى المناسبات الدينية فقط ، كأن التعرف على الإسلام عندهم له مناسبة خاصة به ، ثم يتوقف .

٣ ـــ البيوت المسلمة التى يشب فيها أطفال المسلمين ، لا تقدم لأبنائها فى هذا المجال ، ما يعرفهم بدينهم عملا وخلقا وسلوكا ، يقتدى فيها الأبناء بالآباء ، لأن العيب فى الآباء أنفسهم ، فقد رُبّوا هم تربية سيئة ، لم تمكنهم من التعرف على الإسلام بصورة جيدة .

ألا يحق لنا مع كل هذا ، أن نقول بمرحلة تمهيدية ، قبل مرحلة التعريف بالإسلام .

وإذا كانت المجتمعات التى يعيش فيها المسلمون ، تباعد بينهم ـــ بحكم ما يسودها من ظروف ـــ وبين دينهم وفهمه فهما صحيحا ، فلا وجه للقول بأن هذه الفترات طويلة فى الزمن ، حتى يبلغ الواحد من الناس حدا ، يسمح له بفقه دينه ، وفقه العمل من أجله .

والأصل فى العمل الإسلامى الراشد ، أن يضع فى اعتباره ظروف كل مجتمع ، وما يطرأ عليه من متغيرات .

ثانيا : تحديد أبعاد المرحلة

نعنى بالأبعاد الحدود التى تنتهى إليها المرحلة ، محسوسة كانت هذه الأبعاد أو معنوية معقولة ، وهذه الحدود للمرحلة ، لابد فيها من مراعاة ما يجب أن تقدمه المرحلة ، للمنضم إليها فى إطار الزمان والمكان ، والهدف والوسيلة .

وبالتأمل فى هذه المرحلة والتدقيق فى غاياتها ، يتبين لنا ، أن أبعادها يجب أن تخدم أهم مايقدم فيها للأفراد ، وهو عرض الإسلام عرضا جيدا ، والتعريف به تعريفا دقيقا ، وبناء على ذلك ، فإن الأبعاد يمكن أن نجملها فيما يلى :

١ ــ شرح أصول الإسلام وقواعده .

٢ ــ تفسير النصوص الإسلامية ، تفسيرا ملائما ، للعصر الذى يتم فيه التفسير ، وللبيئة وللناس الذين يفسر لهم .

٣ ــ إزالة الشبهات ، ورد المفتريات عن الإسلام .

٤ ــ التعريف بالمعوقات ، والعمل على اجتيازها فى حدود ما تتطلبه المرحلة .

٥ ــ جمع الناس على الإسلام ومبادئه وأخلاقه وتوجيههم نحو الفهم والعمل .

وكل بعد من هذه الأبعاد ، بحاجة منا إلى توضيح ، حتى لا تختلط الأمور ، وتضطرب ، وحتى تتضح صورة العمل الإسلامى ، فى كل مرحلة من مراحل الدعوة بدقة وتحديد .

البعد الأول
شرح أصول الإسلام وقواعده

وذلك يقتضينا أن نتحدث عن كل منهما على حدة :

أصول الإسلام ، ثم قواعد الإسلام .

أما أصول الإسلام فهى :

١ ــ الكتاب الكريم ،

٢ ــ والسنة النبوية المطهرة بما فيها السيرة النبوية ،

٣ ــ والإجماع ،

٤ ــ والقياس ،
٥ ــ وجلب المصالح ،
٦ ــ ودرء المفاسد .

شرح هذه الأصول شرحا ، يلائم حال المدعو ، ومدى ما يقدر على فهمه ، من هذه الأبعاد ، وما يكون فى استطاعته من استيعاب لشرح هذه الأصول .

وعلى سبيل المثال : فإن الداعية إلى الله ، يستطيع شرح الكتاب والسنة لكل أحد ، لأن الله سبحانه يسر القرآن للذكر ، ونادى على المتذكرين به أن هلموا ، فقال سبحانه : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ [1] .

وبما أن السنة النبوية شرح وتفصيل للقرآن ، وهى فى ذات الوقت قمة فى الفصاحة والبلاغة ، وسهولة الإدراك ، إلى الحد الذى يجعلها قريبة من القرآن فى تيسير الله لها ، لكى تفهم ، ويعرف محتواها ، فالداعية إلى الله يستطيع شرح السنة كذلك لكل أحد .

وكل مافى القرآن ، وكل مافى السنة بمعناها الواسع ، الذى تدخل فيه السيرة النبوية ، يمكن للداعية إلى الله أن يشرحه ، ويفسره ويتخذ منه موضوعات يتحدث فيها ، فينفع الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى أمور دينهم ، ودنياهم على السواء .

أما مايتصل بغير هذين الأصلين ــ الكتاب والسنة ــ كالإجماع ، والقياس ، وجلب المصالح ، ودرء المفاسد ، فإن الداعية إلى الله لا يستطيع أن يشرح ذلك لكل أحد ، ولو حاول ما نجح ؛ لأن التفسير لهذه الأصول ، يحتاج نوعا معينا من المدعوين ، الذين لهم حظ من تعلم وثقافة ، يمكنهم به إدراك هذه الشروح ، والتفاسير لأصول الإسلام ، غير الكتاب والسنة .

وما لم يدرك الداعية ذلك حق الإدراك ، ففسر وشرح لكل الأصول ، دون أن يراعى قدرات المدعوين ، فإن عمله ذاك حرث فى البحر ، وتضييع للجهد ، ودليل على أن الداعية لم يؤهل التأهيل الكامل للدعوة إلى الله .

وسوف نشير إلى هذه الأهلية التى يجب أن تتوفر فى كل مرحلة من مراحل الدعوة ــ ونحن نتحدث عن فقه الداعى إلى الله ، فى الباب الثالث من الكتاب بإذن الله تعالى .

---

(١) سورة القمر : ٢٢ .

وأما قواعد الإسلام فهى :

١ — الإيمان ،

٢ — والإسلام ،

٣ — والإحسان ،

٤ — والعدل ،

٥ — والأمر بالمعروف ،

٦ — والنهى عن المنكر ،

٧ — والجهاد فى سبيل الله .

فالإيمان :

يشرح فيه الداعية ، عناصره ، ومفرداته ، وهى :

١ — الإيمان بالله ، ومعرفة ذاته ، وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله .

٢ — والإيمان بالملائكة ، من هم وما وظيفتهم ؟

٣ — والإيمان بالكتب السماوية التى جاءت من عند الله إجمالا ، والإيمان بآخرها ، وهو القرآن الكريم ، تفصيلا .

٤ — والإيمان برسل الله وأنبيائه جميعا ، كما ورد عنهم فى الكتاب أو السنة .

٥ — والإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وصراط وميزان وحوض ... إلخ .

٦ — والإيمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، مع التسليم لله — سبحانه — فى كل شيء ، وأن ما أصابنا من خير فمن الله ، وما أصابنا من شر ، فمن أنفسنا .

والإسلام :

يشرح فيه الداعية إلى الله أركانه الخمسة وهى :

١ — الشهادتان « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وما تستوجبه الشهادتان من نية ، وقول ، وعمل ، وسلوك .

٢ — إقامة الصلاة والالتزام بها على مواقيتها ، وفقهها ، ومعرفة أركانها ، وشروطها ،

وآدابها ....إلخ .

٣ ــ إيتاء الزكاة ، لإنفاقها على مستحقيها ، مصارفها الذين حددهم القرآن الكريم فى آية : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ... ﴾ إلخ [١] .

٤ ــ صوم شهر رمضان إيمانا واحتسابا ، بالإمساك عن الطعام والشراب ، وعن كل ما يغضب على النحو المشروع .

٥ ــ حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

يشرح الداعية ذلك ، ويبين أثر تنفيذ هذه الأركان ، فى تربية الفرد ، والبيت ، والأسرة ، والمجتمع .

والإحسان :

ويشرح فيه الداعية أنواع الإحسان مثل :

١ ــ الإحسان ، بمعنى : مراقبة الله سبحانه « فإنه يراك » .

٢ ــ الإحسان ، بمعنى : أن يحسن الإنسان إلى ربه .

٣ ــ الإحسان إلى النفس ، بإلزامها ماأمر الله ــ سبحانه ــ ونهيها عما نهى .

٤ ــ الإحسان إلى المسلمين ، بدعم روابط الأخوة فى الله .

٥ ــ الإحسان إلى الخلق جميعا ، بمعنى حسن التعامل معهم .

٦ ــ الإحسان بمعنى التجويد والإتقان ، لأن الله سبحانه قد كتبه على كل شيء .

والعدل :

يشرحه الداعية ، ويفسر أنواعه كذلك مثل :

١ ــ العدل مع الله ، بحسن عبادته ، والتوكل عليه ، وسؤاله وحده ، وحفظ حدوده .

٢ ــ العدل مع النفس ، بإلزامها بكل ما شرع الله ، واستمرارها على هذا الالتزام .

٣ ــ العدل مع الناس جميعا ، مسلمين وغير مسلمين ، لأنه إذا لم يكن كان ظلم وقد حرم الله الظلم كما أوجب العدل .

وفى غوص الداعى ، وراء مدلول كلمة العدل ، ما يجد فيه فائدة كبرى للناس ، بفضل الله تعالى .

---

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

البعد الثانى

تفسير النصوص الإسلامية تفسيرا ملائما

وهذا العمل ، جليل القدر ، عظيم الفائدة ، لأن الناس والبيئات فى تغير مستمر ـــ كما أوضحنا آنفا ـــ ومع هذا التغير ، تختلف لغة الناس ، بل لغة العصر ، بعض الاختلاف ، فتتولد ألفاظ وعبارات ، وتختفى ألفاظ وعبارات ، وما كان مفهوما سائغا عند قوم ، أو فى زمان ، قد لا يكون كذلك عند آخرين ، أو فى زمان آخر .

على الداعية أن يراعى ذلك ، وهو يفسر النصوص ، فيعمد إلى تقريبها للأذهان ، قدر ما يستطيع .

والداعية مطالب ، بأن لا يعتسف فى تفسير النص ، فيحمله مالا يحتمل ؛ جريا وراء الملائمة ، وإشباع المستجدات فى حياة الناس ؛ لأن تفسير النصوص الإسلامية ، خاضع لقواعد ثابتة أهمها :

قواعد اللغة العربية ، فى نحوها وصرفها وفقهها ،

ودلالة الألفاظ والعبارات ،

وتفسير القرآن بالحديث النبوى ،

ومعرفة أسباب النزول ،

ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغيرها ، مما أفاض فيها أسلافنا من العلماء رضى الله عنهم [1] .

وأما الأحاديث النبوية ، فإن تفسيرها يخضع كذلك لقواعد اللغة العربية ، والعودة إلى الثقات من رجال الحديث وعلمائه .

وإن الدعاة إلى الله ، وهم من علماء الإسلام ، مطالبون فى كل عصر بأن ينظروا فى هذه النصوص ، نظرة قادرة على الفحص والتأمل ، فى كل ما تدل عليه النصوص ، وتوحى به ، مما يجعل حياة الناس متماشية مع القيم والآداب والأخلاقيات الإسلامية ، بشرط واحد ، هو : عدم الاعتساف أو التكلف فى تفسير النصوص .

---

(١) للتوسع انظر : الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى والبرهان فى علوم القرآن للزركشى وغيرهما .

ولابد أن ننبه هنا — إبراء للذمة — إلى أن بعض العلماء فى بعض العصور ، نظروا إلى النصوص الإسلامية ، فوجدوا فيها — حسب ما تصوروا هم — ظاهرا وباطنا ، فغاصوا وراء الباطن ، وأتوا فيما غاصوا فيه ، بما لا يُقْبَل عقلا ولا شرعا ، موهمين الناس بأنها رؤى تخصهم ، ومعانٍ اهتدوا إليها وحدهم ، غاضين النظر عن أصول التفسير وعلومه وأدواته ، وهؤلاء ليس من المفيد ، بل من الضار التعويل على آرائهم ، أو أخذها فى الاعتبار ، عند تفسير النصوص ، لأن الله تبارك وتعالى قال عن كتابه الكريم : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ [1] فهل بعد هذا القول الصريح الواضح الظاهر ، فرصة لمن يدعى أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا ؟

البعد الثالث
إزالة الشبهات ورد المفتريات

وهو عمل هام فى هذه المرحلة بالذات ، وذلك أن المدعو فى هذه المرحلة ، وبحكم مالديه من معلومات إسلامية محدودة ؛ قد تقوم أمامه شبهات تصده عن الاستجابة للدعوة ، ولا يستطيع لها دفعا ، كما أنه قد يتعرض للاطلاع على مفتريات ، افتراها أعداء الإسلام على الإسلام ، منهجه ونظامه ورسوله ﷺ ، وهو لا يستطيع التعرف الدقيق على هذه المفتريات ، ولا على كيفية الرد عليها ، وهذا وذاك قد يؤدى إلى صرفه عن الدعوة ، فضلا عن زعزعة إيمانه ، وضعف انتمائه للإسلام .

والدعاة هنا هم أصحاب الصولة والجولة ، وأصحاب كلمة الحق ، وأصحاب القدرة على إزالة هذه الشبهات ، والرد على تلك المفتريات بالعلم ، والمنهجية ، والجدال بالتى هى أحسن ، حتى يحق الحق ، ويبطل الباطل .

وإن رصدا دقيقا لهذه الشبهات والمفتريات ، يجب أن يسبق هذه الردود ، وإن تسلحا بالعلم والخلق ، يجب أن يصاحب هذه الردود ، وأن يلازم الدعاة الذين يتصدون لها .

وهذا الرصد يختلف ، من عصر إلى عصر ، ومن بيئة لأخرى ، ومن عدو إلى آخر .

وعلى قدر الدقة فى هذا الرصد ، يكون النجاح والتوفيق فى هذه الردود .

---

(١) سورة القمر : ٢٢ .

أما التسلح بالعلم والخلق ، والتزام المنهجية والموضوعية فى الردود ، فإنه لا يختلف من عصر لعصر ، ولا من بيئة لأخرى ، بل ولا من عدو إلى آخر ، لأن هدفه الوصول إلى الحق ، والحق واحد ، لا يتغير بتغير هذه الظروف .

ولابد أن أنبه إلى أن عملية الرصد لها أولويات ، على النحو الذى يحقق المصلحة ، ويدفع المفسدة ، وعلى سبيل المثال ، فإن رصد الشبهات والمفتريات فى العصر الذى يمارس فيه الدعاة عملهم ، له أولوية عن رصد هذه الشبه فى عصور سلفت ، وأيام خلت ، لأن العبرة من هذا البعد كله ، وهو إزالة الشبهات ، والرد على المفتريات ، هى تمهيد الطريق أمام المدعوين ، ليقبلوا على دين الله ، دون تردد أو شك .

وقد أشرنا فى فصل أساليب الدعوة ، ووسائلها ؛ إلى أسلوب القرآن الكريم فى الرد على الشبهات والمفتريات ، فليكن ذلك مرجعا للدعاة ، وعونا لهم .

البعد الرابع
التعريف بالمعوقات والعمل على إزالتها

والمعوق هنا هو : كل عقبة وضعها ، أو يضعها أعداء الإسلام ، فى طريق العمل للإسلام ، والذى لا شك فيه ، أنهم وضعوا ، ولا يزالون يضعون معوقات كثيرة ، ولا شك أن بعض هذه المعوقات ، قد تكون خافية على عدد من الناس .

وعلى الدعاة أن يعرفوا الناس بهذه المعوقات ، بعد أن يكشفوا عنها بدقة ، كما أن عليهم أن يرصدوها ، وأن يصنفوها ، وأن يضعوا لها الخطط الكفيلة بإزالتها والقضاء عليها .

وإن على الدعاة أن يضعوا أيدى المسلمين ، على هذه المعوقات ، وأن يبصروهم بها .

وعلينا أن نشير هنا إلى أن المعوقات المبثوثة فى طريق العمل الإسلامى درجات ، ونستطيع أن نشير منها إلى مايلى :

١ ـــ عقبات على مستوى الأفراد مثل : التخويف من العمل الإسلامى ، وما قد يجره على العامل من متاعب ، كتهديده فى رزقه ، وتتبع حركته ، واعتقاله وحبسه .

وهذه العقبة أو المعوق ، كثيرا ما تبثه حكومات الظلم والاعتساف ، وهو عقبة تصرف الناس معظمهم عن العمل الإسلامى .

فإذا فقّه الدعاةُ الناس فى هذا المجال بحديث الرسول ﷺ ، الذى رواه

الترمذى بسنده ، عن عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق ، إلا تكلم به ، فإنه لن يقدم أجله ، ولن يحرمه رزقا هو له » .

إذا فقّه الدعاة الناس إلى ذلك ، عاونوهم على إزالة هذه العقبة الكأداء ، وللدعاة مداخل كثيرة يعرفونها ، يسلون بها الخوف من نفوس الخائفين .

٢ ــ عقبات على مستوى الجماعات ، كمنع قيام الجماعات ، أو إشهارها ، أو تحدى عملها وتحركها ، إن هى قامت ، أو تشويهها ورميها بتهم ، هى منها بريئة ، ومما ألف بعض الظالمين أن يطلقوه على هذه الجماعات أوصاف مثل :

الرجعية ، والجمود ، والتطرف ، والتعصب ، وغيرها .

فإذا فقه الناس أن العمل للإسلام فى جماعة واجب شرعا ــ كما سنوضح ذلك فيما بعد ــ هان عليهم الأمر فيما يرمون به من تهم ، وعرفوا كيف يواجهون هذه العقبات ؛ وكيف يجتازون هذه الصوارف .

ذلك واجب الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، من مراحل الدعوة ، لا يجدون عنه تحولا ولا سببا للقعود .

ومادام الحق أبلج والباطل لجلج .

ومادام الحق أحق أن يتبع ، والباطل أولى به أن يزهق ،

ومادامت دولة الحق إلى قيام الساعة ودولة الباطل ساعة .

مادام ذلك كذلك ، فإن الدعاة إلى الله ، والمدعويـن من الناس ، ما ينبغى أن يرهبهم شىء فى سبيل قيامهم ، بما أوجب الله عليهم من العمل الجماعى للإسلام ، الذى لا يستطيع فرد ، مهما أوتى ، أن يقوم به وحده ، مما سنمثل له فى الفصول الآتية فى هذا الباب .

وإن الجماعة التى يجب أن تشكل من أجل العمل للإسلام ، ليدخل تشكيلها فى حيز الوجوب ــ كما سنوضح بالدليل والبرهان بإذن الله تعالى .

مادامت الأمور على هذا النحو ، فما يجوز أن يحول بين المسلمين ، وبين تكوين هذه الجماعة أى حائل ، أو يعترضها أى معوق ، أو عقبة ، إلا ويحاول المسلمون تخطيه ،

وتجاوزة ، فإن نجحوا فبفضل من الله ، وإن فشلوا ، فقد برئوا من إثم التقصير والقعود عن الواجب .

وكما سنوضح فى متطلبات مرحلة التعريف ، فإن من أبرز هذه المتطلبات ، العمل للإسلام فى جماعة .

على الدعاة إذن أن يساعدوا الناس على اجتياز هذه العقبات التى تقف فى طريق العمل للإسلام .

البعد الخامس

جمع الناس على الإسلام ومبادئه وتوجيههم نحو الفهم والعمل

ذلك البعد من أبعاد تلك المرحلة له أهمية قصوى ، وهو يتلو تكوين الجماعة التى تعمل للإسلام .

وحقيقة هذا البعد ، هو : وضع خطة ونظام لهذه الجماعات ، التى تمارس العمل للإسلام ، بحيث تشتمل الخطة فى هذا المجال على مايلى :

١ ــ الإقناع بالدليل والبرهان ، بضرورة تجميع الناس على العمل من أجل الإسلام ، لعدم جدوى الجهود الفردية ، أو قصورها قصورا شديدا .

٢ ــ توضيح منهج الإسلام ، فى التعامل مع الحياة الإنسانية كلها ، فى كل ما يتصل بها ، مع شرح ذلك والتأكيد على تفرده وحده من بين سائر المناهج ، بأنه يحقق للأفراد سعادة الدنيا والآخرة .

٣ ــ تجلية مبادىء الإسلام ، ونشرها فى الناس ، وبخاصة تلك المبادىء والقيم التى تتصل بالأخلاق والآداب فى التعامل مع المسلمين ، ومع غيرهم من الناس .

٤ ــ تحديد الأصول التى يقوم عليها فهم هذه المبادىء ، وفقه أهدافها ومراميها ، ونشير من هذه الأصول إلى ما يلى :

أ ــ الكتاب والسنة .

ب ــ والإجماع وعمل الصحابة ،

جـ ــ والقياس ،

د ــ وجلب المصالح ،

هـ ــ ودرء المفاسد .

وتلك هى مصادر التشريع ، وهى الأصول المعتمد عليها فى فقه مبادىء الإسلام وقيمه .

٥ ــ تحديد أنواع العمل الإسلامى ، الذى يجب أن تقوم به الجماعات ، وأبرز هذه الأنواع :

أ ــ الفكر ،

ب ــ والثقافة ،

جـ ــ ونشر الدين فى الناس ،

د ــ ومعاونة الناس على أن يكونوا صالحين ، فى أنفسهم ، ولذويهم ، وأوطانهم ، وللعالم الإسلامى كله ،

هـ ــ ودعم روح التعارف والتعاون بين الناس ؛ لتحقيق مصالح المجتمع ، ودفع الأضرار عنه .

و ــ وجذب الناس إلى المساجد ، وتعويدهم على أداء الفرائض فيها ،

ز ــ وتعويد الناس التخلق بأخلاق الإسلام فى كل عمل يقومون به فى بلادهم ، حتى يكون هناك إخلاص وإنتاج وثروة واكتفاء واستغناء عن أموال أعداء المسلمين ، وما تجره عليهم من ديون وربويات ، وما يترتب على ذلك من مشكلات حادة .

٦ ــ وتحديد أولويات فى العمل للإسلام فى هذه المرحلة ؛ لأن تحديد الأولويات ، يعين كثيرا على الوصول الآمن إلى الأهداف .

وإن عملا ، مهما كان صغيرا ، يمارسه العاملون دون تحديد : بماذا يبدأون ، وإلام ينتهون ، لهو عمل جدير جدا بأن يفشل ، ولا يَصل إلى غرضه .

وبعد : فهذا إجمال أرجو ألا يكون مخلا بأبعاد مرحلة التعريف .

الفصل الثانى

طبيعة مرحلة التعريف ومتطلباتها

طبيعة مرحلة التعريف ومتطلباتها

فى أهمية المرحلة :

تعد مرحلة التعريف ـــ من بين مراحل الدعوة ـــ أوْلى المراحل بالعناية والاهتمام ، وبذل الجهد ، ومضاعفة النشاط ؛ لأنها المرحلة التى تمثل « الأساس » للمرحلة التى تليها ، بل لسائر المراحل بعدها .

وعلى قدر استيعاب الفرد فيها للإسلام ، أصوله ، وقواعده ، ومنهجه ، ونظامه ، وآدابه ، وفروعه ، وسائر مفرداته ، تكون قدرة هذا الفرد على معايشة المراحل التالية ، واستقراره فيها ، ونجاحه فى إدراك برامجها ، ووعى أبعادها ، ومتطلباتها ، وذلك دائما شأن « الأساس » من كل شيء ، هذه حقيقة أولى .

فى هذه المرحلة ـــ مرحلة التعريف ـــ يُعرَّف المدعو بالإسلام ، فى صورته الواضحة الدقيقة المستوعبة ، على قدر الاحتياج ، ويلم إلماما مناسبا ، بمعظم القضايا الإسلامية ، المطروحة على الساحة التى يعيش فيها .

وعلى قدر استيعابه ووعيه ، يكون تفاعله ، وتكون إيجابيته فى الإسهام فى حل تلك القضايا ، إذ لابد لكل مسلم ، من أن يسهم فى حل قضايا بيئته ، ما دام مؤهلا لهذا الإسهام ، وإلا كان سلبيا متواكلا .

ومن المسلم به أن كثيراً من القضايا تستعصى على الحل ، عندما يتخلى عنها المجموع تاركين أمرها للحكام والمسئولين ، وذلك أن مجموع الأفراد فى مجال حقوقهم ، وواجباتهم فى مجتمعهم ، لابد أن يمثلوا جزءا من حل كل قضية يعايشونها ، فما يليق بهم التخلى عن الإسهام فى البحث عن حلول .

وتلك حقيقة ثانية ، وكلاهما مسلم به .

هاتان الحقيقتان ، عن مرحلة التعريف ، مايشك فيهما ، ولا فى صدقهما ، مدرك للعمل الإسلامى ، ومراحله ، ومتطلباته ، ولابد أن يكون لكل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية ، طبيعة تخصها ومتطلبات ، تميزها عن سواها من المراحل .

فكان علينا أن نوضح فى كل مرحلة ، طبيعتها ومتطلباتها ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

أولا : طبيعة مرحلة التعريف

تتمثل طبيعة هذه المرحلة فى خصائص تميزها عن سواها من المراحل ، والذى نتصوره فى هذه الخصائص ، يمكن أن نشير إليه فى عدد من النقاط ، على النحو التالى :

النقطة الأولى : عمومية الدعوة :

بمعنى أن الدعوة إلى الله فى هذه المرحلة عامة ، توجه إلى كل أحد ، ممن مَرُّوا بمرحلة التمهيد ؛ لأن كل واحد منهم ، بل من الناس جميعا فى حاجة إلى أن يعرف الإسلام معرفة دقيقة واضحة ، تكشف له عن أصول الإسلام وقواعده وواجباته وآدابه ومنهجه فى الحياة البشرية ، ذلك المنهج الدقيق المستوعب ، الذى يغطى احتياجات الإنسان فى معاشه ومعاده .

وليس فى الدعوة إلى الله فى هذه المرحلة ، معرفة خاصة توجه إلى أناس مخصوصين ـــ كما سيكون عليه الأمر فى المراحل التالية ـــ وذلك لأن خصوصية المعرفة ، تستوجب خصوصية المدعو ، ولا خصوصية للمدعو ـــ كما سنوضح بعد قليل ـــ وإنما الناس جميعا ، فى ضرورة التعرف على الإسلام سواء .

فالعمومية هنا تخص المعرفة نفسها ، التى تتصل بالإسلام ، والتى يجب أن تُبلغ للمدعو ، معرفة عامة ـــ كما قدمنا ـــ عن أصول الإسلام وقواعده .... إلخ دون الدخول فى أى ثقافة خاصة عن الإسلام ؛ لأن حال المدعو وظروفه ، لا تستوجب هذا التخصيص فى الثقافة والمعرفة .

النقطة الثانية : عمومية المدعو فى هذه المرحلة :

والمدعو هنا هو كل إنسان ـــ على الرغم من حاجتنا إلى الإنسان الذى مر بمرحلة التمهيد ـــ كما أسلفنا ـــ لأن مرحلة التمهيد ، لم تستهدف خصوصية ، وإنما استهدفت التعرف على أناس صالحين من رواد المساجد ـــ وما أكثر هؤلاء فى العالم الإسلامى بفضل الله ـــ فكل إنسان توجه إليه الدعوة فى هذه المرحلة .

وإن توجيه الدعوة فى هذه المرحلة إلى أوسع قاعدة من الناس ، مطلب له منطقه ، ووجاهة هذا المنطق ؛ لأن الأصل فى كل المسلمين ، أن يكونوا على معرفة بدينهم ، أصوله

وقواعده ، لما لهذه المعرفة من أثر جليل فى إيجاد رأى عام إسلامى ، يوجه الحياة والحكام ، ولكى يصبح الشارع إسلاميا ، فنصل إلى أهداف الدعوة الإسلامية بيسر وسهولة .

وإن الشارع إذا لم يكن إسلاميا ، فإن العمل الإسلامى يخسر القاعدة العريضة ، التى يجب أن يرتكز عليها ، وأن تكون منطلقا له فى كل إصلاح اجتماعى أو سياسى يحاول أن يقوم به ، وليس كهذه المرحلة مرحلة تساعد تماما على أن يكون هناك رأى عام إسلامى ، يعرف ما لابد أن يعرفه من دينه .

النقطة الثالثة : عمومية العمل فى هذه المرحلة :

بمعنى أن المدعوّ فى كل مرحلة ، مطالب بنوع من العمل ، يلائمه ويلائم طبيعة المرحلة .

وبما أن هذه المرحلة عامة ، وأن المدعوّ فيها عام كذلك ، فلابد أن يكون العمل فيها عاما كذلك .

والعمل العام الذى تستهدفه هذه المرحلة هو : « الخير عموماً » أى أن يطالب المدعوّ فى هذه المرحلة ، بفعل الخير عموما .

والخير هو ما يرغب فيه كل واحد من الناس ، كالعقل والعدل والفضائل كلها ، وكل نافع للناس ، وبالتالى ، فإن المدعوّ مطالب هنا بأن يفعل الخير فى مجالات عدة هى :

١ ــ الخير الذى يعود عليه هو بالنفع .

٢ ــ الخير الذى يعود على بيته بالنفع .

٣ ــ الخير الذى يعود على الحى الذى يسكن فيه بالنفع .

٤ ــ الخير الذى يعود على مجتمعه كله بالنفع .

٥ ــ الخير الذى يعود على العالم الإسلامى كله بالنفع ، إن كان ذلك فى مقدوره .

لكن بشرط : أن تكون وسيلته فى فعل الخير مشروعة ، وأن لا يترتب على نفع نفسه ، أو بيته ، أو حيّه ، أو مجتمعه ، ضرر لآخر أو آخرين .

ولابد لنا هنا من أن نشير إلى مثال فيما يدعى إليه المدعوّ فى هذه المرحلة من الخير العام .

وهذا المثال هو :

يدعى المدعوّ إلى مايلى :

١ — الأخذ بأسباب الصحة البدنية ، كالنظافة ، وحسن المظهر ، وتجنب السهر ، والمكيفات ، والتريض ، وحسن التغذية ، دون إفراط أو تفريط .

٢ — الأخذ بأسباب العلم والمعرفة ، كالتعلم والوصول فيه إلى المستوى الملائم لاستعداده ، مع الجدية فى طلب العلم ، وحبه ، والتقرب به إلى الله ، والتفوق فيه .

٣ — حسن اختيار الزوجة وفق معايير الإسلام ، وحسن تربية الأبناء ، وحسن توجيه البيت ، وطبعه بالطابع الإسلامى ، وتأكيد انتماء البيت إلى الإسلام زوجة وأبناء وخدما .

٤ — التمسك بالفضائل والآداب التى رغّب فيها الإسلام ، كالصدق والأمانة ، والإخلاص ، والإحسان ، والعدل ، وحسن التعامل مع الناس ، ومراقبة الله — تعالى — فى كل عمل ، وحب الناس عموما ، ما داموا صالحين ، وحب الخير عموما كذلك .

٥ — النشاط والإيجابية ، وتقديم العون لمن هو فى حاجة إليه ، والمسارعة إلى إغاثة الملهوف ، والمشاركة فى كل عمل ، يعود على الحى الذى يسكن فيه بالخير ، بل فى كل عمل يعود على وطنه كله بالخير .

٦ — حب الوطن والغيرة على مصالحه ، ومقاومة كل انحراف من أى أحد ، يؤدى إلى إلحاق ضرر بأى مرفق عام من المرافق ، والتفانى فى ذلك ، مهما تكن للفرد من مشاكل أو قضايا ، تجعله ينظر إلى بلده نظرة استياء ، قد تنعكس على ضيق ببلده ، أو هجرة منه ، لأن الوطن للمواطنين ، لا للحكام ولا للأنظمة ، وكل المشكلات فى الغالب ، تنبع من سوء النظام ، والنظام يتغير ، والحكام يتغيرون ، والوطن دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٧ — تجنب الرذائل والصغائر ، وكل ما نهى الله عنه أو كره فيه لينقى نفسه ، وبيته ، ومجتمعه من الأذى والقذى ، لأن ممارسة الرذائل — والعياذ بالله — توبق صاحبها وتدخله فى دائرة عقاب الله ، وتعود بالشر المستطير على المجتمع كله .

وممارسة الصغائر ، ومحقرات الذنوب ، تنعكس على الفرد باستمراء السفاسف ، وربما تؤدى إلى ماهو أكبر منها .

ولابد لنا هنا من كلمة ، نواجه بها قالة سوء ، ينطق بها أولئك الذين لا يخافون الله ، إذ يقولون : إن ممارسة الأخطاء أو الذنوب ، عمل فردى يخص من قام به ، وبالتالى فلا وجه لمؤاخذة أحد على خطأ يخصه ، ومن هنا أباحوا ورضوا عن الجرائم الخلقية التى تتصل بالزنا ولعب الميسر — على سبيل المثال .

وردنا على هؤلاء ، الواغلين فى الجهل ، وقصر النظر أن كل جريمة مهما تكن فردية ، فإن لها جانبا من الضرر يعود على المجتمع كله ، وحسبنا أن ننبه إلى أن الفرد جزء من المجتمع ، فلماذا نتركه لشهواته تقضى عليه ، ولشيطانه يعبث به ؟ أليس الفرد عضوا فى المجتمع يجب أن يكون صالحا ؟ وكيف الصلاح مع الذنب ؟

وممعن فى الخطأ بصورة أكبر ، أولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون ، فيزعمون أن الرذائل نسبية ، تختلف من مجتمع إلى آخر ، لأن الرذيلة رذيلة عقلا ومنطقا ، قبل أن تكون رذيلة شرعا ، إذا قسناها بمقياس ما يصلح الفرد والمجتمع ، أقول هذا لأولئك الذين لا يجرمون جريمة الزنا ، إذا تمت برضا الطرفين ؛ لأن القانون الوضعى ، الذى يتحاكمون إليه ، لا يجرمها فيراها حقا للطرفين ، بغض النظر عما يترتب عليها ، وبغض النظر عن تحريم الله لها ، فى كل دين وكل كتاب .

ومن هذا المنطق أيضا ، نرد على الذين يبيحون اللواط ، والمسافحة ، ويزعمون أنهم أهل تحضر ومدنية .

النقطة الرابعة : التخطيط والتنظيم وحسن الإدارة :

وهذه النقطة من صميم كل مرحلة ، بل هى من صميم العمل الإسلامى كله ، بل من صميم أى عمل يراد له أن يحقق أهدافه ، وأن يصل إلى غاياته .

والإسلام دين يطالب بالتخطيط ، والتنظيم ، وحسن الإدارة ، فى كل عمل من أعماله التعبدية ، أو التى تتصل بالمعاملات ، ما ينكر هذا إلا جاهل به ، أو غافل عن أهدافه .

يطالب الإسلام بذلك فى كل عمل ، وفى كل وقت ، فى السلم والحرب ، فى الأمان والخوف ، بل ما من شىء دعا إليه الإسلام إلا نظمه ، وجعل له أسلوبا جيدا فى إدارته .

والدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، عليهم عبء التخطيط والتنظيم ، وحسن الإدارة ، ما يفارقهم أبدا ، ولا يقوم به سواهم ؛ لأنهم الميدانيون القادرون على ذلك ، وذلك يتطلب مايلى :

١ ــ التخطيط :

وهو أسلوب فى التنظيم ، يهدف إلى وضع خطة ، تؤدى إلى استخدام الموارد ــ مادية ومعنوية وبشرية ــ على أفضل وجه ممكن ، وبأقل تكاليف ممكنة ، وفى وقت مناسب ، وفقا لأهداف محددة من ذى قبل .

وهو عمل يجب أن يتمرس به الدعاة إلى الله ، ويتعلموه بدقة ؛ لضرورته فى العمل المنوط بهم .

٢ ــ التنظيم :

وهو تحديد الواجبات والاختصاصات والأفراد الذين يؤدون عملا مّا ، وتحديد الأوقات التى تؤدى فيها الأعمال ، بغية الوصول إلى الأهداف التى حددت من ذى قبل .

وهو عمل يجب أن يمارسه الدعاة إلى الله بل يتمرسوا به ، ويجيدوه ؛ لأنه لا ينجح عمل بغير ذلك .

٣ ــ حسن الإدارة :

والإدارة تعنى أمورا عديدة ، لابد من الإشارة إليها ، على النحو التالى :

أ ــ إخراج التخطيط والتنظيم ، إلى حيز العمل والتنفيذ ، فهذا أهم جانب عملى هام من الإدارة ، ودون هذا الإخراج العملى ، يظل التخطيط والتنظيم نظريات ، لا تقدم ولا تؤخر ــ بل تؤخر ــ فى العمل الإسلامى .

ب ــ تحديد الطاقات وتوظيفها ، وتحديد مهامها فى العمل ، وفق ما تقتضيه الخطة ، وما يتطلبه النظام ، أيًّا كانت هذه الطاقات ، بشرية أو غيرها .

جـ ــ تأمين الموارد المالية للعمل فى هذه المرحلة ، بحيث تكون موارد ثابتة يمكن على ضوء ثباتها هذا ، أن توضع ميزانية للعمل ، وأن يخضع لجدولة مالية وزمانية ، أما الموارد غير الثابتة ، فهى وإن أسعفت حينا إلا أنها تعوق كثيرا ، وربما تصيب العمل بالفشل وتنكب طريق الأهداف .

د ــ تنسيق جهود الأفراد أو المجموعات المشاركة فى العمل ، بحيث تغطى كل

احتياجات العمل فى هذه المرحلة ، وتحقق أهدافه ، مع تحديد الجهد المطلوب من كل فرد ، أو مجموعة ، أياً كان نوع هذا الجهد .

هـ ــ تقويم العمل فى كل مرحلة من مراحله ، والاستفادة من هذا التقويم للوصول إلى الأحسن ، تقويم الأداء فى الزمان والمكان ، وتقويم النتائج التى حققها العمل ، وتقويم الأفراد والمجموعات .

و ــ متابعة العمل وهو يؤدى متابعة جيدة ، تستهدف ما يلى :

١ ــ تجويد العمل قدر المستطاع .

٢ ــ والمحافظة عليه من الانحراف عن أهدافه .

٣ ــ والمحافظة على الاستمرارية .

٤ ــ والمحافظة على الانضباط .

وهنا لابد من الإشارة إلى موضوع هام ، هو أن العمل الإسلامى فى مكان ، قد يحتاج إلى خطة وتنظيم وإدارة ، تختلف عن احتياجه إليها ، فى مكان آخر . وهذا حق ، وهو أمر تطلب فيه المرونة ، وسعة الأفق ، وعمق النظر إلى الأمور ، لكن بغض النظر عن هذا الاختلاف ، فليست العبرة أبدا بنوعية التنظيم ؛

هرمياً كان ،

أو رأسيًّا ،

أو رئاسيًّا ،

أو استشاريًّا ،

أو مدرّجا ،

أو وظيفياً ،

أو مشتركا .

وإنما العبرة بضرورة ممارسة التنظيم للعمل ، وبضرورة اختيار النوع الملائم للناس والبيئات ، التى يطبق فيها أى نوع من أنواع التنظيم .

كل ذلك ينظر إليه بمنظار الاحتياج من جانب ، وبمنظار القدرة على تحقيق الأهداف

من جانب آخر ، ولا بأس أبدا بأى نوع من أنواع التنظيم ، التى ذكرنا أو سواها مما تتفتق عنه أذهان الدعاة إلى الله ، مادام هذا التنظيم لا ينطوى على شيء مما حرم الله .

وبعد : فتلك طبيعة مرحلة التعريف ، كما بدت لنا من خلال البحث والتدقيق ، **وهى فى كلمات : « عمومية الدعوة ، وعمومية المدعوين ، وعمومية العمل ، وضرورة التخطيط والتنظيم ، وحسن الإدارة » .**

ثانيا : متطلبات مرحلة التعريف

نعنى بهذه المتطلبات : « الأهلية » التى يجب أن تتوفر فى الدعاة العاملين فى هذه المرحلة ، و « الأهلية » التى يجب أن تتوفر فى الأفراد المدعوين فى هذه المرحلة .

أما أهلية الدعاة ، فسوف نتحدث عنها بتفصيل وشمول ، ونحن نتحدث فى الباب الثالث من هذا الكتاب عن : « فقه الدعاة إلى الله » .

ونكتفى هنا بأن نشير إلى أن الداعى إلى الله فى هذه المرحلة ، يجب أن تتوفر فيه الصفات العامة التالية :

١ ـــ فقه الإسلام فقها جيدا علما وعملا .

٢ ـــ ثقافة جيدة فى مجال الأديان الأخرى ، غير دين الإسلام ، وبخاصة أديان : اليهودية ، والمسيحية ، والبوذية ، والهندوكية .

٣ ـــ ثقافة جيدة فى مجال الفرق الإسلامية .

٤ ـــ ثقافة عامة جيدة جدا .

٥ ـــ معرفة جيدة بواقع العالم الإسلامى المعاصر .

٦ ـــ معرفة جيدة بالتيارات الموالية ـــ إن وجدت ـــ والمعادية للإسلام والمسلمين .

٧ ـــ قدرة على الدعوة والحركة والتنظيم .

٨ ـــ قدرة على الصبر والاحتمال .

٩ ـــ علم جيد بطبيعة المرحلة التى يعمل فيها الداعية ، وعلم جيد بمتطلباتها .

١٠ ـــ إحاطة جيدة بأهداف المرحلة بالذات ، وأهداف العمل الإسلامى بعامة فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

١١ ـــ علم جيد بأساليب الدعوة ووسائلها فى المرحلة التي يعمل فيها بالذات ، وبكل مرحلة أخرى .

١٢ ـــ علم جيد بطبائع المدعوين ، فى بيئاتهم التى يعيشون فيها ، ودراسة جيدة لهذه البيئة .

تلك جملة الصفات ، التى يجب أن تتوفر فى الداعية إلى الله ، العامل فى هذه المرحلة .

غير أن أهلية الداعى إلى الله فى هذه المرحلة ، لا تنضج ، إلا إذا أشرنا إليها تحت

العنوان الخاص بها ، وهو : متطلبات المرحلة فى الدعاة إلى الله ، كما سنتحدث عن متطلبات المرحلة فى المدعوين :

١ ـ متطلبات المرحلة فى الدعاة :

الدعاة إلى الله فى مرحلة التعريف قادة فى مجال العلم والمعرفة ، كما هم قادة فى مجال الصلاح والتقوى ، كما هم قادة فى مجال الدعوة والحركة ، كما هم قادة فى مجال التخطيط والتنظيم والإدارة ، كما هم قادة فى مجال التعامل مع الأفراد والجماعات .

ومن أجل تلك القيادة المتعددة المجالات كان لابد لهؤلاء الدعاة من أهلية ، وشروط تمكنهم من القيام بهذا العبء الجسيم خير قيام .

وأبرز هذه الشروط مايلى :

أ ـ أن يكونوا من أهل الصلاح والتقوى والورع .

ب ـ أن يكونوا من أهل العلم والمعرفة بالأديان عموما ، وبالإسلام على وجه الخصوص .

جـ ـ أن يكونوا من أهل الثقافة العامة ، القادرة على ملء أى فراغ ثقافى ، فى المنضمين إلى هذه المرحلة .

د ـ أن يكونوا من أهل القدرة على ممارسة الدعوة بأساليبها المتعددة .

هـ ـ أن يكونوا من أهل القدرة على ممارسة الحركة فى العمل الإسلامى ، ولهم فيها نشاط .

و ـ أن يكونوا من أهل القدرة على التخطيط والتنظيم والإدارة ولهم فى ذلك سابق خبرة وعميق تجربة (١) .

ز ـ أن يكونوا قد اجتازوا بنجاح ووفق المدى الزمنى المحدد لمرحلة التكوين ، وأن يكونوا قد أدوا اختبارا فى اجتيازها ، ونجحوا فيه بتفوق .

ح ـ أن يكونوا على مستوى التفقه والتخصص فى الإسلام ، أو فى علم من علومه .

ط ـ أن يكونوا على مستوى التجرد للعمل الإسلامى ، وإيثاره على أى عمل آخر .

ى ـ أن يكونوا على مستوى توفر أركان البيعة العشرة ، المشترطة فى أفراد مرحلة التنفيذ ، أو فى كل من يقود عملا إسلاميا .

وهذه الأركان هى :

---

(١) بأن يكونوا قد حضروا دورات مكثفة فى هذه المجالات كلها أو شاركوا فى ندوات أو مؤتمرات خاصة بذلك .

ـــ الفهم ،
ـــ والإخلاص ،
ـــ والعمل ،
ـــ والجهاد ،
ـــ والتضحية ،
ـــ والطاعة ،
ـــ والتجرد ،
ـــ والثبات ،
ـــ والأخوة ،
ـــ والثقة ..

كما أوضحها أشهر الدعاة إلى الله فى القرن الرابع عشر الهجرى ـــ العشرين الميلادى ـــ الإمام « حسن البنا » فى رسالة له كتبها عام ١٩٤٣ م هى « رسالة التعاليم » . وشرح فيها كل ركن من هذه الأركان ، شرحاً وافيا شافيا محققا للغاية منه .

ك ـــ أن يكونوا من أهل السابقة فى العمل الإسلامى الجماعى ، لا الفردى .

ل ـــ أن يكونوا من أهل الالتزام بالإسلام فى كل أمر من أمور حياتهم ، على النحو التالى :

ـــ **فى العقيدة** : بمعنى أن يكون كل منهم صحيح العقيدة ، نقيها ، بحيث لا تشوبها شائبة .

ـــ **وفى العبادة** : بحيث يكونون أو يكون كل منهم سليم العبادة ، يعبد الله وفق ما شرع ، ويجتهد فى أداء بعض النوافل .

ـــ **وفى الدعوة** : بمعنى أن يكون كل منهم مثالاً يحتذى فى تمسكه بدعوته ، وحرصه عليها ، وتفانيه فيها ، متمثلا شروطها وآدابها فى نفسه وبيته، وفى كل من يلى أمرهم من الناس .

ـــ **وفى بدنه** : بحيث يكون صحيح البدن ، سليم الحواس ، خاليا من الأمراض والعيوب ، التى تعوقه عن عمله القيادى .

ـــ **وفى مظهره** : بأن يكون حسن السمت ، حسن المظهر ، له من الوقار مايحمل

الناس على احترامه ، فى غير تكلف ولا تجهم ، وإنما فى ألفة ومودة ، وتحبب إلى الناس ، وتقرب إلى الله .

— **وأن يكون «حريصا على وقته ، منظما فى شئونه نافعا لغيره»**(١) يحب الخير للناس جميعا ، وللمسلمين على وجه الخصوص .

٢ — متطلبات المرحلة فى المدعوين :

المدعوون فى هذه المرحلة لا بد لهم من « أهلية » تجعلهم صالحين للانضمام إلى هذه المرحلة ، ومهما قلنا من عمومية الدعوة ، وعمومية المدعوين ، إلى آخر ما قلناه ، فإن هؤلاء المدعوين لابد أن تتوفر فيهم أهلية ، تتمثل فى الصفات التالية :

أولا : الصلاح :

بمعنى أن توجه الدعوة فى هذه المرحلة إلى الإنسان الصالح ، أى الذى يعمل الصالحات ولا يُرى على المآثم والمعاصى ، لأن ذلك هو الذى يساعده على تقبل التعريف بالإسلام ، أصوله ، وقواعده ، ومنهجه ، ونظامه ، وأخلاقه ، وآدابه .

فإن كان من أهل الفساد ومقارفة المعاصى ، فإن مرحلة سابقة على تلك المرحلة ، وهى مرحلة التمهيد ، كانت أولى به ؛ لأنها مرحلة تستهدف خلع الإنسان من الإثم والمعصية ، وتشجيعه على الطاعة والعمل الصالح ، وتدريبه عليه ، وإحاطته بكل مايباعد بينه وبين المعصية .

ولكن مرحلة التعريف تتطلب من المدعو ، أن يكون صالحا ، يؤثر الحق والخير والاستقامة .

وللصلاح فى الإنسان سمات نذكر منها :

أ — اعتياده المساجد ،

ب — وحبه للخير ، وبعده عن الشر ،

جـ — وتقبل الناس له ،

د — وانضباط سلوكه ، وأعماله وأخلاقه ، وفق موازين الشريعة الإسلامية .

كل تلك سمات ، إن وجدت ، أهلت صاحبها للانضمام إلى مرحلة التعريف .

---

(١) من كلمات الإمام البنا فى رسالة التعاليم فى ركن العمل .

ثانيا : الرغبة فى العمل للإسلام :

وذلك أن الصالحين ـــ بفضل الله كثيرون ـــ وأن بعضهم قد يلتبس عليه الأمر ، فيتصور أن صلاحه فى نفسه كاف ، وأن عمله مع غيره من أجل الإسلام ، ليس واجبا ، أو ليس مطلوبا ، وتلك غفلة وضلال عن الحق ، فإن المسلم مهما كان صالحا فى نفسه ، فإن من صلاحه ، أو من تمام صلاحه ، أن يقوم بالأعمال التى تعود عليه ، وعلى أمته الإسلامية بالخير ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، والعمل الجماعى من أجل الإسلام ـــ كما سنوضح ذلك فيما بعد .

ومما يدل على كمال الصلاح وتمامه مايلى :

١ ـــ حب الخير .

٢ ـــ والتعاون على البر والتقوى .

٣ ـــ وصلة الأرحام .

٤ ـــ ومراعاة حقوق الجار .

٥ ـــ وحسن الخلق بصفة عملية .

٦ ـــ وعيادة المريض ، وتشييع الموتى ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، وإفشاء السلام .

٧ ـــ وإكرام الضيف .

٨ ـــ والإعراض عن اللغو .

٩ ـــ وإماطة الأذى عن الطريق .

١٠ ـــ والإحسان بكل معنى من معانيه .

١١ ـــ والعدل والإنصاف .

١٢ ـــ والإصلاح بين المتخاصمين .

١٣ ـــ وكف الأذى .

١٤ ـــ والنصيحة لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

١٥ ـــ ونصرة المظلوم .

١٦ ـــ وإغاثة اللهفان .

١٧ ـــ ومباعدة الكفار .

١٨ ـــ ومباعدة العصاة وأصحاب الذنوب .

١٩ ـــ والغيرة على الحق .
٢٠ ـــ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وغير ذلك من كل عمل ، يدل على رغبته فى ممارسة الإسلام ، بصورة عملية فى حياته ، وفى المجتمع الذى يعيش فيه .

ويمكن تلخيص هذه الصفات كلها فى كلمتين هما :

حبه لكل أعمال الخير ،

وكراهيته لكل أنواع الشر .

ومن لم تكن لديه رغبة فى العمل للإسلام ، فإن مرحلة التمهيد ، كفيلة بأن تولد عنده هذه الرغبة بإذن الله تعالى ، وليس معنى ذلك أن من فقد الرغبة فى العمل الإسلامى ، يتركه الدعاة على ماهو عليه ، حتى تتولد لديه الرغبة ، وإنما معناه أن أحد الدعاة يرعاه ويتولاه ، ويلحقه بمحتوى مرحلة التمهيد التى فاتته ، ولايدعه حتى يجتاز هذه المرحلة ويحقق أهدافها ، التى توصله إلى مرحلة التعريف .

وإن الراغب فى العمل الإسلامى ، لابد له أن يدرك أن العالم الإسلامى كله وطن واحد ، وأن قضاياه ومشكلاته هى هم كل مسلم فى أى وطن ، فالأصل فى العالم الإسلامى أنه وحدة واحدة ـــ وقد كان كذلك بالفعل ـــ وما عرفنا هذه التقسيمات السياسية ، إلا بعد أن ضعف المسلمون ، وقل شأنهم بابتعادهم عن منهج دينهم ، مما أطمع فيهم العدو المتربص ، ثم غلبهم على ديارهم وأوطانهم ، فَفَتَّتها على النحو الذى هو عليه الآن .

وإن الراغب فى العمل الإسلامى ، لابد أن يكون مدركا لتلك العيوب والآفات التى اعترت المسلمين اليوم ، وأن يكون مستيقنا ، من أن العالم الإسلامى كله ، يعانى ما يعانيه ، من فرقة وشتات ، وضعف سياسى واقتصادى وعلمى ؛ لأنه تباعد عن دينه وتجاوز الأخذ بمنهجه ونظامه ، إلى مناهج وضعية ، ونظم لا تصلح للمسلمين ، ولا تصلح لغيرهم ، حتى إنها غير صالحة لمن وضعوها ؛ لأنها تتـجاهل أن هناك حياة أخرى هى الحياة .

لابد أن يكون مستيقنا من هذه الحقيقة ، وأن يكون على استعداد للإسهام بجهده فى

إحداث تغيير لنفسه وبيئته ومجتمعه والعالم الإسلامى كله ، تغيير نحو الإسلام .

ثالثا : الرغبة فى الانتماء والالتزام :

وذلك بأن يكون راغبا فى الانتماء للإسلام ، بخلقه وسلوكه وفكره وعاطفته ، وكل ما يتصل به ، لا ذلك الانتماء الذى ألفه الناس ، وهو الانتماء للإسلام بالأسماء والكنى والألقاب (١) .

وبحسبنا هنا أن نشير إلى أن المدعو فى هذه المرحلة ، يجب أن يكون راغبا فى الانتماء إلى الإسلام وحده ، دون جمع أى انتماء آخر إليه ، انتماء يولد فى نفسه الاعتزاز بأنه مسلم ، بل يولد عنده شعوراً بأنه صاحب هذا الدين ، الذى يمثل أكمل منهج ، وأدق نظام ، الانتماء القادر على أن يملأ نفسه عزة وكرامة ؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

لابد أن تكون لديه هذه الرغبة ، حتى إذا اجتاز هذه المرحلة ، وتأهل للدخول فى المراحل التى تليها ، تعاظم فى نفسه هذا الانتماء ، حتى يصبح فى صورته المثلى ، وتلك الصورة المثلى للانتماء ، هى أن يكون الإنسان ، مثلا للدين الذى ينتمى إليه ، وألا يقبل به بديلا ، مهما كانت مغريات هذا البديل .

أما الالتزام فيعنى أن تكون لدى الإنسان المؤهل لهذه المرحلة ، رغبة فى الالتزام بالإسلام ، وقدرة على الاستمرار فى هذا الالتزام .

الالتزام بالإسلام فى العقيدة والعبادة والمعاملة ، فى القول والفعل والترك ، وفى كل مايحب وكل مايكره ، فى حركة يومه كلها .

ولذلك الالتزام مذاهب ومداخل نذكر منها :

١ ـــ أن يكون راغبا فى الالتزام بالإسلام فى خاصة نفسه ، فإن كان طالب علم ، فلابد أن يكون من المتفوقين ، وإن كان عاملا فى أى مجال من مجالات العمل ، فلابد أن يكون من المخلصين المحسنين ، وإن كان رب بيت ، فلابد أن يكون أهله وأولاده راغبين مثله فى الالتزام بالإسلام .

٢ ـــ ومن مذاهب هذا الالتزام ، أن يكون راغبا فى أن يلتزم بهذا الدين بين الناس جميعا ، مهما كانوا غير ملتزمين ، وأن تكون رغبته فى الالتزام بالإسلام ، لا

---

(١) سوف نتحدث عن الانتماء بتوسع ، عند حديثنا عن مرحلة التنفيذ ثالث مراحل الدعوة إلى الله ، فى هذا الباب الثانى من الكتاب .

يصرفه عنها صارف مادى أو معنوى ، ولا يقبل به بديلا مهما كان هذا البديل مغريا لقصار النظر والغافلين من الناس .

وبعد : فتلك هما صفتا الانتماء والالتزام ، اللتان تؤهلان صاحبهما لهذه المرحلة .

رابعا : القدرة على احترام النظم والمبادىء العامة للجماعة ، التى يعمل من خلالها للإسلام :

وذلك أن العمل للإسلام لا يتم بصورته الفاعلة ، إلا من خلال جماعة ، وأنه إذا كان فرديا فقصاراه أن يفيد صاحبه وحده ، وما هو ببالغ ذلك إلا بعسر ومشقة ، لأن العمل الجماعى كما هو من ضرورات الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فإنه كذلك تعبير عن إنسانية الإنسان ، وإشباع حاجاته المتعددة ؛ لأن الإنسان كما قيل : مدنى بالطبع .

ومادام العمل للإسلام فى جماعة هو الأصل ، فإن أى جماعة تتصدى للعمل الإسلامى ، لابد أن يكون لها خطة ونظام ، يتولد عنهما واجبات وحقوق وآداب عمل .

ولا يستطيع أن يمارس العمل للإسلام من خلال هذه الجماعة ، إلا من كان قادرا على احترام النظم والمبادىء العامة للجماعة ، يحترمها فى ذات نفسه ، ويحترمها فى سلوكه بل فى فكره وعواطفه ، ويضع مبادئها العامة ـــ وهى مبادىء نابعة من الإسلام بالضرورة ـــ موضع الاحترام والتقدير والتنفيذ .

ومالم يفعل ، أو مالم يكن مستعدا لهذا كله ، فلن يكون أهلا لمرحلة التعريف بالإسلام ، وعليه أن يعود إلى مرحلة التمهيد ؛ لتتولد لديه هذه القدرة على احترام النظم والمبادىء ، كما يفعل المؤمنون من الرجال .

فإذا كانت لديه هذه القدرة ، فهو أهل للدخول فى هذه المرحلة ، والاستفادة منها بالتعرف الجيد على الإسلام ، تعرفا يكشف له عن طبيعة هذا الدين ، ومنهجه ، ونظامه ، وقدرته على إسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم .

ولابد أن نشير إلى أن احترام النظم والمبادىء ، لا يحتاج إلى رقابة من أحد ، لأن الله سبحانه هو الرقيب الحسيب ، ومن كان يرقبه الناس ، فيسلك فى حياته مسالك يقيم فيها وزنا لمراقبة الناس له ، فإنه جدير مهما يكن شأنه ، بأن يغافل الناس ، ويفعل مابدا له مما يخالف الإسلام ، أما من كان يرقبه الله ، فيخشى رقابته ، فهو الطائع الذى يسلك أحسن

السلوك ، وهو القادر على أن يحترم النظم والمبادئ احتراما أصيلا .

خامسا : القدرة على قدر من الطاعة :

أى الطاعة للجماعة التى يعمل للإسلام من خلالها ، وهذه الطاعة هى الترجمان الحقيقى ، لاحترامه للنظم ، والمبادئ العامة للجماعة .

والطاعة فى هذه المرحلة طاعة ليست تامة أو كاملة ، وإنما يتجاوز له فيها عن بعض الأمور والمواقف ، لأن الطاعة التامة صعبة ، وهى أهلية لمرحلة لاحقة ، وطلب الطاعة التامة فى هذه المرحلة ، طلب لما لا يطيق المنضم لهذه المرحلة .

والمقصود بهذا القدر من الطاعة غير التامة مايلى :

١ ــ الاستجابة لمقتضيات الصلاح ، وتنميته فى هذه المرحلة ؛ لأن لذلك تكاليف تستوجب الطاعة ، حتى تتم هذه التكاليف على وجهها .

٢ ــ الاستجابة لمقتضيات الرغبة فى العمل من أجل الإسلام ؛ لأن هذه الرغبة بحاجة إلى الدعم والتنمية ، حتى تتحول من رغبة تطرأ حينا وتزول حينا ، إلى رغبة أساسية أصيلة ، لاتفارق صاحبها أبدا .

٣ ــ الاستجابة لمقتضيات الانتماء والالتزام ، وهى كثيرة ، لابد من الطاعة فى القيام بأعبائها وتكاليفها ، وإذا كان الانتماء مكلفا فإن الالتزام أكثر تكاليف .

٤ ــ الاستجابة لمقتضيات التخطيط والتنظيم والإدارة ، التى جعلت للجماعة أنظمة ومبادئ ، وأوجبت احترامها على أفراد هذه المرحلة ، ولا يكون هذا الاحترام ؛ إلا بقدر ملائم من الطاعة .

٥ ــ الاستجابة لمقتضيات عضوية هذه المرحلة ، وتكاليفها ، البدنية ، والثقافية ، وغيرها ، فإنه بغير قدر من الطاعة ، لايمكن تحقيق تكاليف العضوية .

تلك صورة تقريبية لمتطلبات مرحلة التعريف فى المدعوين ، وهى التى تمثل الأهلية لهذه المرحلة .

الفصل الثالث

أهداف مرحلة التعريف ووسائلها

أهداف مرحلة التعريف ووسائلها

إن أهداف هذه المرحلة فى صورتها العامة ، وفى تبسيط شديد لها هى :

التعريف بالإسلام ،

وإزالة الجهل به عن الناس ،

وتكوين رأى عام إسلامى فى المجتمع المسلم .

وإن وسائل هذه المرحلة فى صورتها العامة ، وفى تبسيط شديد لها هى :

حسن عرض الإسلام على المدعوين ،

وتربيتهم وفق منهجه وآدابه ،

وتكوينهم فى مجموعات وجماعات عاملة ،

وترشيحهم للمرحلة التالية .

تلك صورة مجملة ، غاية الإجمال ، للأهداف والوسائل فى هذه المرحلة ، ركزناها على هذاالنحو ، حتى يكون الدعاة إلى الله ، على ذكر دائم لها ، وأن يستوعبوها ، ويعملوا فى إطارها ، حتى تسدد خطاهم ، وترشد أعمالهم ، وينجحوا فى تحقيق أهدافهم .

وهذه الأهداف والوسائل مستقاة من طبيعة المرحلة ومن متطلباتها ، ومن الخبرة العملية والممارسة فى مجال مرحلة التعريف بالإسلام .

لكن هذا الإجمال لا يكفى ، فلابد إذن من تفصيل ، وهذا التفصيل يقتضى أن نتحدث عن الأهداف على حدة ، ثم عن الوسائل على حدة كذلك ، محاولين أن نكشف عن هذه وتلك ، وما يندرج تحت كلٍّ منهما من مفردات وما يستحقه كل مفرد منها من تفصيل .

فنقول وبالله التوفيق .

أولا : أهداف مرحلة التعريف

أهداف هذه المرحلة على وجه التفصيل هى :

١ ـــ التعريف بالإسلام تعريفا ملائما :

أى شرح أصوله ، وقواعده ، وآدابه ، وأخلاقه ، ومنهجه ونظامه فى حياة الناس ، شرحا يفسر للمدعو كل مجمل ، ويوضح له كل غامض ، وييسر له فى التعامل بالإسلام كل ما يتصور أنه عسير أو صعب .

والملائمة هنا تعنى أن يفسر الإسلام ، ويشرح بصورة تلائم العصر الذى يعيش فيه المدعوون من جانب ، وتلائم قدرات المدعوين على الفهم والاستيعاب من جانب آخر .

وملاءمة العصر ومتطلباته واجبة ، فلكل عصر قضاياه ووسائله ، ومشكلاته ، التى تسيطر عليه وتفرض نفسها فرضا ، كما أنه لكل عصر لغته ، الأيسر فهما عند الناس ، والأقرب إلى ثقافتهم وفكرهم .

وملاءمة المدعوين تستدعى أن يكون لكل طائفة منهم ، تشابهت ثقافتها ، وتقاربت قدراتها ، طريقة شرح وتفسير ، وعرض لقضايا المجتمع ومسائله ومشكلاته من منظور إسلامى ، ملائم لهؤلاء المدعوين .

وهذا يوجب على الدعاة ، أن يكونوا متنوعين كذلك ، فيكون منهم من يختص بالشرح والتفسير لطائفة دون أخرى .

وذلك يستدعى تخطيطا وتنظيما وتنسيقا بين الدعاة ، كما يستدعى تخصصا بعينه ، لطوائف بعينها من الدعاة .

وهنا ملحظ جدير بالاهتمام :

وهو أن تعد دراسة جيدة ميدانية ، لطوائف من المدعوين ، وتتنوع هذه الدراسة ، بحيث تستوعب كل طائفة أو شريحة من المجتمع ، مهما بدت أقل شأنا .

وعلى ضوء هذه الدراسة ، يكون التخطيط للدعاة ، والتنسيق فيما بينهم ، وتخصيص أعداد منهم ، لأعمال بعينها ، فى هذه المرحلة .

وهذا عمل ضرورى ، يعود على الدعاة والمدعوين بأكبر قدر من الفائدة ، إذ تتكون

لدى الدعاة طوائف منهم متخصصون فى التعامل مع طوائف بعينها من قطاعات المجتمع ، وهذا بحد ذاته يحقق أكبر فائدة للعمل الإسلامى كله ، من حيث الطرق الجيدة لأدائه .

كما يؤدى ذلك إلى أن تصل الدعوة الإسلامية فى صورتها الميسرة الملائمة إلى كل مسلم ، مهما كان مستواه التعليمى ، أو الثقافى ، أو الاجتماعى .

ذاك أول أهداف مرحلة التعريف .

٢ ــ تكوين قاعدة عريضة من المدعوين :

الفاهمين للإسلام ، الواعين لأبعاده ، القادرين على التمسك بقيمه وأخلاقه وادابه ، الملتزمين بنهجه فى الحياة .

هذه القاعدة العريضة ، يجب أن تضم فى داخلها ، كل قطاع من قطاعات المجتمع ، على النحو التالى :

أ ــ الذين يعملون بفلاحة الأرض ومن فى مستواهم ، ممن حرموا التعليم ، أو حرموا من مواصلته ، وهؤلاء من أوسع القواعد ، وأكثرها عددا ، وأجدرها بالاهتمام .

ب ــ والذين يمارسون الحرف والصناعات على مستوى عمال المصانع العامة ، أو الذين يعملون فى هذه الصناعات لحسابهم الخاص ، مهما يكن مستوى تعلمهم كذلك ، ومستوى حظهم من الثقافة .

جـ ــ والذين يواصلون التعليم فى المدارس والمعاهد والجامعات ، على كل مستوى من مستوياتهم .

د ــ الذين أنهوا مراحل تعليم بعينها ، وأخذوا يمارسون حياتهم العملية فى الحكومة ، أو القطاع العام أو الخاص .

هـ ــ المثقفون الذين تكونت لديهم ثقافات متعددة ، ولهم انتماءات معينة لبعض التيارات الموالية أو المعادية للإسلام والمسلمين .

و ــ النقابات المهنية المتعددة .

ز ــ المنتمون لأحزاب سياسية .

ح ــ أصحاب الرأى والفكر .

ط ــ أعضاء هيئات التدريس فى الجامعات .

ى ــ العلماء المتخصصون فى علوم الإسلام ، من المتخرجين فى الأزهر .

كل هؤلاء ، ينبغى أن تصل إليهم الدعوة الإسلامية ، بصورة قادرة على مواكبة العصر ومتطلباته ، والمتغيرات وظروفها ، وأن توضع لهم تصورات دقيقة لمشكلات الحياة من منظور إسلامى .

ولو نجح الدعاة ــ فى هذه المرحلة ــ فى تكوين تلك القاعدة العريضة من المدعويين الفاهمين للإسلام القادرين على التمسك بأخلاقه وآدابه ومنهجه ونظامه ، لو نجحوا فى ذلك فقد نجحوا بالضرورة فى تحويل الحياة اليومية فى المجتمع إلى حياة إسلامية ذات نبض إسلامى ، ولما وسع الحكام والسياسيين عندئذ ، إلا أن يستجيبوا لهذا النبض ، وأن يعود لشريعة الإسلام ، تصدرها فى حياة الناس .

٣ ــ تكوين قاعدة صلبة من العاملين للإسلام :

فالأصل أن ينضم إلى موكب الدعاة إلى الله فى كل يوم ، عدد من القادرين على القيام بعبء الدعوة إلى الله ، وإلا تآكل الدعاة ، وعجزوا عن القيام بمتطلبات الحياة ، الآخذة فى الازدياد .

هذه القاعدة من العاملين للإسلام ، يجب أن تُصطَفَى من بين أفراد القاعدة العريضة من الفاهمين للإسلام فهما جيدا ومن المتمسكين به .

ويجب أن يتم الاصطفاء ، وفق معايير وأولويات ، تستهدف تحقيق الأهلية فى كل من ينضم إلى موكب الدعاة ــ وقد أشرنا فيما سبق إلى أهلية الدعاة فى مرحلة التعريف فى اثنتى عشرة نقطة ووعدنا بأن نتوسع فى ذلك ، ونحن نتكلم عن فقه الداعى إلى الله ، فى الباب الثالث من هذا الكتاب بإذن الله .

لكننا نشير هنا إلى نوعيات من الدعاة ، تلزم لسد ثغرات بعينها فى مجال الدعوة .

هذه النوعيات هى :

أ ــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال الفلاحين ومن فى مستواهم .
ب ــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال أرباب الحرف والصناعات .
جـ ــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال طلاب العلم .
د ــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال من أنهوا تعلمهم ، وأخذوا يمارسون حياتهم فى

مجالات متعددة .

هـ ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال أصحاب الانتماءات الموالية أو المعادية للإسلام .

و ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال النقابات .

ز ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال أصحاب الانتماءات السياسية والحزبية .

ح ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال أصحاب الفكر والرأى .

ط ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال أعضاء هيئات التدريس فى الجامعات .

ى ـــ دعاة قادرون على العمل ، فى مجال العلماء المتخصصين فى علوم الإسلام من الأزهر ، الذى يسمى شريفا ؛ لشرف ما يحافظ عليه من علوم الدين ، وعلوم لغة القرآن الكريم .

كل هؤلاء الدعاة ، ينبغى أن يصطفوا وفق المعايير ، التى أشرنا إليها آنفا ، مع لحظ أن كل تنازل عن صفة من الصفات الواجب توافرها فى الدعاة ، يعود بمردود سيىء على المدعوين ، وعلى العمل الإسلامى كله .

٤ ـــ تكوين قاعدة صلبة من المنتمين الملتزمين بالإسلام :

إن مرحلة التعريف ، وإن كانت بداية لمراحل الدعوة إلى الله ، إلا أن طموحها كبير ، وأهميتها بين المراحل عظيمة ، إذ هى التى تمد المراحل اللاحقة لها ، باحتياجاتها البشرية ، عن طريق الانتقاء من القاعدة العريضة ، التى تكونها من المدعوين الفاهمين المتمسكين بالإسلام .

لذلك فإن انتقاء عناصر معينة من هذه القاعدة ، وزيادة الاهتمام بهذه العناصر ، عن طريق تعميق التعريف والتفهيم ، يوصلنا إلى أن نحصل من هذه المرحلة على قاعدة صلبة ، من الذين يتضح فيهم الانتماء إلى الإسلام ، والالتزام به ، وهو هدف كبير من أهداف هذه المرحلة .

ونعنى بالمنتمى الصلب فى هذه المرحلة من كانت فيه الصفات التالية :

أ ـــ الاعتزاز بانتمائه إلى الإسلام .

ب ـــ الثبات على هذا الاعتزاز والتجرد من سواه .

جـ ـــ القدرة على توريث هذا الانتماء إلى غيره من الناس .

كما نعنى بالملتزم الصلب فى هذه المرحلة من كانت فيه الصفات التالية :

أ ــ الالتزام الحاسم بكل ماهو إسلامى .

ب ــ الالتزام الشامل للأهل والولد وكل من يلى عليه .

جـ ــ القدرة على توريث هذا الالتزام بالدين إلى غيره من الناس .

وإنما أولينا هذا الهدف اهتماما خاصا ، لأن أعظم آفة تجتاح المسلمين اليوم ، هى آفة التحلل من الانتماء للإسلام والالتزام به ، والانخداع بما ينتمون إليه من فاسد النظم والنظريات ، إن أول لبنة هدمها أعداء المسلمين ، فى بناء الإسلام ، هى لبنة الانتماء إلى الإسلام ، والاعتزار بهذا الانتماء ، وإن ثانى لبنة هى لبنة الالتزام بالإسلام ؛ منهجه ونظامه وأخلاقه ، وإنه بهدم هاتين اللبنتين ، سقط كثير من المسلمين فى هاوية الضياع .

٥ ــ تكوين قاعدة قوية من المنتظمين فى العمل الجماعى :

وذلك أن آفة جائحة يتفاقم خطرها اليوم فى العالم الإسلامى كله ، تحاول أن تنزع من المسلمين إيمانهم بضرورة العمل الجماعى للإسلام ، وتزين لهم ــ كما تفعل الشياطين ــ أن العمل للإسلام فردى شخصى ، وتضللهم بمغالطات ينخدع بها بعض القاصرين مثل قولهم :

« إن الإسلام تدين شخصى وعمل فردى » .

و « إن الدين لله والوطن للجميع » .

و « دع مالقيصر لقيصر ومالله لله » .

واستشهاد بعض الضالين أو المضلِّلين منهم بقول الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [١] .

وهو سوء فهم ، وسوء استشهاد ، فإن أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، نبه إلى هذا الانحراف فى فهم الآية وتأويلها بغير ما تقبل التأويل إليه ، فقد روى أصحاب السنن ، عن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، أنه خطب الناس فقال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها : ﴿ **يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ... ﴾ الآية .

(١) سورة المائدة : ١٠٥ .

وإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « ما من قوم ، عمل فيهم بالمعاصى ، وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم ، فلم يفعل ، إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

فليس إذن عملا فرديا ، ولا سلبية ، وإنما هو من صميم العمل الجماعى ، النهى عن المنكر أو التعرض لعذاب الله .

إن جماعية العمل الإسلامى ، مقررة ومؤكدة فى الإسلام بأكثر من دليل (١) ونكتفى هنا ، بأن نذكر ما رواه الترمذى بسنده ، عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة » .

وإذا كان المسلمون اليوم يعملون ماوسعهم ، لكى يتحاكم الناس إلى شرع الله ونظامه ، وأن يسود منهجه فى حياة الناس جميعا ـــ وهذا واجب شرعى ـــ فكيف يستطيعون الوصول إلى ذلك الهدف أفراداً ؟

وإذا كان هذا الهدف لا يتحقق إلا من خلال جماعة وعمل جماعى ، فإن مالا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب ، وبالتالى فإن عمل المسلمين فى جماعة واجب شرعا ، فضلا عن وجوبه عقلا ومنطقا .

وإذن فإن مرحلة التعريف بالإسلام ، لابد أن تفرز قاعدة قوية من الناس ، تؤمن بالعمل الجماعى للإسلام وتراه فرضا عليها ، وعلى كل المسلمين القادرين على العمل .

ولابد أن تكون هذه القاعدة بذلك الفقه ، طليعة لقاعدة أوسع من العاملين للإسلام ، فى عمل جماعى .

وإذا كانت المراحل التالية لهذه المرحلة ، ستولد قواعد أصلب فى فقه العمل الجماعى ـــ وهذا هو المأمول ـــ فإن هذه المرحلة ما ينبغى أن تخلو من وجود قاعدة من المنتظمين فى العمل الجماعى ، مهما يكن عددها قليلا ، العمل الجماعى على كافة مستوياته :

أ ـــ مستواه الفكرى والثقافى ،
ب ـــ ومستواه الاجتماعى ،
جـ ـــ ومستواه الاقتصادى ،

---

(١) سنورد هذه الأدلة ، عند حديثنا عن العمل الجماعى بالتفصيل ، فى مرحلة التكوين .

د ـــ ومستواه السياسى ،

هـ ـــ ومستواه التربوى ،

و ـــ ومستواه فى مجالى الدعوة والحركة ،

ز ـــ ومستواه فى مجالى التخطيط والتنظيم .

إننا إذا لم نحصل من هذه المرحلة ، على قاعدة قوية فى هذا المجال ، مهما تكن قليلة العدد ، فإن المراحل التالية ستعانى ، ولن تعطينا وليدا متكامل البناء ، فهنا البذرة وهنا النواة .

ومن البديهى أن ننبه إلى أن العمل فى مراحل الدعوة إلى الله متداخل ، ويخدم بعضه بعضا ، ويخضع لنظام متوازٍ لا متوالٍ ، فإن العاملين فى الحقل الإسلامى ، وهم يمارسون العمل فى مرحلة من مراحل الدعوة ، تمتد عيونهم وهممهم ، بل أفكارهم وجهودهم ومخططاتهم ، إلى باقى المراحل ، لأن الهدف العام من هذه المراحل كلها واحد ، وهو الوصول إلى تحكيم كتاب الله ومنهجه ونظامه فى حياة المسلمين أولا ، ثم فى حياة الناس جميعا ـــ لصالحهم ـــ ثانيا ، دون منازع من منهج آخر ، أو نظام مختلف .

٦ ـــ تكوين قاعدة من المؤهلين للمرحلة التالية مرحلة التكوين :

وكما أوضحنا آنفا ، أن مراحل الدعوة إلى الله متداخلة ، نضيف هنا أنها يفضى بعضها إلى بعض ، ويوصل سابقها إلى لاحقها ، وأولها إلى تاليها ، وذلك شأن المراحل المتكاملة .

وإن تطلع الدعاة العاملين ، فى أى مرحلة إلى أهلية الذين ينضمون إلى المرحلة التالية ، أمر ضرورى يوجبه عمق فقه الدعاة ، وسعة نظرتهم ، وانفساح آفاقهم ، ونضج إدراكهم لمتطلبات العمل كله .

ومادمنا بصدد الحديث عن مرحلة التعريف وضرورة تهيئة قاعدة ، من الذين تتوفر فيهم الأهلية لمرحلة التكوين من أفراد هذه المرحلة ، فلابد من أن نشير ـــ ولو كانت إشارة عابرة إلى مجمل أهلية مرحلة التكوين ليضعها الدعاة نصب أعينهم وهم يرشحون لها .

وأهم صفات هذه الأهلية مايلى (١) :

١ ـــ أن يكون المرشح للانضمام إلى مرحلة التكوين مسلما حسن الإسلام .

(١) سنتحدث عن هذه الأهلية بالتفصيل فى مرحلة التكوين بإذن الله تعالى .

٢ ـــ أن يكون محبا للعمل من أجل الإسلام .
٣ ـــ أن يكون منتميا للجماعة ، عارفا بهذا الانتماء ، ملتزما بواجبات الإسلام .
٤ ـــ أن يكون قد مر بمرحلة التعريف ، واستوعب متطلباتها النظرية والعملية ، وأمضى فى هذا الاستيعاب الفترة الزمنية المحددة ، واجتاز هذه المرحلة عن طريق اختبار .

إن على الداعية فى مرحلة التعريف أن يضع هذه الصفات فى اعتباره ، وهو يرشح إلى مرحلة التكوين .

٧ ـــ تكوين قاعدة من المتفقهين فى الدين :

وربما كان هذا الهدف ، أكثر أهداف هذه المرحلة طموحا ، فقد يتساءل بعضنا قائلا :

كيف نحصل من هذه المرحلة ، على قاعدة من المتفقهين فى الدين ، وهى مرحلة أولية من مراحل الدعوة ؟

والسؤال وارد بل جيد ، ولكن الإجابة عليه ميسورة بإذن الله وعونه ، ففى الحق أن ذلك ممكن ، فمادامت هذه المرحلة ، تستهدف فهم الإسلام فهما ملائما ، وتكوين عاملين به ، منتمين إليه ، ملتزمين بمنهجه وأخلاقه ، منتظمين فى العمل الجماعى ؛ فهى بهذا قادرة ، على أن تتوسم فى بعض أفراد هذه المرحلة ، وبخاصة النابهين منهم ، ومن لديهم الاستعداد ، فتجعل منهم قاعدة ، يحاول الدعاة معهم ، أن يركزوا على التفقه فى الدين لأن حاجة العمل الإسلامى إلى هذه القاعدة من المتفقهين فى الدين ماسة ، وتزداد أهمية ، كلما انتقل العاملون من أجل الإسلام إلى مراحل أعلى ، وهى حاجة متجددة أبدا مستمرة كذلك .

والأمل الدائم ، فى المتفقهين فى الدين ، ألا يكونوا بمعزل عن الحياة الإنسانية ، وقضاياها ومشاكلها ، ولا عن مجتمعاتهم ، وما يضطرب فيها من تيارات ، وإنما عليهم أن يكونوا رجال دعوة ، ورجال حركة ، ورجال تنظيم ، فضلا عما يتميزون به من صحة الانتماء للإسلام ، ودقة الالتزام بمنهجه وأخلاقه .

إن المتفقهين فى الدين ، إذا كانوا على هذا المستوى ، كانت لديهم القدرة على حل معظم المشكلات والقضايا الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، من منظور إسلامى دقيق .

ثانيا : الوسائل

هذه المرحلة ، تحتاج من الوسائل ، ما كان سهلا ومناسبا لطبيعة المرحلة ، وملائما لطبيعة المدعوين فيها .

وعلى الرغم من أن طموح هذه المرحلة كبير ، وأهدافها هامة فإن الوسائل التى يجب أن تتبع فيها ، لابد أن تكون ميسورة وبسيطة .

وقد سبق لنا حديث عن الوسائل بصورة عامة ـــ فى الفصل السادس من الباب الأول ـــ ولكن ذلك ، لا يعفينا أن نتحدث عن الوسائل ، فى هذه المرحلة بالذات ، بل وفى كل مرحلة على حدة ؛ لزيادة التأكيد على أن الوسائل تختلف من مرحلة إلى مرحلة .

وقد قلنا فيما مضى إن الوسائل العامة للدعاة إلى الله فى كل مرحلة ، لا تعدو أن تكون هذه الوسائل الثلاثة التالية :

١ ـــ التبليغ أو التعريف بالدعوة إلى الله ، عن طريق القول ؛ كالخطبة والمحاضرة والدرس والمناظرة ... إلخ

٢ ـــ والتبليغ عن الدعوة إلى الله بالعمل ، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة المنشآت والمؤسسات النافعة ، التى تجلب للمسلمين مصلحة ، أو تدفع عنهم ضررا .

٣ ـــ والتبليغ عن الدعوة إلى الله بالقدوة ، بمعنى أن يكون الداعى إلى الله أنموذجا للإسلام فى سلوكه ، وفى كل مايدعو إليه .

وقد أوضحنا هناك ، بأن الداعى إلى الله ، وهو يمارس وسيلة التبليغ بالقدوة ، فإن عليه أن يتصف بصفات عديدة ، أهمها مايلى :

١ ـــ عمق الإيمان ، وحسن الصلة بالله ، ومراقبته سبحانه .

٢ ـــ ودقة الفهم لعمله ولدعوته .

٣ ـــ وممارسة العمل الصالح ، وحب الخير لجميع الناس .

٤ ـــ والتضحية بالوقت ، والجهد ، والمال .

٥ ـــ والتواضع لله ، والاعتراف بالتقصير ، واتهام النفس .

٦ ـــ والإحسان لكل عمل يقوم به .

إلى غير ذلك ، مما لا نحب أن نعيده كله ، وإنما نكتفى بهذه الإشارة .

أما الوسائل المناسبة لمرحلة التعريف ، فإنها فى تصورنا مايلى :

١ ــ وسيلة التربية والإعداد :

بمعنى أن يعمد الداعية إلى الله ، إلى إعداد المدعوين ، وتربيتهم تربية تصقل فيهم الصفات التى أهلتهم للانضمام إلى هذه المرحلة ، والتى سميناها « أهلية » والتى كانت فى مجملها :

الصلاح ، والرغبة فى العمل للإسلام ، والرغبة فى العمل فى جماعة ، والانتماء ، والالتزام ، والقدرة على احترام النظم والمبادىء العامة للجماعة ، التى يعمل من خلالها ، والقدرة على حظ من الطاعة ، يلائم احترام النظم والمبادىء .

تربية هذا الإنسان لتنمية هذه الصفات ، وبلوغها درجة الاكتمال ، بحيث ترشحه هذه الصفات إذا اكتملت إلى الانضمام لمرحلة أعلى « مرحلة التكوين » .

وإن جهد الداعية فى هذا المجال ، جهد عظيم ، فهو سيضحى بوقته وبجهده وبماله وبراحته ، وذلك من صميم ما يطلب من الداعية فى كل مرحلة ، لا فى هذه المرحلة وحدها ، أليس هو قيادة لعمل ؟ وأليست القيادة فى الإسلام تكليفا لا تشريفا ؟

وكل تربية فى هذه المرحلة إنما تؤسس فى المدعو ، صلاحية للمرحلة التالية ، أى التربية والإعداد وفق منهج وبرنامج ، لكن دون الدخول فى مفردات مرحلة التكوين ، لأن ذلك غير مطلوب الآن لأن لكل مرحلة طبيعتها ومتطلباتها .

وإن على الداعية الواعى ، أن يسأل نفسه دائما قائلا : أى نوع من التربية أكثر ملاءمة لتعميق الأهلية فى هذه المرحلة ؟ وعليه بعد ذلك أن يختار لكل واحد من المدعوين ، أو كل مجموعة منهم ، النمط الملائم لهم من أنماط التربية ، وليست هناك أنماط بعينها ، تفرض على الداعى فى هذه المرحلة ، كما سنرى فى المراحل التالية .

٢ ــ وسيلة تكوين المجموعات :

بمعنى أن الداعية فى هذه المرحلة ــ على بساطتها ــ لابد أن يضع فى اعتباره قضية الفروق الفردية بين المدعوين وأن كل مجموعة من الناس ، قد تتشابه ، أو تتقارب فى الصفات التى عددناها من أهلية الالتحاق بهذه المرحلة ، وبالتالى فإن تكوين مجموعات متقاربة فى الفكر ، والثقافة ، والصلاح ، والرغبة فى العمل للإسلام ، هو من أهم مايعين الداعية على التربية الموجهة الهادفة .

أما تلك العشوائية التى يتصورها بعض الدعاة ، إذ يرون الناس جميعا متقاربين ، وأن مايصلح لبعضهم ، يصلح لبعضهم الآخر ، إن هذه العشوائية كثيرا ما تضيع على الداعية جهده ، وتحول بينه وبين بلوغ الهدف ، وأين تلك النظرة العشوائية الغافلة من قول على رضى الله عنه ، فيما رواه البخارى بسنده ، عن أبى الطفيل ، وترجم له البخارى بعنوان : « باب من خص بالعلم قوما دون قوم ، كراهية ألا يفهموا » قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله » (١) .

هذه المجموعات التى يكونها الدعاة كل على حدة ، لو رصد بها الداعية مستقبل القدرات والطاقات ، التى يمكن أن تنمى فى المدعوين ، فإن هذه المجموعات فى وقت مّا — لن يكون بعيدا بإذن الله — سوف تسد عشرات الثغرات فى العمل الإسلامى ، وبالتالى فهى تكوينات ضرورية ، يستدعيها الحرص على مستقبل العمل الإسلامى كله من جانب ، والحرص على سد احتياجات المرحلتين التاليتين من جانب آخر .

وهذه المجموعات الواجبة التكوين ، إنما يلجأ إليها الداعية ؛ لأنه لا بديل مقبولا لها ، فالعمل فى كل الناس — دون تصنيفهم إلى مجموعات — محفوف بالفشل ، ومحكوم عليه بسوء التوجيه ، والعجز عن بلوغ الأهداف .

وهذه المجموعات من شأنها أن تيسر للدعاة عملهم ، وتجنبهم مشقة تشتيت الجهد وتنوعه ، إذ من الممكن مع هذا التقسيم والتصنيف ، أن يتولى الداعية مجموعة أو اثنتين ، فيكون التركيز أشد ، والنتائج أحكم ، أو أن يتولى داعية بعينه مجموعة بعينها لإعدادها للون من الثقافة ، أو لعمل بعينه ، ومن هنا تبدأ التخصصات ، وليس بخاف على أحد من أهل البصيرة قيمة التخصص فى العمل الإسلامى ، حيث تسد بكفاءة وفعالية كل الثغرات بإذن الله تعالى .

٣ — وسيلة تكوين الجماعات :

ونعنى بالجماعة عدداً أكبر من المجموعة ، ونوعا معينا من العمل — وهو اصطلاح فى مجال العمل الإسلامى ، عند من مارسوه ، ولا مشاحّة فى الاصطلاح .

وهذه الجماعات ، تتنوع تنوعا ، يكفى لسد احتياج هذه المرحلة أولا ، ولسد احتياج المراحل التالية بعد ذلك .

(١) البخارى : صحيحه : ١ / ٤٤ ط الشعب القاهرة دون تاريخ .

وأبسط هذا التنوع فى تصورنا هو :

أ ــ جماعة تجعل همها وهدفها العلم والمعرفة والثقافة ، بالإضافة إلى أعمالها الأخرى التى تتطلبها طبيعة المرحلة ، غير أنها تولى العلم والمعرفة والثقافة ، أكبر قدر من الاهتمام .

ب ــ جماعة تجعل همها وهدفها التفقه فى الإسلام ، ومعرفة علومه وإجادتها ، ليتكون من هذه الجماعة فيما بعد نواة لفقهاء الشريعة الذين درسوا وتعمقوا فى هذا المجال .

جـ ــ جماعة تستهدف التمكن والإجادة فى كل ما يتصل بالدعوة إلى الله ، بحيث تتعمق فى دراسة أمور الدعوة والحركة والتنظيم ، بحيث يعتمد عليهم فيما بعد فى هذه المجالات لهذه المرحلة ولغيرها من المراحل .

د ــ جماعة تستهدف التعمق فى دراسة أساليب الدعوة ووسائلها ، وأساليب العمل الجماعى ، وهذا يتطلب دراسة جيدة لعلم التخطيط ، وما يستتبعه من تنظيم وإدارة .

وهذه الجماعة من أهم الجماعات التى يحتاج إليها العمل الإسلامى ، لأن أى عمل لا يعتمد على التخطيط والتنظيم والإدارة ، قلما يحظى بالنجاح وهى علوم ليست غريبة على الإسلام والمسلمين ، حتى إن الناظر فى سيرة الرسول ﷺ ، ليجد الكثير من التخطيط والتنظيم والإدارة الجيدة ، فى السلم والحرب ، والإقامة والسفر على السواء .

وإن التأمل فى الهجرة إلى الحبشة الأولى ، أو الثانية ، والهجرة إلى المدينة المنورة ، وكثير من الغزوات والسرايا ، ووصايا الرسول لأمرائه وقواد جيوشه ، ليؤكد هذا تمام التأكيد .

أقول هذا وأشير إلى تلك المواقف فى سيرة الرسول ﷺ ، ليذهب عن بعض البسطاء حسنى النوايا ــ فيما نعتقد ــ رفضهم لهذه العلوم بحجة أنها وافدة علينا ، ولا حاجة لنا بها ، وتلك والله غفلة ؛ لأن العلم لا جنسية له أولا ؛ ولأن هذه العلوم قد مارسها المسلمون ، ومارسها الرسول ﷺ ، كما أشرنا .

وكيف يستساغ القول بالاستغناء عن التخطيط والتنظيم والإدارة ، وهى روح

كل عمل ودافعته إلى النجاح ؟

هـ ـ جماعة لرصد التيارات المعادية ، والتعرف على أهدافها ووسائلها فى العمل المضاد للإسلام والمسلمين ، سواء أكانت هذه التيارات المعادية فى المجتمع الذى تعيش فيه هذه الجماعة ، أم فى أى مكان من العالم .

و ـ جماعة للتعرف على واقع العالم الإسلامى المعاصر ، والظروف التى تعيشها كل دولة من دول العالم الإسلامى ؛ بهدف التعرف على ما يمكن أن يقدم إليها من عون ، وما يمكن أن يستفاد به منها .

ز ـ جماعة للتعرف على الأقليات المسلمة فى العالم كله ، وظروف هذه الأقليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية ؛ للتعرف على نوع احتياجها ، وعلى من يستطيع أن يقدم لها العون والمساعدة من بلدان العالم الإسلامى .

٤ ـ إعداد المرشحين للمرحلة التالية :

بمعنى أن الدعاة القائمين على مرحلة التعريف عليهم أن يعدوا من توسموا فيهم الأهلية لمرحلة التكوين ، ورشحوهم لها ، يعدوهم الإعداد ، الذى يضمن لهم توافر أهلية مرحلة التكوين ، ليدخلوها بثقة واقتدار على واجباتها .

وتلك علامة على سلامة التخطيط والتنظيم والإدارة ؛ لأن الأصل فى كل مرحلة أن تؤدى إلى التى تليها ، ولن تؤدى بصورة عشوائية ، وإنما تؤدى بصورة انتقائية ، لأن المراحل كلها متكاملة والعاملين فى هذه المراحل ، يفترض أن ينتقل كل من كان فى مرحلة إلى التى تليها ، مادام قد أكمل دراسة البرنامج فى وعائه الزمنى ، ثم رشح للمرحلة التالية .

فمرحلة التمهيد تفضى إلى مرحلة التعريف .
ومرحلة التعريف تفضى إلى مرحلة التكوين .
ومرحلة التكوين تفضى إلى مرحلة التنفيذ .
ومرحلة التنفيذ تفضى إلى مرحلة التمكين .

هذا هو الأصل ، وعلى الدعاة أن يستهدفوا فى كل مرحلة ، أن يؤهلوا المنضمين إليها إلى المرحلة التالية .

الفصل الرابع

الحكم الشرعي في ممارسة العمل في مرحلة التعريف

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التعريف

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التعريف ذو شقين :

الأول : مايتصل بالدعاة .

والثانى : ما يتصل بالمدعوين .

الشق الأول : الدعاة :

أما الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، فهو رجل قد استكمل أهلية الدعوة إلى الله ، واستعد لها الاستعداد ، الذى يمكنه من أن يعرف غيره ، ويبلغه بالإسلام عقيدة وعبادة- ومعاملة وخلقا وسلوكا ومنهجا ونظاما .

وكل الصفات التى تؤهله للقيام بهذا العمل الجليل ، سوف نفصلها فى الباب الثالث من هذا الكتاب « فقه الدعوة » .

هذا الداعية الذى استوفى هذه الشروط والصفات ، ماحكم ممارسته للعمل فى هذه المرحلة من وجهة نظر الشريعة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه ، فى هذه الصفحات ، بإذن الله تعالى .

وهذه الإجابة ، تتوقف على التعرف على وظيفة الدعاة ، فى هذه المرحلة وواجباتهم ، ثم حكم الشرع فى ممارستهم للعمل فيها .

أولا : وظيفة الدعاة وواجبهم :

الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء ، والأنبياء عليهم السلام ، لا يورثون مالا ولا عقارا ، ولكنهم يورثون علما للعلماء ، والدعاة هم العلماء ، وهم بهذا الوصف ورثة الأنبياء ، ووظيفتهم هى وظيفة الأنبياء ، عليهم السلام .

ومحمد ﷺ ـ خاتم الأنبياء والمرسلين ـ قد حدّد الله سبحانه وظيفته وواجبه ، وبتحديدها لمحمد ﷺ تتحدد وظيفة الدعاة إلى الله من بعده ، وتتضح واجباتهم .

وقد حدد الله سبحانه هذه الوظيفة ، أو هذا الواجب فى أمور أربعة ، اشتملت عليها

الآية القرآنية الكريمة التالية : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم**
يتلو عليكم آياتنا
ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾[1] .
وتلك الأمور أو الوظائف أو الواجبات هي :

١ ــ تبليغ وحي الله إلى الناس ، وتعريفهم به في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يتلو عليكم آياتنا** ﴾ .

« والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة ، تارة بالقراءة ، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي ، وترغيب وترهيب » [2] . هكذا شرح العلماء التلاوة .

وهذا التبليغ للوحي والتعريف به ، يستهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

ووحي الله سبحانه ــ على لسان أي نبي من أنبيائه ــ عصمة للبشرية كلها من الزيغ ، وتلافٍ لقصور العقل البشري ، حين يتفق الناس على أن يضعوا لأنفسهم نظاما ، أو قانونا ، ثم يقبل عليه بعض الغافلين ، ظانين فيه النفع ، حتى يتبين لهم الحق ، فيفرون إلى وحي الله ، إذ هو العصمة لهم من كل ضلال .

وقد يرفض بعض الضالين وحي الله رفضاً مطلقا ، فهؤلاء كفار أو مشركون أو ملحدون ؛ لأنهم يتحدون نظام الله وقانونه ، وعمل الرسول والداعي إلى الله ، أن يدعو إلى الالتزام بنظام الله وقانونه .

٢ ــ تزكية الناس ، أي تزكية نفوسهم وتطهيرها وتنميتها بالخيرات والبركات في الدنيا والآخرة ، بحيث يصير الإنسان في الدنيا مستحقا للأوصاف المحمودة ، وفي الآخرة الأجر والمثوبة ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ويزكيكم** ﴾ .

والتزكية بهذا المعنى ؛

---

(١) سورة البقرة : ١٥١ .

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن كلمة « تلا » .

تارة تنسب إلى الله تعالى : ﴿ **بل الله يزكى من يشاء** ﴾[1] ،

وتارة تنسب إلى النبى ، لكونه واسطة فى وصول ذلك إلى الناس كما فى هذه الآية : ﴿ **ويزكيكم** ﴾ .

فالداعية إلى الله ، يطهر نفوس الناس بوحى الله ، وينمى أرواحهم وعقولهم وأبدانهم ، ويرتفع بهم إلى المستوى الذى يليق بكرامة الإنسان ، الذى كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق .

وهذه التزكية تربية ذات منهج ووسائل تنقل الإنسان من واقعه ، إلى ماهو أحسن له ، فى أمر دينه ودنياه .

٣ ــ التعليم ، تعليم الناس العلم النافع ، أى القرآن والحكمة ، وذلك فى قوله سبحانه من هذه الآية : ﴿ **ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾ .

فهو واجب النبى ﷺ ، وواجب الدعاة إلى الله إلى يوم الدين . و « الكتاب » هو القرآن الكريم ، وهو هدى للناس كل الناس ، إذ مامن خير للبشرية فى دينها ودنياها إلا أمر به القرآن ، وما من شر لها فى دينها ودنياها ، إلا نهى عنه القرآن ، وما من شىء من هذا وذاك إلا اشتمل عليه القرآن . ﴿ **ما فرطنا من الكتاب من شىء** ﴾[2] و ﴿ **وتفصيل كل شىء** ﴾[3] و ﴿ **تبيانا لكل شىء** ﴾[4] .

وقد سمى القرآن الكريم قرآنا من بين كتب الله ، لأنه جمع ثمرة هذه الكتب كلها ، بل جمع ثمرة العلوم والمعارف كلها ؛ إذ القرآن معناه الجمع والإثبات .

و « الحكمة » هى إصابة الحق بالعلم والعقل ، ولها معان ، فهى من الله سبحانه : معرفة الأشياء وإيجادها ، على غاية مايكون الإحكام ، ومن الإنسان : معرفة الموجودات ، والعلم بها ، وفعل الخيرات .

و « الكتاب والحكمة » بهذه المعانى هما : تنوير الأذهان بما تفتقر إليه ، من هدايات فى عالمى الغيب والشهادة .

٤ ــ نقل الناس من ظلام الجهل إلى نور العلم ، ومن ضلال الباطل ، إلى هداية الحق ،

---

(١) سورة النساء : ٤٩ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٣) سورة يوسف : ١١١ .

(٤) سورة النحل : ٨٩ .

وذلك فى قوله سبحانه من هذه الآية : ﴿ **ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون** ﴾ أى يبصركم بحاضركم ، ويرسم لكم أسلم طريق لمستقبلكم .

وهذه الوظيفة الرابعة ، هى أصعب الوظائف ، وأحوجها إلى الصبر والدأب والاستمرار ، ولكنها على الرغم من ذلك واجبة وضرورية .

وفى الباب آية أخرى جامعة ، فى تحديد وظيفة الرسول ، ووظيفة الدعاة إلى الله ، هى قوله تعالى : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا** ﴾[1] .

والتقصير فى أداء الوظيفة ، أو فى القيام بهذا الواجب ، إثم ومعصية ، فلقد نعى الله على بعض الدعاة ، قعودهم وكتمانهم ماعلمهم الله سبحانه من علم ، فقال : ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[2].

والمعنى أن من عرف الحق ، فقد وجب عليه أن يبينه للناس ، ومن لم يفعل فقد أثم .

كما نعى الله ذلك الكتمان ، على أهل الكتاب فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون** ﴾[3] .

وإذا كانت آيات القرآن الكريم ، قد أوجبت على الدعاة ، وأهل العلم ، أن يبلغوا الناس بهذا العلم ، فإن السنة النبوية المطهرة شارحة القرآن قد فاضت بالأحاديث فى هذا المجال .

روى الإمام الترمذى بسنده ، عن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضر الله امرأ سمع منا حديثا ، فحفظه ، حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »[4] .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩ .　　(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .　　(٣) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٤) الترمذى : صحيحه : ٤ / ١٤١ مطبعة الفجالة ١٣٧١ هـ .

وروى الإمام البخارى بسنده ، عن عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ، بباب : تحريض النبى ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ، ويخبروا من وراءهم ، قال مالك بن الحويرث ـــ وهو من بنى عبد القيس ـــ : قال لنا النبى ﷺ : « ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم » . وعن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ ، لما قدم إليه وفد عبد القيس : « من الوفد ـــ أو من القوم ؟ » قالوا : ربيعة فقال : « مرحبا بالقوم ـــ أو الوفد ـــ غير خزايا ولا ندامى » ، قالوا : إنا نأتيك من شقة بعيدة ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا فى شهر حرام ، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ، ندخل به الجنة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع :

أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده ، قال : « هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وتعطوا الخمس من المغنم » .

ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت ـــ قال شعبة : ربما قال : النقير وربما قال : المقير قال : « احفظوه وأخبروه من وراءكم » (1) .

وروى البخارى بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ـــ وفى رواية قال : لا تكتبوا عنى ـــ ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »(2) .

وروى أبو داود بسنده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضى ؟ فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه ، وقال : « اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حقا » ـــ وفى رواية : « ما خرج منه إلا حق »(3).

وروى الترمذى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله ﷺ ، فيسمع من النبى ﷺ الحديث ، فيعجبه ، ولا يحفظه ،

(1) الإمام البخارى : صحيحه : 1 / 32 .
(2) ابن الأثير : جامع الأصول : 1 / 33 .
(3) السابق : 1 / 25 .

فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إنى أسمع منك الحديث فيعجبنى ولا أحفظه ، فقال رسول الله ﷺ : « استعن بيمينك » وأومأ بيده إلى الخط (١) .

وروى البخارى بسنده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب علىّ متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار » (٢) .

ونتوقف هنا هنيهة لننظر فى منع كتابة غير القرآن الكريم ، وفى جواز كتابة غير القرآن الكريم ، وكلاهما وارد عن النبى ﷺ

قال العلماء : الجمع بين قوله لا تكتبوا عنى غير القرآن ، وبين إذنه فى الكتابة ؛ أن الإذن فى الكتابة ناسخ للمنع منه بإجماع الأمة على جوازه ، ولا يجمعون إلا على صحيح .

وقيل : إنها نهى عن الكتابة ، بمعنى كتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فيختلط به ، فيشتبه على القارئ (٣) .

ثانيا : حكم الشرع فى هذه الوظيفة وأداء هذا الواجب :

خلاصة ما سقناه من أدلة ، تعتمد على الأصول الشرعية من الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، أن قيام الدعاة إلى الله ـــ ورثة الأنبياء ـــ وقد توفرت فيهم الأهلية لممارسة العمل فى هذه المرحلة ، مرحلة التعريف أن قيامهم بذلك الواجب ، فرض عين على كل واحد منهم .

ومعنى ذلك أن من لم يقم منهم بأداء هذا الواجب فقد أثم ؛ لأنه خالف نصوص الإسلام وحسابه على الله سبحانه .

الشق الثانى : المدعوون :

أما المدعوون المنضمون إلى مرحلة التعريف بالإسلام ، فإن حكم ممارستهم العمل فى هذه المرحلة يستدعينا أن ننظر فيما قاله علماؤنا السابقون ، رحمهم الله تعالى .

فمن أجمع وأروع ماحفل به تراثنا الإسلامى ، ماذكره العلماء فى هذا المجال ، حيث توسعوا وفرعوا ، وقالوا فى ذلك كلاما غاية فى الدقة وتحرى الحق .

---

(١) السابق : ١ / ٢٥ .   (٢) السابق : ٨ / ١٩ .   (٣) السابق : ١ / ٣٣ .

وسوف أنقل بعض الآراء ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى (١) وفيما أنقله قسمان :

أحدهما : عن العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم .

والثانى : عن العلم الذى هو فرض كفاية .

أولا : العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم :

قال الإمام الغزالى : الأصل فى وجوب العلم على كل مسلم ومسلمة ، وكونه فرض عين عليهم ، قول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢) .

وللعلماء آراء فى العلم ، الذى هو فرض عين على كل مسلم ، على النحو التالى :

١ ــ **قال علماء التوحيد :** هو العلم الذى يدرك به التوحيد ويعلم به ذات الله ، سبحانه ، وصفاته ــ وهذه المرحلة تعريف بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة ... إلخ كما أوضحنا آنفا ، فطلب هذا العلم على المدعوين المنضمين إلى هذه المرحلة فرض عين .

٢ ــ **وقال علماء الفقه :** هو علم الفقه إذ به تعرف العبادة ، والحلال والحرام ، وما يحرم من المعاملات وما يحل ، وعنوا به ما يحتاج إليه الناس دون الوقائع النادرة ــ والمدعو فى هذه المرحلة بحاجة ماسة إلى ذلك فهو بالنسبة له فرض عين كذلك .

٣ ــ **وقال علماء التفسير والحديث :** هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى كل العلوم ــ والمدعو من هذه المرحلة كغيره من المسلمين لابد أن يكون له علم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٤ ــ **وقال علماء التصوف :** هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل ، أو هو العلم بالإخلاص ، وآفات النفوس ، وتمييز لمة الملك ، من لمة الشيطان .

٥ ــ **وقال أبو طالب المكى :** هو العلم بما يتضمنه الحديث الشريف الذى وضح أركان الإسلام ، وهو حديث بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع ....

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ١ / ١٣ وما بعدها ط العثمانية ١٣٥٢ هـ ــ ١٩٣٣ م .

(٢) ابن ماجة : سننه : ١ / ٩٩ ط ثانية دار الفكر دون تاريخ .

٦ ـــ **وقال الغزالى** : هو علم المعاملة وهو ثلاثة أنواع : اعتقاد وفعل وترك .

فالاعتقاد : تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما والعمل بما فيهما .

والفعل : تعلم كل مايجب على المسلم فعله ، من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب .

والترك : تعلم ما يجب على المسلم تركه ، من المحرمات والمحظورات وأشباهها (١) .

ثانيا : العلم الذى هو فرض كفاية :

والمقصود بالعلم ـــ سواء أكان فرض عين أم فرض كفاية ـــ هو العلوم الشرعية ، وهى ما استفيدت من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وهى علوم لا تستطيع العقول أن تصل إليها .

والمقصود بفرض الكفاية فى العلم : كل علم لا يستغنى عنه الناس ، فى قوام أمور دنياهم ، كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها ، وكأصول الصناعات كلها ، كالفلاحة والحياكة والسياسة ، بل الحجامة ، فكل تلك العلوم تعلمها من فروض الكفاية .

وهذه العلوم كلها نوعان :

١ ـــ علوم محمودة ، وهى العلوم الشرعية كلها .

٢ ـــ وعلوم مذمومة ، كالسحر والشعوذة والطلسمات .

والعلوم المحمودة أربعة أنواع :

١ ـــ **أصول** ، وهى أربعة :

* كتاب الله عز وجل ،
* وسنة رسوله ﷺ ،
* وإجماع الأمة ،
* وآثار الصحابة .

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين : ١ / ١٤ بتصرف واختصار .

٢ ـــ **فروع** ، وهى مافهم من هذه الأصول وهى نوعان :

* مصالح الدنيا .
* ومصالح الآخرة .

٣ ـــ **مقدمات** : كعلم اللغة والنحو فهما وسيلتان لتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٤ ـــ **متممات** :

* كعلم القراءات ،
* وعلم التفسير ،
* وعلم أصول الحديث ،
* وعلم أصول الفقه ،
* وعلم الرجال فيما يتعلق بآثار الصحابة .

وكل تلك العلوم يُعد تعلمها ، من فروض الكفاية (١) .

والمدعو فى هذه المرحلة مرحلة التعريف بالإسلام ، أمامه هذان النوعان من العلم ، ماهو فرض عين عليه ، وماهو فرض كفاية ، وذلك حكم الشرع فى المدعو فى هذه المرحلة .

---

(١) السابق : ١ / ٢٥ ومابعدها بتصرف .

الفصل الخامس

المدى الزمني لمرحلة التعريف وأولويات العمل فيها

المدى الزمنى لمرحلة التعريف وأولويات العمل فيها

كلمة فى أهمية التحديد :

المدى الزمنى لمرحلة التعريف ،

وأولويات العمل فى هذه المرحلة ، ضرورة لا يمكن أن يتجاهلها القائمون على هذه المرحلة .

فكل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، تحتاج إلى تحديد إطار زمنى ، لبلوغ أهدافها .

وهذا الإطار الزمنى لابد له من تحديد ، ولو كان تقريبيا ، لأن ترك أى عمل دون هذا التحديد مدعاة للفشل والعياذ بالله ، والتحديد علامة على حسن التخطيط والتنظيم والإدارة ، وذلك مطلوب فى كل عمل إسلامى ، وفى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله تعالى .

وكما أن تحديد الإطار الزمنى مطلوب ، فإن تحديد نوع العمل مطلوب كذلك ، بل تحديد أولويات هذا العمل الذى تستوجبه أبعاد المرحلة وطبيعتها ومتطلباتها ....

فهذا الفصل سوف نتحدث فيه عن موضوعين :

الأول : المدى الزمنى لهذه المرحلة .

الثانى : أولويات العمل فيها .

فنقول سائلين الله التوفيق .

أولا : المدى الزمنى لمرحلة التعريف

سبق لنا أن حددنا لهذه المرحلة أبعادا هى :

١ ــ شرح أصول الإسلام وقواعده .

٢ ــ وتفسير النصوص الإسلامية تفسيرا ملائما .

٣ ــ وإزالة الشبهات ورد المفتريات .

٤ ــ والتعريف بالمعوقات والعمل على إزالتها .

٥ ــ وجمع الناس على الإسلام ومبادئه ، وتوجيههم نحو الفهم والعمل .

ومن خلال النظر فى هذه الأبعاد ، نستطيع أن ندرك أهمية تحديد المدى الزمنى لهذه المرحلة ، وهذا النظر يستدعى أن نطرح عدداً من الأسئلة ، للتفكير فى الإجابة عليها ، قبل التحديد ، وأن نعترف بعدد من الحقائق ، قبل التحديد كذلك ، فهما نقطتان بين يدى التحديد :

النقطة الأولى : الأسئلة التى تطرح ، والتفكير فى الإجابة عليها :

وهذه الأسئلة هى :

١ ــ كم يستغرق من وقت ، تنفيذ هذه الأبعاد الخمسة ، التى تميزت بها مرحلة التعريف ؟

٢ ــ سبق أن قلنا كذلك إن طبيعة المرحلة هى :
عمومية الدعوة ، وعمومية الدعاة ، وعمومية المدعوين ، وعمومية العمل نفسه ، وفى التنظيم والإدارة فكم يستغرق الوصول إلى هذا كله من وقت ؟

٣ ــ وسبق أن قلنا إن متطلبات المرحلة فى المدعوين هى :
الصلاح والرغبة فى العمل للإسلام ، والرغبة فى الانتماء والالتزام ، والقدرة على احترام المبادىء والنظم للجماعة ، التى يعمل من خلالها ، والقدرة على الطاعة .

فكم يكفى من الوقت لتنمية هذه المتطلبات ، والسعى بها نحو الاكتمال لتتوفر أهلية المرحلة التالية ؟

لا يمكن تحديد المدى الزمنى لهذه المرحلة ، دون التفكير فى الإجابة على هذه الأسئلة ، واختيار الإجابة المناسبة .

والنقطة الثانية : الحقائق التى يجب الاعتراف بها قبل التحديد :

هناك حقائق لابد من أخذها بعين الاعتبار ، ونحن نحدد المدى الزمنى لهذه المرحلة هى :

١ ــ طبيعة المدعوين فى هذه المرحلة ، وقد حددناها آنفاً .

٢ ــ وطبيعة المجتمع الذى يعيش فيه المدعوون من بين مجتمعات العالم الإسلامى ، وما يميز هذا المجتمع عن سواه ، من النواحى الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، والثقافية .

٣ ــ طبيعة التيارات المعادية للإسلام فى هذا المجتمع .

٤ ــ نوع الحكم الذى يسود المجتمع ، ومدى تقبله ، أو تمسكه بقواعد الإسلام .

هذه الحقائق تتحكم بشكل مّا فى تحديد الإطار الزمنى لهذه المرحلة .

وعلى الذين يريدون رسم أبعاد زمنية للمرحلة ، أن يقوموا بتحليل كل حقيقة من تلك الحقائق وأن يردوها إلى أسبابها ، ثم إن عليهم أن يستنتجوا بعد ذلك التحليل ، كم من الوقت يلزم لهذه المرحلة .

ودون الأخذ بهذه الحقائق ، وتحليلها تحليلاً علمياً ، وترتيب الاستنتاجات على هذا التحليل فإن اختيار أى إطار زمنى للمرحلة ، هو رجم بالغيب ، وخبط عشوائى ، فى متاهات ليست لها معالم .

وليس أضر على العمل الإسلامى ، من التخمين والحدس ، دون دراسة ، ولا أضر عليه من التعميم ، دون تعرف دقيق ، على الجزئيات والمفردات .

ومعنى ذلك أن الدعاة فى هذه المرحلة ، فى كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامى ، عليهم أن يدرسوا هذه الحقائق فى ضوء أبعاد المرحلة ، وطبيعتها ، ومتطلباتها ، ثم يحددوا الإطار ، الزمنى اللازم لتحقيق أهداف المرحلة .

ومعنى ذلك أن ما يصلح لبعض المدعوين فى إقليم ، قد لا يصلح لآخرين فى مكان آخر .

وما يصلح لمواجهة تيار معاد للإسلام فى بلد ، قد لا يصلح بنفسه لمواجهة نفس التيار المعادى فى بلد آخر .

وما يصلح أسلوباً للتعامل مع الحكام فى بلد ، قد لا يصلح بنفسه للتعامل معهم فى بلد آخر .

تلك حقائق بدهية فى عرف العلم والعمل والدعوة والحركة والتنظيم والإدارة ، ما ينبغى أن تفوت الدعاة ، ولا يجوز لهم أن يتساهلوا فيها .

ومجمل ما نقوله فى هذا المجال أن الإطار الزمنى لهذه المرحلة إن كان قدره عاماً فى مكان ، فربما يكون عامين أو ثلاثة أعوام فى مكان آخر ، فالعبرة باحترام هذه الحقائق ، بعد الاعتراف بها ، لكى تحقق المرحلة أهدافها .

اقتراح بالحد الأدنى للإطار الزمنى لهذه المرحلة — إذا كان لى أن أقترح حدا أدنى للإطار الزمنى فى هذه المرحلة — وإن كان الأصل أن الدعاة فى كل مكان هم الذين يحددون على ضوء الحقائق التى قدمت — فإنه مما يحير أن أحدد لهذا الإطار الزمى مكاناً بعينه ، فأهل المكان أولى بالتحديد ، ولكن لكى ننير بعض الطريق ، ونضىء بعض المصابيح ، فإننى أقترح سنتين حداً أدنى ، للإطار الزمنى ، لهذه المرحلة ، وذاك فى تصورى أقل مايجب من الوقت ، لنحقق فيه أبعاد المرحلة ومتطلباتها وأهدافها ؛ وأقل من ذلك عندى ، يؤدى إلى قصور فى استيعاب برنامج المرحلة [1] قد يصل إلى حد التسيب أو التضييع .

وعلى الرغم من تأكيدنا ، فى الفصل الرابع ، من الباب الأول ونحن نتحدث عن ظروف العالم الإسلامى كسبب من أسباب الدعوة إلى الله ، على أن العالم الإسلامى متقارب فى ظروفه ، مهما تناءت أقطاره ، أقول : على الرغم من ذلك ، فإننى أؤكد أن المدى الزمنى لهذه المرحلة ، فى قطر من أقطار العالم الإسلامى ، لا يصلح فى الغالب لقطر آخر ؛ وذلك أن هناك اختلافاً بين بلدان العالم الإسلامى ، فى طبيعة المدعوين وطبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه وطبيعة التيارات المعادية للإسلام ، وطبيعة نمط الحكم السائد فيه .

وكل تلك حقائق ، يجب الاعتراف بها ، ووضعها فى الحسبان ، ونحن نأخذ بهذا الحد الأدنى للزمن ، الذى تحتاجه هذه المرحلة .

---

(١) سنتحدث عن البرنامج فى الفصل التالى وهو الفصل الأخير من هذه المرحلة .

أما الحد الأعلى لهذا الإطار الزمني ، فليس لأحد أن يتصوره بدقة ، إلا بعد الدراسة والممارسة والتحليل . لكنها الأضواء نلقيها فى طريق الدعاة إلى الله القائمين على أمر هذه المرحلة ، لعل فيها ما يهدى إلى الصواب .

ثانياً : أولويات العمل فى هذه المرحلة

إن ترتيب العمل ، والقيام به ، على نحو منتظم ، يؤدى أوله دائماً إلى تاليه ، هو ما نعنيه بأولويات العمل فى هذه المرحلة ، لأن الإخلال بالترتيب والتنظيم ، يؤدى إلى عرقلة العمل حيناً ، ويؤدى إلى ضلاله عن هدفه فى أحيان كثيرة .

ولكى ينجح ترتيب الأولويات ، فلابد أن يسبقه التعرف على أنواع العمل اللازمة للمرحلة ، حتى يتسنى لنا ترتيب تترتب عليه أولويات .

لذلك كان لزاماً علينا ، أن نتحدث عن الأعمال والأولويات فيها بالنسبة لما يلى :

١ ـــ أبعاد المرحلة ،

٢ ـــ وطبيعة المرحلة ،

٣ ـــ ومتطلبات المرحلة ،

٤ ـــ وأهداف المرحلة . على النحو التالى :

١ ـــ الأولويات فى الأبعاد الخاصة بالمرحلة :

والعمل الإسلامى فى هذه المرحلة ، له أبعاد سبق أن وضحناها وهى :

أ ـــ شرح أصول الإسلام وقواعده ،

ب ـــ وتفسير النصوص الإسلامية تفسيراً ملائماً ،

جـ ـــ وإزالة الشبهات ، ودفع المفتريات ،

د ـــ والتعرف على المعوقات ، والعمل على إزالتها ،

هـ ـــ وجمع الناس على الإسلام ، وتوجيههم نحو الفهم والعَمل .

وهذه الأبعاد الخمسة يمكن ترتيب الأولويات فيها على النحو التالى :

أ ـــ شرح الأصول والقواعد مع التفسير الملائم للنصوص الإسلامية .

ب ـــ إزالة الشبهات ، ودفع المفتريات مع التعرف على المعوقات ، والعمل على إزالتها .

جـ ـــ جمع الناس على الإسلام ، وتوجيههم نحو الفهم والعمل .

ونعنى بالأولوية ـــ دائماً ـــ أمرين :

البدء بما كان ترتيبه أولاً .

وإعطاؤه مزيداً من الاهتمام ، بحيث لا يفتر هذا الاهتمام فى المسائل ، والأمور التالية أو الأخيرة .

كما نحب أن ننبه إلى أن الالتزام بهذه الأولويات أدعى إلى أن تحقق المرحلة أهدافها ، أما الإخلال بها ، فمن شأنه أن يحول بين المرحلة وبين تحقيق الأهداف ، أو على أقل تقدير أن يبدد جزءاً من الوقت والجهد والمال ، كثيراً ما يكون العمل الإسلامى فى حاجة إليها .

كما نحب أن ننبه ـــ كذلك ـــ إلى أن بعض الأولويات قد تتضام وتتداخل فتمارس بشكل متواز غير متوال ، كما اتضح لنا هذا فى :

شرح أصول الإسلام وقواعده ، مع تفسير النصوص تفسيراً ملائماً ، فإن الشرح إذا وازى التفسير ـــ ولا ضرر فى ذلك ـــ فإنه يوفر جهداً ووقتاً ومالاً .

كما أن تنوع المدعوين من حيث ثقافتهم واستعدادهم وأعمارهم وبيئاتهم قد يحمل الدعاة على أن يجعلوا بعض الأعمال موازياً لبعض فى بعض الأحيان ، ومتوالياً فى أحيان أخرى ، إذ العبرة دائماً بظروف المدعوين ، ولباقة الداعية ، وقدرته على المبادرة والمبادأة .

٢ ـــ الأولويات فى طبيعة المرحلة :

أوضحنا أن طبيعة المرحلة ، تستدعى عمومية الدعوة ، وعمومية العمل والتنظيم والإدارة ، وبالتالى فإن التصور الدقيق لهذه الأمور الثلاثة ، يجب أن يكون وأن يتم العمل فيها بشكل متوازٍ ، لأن التنظيم والإدارة ، خطوة مواكبة لكل عمل ، ولا يجوز أن يتم العمل ، ثم ننظمه وندبره ، إذ الأصل فى كل عمل أن يبدأ منظماً ، مداراً على أحسن وجه ، أيا كانت طبيعته .

٣ ـــ الأولويات فى متطلبات المرحلة :

تنمية متطلبات المرحلة ، وأهلية الناس فيها من صلاح ورغبة فى العمل للإسلام ، وانتماء والتزام وتعهد باحترام النظم والمبادئ للجماعة ، وممارسة قدر من الطاعة يتمكن به المدعو من هذه الأمور ، ذلك كله يخضع لترتيب معين ، وأولويات خاصة .

وتلك الأولويات كما يتراءى لنا هى :

أ ـــ تنمية الصلاح فى المدعو فى هذه المرحلة ، حتى نصل به إلى التقوى ، فالورع على

درجاته المتعارف عليها فى تراثنا الإسلامى ، وهى كما حدد أسلافنا عليهم رضوان الله :

* الورع الذى يتمثل فى الاحتراز عن الحرام الظاهر ، ويسمى : « ورع العدالة » أى عدالة الشهادة .
* الورع الذى يتمثل فى توقى الشبهات ، ويسمى « ورع الصالحين » .
* الورع الذى يتمثل فى ترك الحلال المحض مخافة أن يؤدى إلى الحرام عملا بقول الرسول ﷺ : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس » [1] ويسمى : « ورع المتقين » .
* الورع الذى يتمثل فى الإعراض عما سوى الله تعالى ، خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد ويسمى : « ورع الصديقين » .

وهذا الترقى فى درجات الورع ، يستلزم أولويات على النحو الذى ذكرنا ، فلا يمكن أن نصل بالمدعو إلى ورع الصديقين قبل أن يكون قد استوعب ، ورع المتقين والصالحين ، وورع العدالة .

ب ـــ تنمية الرغبة فى العمل للإسلام ، فهى لابد أن تسبق الرغبة فى الانتماء ، والالتزام ، لأن الذى لا يرغب فى العمل للإسلام ، لا ينتظر منه انتماء ولا التزام .

جـ ـــ الانتماء والالتزام بالدين ، لابد أن يسبق التعهد باحترام المبادئ والنظم للجماعة التى يعمل من خلالها ، فإن الذى لا يطبق الانتماء والالتزام ، لا يستطيع أن يحترم النظم المبادئ لأن هذا الاحترام التزام .

د ـــ الطاعة ، فكل هذه الثلاثة المتقدمة تمهد ، لأن يكون الإنسان طائعاً ، يعرف ما للطاعة من فائدة فى ممارسة العمل الإسلامى .

٤ ـــ الأولويات فى أهداف هذه المرحلة :

فى سبيل تحقيق أهداف المرحلة ، فإن من الضرورى أن نرتب هذه الأهداف ، وأن نخضعها لأولويات بعينها على النحو التالى :

أ ـــ التعريف بالإسلام تعريفاً ملائماً ، هذا الهدف لابد أن يسبق الأهداف التالية له ، الخاصة بتكوين القواعد التى أشرنا إليها هناك وهى :

---

(١) الإمام الترمذى وابن ماجة والحاكم .

* تكوين قواعد من المدعوين المتمسكين بالإسلام ،
* وتكوين قواعد من الدعاة ،
* وتكوين قواعد من الملتزمين بالإسلام ،
* وتكوين قواعد من المنتظمين فى العمل الجماعى ،
* وتكوين قاعدة من المؤهلين للمرحلة التالية ،
* وتكوين قاعدة من المتفقهين فى الدين .

ب ـــ ترتيب تكوين هذه القواعد وفق نظام الأولويات ويكون على النحو التالى :

١ ـــ القاعدة العريضة من الفاهمين للإسلام فهما صحيحاً ، العاملين بمقتضى هذا الفهم ، المتمسكين بالإسلام .

٢ ـــ القاعدة الملائمة من المنتمين للإسلام ، الملتزمين به .

٣ ـــ القاعدة الجيدة من المنتظمين فى العمل الإسلامى الجماعى .

٤ ـــ القاعدة الجيدة من المؤهلين للمرحلة التالية ، وهى مرحلة التكوين لما لها من أهمية خاصة ، سوف نتحدث عنها فى المرحلة الثانية من مراحل الدعوة بإذن الله تعالى .

جـ ـــ استخلاص جيد للمتفقهين فى الدين من هذه القواعد ، مع توجيه الاهتمام إليهم ، ليزيد فقههم فى الدين على النحو الذى يتطلبه العمل الإسلامى فى هذه المرحلة أو غيرها .

د ـــ تكوين الدعاة باستخلاصهم من المتفقهين .

هذه الأولويات تكاد تكون لازمة ، فلا يمكن ـــ على سبيل المثال ـــ الحصول على هذه القواعد ، قبل التعريف الجيد بالإسلام .

كما لا يمكن استخلاص المتفقهين فى الدين ، قبل إعداد تلك القواعد التى ذكرنا .

كما لا يمكن اصطفاء الدعاة وتعهدهم ، قبل استخلاص المتفقهين فى الدين .

وهكذا تكون الأولويات فى أنواع العمل الإسلامى ، مما يعين على بلوغ الأهداف .

الفصل السادس

برنامج مرحلة التعريف

برنامج مرحلة التعريف

كلمة عن البرنامج ...

لا شك فى أن كل مرحلة من مراحل الدعوة ، تحتاج إلى برنامج فى حدود الإطار الزمنى الذى حدد لها ، ووفق أنواع العمل ، وأولوياته التى استقر الرأى عليها ، بين القائمين على المرحلة .

وبما أن الإطار الزمنى للمرحلة ، وأنواع العمل فيها وأولوياته لا تحدد ، إلا بعد دراسة وتحليل واستنتاج ـــ كما أوضحنا آنفاً ـــ فإن الأصل فى البرنامج ألا يوضع ، إلا بعد تلك الدراسة والتحليل والاستنتاج ، ومراعاة أحوال المدعوين ، وطبيعة بيئاتهم ، وكل ظروفهم ، ليأتى البرنامج بعد ذلك جيداً ، قادراً على الوصول إلى هدفه .

هذا هو الأصل فى وضع أى برنامج .

ولكننا هنا ـــ وعلى سبيل التجريب ـــ سوف نتصور برنامجاً ، من خلال الأهداف فقط ، مع اعترافنا مسبقاً بأن ذلك التصور قاصر ؛ لأنه لم يأخذ فى اعتباره سائر ما يميز المرحلة ، من طبيعتها ومتطلباتها وأبعادها وطبيعة المدعوين فيها . سوف نتصور هذا البرنامج ، من خلال الأهداف فقط أملاً فى أن نعين الدعاة فى كل قطر من أقطار العمل الإسلامى ، على أن يفيدوا منه بعض الفائدة ، وأن يعيدوا النظر فيه بالتغيير حذفاً وإضافة ، حتى يلائم سائر خصائص المرحلة ، وبخاصة فيما يتصل بطبيعة المدعوين ، وطبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه ، وطبيعة التيارات المعادية للإسلام فى بلادهم ، وطبيعة الحكم السائد فى المكان الذى يوضع فيه البرنامج .

وأنجح البرامج ما كان ملائماً للإطار الزمنى ، ومتمشياً مع متطلبات المرحلة .

تلك حقائق لا تحتاج إلى تأييد أو استشهاد على صحتها بشواهد ، وعلى الرغم من ذلك كله ، فسأجدنى مضطراً إلى تصور برنامج لمرحلة التعريف ، من خلال أهدافها أملاً فى أن أفيد بعض الدعاة ، وأعينهم على وضع البرامج التى تلائمهم .

فأقول وبالله التوفيق .

أولاً : أسس البرنامج

إن الأسس الركينة التى يقوم عليها كل برنامج ، فى أى مرحلة من مراحل العمل الإسلامى ، وبالتالى مراحل الدعوة ، هى :

١ ـــ الأساس التوجيهى ،
٢ ـــ والأساس التربوى وهو شقان :
أ ـــ نظرى ،
ب ـــ وعملى ،
٣ ـــ والأساس التدريبى ،
٤ ـــ والأساس التقويمى ،
٥ ـــ ثم المتابعة والاختبار .

ومرحلةِ التعريف ، كغيرها من المراحل ، بحاجة إلى أن يكون برنامجها ، مشتملاً على هذه الأسس .

غير أن هذه الأسس ـــ ونحن نتناولها فى مراحل الدعوة ـــ يجب أن نراعى بدقة وعناية ، أن كل مرحلة لها متطلباتها الملائمة لها ، ولطبيعة العمل فيها ، القادرة على تحقيق أهدافها ، ومعنى ذلك أن محتوى البرنامج ، سوف يختلف من مرحلة إلى أخرى .

تلك ضرورة فى البرنامج ، لكى يؤدى واجبه ، ولكى تتم عن طريقه عملية التربية المتكاملة ، فى أى فرد من المنضمين إلى أى مرحلة .

وفى سبيل إيضاح ذلك ، نلقى ضوءاً على كل أساس من هذه الأسس ، على النحو التالى :

١ ـــ الأساس التوجيهى فى البرنامج :

كل عمل تربوى إنما يؤدى وظيفته على وجهها الجيد ، إذا كان مشتملاً على توجيه ، يساعد على ضبط العمل ، والمحافظة على اتجاهه ومساره الصحيح ، بل ضبط أفراده ، من حيث استفادتهم الكاملة ، من محتوى البرنامج الذى يخضعون له .

وليس مقصودنا من الأساس التوجيهى للبرنامج ، مجرد كلمة تقال ، تثير الاهتمام ، أو

ترقق القلوب ، وإنما نعنى بها مع هذا أن تذكر بالأهداف العامة ، والأهداف الخاصة ، أى مخاطبة العقل مع القلب ، وشحذ الفكر مع العزم ، والتعرف الدقيق على معالم الطريق ، مع التأكد من وضع القدم على أول الطريق ، فى خطوة واثقة ، تتلوها الخطوات التى تقطع الطريق كله .

وإن البرنامج فى صورته الكاملة ، سوف يضم مفردات ثقافية ، وأخرى عملية ، وثالثة تدريبية ، وإن أنجح أنواع التوجيه ، ما كان قد استقى من مفردات هذا البرنامج ، وركز على المهم منها ، فذكر بأهدافها العامة والخاصة .

والتوجيه — كما قلنا — قد يكون كلمة ، وقد يكون عملاً يسلكه من يقوم بعملية التربية ، فيقتدى به الآخرون ، والمهم أن يمارس المربى عملاً بعينه ليحتذى ، وأن يختار من الأفراد من يمارس معه هذا العمل ، ليشعر المنضمون إلى المرحلة ، أنهم يشاركون القيادة فى عملية التربية ، ولتزداد شخصياتهم نضجاً ، بالتدرب على أعمال قيادية بسيطة فى البداية .

أما أن يستقل الداعية ، أو المربى بالتوجيه وحده ، فإن لذلك من الأضرار ما يلى :

أولاً : يبذل جهداً فائقاً ، فيجهد نفسه بغير طائل .

ثانياً : يباعد بين نفسه ، وبين الإجادة لكثرة العمل .

ثالثاً : يحول بين من يربيهم ، وبين فرص النمو المطلوب من كل منهم .

رابعاً : يصيب من يربيهم بالملل والسآمة ، ويجعل منهم أتباعا لا يستطيعون يوماً أن يستقلوا بأنفسهم .

٢ — الأساس التربوى فى البرنامج : وهو شقان :

الشق الثقافى النظرى .

والشق الثقافى العلمى .

فالأول : وهو الشق الثقافى النظرى من البرنامج ، يكاد يتصدر غيره فى مرحلة التعريف بالذات ، وذلك أنها المرحلة التى يكوّن فيها الجانب الثقافى فى الفرد ، وهو أهم جوانب هذه المرحلة .

والجانب الثقافى فى مرحلة التعريف ، يجب أن يشتمل على ألوان من الثقافة الضرورية ، التى تمكن الفرد من استيعاب ما لا يمكن جهله ، وتمكن المرحلة كلها من أن تبلغ

أهدافها ، وعلى سبيل المثال ، فلابد من ألوان الثقافة التالية :

أ ـ الثقافة الإسلامية : وتتناول :

* الآيات القرآنية التى تتحدث عن أصول الدين وقواعده .
* الأحاديث النبوية التى تتحدث ـ كذلك ـ عن أصول الدين وقواعده .
* الأجزاء الخاصة من سيرة النبى ﷺ ، التى تتضح فيها أصول الدين وقواعده .
* مع تفسير هذه النصوص ، من الكتاب ، والسنة ، والسيرة ، تفسيراً ملائماً للناس ، والبيئة واللغة .
* رصد الشبهات والمفتريات الموجهة ضد الإسلام ، تمهيداً لردها ، ودفعها .
* رصد معوقات العمل الإسلامى ، ومعرفة أسبابها ، والتفكير فى إزالتها .
* دراسة أجزاء مناسبة من تاريخ الإسلام ، فى فترات متعددة .
* دراسة مناسبة لبعض الحركات الإسلامية الإصلاحية ، ويا حبذا لو كانت فى نفس القطر ، الذى يعيش فيه الدارسون .

ب ـ الثقافة العامة : وتتناول :

* دراسة مناسبة للنظريات والمذاهب السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والأدبية .
* دراسة مناسبة للتيارات الموالية للعمل الإسلامى .
* دراسة مناسبة للتيارات المعادية للعمل الإسلامى .
* دراسة لواقع العالم الإسلامى اليوم ، بدءاً بالبلد الذى يعيش فيه الدارسون .
* دراسة لواقع الأقليات المسلمة فى العالم .
* دراسة جيدة للمنظمات والهيئات العالمية .
* دراسة مناسبة للأحلاف والتكتلات المعاصرة .

جـ ـ الثقافة الخاصة : وتتناول :

* تعمق بعض الأفراد فى دراسة بعض العلوم الإسلامية ، كالتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم ؛ ليصبح هؤلاء من المتفقهين فى الدين .
* تعمق بعض الدارسين فى لغة القرآن الكريم .
* تعمق بعض الدارسين فى أساليب الدعوة إلى الله ، ووسائلها ؛ ليكون منهم دعاة إلى الله .
* تعمق بعض الدارسين فى التخطيط والإدارة والمتابعة .

* تعمق بعض الدارسين فى فقه الدعوة والحركة .
* تعمق بعض الدارسين فى التحليلات الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأدبية .
* تعمق بعض الدارسين فى الأعمال القيادية .

والشق الثانى : وهو الثقافى العملى ، هو تطبيق وممارسة للشق الثقافى النظرى ، وهو من الأسس الركينة فى التربية ، ويتناول أموراً من أهمها :

أ ـ تطبيق بعض القيم والآداب والأخلاق تطبيقاً عمليا فى الحياة ، والتعاون على ذلك ، مثل : الصدق ، والإخلاص ، والوفاء ، والعفة ، والتضحية ، والكرم ... إلخ .

ب ـ الدقة والانضباط فى المواعيد ، وفى الكلام ، والحوار والمظهر ، والمخبر ، وفى أداء الوظائف ، والصبر والاستمرارية فى العمل .

جـ ـ الممارسة العملية لإعداد البحوث ، والدراسات ، والمحاضرات ، والخطب ، والدروس ، والندوات ... إلخ .

د ـ الممارسة العملية لأساليب الدعوة والحركة والتنظيم .

هـ ـ الممارسة العملية للتحليل العلمى ، كقضية هامة من قضايا العمل الإسلامى .

و ـ القيام بأعمال ميدانية فى المساجد والأندية وغيرها .

ز ـ القيام بأعمال ميدانية ، فى الحى الذى يقيم فيه الأفراد ، كالإسهام فى نظافته وإنارته ، أو مساعدة المحتاجين من أهله ، مساعدة واعية ، ليست صدقة ولا تبرعاً ، وإنما إقداراً على الكسب الشريف ، من عمل شريف .

٣ ـ الأساس التدريبى فى البرنامج :

لا نغالى إن قلنا : إن كل برنامج تربوى ، يخلو من التدريب ، وتنمية المهارات ، ورعاية القدرات ، هو برنامج ناقص أو قاصر عن بلوغ هدفه ؛ إذ الأصل فى التدريب أن يتلافى كل قصور ، فى النواحى العملية من الثقافة .

والتدريب يساعد الأفراد على الفاعلية والإنتاج ، فى مجالات عديدة ، إذ لابد من تدريب على حرف بسيطة ، كصناعة أوانٍ من القش ، أو الخوص أو الأسلاك ، أو التدريب على أعمال الكهرباء ، والنجارة ، والنقاشة ، والسباكة ، وغيرها ، كإصلاح المذياع ، أو التلفاز ، فكل هذه الأنواع من التدريب ضرورية ؛ لاستكمال عناصر التربية من جانب ؛

ولأنها تحقق فائدة نفسية واجتماعية ، وربما اقتصادية لمن يمارسها عند اقتضاء الظروف ، وكثيراً ما تقتضى الظروف ذلك .

ولا نحب أن ندع الكلام فى التدريب ، دون أن نذكر بعض المجالات التى نعين الدعاة على التعرف عليها ، وممارستها مع من يتولون تربيتهم وإعدادهم .

وهذه المجالات مثل :

أ ــ التدريب على إدارة اجتماع ،

ب ــ والتدريب على إلقاء خطبة ،

جـ ــ والتدريب على إلقاء محاضرة ،

د ــ والتدريب على إعداد درس وإلقائه ،

هـ ــ والتدريب على التحليلات السياسية ،

و ــ والتدريب على التحليلات الاجتماعية والاقتصادية ،

ز ــ والتدريب على القيام بالأنشطة الرياضية ،

ح ــ والتدريب على القيام بالأنشطة الاقتصادية ، فى مجالاتها المتعددة .

وما إلى ذلك من المجالات التى يتطلب العمل الإسلامى ، تدريب الأفراد عليها ؛ لسد خلل أو ثغرة ، أو استكمال ما لا بد من استكماله ، من مفردات العمل الإسلامى .

٤ ــ الأساس التقويمى فى البرنامج :

الأصل فى العمل الجيد أن يُقوّم فى كل مرحلة من مراحله ثم يقوم كله آخرا ، وعلى ضوء هذا التقويم المرحلى والتقويم العام يكون تطوير العمل وتحسينه ، ويكون الاستمساك بالإيجابيات فيه والتخلص من السلبيات .

وإذا حرم عمل مّا من التقويم المرحلى أو التقويم العام فإنه يعجز فى أغلب الأحيان عن تحقيق أهدافه ، فضلا عن ضرر الاستمرار على خطأ بعينه ، أو بقاء العمل على مافيه من قصور .

والتقويم فى مرحلة التعريف يجب أن يتناول أمورا كثيرة من أهمها ما يلى :

أ ــ تقويم الأساس التوجيهى فى البرنامج على ضوء ما يحققه من نجاح فى توجيه الأفراد نحو العمل المثمر الجاد ، وفى توجيه العمل نفسه نحو تحقيق الأهداف ، وتوجيه الأخلاق

والسلوك .

ب ـــ تقويم الأساس التربوى فى شقه النظرى الثقافى ، فى ضوء قدرته على الوفاء بمتطلبات الثقافة النظرية المفترضة فى الأفراد فى هذه المرحلة . وتقويمه من جانب وعائه الزمنى ، هل هو ملائم ، أم قاصر ، أم يفيض عن الحاجة .

وتقويمه من حيث قدرته على تحقيق أهدافه ، واستكمال أهلية المنضمين للمرحلة من الناحية الثقافية النظرية .

جـ ـــ تقويم الأساس التربوى الثقافى العملى فى ضوء ما حقق الأفراد من ممارسة عملية ، وتطبيق لكل مادرسوه نظريا .

وفى ضوء إطاره الزمنى كذلك ، أى مدى ملاءمته لمحتوى البرنامج من الناحية العملية .

د ـــ تقويم الأساس التدريبى فى البرنامج ، فى ضوء ما درب عليه الأفراد بالفعل من أعمال داخلة فى صميم البرنامج .

وفى ضوء ما أفاده الأفراد من خبرات عملية ميدانية ، وفى ضوء ما نما عند الأفراد من قدرات ومهارات ، نتيجة لهذا التدريب .

وفى ضوء الإطار الزمنى ، ومدى ملاءمته لمحتوى البرنامج من الناحية التدريبية .

وإن هذه النتيجة التى ترتجى من التقويم ، وهى تطوير العمل وتحسينه ، وبلوغه أهدافه العامة والخاصة ، إن هذه النتيجة ، يجب أن يضعها الدعاة والقائمون على العمل ، نصب أعينهم دائما .

٥ ـــ أساس المتابعة والاختبار فى البرنامج :

لا ننكر أن المتابعة تتضمن نوعا من الرقابة ، ولكنها رقابة مشروعة ـــ مختلفة تماما عن التجسس ـــ إذ التجسس تتبع عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها ، ولكن المتابعة هنا تعنى : الاطمئنان على حسن سير العمل ، والتعرف على أى معوقات قد تعترضه ؛ للعمل على إزالتها .

المتابعة فى مجالنا هذا ، هى رصد الجهود المبذولة فى العمل ، من الأفراد ، أو المجموعات ، أو الجماعات ، أو العمل كله ، ورصد نتائجها ، للتأكد من أن هذه الجهود

تحقق الأهداف العامة والخاصة للعمل ، وللتأكد من أن البرنامج المختار مطابق للخطة الموضوعة ، ومتناسب مع الإطار الزمنى المقترح له ، ويؤدى على أكمل وجه ، وبأقل الأعباء المادية أو المعنوية .

هذه المتابعة بهذا المعنى مقبولة ، بل مطلوبة ، ولكل أساس من أسس البرنامج ، وسيلة أو أكثر فى متابعته ، وعلى سبيل المثال :

فإن الأساس التوجيهى فى البرنامج ، يمكن متابعته بالتعرف على الأفراد ، أو المجموعات ، أو الجماعات ، والتأكد منهم ، من مدى استجابتهم لهذه التوجيهات ، ومدى انعكاسها على عملهم ، ومدى التزامهم بها ومشاركتهم فيها ، ولعل المقياس البعيد المدى فى هذه المتابعة ، هى مدى ما استطاع الأفراد أن يحصلوه من نضج وأهلية للمرحلة .

كما أن الأساس التربوى فى شقه الثقافى النظرى ، يمكن متابعته بعقد اختبار تحريرى ، أو شفهى ، يكشف عن مدى استيعاب الأفراد لمحتويات هذا الجانب ، مع ضرورة أن يؤخذ بعين الاعتبار ، ما اقترح له من إطار زمنى لا يجوز المساس بمداه ، من حيث حده الأدنى ، وإن جاز أن يتسع حده الأقصى ، بحيث يحقق استيعاب الأفراد له استيعابا جيدا .

كما أن الأساس التربوى الثقافى العملى ، يمكن متابعته بالتعامل مع الأفراد ، والتأكد من خلال هذا التعامل ، من أنهم أفادوا من الناحية العملية ، والسلوكية ، والأخلاقية . كما يمكن متابعته بتكليفهم بإعداد بحوث ، ودراسات حول ما مارسوه عمليا من أعمال .

وكذلك الأساس التدريبى فى البرنامج ، يمكن متابعته فى صورة اختبار عملى ؛ لتنفيذ بعض الأعمال التى دربوا عليها فى البرنامج .

وكذلك يمكن متابعة التقويم ، بالتأكد من أن كل مرحلة من مراحل العمل ، قد قومت على حدة ، وأنه قد أخذ بنتيجة هذا التقويم ، والتأكد من أن العمل كله ، قد قوم كذلك فى ضوء أهدافه ومحتواه وإطاره الزمنى ، وأن التقويم قد أدى إلى تحسين العمل وتطويره ، والاستزادة مما فيه من إيجابيات ، والتخلص مما فيه من سلبيات .

ثانيا : محتوى البرنامج

هذا المحتوى هو لب البرنامج وزبدته ، وهو بدقة : المادة العلمية والعملية ، التى تمكن المرحلة من أن تحقق أهدافها ، على كل المستويات ، الفردى والجماعى والعمل نفسه .

وكما قلنا من قبل : إن العاملين للإسلام فى مراحل الدعوة المتعددة ليسوا سواء فى قدراتهم وبيئاتهم وأوطانهم ، وما يحيط بتلك الأوطان من ظروف سياسية ، واجتماعية ، وثقافية ، وغيرها ، ولأن الأمر كذلك ، فإن وضع تصور لمحتوى البرنامج عمل لا يقوم به ، إلا الدعاة المشرفون على مرحلة بعينها ، فى إقليم بعينه ، لأنهم مطالبون بمراعاة كافة الظروف المحيطة بهم .

غير أن الدعاة فى أى إقليم من العالم الإسلامى ، يستطيعون الاستهداء بطبيعة المرحلة ، ومتطلباتها ، وأبعادها ، وأهدافها ، ثم يضعون مفردات البرنامج الذى يخصهم ، ومحتواه المادى والمعنوى .

حتى الكتب والبحوث والدراسات الموجودة فى إقليم ما من العالم الإسلامى ، فإنها تختلف عن مثيلاتها الموجودة فى إقليم آخر ، فضلا عمّا بين لغات العالم الإسلامى من تباين ، يحتم على كل إقليم أن يستوعب الثقافة العامة بلغته ، وأن يدرس من التيارات الموالية أو المعادية للإسلام ، ما كان له تأثير فى وطنه ، الذى يعيش فيه . هذا هو الأصل الواجب الاتباع .

وبعد : فإنى قدمت فى هذا الفصل الأخير من مرحلة التعريف ، تصورا محدودا عن البرنامج ، من حيث أسسه ونبهت إلى أهمية إقليمية اختيار محتواه .

وقد كان الأفضل أن يكون موسعا عما ذكرت ، كما كان الأجدى أن يكون تصور مجموعة من الدعاة المشتغلين بالعمل الإسلامى .

لكننا نسدد ونقارب ، ونقدم صورة تقريبية تدنى من الأنموذج ، ولا تصل تماما إليه ، ونسأل الله تعالى أن يتجاوز عما وقعت فيه من خطأ أو قصور ، إذ هو اجتهاد ، نرجو ألا نحرم فيه أحد الأجرين ، والله المستعان .

المرحلة الثانية : مرحلة التكوين

وتشمل :

التقديم .

الفصل الأول : تعريف المرحلة وتحديد أبعادها .

الفصل الثاني : طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

الفصل الثالث : أهداف المرحلة ووسائلها .

الفصل الرابع : الحكم الشرعي في ممارسة العمل في المرحلة .

الفصل الخامس : المدى الزمني للمرحلة وأولويات العمل فيها .

الفصل السادس : برنامج المرحلة ومحتواه .

مرحلة التكوين

التقـديم ...

إن مرحلة التكوين ــ وتسمى مرحلة الإعداد ــ لهى من أهم مراحل الدعوة إلى الله ، فهى التى تعنى بتكوين القاعدة الصلبة المعدة إعدادا جيدا للعمل الإسلامى :

وإذا كانت مرحلة التعريف تدفع بصفوتها ــ التى عرفت الإسلام ، قواعده ، وأصوله ، وآدابه ، ومنهجه ، ونظامه ، وتأهلت التأهيل الجيد ــ إلى مرحلة التكوين ، فإن هذه المرحلة تمثل المحضن ، الذى يربى فيه الأفراد المختارون تربية إسلامية متكاملة .

كما أن مرحلة التكوين ، هى التى تدفع بصفوة من ربوا فيها إلى مرحلة التنفيذ ، والجهاد ، والتطبيق العملى للإسلام ، فهى كما أخذت من مرحلة التعريف ، تعطى مرحلة التنفيذ ، وهذا دليل تماسك هذه المراحل وتكاملها .

ولعل اسم المرحلة ينبىء ــ مقدما ــ عن مفهومها وأهدافها ، فهى على وجه الإجمال تعنى بالتكوين والإعداد ، بل التربية لعدد من الأفراد تربية متكاملة هادفة ــ على نحو ما سنرى ونحن نفيض فى الحديث عن المرحلة ــ التربية الإسلامية المتكاملة ، التى تصقل هؤلاء الناس المختارين ، الذين وفدوا إليها من مرحلة التعريف ، وترعى وتنمى مابرز لديهم فى المرحلة السابقة من قدرات ومهارات ، وتوجهها نحو الهدف والغاية .

إن الأفراد الذين اصطفوا من مرحلة التعريف لهذه المرحلة ، منهم من أصبح أهلا لأن يكون من الدعاة ، بعد قليل ، ومنهم من أصبح أهلا ، لأن يكون من المتفقهين فى الدين ، ومنهم من أصبح أهلا ، لأن يكون من المتخصصين فى نوع من العلم ، ومنهم ... ومنهم ... إلى آخر ما ذكرناه آنفا .

وهؤلاء الأفراد ليست أمام العمل الإسلامى الهادف فرصة ، لأن يبلغ بهم قمة ما يصبو إليه الدعاة إلى الله ، إلا أن ينخرطوا فى مرحلة التكوين

إن مرحلة التكوين ــ كما سنوضح فى فصولها الستة ــ هى أهم مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ؛ لأنها التأسيس .

الفصل الأول

تعريف مرحلة التكوين وتحديد أبعادها

تعريف مرحلة التكوين وتحديد أبعادها

أولا : التعريف بالمرحلة

هى مرحلة إعداد مدروس وتكوين هادف ، وتربية موجهة لعدد من الأفراد ، الذين اجتازوا برنامج مرحلة التعريف ، وفق إطاره الزمنى ، ثم عبروا إلى مرحلة التكوين ؛ للصقل والإعداد .

وتقوم هذه المرحلة على استخلاص العناصر الصالحة ، للانضمام إلى هذه المرحلة ، الذين يتوسم فيهم القدرة على الوفاء بمتطلبات هذه المرحلة والتزاماتها وشروطها وآدابها ، مع ضم هذه العناصر بعضها إلى بعض ، لتكوين مجموعات قليلة العدد نسبيا ، تتلقى أنواعا من الدراسات العلمية والعملية والتدريبية والفنية ، بحيث يؤهلون فى هذه المرحلة ، لأن يكونوا قادرين على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله .

وإذا كانت مرحلة التعريف ، قد غلبت عليها الناحية التثقيفية ، لأنها فى جملتها تعريف بالإسلام ، فإن هذه المرحلة يغلب عليها الجانب العملى ، الذى يطبق ماعرف عن الإسلام تطبيقا عمليا فى الحياة .

وإذا كانت مرحلة التعريف ، قد أخذت المنضمين إليها بيد الحنان والملاطفة ، والتغاضى عن بعض الأمور الهينة ، التى لا تضر بالعمل الإسلامى ، فإن هذه المرحلة تأخذ المنضمين إليها بيد الجد والدقة ، بل الصرامة فى كل مايتصل بالمرحلة ، من ثقافة نظرية أو عملية أو تدريبية ، دون تهاون أو تغاض لأنها مرحلة الصقل والبلورة والبناء الإسلامى المتكامل ، لكل جوانب الشخصية فى أفرادها .

وإذا كانت التكاليف فى مرحلة التعريف خفيفة الحمل ، هينة الأعباء — نظرا لطبيعة المرحلة — فإن التكاليف فى مرحلة التكوين ، ثقيلة لا ينهض بها ، إلا الصفوة المختارة من الرجال ، الذين نذروا جهودهم وأوقاتهم للعمل من أجل الإسلام .

وإذا كانت الأهداف فى مرحلة التعريف تكاد تكون منحصرة فى التعريف بالإسلام ، أصوله وقواعده إلى آخر ما ذكرنا هناك ، فإن الأهداف فى مرحلة التكوين ، أصبحت أكبر

وأكثر ؛ إذ هى فى جملتها تكوين جيل من المؤمنين الصادقين ، القادرين على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله .

كما أن أهلية الدعاة فى مرحلة التعريف متواضعة إلى حدٍّ مّا ، وأهلية المنضمين إلى المرحلة كذلك ، على حين أهلية الدعاة فى مرحلة التكوين ، شاملة لعديد من الصفات الضرورية ، فى التقوى ، والعلم ، والخلق ، والعمل ، والقدرات المتعددة ، التى يجب أن يتصف بها من يتصدى لتربية الأفراد ، تربية إسلامية متكاملة . وكذلك الشأن فى أهلية المدعوين المنضمين إلى هذه المرحلة ، يكفى أن نشترط فيهم إجمالا ، أن يكونوا صفوة مرحلة التعريف ، وهذا وحده مطلب عزيز إلى حد كبير .

وعلى وجه الإجمال :

إذا كانت مرحلة التعريف بالإسلام ، تؤهل أفرادها ، للعلم بالإسلام ، فإن مرحلة التكوين ، تؤهل أفرادها ، للعمل بالإسلام ، والالتزام به ، والانضباط معه ، والاعتزاز بالانتماء إليه ، والاستعداد للبذل والتضحية من أجله ،

وفيما يلى من الفصول تتضح الأمور ، بصورة أكبر ، بإذن الله تعالى .

ثانيـا : تحديد أبعاد المرحلة

نحن نعنى بالأبعاد ، الخطوط العريضة التى ترسم الطريق ، وتحدد المعالم للسير فيه ، بل تنيره ، وتمهده للسائرين إلى الهدف والغاية .

وهذه الأبعاد ، كما أنها تساعد على رسم معالم الطريق ، فإنها كذلك تحفظ عن الوقوع فى ضلال ومتاهات ، تبدد الجهد ، وتضيع الأهداف .

ونستطيع أن نشير من هذه الأبعاد إلى مايلى :

البعد الأول :

« تعميق الفهم للإسلام » :

أصوله وقواعده وأخلاقه وآدابه ومنهجه ونظامه ؛ تعميقا يقوم على الدراسة العمليه المنهجية ، التى يتضمنها برنامج جيد ، مستوعب لمتطلبات المرحلة ، وهى أهم متطلبات — كما سيتضح لنا بعد قليل — لأنها أهم مرحلة كما أوضحنا آنفا .

ولأن هذه المرحلة عمل وتطبيق ، فإن تعميق الفهم وإن بدا فى ظاهره علما و ثقافة ، إلا أن حقيقته وجوهره فى هذه المرحلة ، عمل مصاحب للعلم ، وتدريب مواز للثقافة ، وبذل وعطاء مواكب للرغبة فى العمل للإسلام ، وكمال طاعة تترجم بدقة وأمانة ، ما كان عند الأفراد فى مرحلة التعريف ، من استعداد لإعطاء قدر من الطاعة .

وتعميق هذا الفهم والفقه ، يتطلب فى هذه المرحلة أمورا على درجة عالية من الأهمية ، نذكر منها :

أ — عقد صلة علمية جيدة بين العضو فى هذه المرحلة ، وبين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بمعناها الواسع ، الذى تدخل فيه السيرة ، صلة تمكن من العلم والعمل ، بمعنى أن العضو فى هذه المرحلة ، لا يتجاوز نصا من نصوص الدين ، إلا أن يتمثله ويعمل وفقه .

ب — عقد صلة وثيقة ببعض كتب الفقه الإسلامى ، ومعايشتها والتعرف عليها من قرب ، وكثرة القراءة فيها ، والتأمل الدقيق فيما احتوته من أحكام ، والنظر الفاحص فيما توصل إليه الفقهاء من اجتهادات ، وكيف وصلوا إلى هذه الاجتهادات ؟

جـ ــ عكوف على دراسة ومدارسة جيدة لتاريخ الإسلام فى بعض حقبه الصاعدة ، وفى بعض حقبه الهابطة ، مع التعرف على أسباب الصعود والهبوط بحيادية وموضوعية .

البعد الثانى :

« تعميق النواحى العملية والتطبيقية فى التدين » :

بمعنى أن يكون الأعضاء فى مرحلة التكوين ، عمليين تطبيقيين فى التدين ، يستطيعون بهذا أن يكونوا نماذج للإسلام ، فى كل خلق يأمر به ، وفى كل أدب يدعو إليه ، ويترتب على هذا مزيد من الالتزام بالإسلام فى كل مايأتى الفرد ومايدع ، فذلك هو التكوين الحقيقى للمسلم ، وعلى قدر ما يكون المسلمون نماذج لأخلاق الدين وآدابه ، على قدر ما يحظون برضا الله فى الدنيا والآخرة ، وعلى قدر ذلك يكون نجاحهم وفلاحهم ، فى معاشهم ومعادهم .

وفى هذه المرحلة بالذات ، يعد الأفراد إعدادا خاصا ، يجعل كل واحد منهم متمسكا بمنهج الإسلام فى الحياة ، تمسكا كاملا ، فى طعامه ، وشرابه ، ولباسه ، وبيته ، وعلمه ، وعمله ، فى كل ما يمارسه فى يومه وليلته .

ذلك هو التعميق الحقيقى للنواحى العملية والتطبيقية فى التدين ، الذى تستهدفه المرحلة ، ويُعد بُعداً راسخا من أبعادها .

البعد الثالث :

« تعميق المعارف والثقافة الإسلامية » :

وذلك أن المسلم الذى يدخل هذه المرحلة ، تزيد أعباؤه ، بل تتعاظم واجباته ، وتتسع دائرة علمه وعمله ، ويصبح من الضرورى له أن يُعمق معارفه وثقافته الإسلامية ، على النحو الذى نتصوره فيما يلى :

أ ــ الإلمام الجيد بظروف العالم الإسلامى الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، ومن هذا العالم الإسلامى ، بلده الذى يعيش فيه ، بل تكون لبلده أولوية .

ب ــ الإلمام الجيد بمشكلات العالم الإسلامى ، والتعرف على أسبابها ، ونتائجها ، والتصور الجيد المدروس لحلولها .

جـ ــ التعرف المناسب على الأقليات المسلمة فى العالم ، من حيث ظروفها ومشكلاتها ، واحتياجاتها ، والتفكير العملى فى دعمها ، وتقديم العون الكافى لها

د ــ التعرف الملائم على الحركات الإصلاحية الإسلامية فى العالم ، تعرفا يعطى الـ والاستفادة ، ويسهم فى تخير أنسب الوسائل للعمل الإسلامى .

وإنما يشترط كل ذلك فى هذه المرحلة ، لأنها المرحلة التى يتم فيها الإعداد والتكوين وما بعد ذلك من المراحل إنما هو جهاد وتنفيذ ومشاركة فى التمكين ، ولا سبيل إلى ذلك كله ، إلا إذا تم التكوين على وجهه .

البعد الرابع :

« تعميق الخبرات العملية الميدانية » :

وذلك أن كل من يتصل بهذه المرحلة ، فعليه أن يعمق خبرته العملية فى كل المجالا التى تقتضيها المرحلة ، وذلك فى تصورنا على النحو التالى :

أ ــ العمل المتصل بالمرحلة السابقة ، مرحلة التعريف ، بحيث يجيد هذا العمل ، إجادة تامة ، ويمضى حياته كلها ، يعرف بالإسلام ، ويبلغه فى حدود ما يسمح له به وقته ، وما تسمح به المرحلة التى يعمل فيها .

ب ــ العمل المتصل بإدارة مجموعة أو جماعة فى مرحلة التعريف ، فى حدود ما تسمح به الظروف .

جـ ــ الممارسة العملية للالتزام بهذا الدين فى كل أمر من أمور حياته .

د ــ الممارسة العملية لكل أدب من آداب الإسلام ، وكل فضيلة من فضائله .

هـ ــ الممارسة العملية للمشاركة فى إدارة أسرة من أسر مرحلة التكوين ، بحيث لا يـ منه أن يقضى زمن المرحلة متلقيا فقط .

و ــ الممارسة العملية لإدارة رحلة من الرحلات ، سواء فى مرحلة التعريف ، أو مرحلة التكوين .

ز ــ الممارسة العملية لإدارة كتيبة ، أو المشاركة فى إدارتها .

ح ــ الممارسة العملية لمتطلبات البرنامج فى مرحلة التكوين ، مع استيعاب جيد لهذه المتطلبات .

ط ــ الممارسة العملية للمشاركة فى إدارة ندوة أو دورة ، مشاركة علمية أو إدارية .

ى ــ الممارسة العملية للمشاركة فى مخيم أو مؤتمر أو إدارتهما ، إن كان من أهل القدرة والاختصاص .

ك ــ الممارسة العملية لنوع أو أكثر من أنواع الرياضة البدنية .

ل ــ الممارسة العملية لحرفة أو أكثر من الحرف اليدوية ، لما فى ذلك من تكميل الشخصية المسلمة ، وإعطائها الخبرة فى أكثر من مجال .

البعد الخامس :

« تكوين تخصصات متعددة » :

بمعنى أن مرحلة التكوين تعمد ــ فى برنامجها ــ إلى بعض الأفراد الذين تتوفر فيهم صلاحيات بعينها ، فتعدهم ليكونوا من أصحاب التخصصات فى مجالات مختلفة ، وعلى سبيل المثال ، فلابد من إعداد متخصصين فى المجالات التالية :

أ ــ المجال العلمى العام ، أى فى سائر فروع العلم والمعرفة الإنسانية ، بحيث يغطى الإسلاميون كل تخصص ماوجدوا إلى ذلك سبيلا .

ب ــ المجال العلمى الإسلامى فى سائر فروع العلوم الإسلامية ، محاولين التغطية لها على سبيل الضرورة .

جـ ــ مجال الدعوة إلى الله ، وما يلزمها من أهلية وخبرة ، ومعرفة بالأساليب والوسائل .

د ــ مجال العمل الحركى فى الدعوة [1] .

هـ ــ المجال التنظيمى .

و ــ المجال العملى فى كل ما له علاقة بالعمل الإسلامى .

ز ــ المجال الإدارى .

هذه هى أبعاد مرحلة التمكين ، يجب أن يكون التحرك من أجلها فى هذه الأبعاد ، وهذا الوجوب على الدعاة الذين يقودون هذه المرحلة ، وعلى العاملين فى هذه المرحلة جميعا .

وإنما تنوعت الأبعاد ، وتعددت ألوان التكوين ؛ لأن هذه المرحلة ، هى الوحيدة من بين المراحل التى اختصت بالتكوين والإعداد والتربية بشكل رئيسى ومباشر ومتعمق ، لأن

---

(١) سوف نتحدث عن مفهوم الدعوة والحركة فى هذه المرحلة ، مرحلة التكوين ، بإذن الله تعالى .

الهدف هو إنضاج شخصية الفرد المسلم ، المنضم إلى هذه المرحلة ، من جوانب شخصيته كلها :

الجانب الروحى ،

والجانب الخلقى السلوكى .

والجانب العقلى ،

والجانب البدنى ،

والجانب الاجتماعى ،

والجانب الذى يتصل بواجبات الدعوة والحركة والتنظيم . وبالجملة كل ما يتصل بالعمل الإسلامى فى صورته الراشدة .

الفصل الثانى

طبيعة مرحلة التكوين ومتطلباتها

طبيعة مرحلة التكوين ومتطلباتها

أولا : طبيعة المرحلة

تتلخص طبيعة هذه المرحلة فى كلمة هى « الخصوصية » فى كل شيء يتصل بهذه المرحلة بمعنى :

خصوصية الدعوة ،

وخصوصية الدعاة ،

وخصوصية المدعوين ،

وخصوصية العمل نفسه ،

وخصوصية التنظيم والإدارة .

ولنلق ضوءا على كل واحدة من هذه الخصوصيات ؛ لتستبين لنا طبيعة المرحلة .

١ ـــ خصوصية الدعوة :

أى أن الدعوة فى هذه المرحلة خاصة لا توجه إلى عموم الناس ، ولا إلى كل من اجتازوا مرحلة التعريف فى إطارها الزمنى المتفق عليه .

وإنما توجه إلى الذين اصطفوا ، ممن اجتازوا مرحلة التعريف ، فى إطارها الزمنى وحدهم .

وسبب ذلك : أن الدعوة فى هذه المرحلة قد تجاوزت عمومية المعارف والمعلومات التى تسهم فى التعريف بالإسلام ، إلى أنواع خاصة من العلوم والمعارف والأعمال والتدريبات التى تسهم فى تكوين الأفراد المسلمين تكوينا متكاملا ، يتمكنون معه من القيام بالأعباء الملقاة على كواهلهم ، فى مجال العمل من أجل الإسلام .

وخصوصية المعرفة فى هذه المرحلة : تعنى أنها لاتخص عامة المسلمين ، لأنهم ليسوا أهلا لها ، ولا قادرين على تلقيها ، فلو وجهت إليهم ، لأضرت العمل الإسلامى كله من

جانبين :

الأول : أنه يقوم بأعبائها غير الأكفاء .

والثانى : أنه لن يؤدى العمل على وجهه لعدم ملاءمته للقائمين به .

فماذا تعنى خصوصية المعرفة فى هذه المرحلة ؟

إنها فى تصورى ما يلى :

أ ـــ فقه خاص للإسلام ، منهجه فى الحياة ، وآدابه ، وأخلاقه ، مع انتماء شديد إليه ، والتزام محكم به .

ب ـــ فقه خاص لمبادئ الإسلام ، ونظمه ، وقدرتها على أن تجعل من حياة الناس حياة إنسانية كريمة ، تليق بتكريم الله للإنسان ، فى ظل شريعة الله ، لتسعد فى دنياها وتقدم بذلك لله ، مايسعدها فى أخراها .

مع ضرورة طرح كل المبادئ ، والنظم الوضعية ، إيمانا بأن الأخذ بها يضر ولا ينفع ، وإن حقق نفعا فى الدنيا ـــ فغالبا ما يكون ذلك على حساب الآخرة ـــ وذاك فى حد ذاته خرق وسفه ، أن يضيع الإنسان آخرته الأبدية بدنياه الفانية .

جـ ـــ فقه خاص لبناء الإسلام لشخصية المسلم ، وبنائه للبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ، والأمة المسلمة ، والدولة المسلمة ، والحكم بما أنزل الله ، فقه يقوم على البحث والعلم ، والدراسة المتأنية .

د ـــ فقه خاص لتعامل المسلمين مع غير المسلمين ، أفرادا أو حكومات ، ذلك التعامل الإنسانى الذى يجهله كثير من المسلمين ، بل كثير من العاملين فى الحقل الإسلامى ، أيضا يقوم هذا الفقه على البحث والدراسة ، والعلم والوعى والإنصاف

هـ ـــ تكوين خاص للأفراد ، يمكنهم من القيام بأعباء المرحلة ، ومتطلباتها .

وهكذا ترتبط خصوصية المعرفة بخصوصية الدعوة فى هذه المرحلة ارتباطا وثيقا .

ويمكن أن نشير إلى المعالم الرئيسة فى خصوصية الدعوة على النحو التالى :

أ ـــ الاصطفاء والاختيار مع التدقيق فى هذا كل التدقيق .

ب ـــ التوظيف بمعنى أن يكون كل عضو عامل فى هذه المرحلة قد عرف بدقة ما يطلب منه فى هذه المرحلة وماذا يمثل هذا المطلوب من المرحلة كلها .

جـ ـــ الممارسة لكل متطلب من متطلبات المرحلة ، ممارسة عملية يخلص منها العضو بخبرة عملية فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم .

٢ ـــ خصوصية الدعاة :

الدعاة فى هذه المرحلة ليسوا أى دعاة وإنما دعاة مخصوصون كذلك ، اجتازوا مرحلة التنفيذ ، وتوفر لهم من الصفات ومن العراقة فى تاريخ العمل الإسلامى مايجعلهم أهلا للقيام على الأفراد ، وتكوينهم وتربيتهم فى هذه المرحلة .

وليس الداعية الذى كان يقوم على مجموعة أو جماعة فى مرحلة التعريف ، بصالح من كل وجه أن يقوم بالإشراف على أفراد يعدون ويكونون فى هذه المرحلة ، وإنما صفوة منهم فقط ، هم الذين يقومون بهذا العمل الجليل .

فهؤلاء الدعاة قادة للعمل الإسلامى ، فى مرحلة من أهم مراحل الدعوة إلى الله .

فقه الدعوة يتطلب فى هذه المرحلة دعاة من نوع خاص ، وأهلية خاصة ـــ سنتحدث عنها عند حديثنا عن أهلية المشاركين فى هذه المرحلة من دعاة وأفراد ـــ ونكتفى هنا بأن نشير فقط إلى الملامح العامة للدعاة فى هذه المرحلة على النحو التالى :

أ ـــ الدعاة فى هذه المرحلة هم صفوة العاملين فى الحقل الإسلامى ، الصفوة من حيث العلم والعمل ، بل الصفوة فى أى مجال من مجالات العمل فى هذه المرحلة .

ب ـــ الدعاة هنا ـــ فى هذه المرحلة ـــ مسئولون مسئولية كاملة عن بناء شخصيات الأفراد بناء إسلاميا متكاملا من كافة جوانب الشخصية الإسلامية ، الروحية والعقلية ، والبدنية ، والدعوية ، والحركية ، وأنّى لهم ذلك كله ، إذا لم يكونوا صفوة ، بكل ما تحمل كلمة الصفوة من معنى .

جـ ـــ الدعاة هنا مسئولون عن مسيرة العمل الإسلامى ، والمحافظة على أهدافه واتجاهاته ، والحرص على أن تكون الوسائل والأساليب ، المتبعة فى وصول العمل الإسلامى إلى أهدافه ، وسائل وأساليب مشروعة ، يقرها الإسلام ونظامه وأخلاقه .

د ـــ دعاة يجيدون فن ترشيح الأفراد الذين بلغوا درجة النضج الوظيفى فى أعمالهم ليقوموا بأعمال أهم ، ولتتسع دوائر عملهم ، حسب مقتضيات المرحلة ومتطلباتها .

هـ ـــ دعاة قادرون على توريث ، عملهم ، وخبرتهم ، وعلمهم وإخلاصهم ، للذين

يعدونهم ، ويقومون على تكوينهم فى هذه المرحلة ، وتلك ضرورة تستوجبها طبيعة المرحلة من ناحية ، والاستمرارية فى العمل الإسلامى الموجه من ناحية أخرى .

و ـــ دعاة لهم قدرة على التحليل ، وذات القدرة على الاستنتاج ، وقدرة أعلى على اتخاذ القرار فى الوقت المناسب والمكان المناسب والظرف المناسب .

والتحليل هنا ، هو تحليل كل مسألة ، وكل قضية ، وكل معوق فى طريق العمل الإسلامى ، لهم هذه القدرة ، ولديهم الرغبة فى توريث هذه القدرة لإخوانهم الذين فى هذه المرحلة .

ز ـــ دعاة تتمثل فيهم صفة ، تعد من أبرز صفات القادة والجنود ، هى « كمال الطاعة » وهى صفة ، سنتحدث عنها بتفصيل بعد قليل .

٣ ـــ خصوصية المدعوين :

المدعوون فى هذه المرحلة ـــ كما أشرنا أكثر من مرة ـــ مدعوون مخصوصون ، خضعوا لعملية اصطفاء ، وفق معايير معينة ـــ سنتحدث عنها فى حينها ـــ واجتازوا مرحلة التعريف بالإسلام ، فى مداها الزمنى ، وفق تقويم ومتابعة ، تؤكد أنهم بلغوا مرحلة نضج تؤهلهم للانضمام إلى هذه المرحلة .

المدعوون فى هذه المرحلة لهم أهلية خاصة ـــ سنتحدث عنها بعد قليل ـــ إذ هم على مستوى معين من الوعى والنضج ، بل الاستعداد الخاص لهذه المرحلة ومتطلباتها ، بل لهم تاريخ مع العمل الإسلامى .

المدعوون إلى هذه المرحلة ، قد أصبحوا صالحين لحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله ، وما تتطلبه هذه الصلاحية ، من صفات ومن شروط ـــ كلها سنتحدث عنها بتفصيل ، عند حديثنا عن أهلية المدعوين ، بعد قليل ، بإذن الله تعالى ـــ .

٤ ـــ خصوصية العمل فى هذه المرحلة :

العمل الإسلامى كله يربطه خط واحد أو خيط واحد ، هو : **ما جلب للمسلمين مصلحة فى دينهم أو دنياهم ، ومادفع عنهم ضررا فى دينهم أو دنياهم** ، وعلى الرغم من هذا الخط الجامع ، فإن للعمل مايميزه فى كل مرحلة ، عن المرحلة التى تليها .

وفى هذه المرحلة بالذات فإن العمل الإسلامى فيها يتميز بما يلى :

أ ـــ هو عمل خاص فى مجال العلم والمعرفة ، لأن هذه المرحلة تخضع لبرنامج علمى

دقيق ، يختلف عن كل برنامج فى أى مرحلة ، وهذه الدقة تستدعى تعمقا وتخصيصا ، وذلك مانعنيه بخصوصية العلم والمعرفة ، فى هذه المرحلة بالذات .

ب ــ هو عمل خاص فى مجال التطبيق والممارسة ؛ لأن هذه المرحلة بحاجة مستمرة ، إلى دقة والتزام فى الممارسة والتطبيق ، بأكثر مما تحتاج إليه غيرها ــ يكفى أنها مرحلة البناء والتأسيس والتكوين ــ وذلك يستدعى خصوصية أى عمل فيها .

جـ ــ هو عمل خاص فى مجال فقه الدعوة ، وفقه الحركة ؛ لأن المدعوين فيها ، مطالبون بما لا يطالب به سواهم ، فهم فى الدعوة ، لابد أن يصنعوا الامتداد والانتشار فى الناس ، وفى الحركة لابد أن يصنعوا الاختلاط بالناس ، وجذبهم ، والتأثير فيهم ، والقدرة على تصنيفهم ، وهو عمل له خصوصيته بكل تأكيد .

د ــ هو عمل خاص فى مجال الاستعدادات الخاصة ، وذلك يتطلب ثقافة خاصة ، وخبرة خاصة ، بل هو يتطلب ممارسة خاصة .

٥ ــ خصوصية التنظيم والإدارة :

من المسلم به أن كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، لا يتم العمل فيها ، إلا وفق تخطيط ، يولد تنظيما وإدارة جيدة .

والتنظيم والإدارة فى هذه المرحلة لهما من الخصوصية ، ما يلائم المرحلة ويساعد على تحقيق أهدافها .

وإذا كان التخطيط والتنظيم والإدارة ، فى المرحلة السابقة ، منفتحة على كل من يريد أن يشارك فى المرحلة ، أو يسهم فيها بجهد ممن هم أهل لمرحلة التعريف ، فإن ذلك فى مرحلة التكوين ، منغلق على مخططين ، ومنظمين ، ومديرين ، مخصوصين ، يحملون عبء المرحلة ، ويقودون العمل فيها .

وذلك أن التخطيط بمعنى تحديد الأهداف والوسائل ، وتحديد الاحتياجات البشرية وغير البشرية ، وتحديد المدى الزمنى للعمل ، وتوخى أحسن النتائج ، بأقل الجهود ، وأقل التكاليف ، التخطيط بهذا المعنى العلمى المسلم له به بين المختصين ــ لابد أن يضاف إليه فى هذه المرحلة ما يلى :

أ ــ أن تحديد الأهداف هنا ، وقف على قيادة العمل الإسلامى كله ، أو على قيادة

هذه المرحلة بعينها ، على أقل تقدير .

— وتحديد الاحتياجات البشرية هنا ، لابد أن يتم وفق معايير تضعها قيادة العمل الإسلامى كله ، أو قيادة هذه المرحلة ، إن رأت القيادة العامة ذلك .

— وتحديد المدى الزمنى للمرحلة ، لا يخضع لاجتهادات فردية ، وإنما تضعه قيادة العمل الإسلامى كله فى أغلب الأحيان .

تلك إضافات على التخطيط لابد منها .

وكذلك الشأن فى التنظيم والإدارة .

فالتنظيم تنظيم خاص ، بكل ما تحمله الخصوصية من معنَى ، والإدارة إدارة خاصة ، بكل ما تحمله الخصوصية من معنى كذلك .

وعلى الجملة فإن العمل فى هذه المرحلة خاص ، يخطط له قادة مخصوصون ، وينظمه ويديره قادة أو دعاة مخصوصون كذلك .

ثانياً : متطلبات المرحلة

مرحلة التكوين لها متطلبات عديدة ، وفى ذات الوقت ، فإن بعض هذه المتطلبات عزيزة ، بل نادرة أحيانا ، وهى مرحلة تعد من أكثر مراحل الدعوة احتياجاً إلى متطلبات بعينها ، لا بد من التقيد بها ، وعدم التساهل فى شىء منها .

ولابد أن نؤكد هنا ، أن التساهل فى أى شىء من متطلبات هذه المرحلة ، يعكس قلقاً واضطراباً غير محدودين فى القواعد والقيادات على السواء .

وهذه المتطلبات شروط فى المرحلة ، وشروط فى القائمين عليها ، والمنضمين إليها ، وكلما زادت شروط هذه المرحلة دقة واستيعاباً ، كلما قرب العمل الإسلامى من النجاح والكمال .

إن الشروط فى المرحلة نفسها على جانب كبير من الأهمية ، وإن الشروط فى الدعاة الذين يقودون هذه المرحلة أكثر أهمية ، وإن الشروط فى المنضمين إلى هذه المرحلة ، لهى الدلالة المباشرة أو القريبة ، على أن هذه المرحلة ، سوف تنتج وتؤدى كل ما يناط بها من أعمال ، هذا كله إذا طبقت الشروط بدقة على المرحلة ، وعلى كل من كان له بها صلة .

وما أتى العمل الإسلامى من جانب أخطر من التساهل فى هذه الشروط ، إنه ضياع للطريق ، ثم ضياع للغاية ، وإنه الإحساس المرير بالفشل والإحباط ، بل إنه الحيرة فى مواصلة السير ، وفى التعرف على معالم الطريق ، إنه فى النهاية الإثم والمعصية والعياذ بالله العظيم .

ولنأخذ فى الحديث عن هذه الشروط ، أو الأهلية ، على النحو التالى :

١ ــ أهلية المرحلة نفسها :

يخطئ من يظن أن هذه المرحلة ليست لها شروط فى ذاتها ، ويخطئ أكثر ، من يتصور أن مراحل الدعوة يسد بعضها مسد بعض ، ويمعن فى الخطأ ، من يتصور أن العمل الإسلامى كله مرحلة واحدة ، تلك كلمة لابد منها ، فى بداية حديثنا عن أهلية المرحلة نفسها ، أو شروطها فى ذاتها .

إن أهلية المرحلة نفسها ، تتمثل فيما يلى :

أ ــ أنها مرحلة مسبوقة ، بما يمهد لها ، ويؤدى إليها عبر قنوات بعينها ، وفى ظل أوعية

زمنية محددة ، إذ لا يجوز أن تكون هذه المرحلة بداية ، مهما كانت حاجة العمل الإسلامى إلى الإسراع فى تكوين الناس .

ب ــ أنها مرحلة ملحوقة بما تمهد له ، وما تؤدى إليه ، فلا يجوز أن تكون مرحلة نهائية ، مهما كانت الظروف والأوضاع ، وعلى القائمين عليها أن يستوعبوا ذلك تمام الاستيعاب ، فمن أمضى المدة المحددة للبقاء فى مرحلة التكوين ، واجتاز بنجاح برامجها ، فلابد أن يدعها إلى عمل إسلامى آخر .

جـ ــ أنها مرحلة تتصف بتكثيف وتعميق كل مايتناوله برنامجها من علم وعمل وتدريب وتقويم ومتابعة ، وبصقل المنضمين إليها صقلاً جيداً ، ولا يجوز بحال أن تصبح التربية فيها مسطحة غير متعمقة ؛ لأنها مرحلة تكوين وإعداد وبناء ، وفق خطة ومنهج ، ووعاء زمنى أكثر طولاً وعمقاً .

د ــ أنها مرحلة طويلة المدى ؛ إذا قورنت بغيرها من المراحل ، وسبب ذلك : أن يتم النضج ، وأن يستحصد الزرع ، ولكى نعطى هذه الحديقة ــ المرحلة ــ التى اختير مكانها بعناية فوق ربوة ، وعُرّضت لوابل طيب ــ لكى تعطى أكلها ضعفين ، وما لم تراع هذه الصفات ، فلن تعطى أكلها ، فضلاً عن أن تعطيه ضعفين .

وكل اختصار فى هذا المدى الزمنى للمرحلة ، أو كل تسرع فى إتمام النضج أو استحصاد الزرع ، وكل عجلة فى تعهد هذه الحديقة أو الجنة ، أو فى عدم التدقيق فى اختيار مكانها ، أو فى عدم تعريضها للوابل الطيب ، كل ذلك سوف يكون على حساب العمل الإسلامى كله ، لا على حساب هذه المرحلة وحدها .

هـ ــ أنها مرحلة ذات أهداف أكثر طموحاً ؛ إذ هى تُعِد صفوة المؤمنين وزبدتهم ، لأنها تعد المجاهدين بعد قليل وقت ، والجهاد ذروة سنام الإسلام ، كما نعرف ، ورجاله هم ذروة الرجال المؤمنين كذلك ، والمشاركة فى مرحلة الجهاد مشروطة بأن يكون المشاركون فيها قد أتموا مرحلة التكوين .

٢ ــ أهلية الدعاة فى هذه المرحلة :

دعاة هذه المرحلة هم قادتها ، وهم أهم أنواع الدعاة ، باعتبار ما يناط بهم من عمل ، فهم القائمون على التربية والإعداد ، وهو عمل أهم بكثير من التعريف والتبليغ ، فلذلك

كانوا أهم من دعاة مرحلة التعريف ، وكذلك هم أهم من دعاة مرحلة التنفيذ ، باعتبار الجهد الذى يبذلونه فى التربية والإعداد وضخامته ، إذا قورن بالجهد الذى يبذله دعاة مرحلة التنفيذ ، إذ يبذلون جهداً من طائفة من المؤمنين ، تم إعدادهم وبناؤهم ، فأصبحوا أيسر قيادة .

وعلى قدر الأهمية فى هؤلاء الدعاة تكون الدقة فى الشروط التى يجب أن تتوفر فيهم ، ليكونوا أهلاً لهذه المرحلة .

وقد اجتهدت فى أن أجعل هذه الشروط ــ وهى كثيرة ــ فى مجموعات أربعة يندرج تحت كل مجموعة منها عدد من الصفات :

المجموعة الأولى : الصفات الخلقية :

وهى أولى الصفات بالاهتمام وهى :

١ ــ الورع :

وهو منزلة أعلى من الصلاح ، إذ لا يكفى فى هؤلاء الدعاة الصلاح وحده ، بل لابد مما هو أعلى منه .

والورع المطلوب فى الداعية فى هذه المرحلة ، هو ورع المتقين ، وهو ترك بعض الحلال خشية الوقوع فى الحرام ، فإذا أمكن أن يصل الداعية إلى ورع الصديقين ــ وهو الإعراض عما سوى الله ــ فإنه يكون قد حقق منزلة ، يطمح إليها المخلصون من الدعاة إلى الله .

هكذا ينبغى أن يكون الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، والورع ــ كما قال أسلافنا ــ له بداية ووسط وقمة .

أما بدايته ، فترك ما لا بأس به ، حذراً مما به بأس ، فقد روى ابن ماجه بسنده ، عن عطية السعدى ــ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به بأس »[1] .

وأما وسطه ، فترك كل شبهة ، وترك ما لا يعنيك من النظر والكلام والاستماع ، فقد

---

(١) ابن ماجه : سننه : ٢ / ٥٥٣ ط دار الفكر دون تاريخ .

روى ابن ماجه أيضا بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه »[1] .

وأما قمته ، فالتورع عن كل ما سوى الله ، فقد روى ابن ماحه أيضاً بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة : « يا أبا هريرة ، كن ورعاً ، تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً ، تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وأقل الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب » [2] .

٢ ــ الإخلاص :

وهو لب العبادات كلها ، قال تعالى : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [3] .

وفى الحديث الشريف ، ما رواه ابن ماجه بسنده ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم »[4] .

والإخلاص : إفراد الحق سبحانه بالقصد فى الطاعة ، وتصفية العمل من كل الشوائب .

وحقيقة الإخلاص : التبرى من كل ما دون الله .

أى أن الداعية إلى الله ، ينبغى أن يقصد وجه الله بقوله ، وعمله وجهاده ، وأن يبتغى مرضاته ، وحسن مثوبته ، وهذا شرط أساسى فى الداعية إلى الله ، يؤهله للقيام بعمله بكفاءة .

٣ ــ الصبر :

وهو نصف الإيمان ، وإذا كانت صفة من صفات الدعاة إلى الله ، لها درجة عليا من الأهمية ، فإنها الصبر ، وهى صفة يجب على المسلمين جميعاً أن يتحلوا بها ، فما بالنا

---

(١) السابق : ٢ / ٥٥٤ .
(٢) السابق : ٢ / ٥٥٤ .
(٣) سورة الأنعام : ١٦٢ ــ ١٦٣ .
(٤) ابن ماحه : سننه ١ : / ١٠٣ .

بالدعاة إلى الله ، وهم صفوة المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾[1] فأمر به كل مؤمن ، وقال سبحانه : ﴿ **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ [2] فأثنى على أهل الصبر ، بالصدق والتقوى ، وقال سبحانه : ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾[3] فضمن للصابرين المدد والنصر ، وقال سبحانه : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [4] فوعد الصابرين بالإمامة فى الدين ، وهى منزلة ليس أعلى منها منزلة .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن صهيب رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له » [5] .

وقال أسلافنا رضوان الله عليهم :

الصبر ثلاثة أنواع :

١ — صبر بالله ، وهو الاستعانة به ، والاعتقاد بأنه هو الذى يمنح الصبر .

٢ — وصبر لله ، وهو أن يكون الباعث على الصبر ، هو محبة الله ، وإرادة وجهه والتقرب إليه .

٣ — وصبر مع الله ، وهو أن يكون العبد مع مراد الله ، ديناً ودنيا ، صابراً نفسه ، يدور مع الحق حيث دار .

والداعية إلى الله ، يلقى فى سبيل دعوته من المتاعب ، ما يجعل الصبر عنده ذا أهمية بالغة حد الأولوية .

٤ — الإيثار :

وهو أن تقدم الناس ، وتؤثرهم على نفسك ، بحيث لا يعود عليك بضرر ، أو بشيء حرمه الله تعالى ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

---

(١) سورة البقرة : ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٦ .

(٣) سورة آل عمران : ١٢٥ .

(٤) سورة السجدة : ٢٤ .

(٥) الإمام مسلم : صحيحه : باب الزهد ٢ / ٥٩٦ ط الحلبى دون تاريخ .

خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(١) فوصفهم بأنهم غير شحاح النفوس ، وأخبر عنهم أنهم بذلك يكونون من المفلحين .

والإيثار ـــ كما قال أسلافنا ، رضوان الله عليهم ـــ درجات :

درجته الأولى : ألا يصعب عليه البذل ، ولا ينقصه السخاء .

والثانية : أن يعطى الأكثر ويبقى لنفسه الأقل .

والثالثة : أن يؤثر غيره بالشيء ، مع حاجته إليه .

والداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، مطالب بالإيثار على أعلى درجاته ؛ لأن الداعية فى أعلى الدرجات بما يقوم به من عمل فى الدعوة إلى الله ، فإنه يربى ، ويُكَوِّن وَيُعِدُّ جنوداً لله ، يجاهدون فى سبيله ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، فلا أقل من أن يؤثرهم الداعية على نفسه ، محتسباً أجره ومثوبته عند الله .

٥ ـــ التواضع :

وهو خفض الجناح ، ولين الجانب ، وقبول الحق ممن كان ، والانقياد له ، قال الله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ (٢) . وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ (٣) .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن عياض بن حمار ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد » (٤) .

وروى أيضاً بسنده ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (٥) .

وللدعاة ـــ بل لسائر المسلمين ـــ فى رسول الله أسوة حسنة وقد كان ﷺ مضرب المثل فى التواضع ، فقد ورد فى السنة والسيرة النبوية أن رسول الله ﷺ كان يمر على الصبيان

---

(١) سورة التغابن : ١٦ . (٢) سورة الفرقان : ٦٣ . (٣) سورة المائدة : ٥٤ .

(٤) الإمام مسلم : صحيحه : أبواب الجنة : ٢ / ٥٤٥ ط الحلبى . (٥) السابق : ٢ / ٥٤٣

فيسلم عليهم ،

وكانت الأَمَة تأخذ بيده ، فتنطلق به حيث شاءت ،
وكان فى بيته فى خدمة أهله ،
وكان يخصف نعله ،
ويرقع ثوبه ،
ويحلب الشاة لأهله ،
ويعلف البعير .
ويأكل مع الخادم ،
ويجالس المساكين ،
ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شىء .

وذاك هو التواضع المطلوب فى كل مسلم ، والمطلوب بصورة ملحة فى الدعاة إلى الله عموماً ، والدعاة فى هذه المرحلة على وجه الخصوص .

٦ ـــ الإحسان :

وهو أن يعبد الإنسان الله كأنه يراه ، وهو لب الإيمان وروحه وكماله ، والمحسن محبوب من ربه ، ومجزى أحسن الجزاء قال تعالى : ﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾ [١] . وقال سبحانه : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ [٢] والمحسن فى صحبة الله سبحانه وفى معيته قال سبحانه : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [٣] .

ومن الإحسان ؛ الإجادة والإتقان لكل عمل يقوم به المسلم ؛ لأن الله تبارك وتعالى كتب الإحسان على كل شىء ، أى كتب على المسلمين أن يحسنوا كل عمل فقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن شداد بن أوس ، رضى الله عنه ، قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم ، فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم ، فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » [٤] .

وكل عمل الداعية إلى الله ـــ بل كل عمل المسلمين ـــ بحاجة إلى الإحسان ، بمعنى مراقبة الله فيه وإلى الإحسان بمعنى التجويد والإتقان .

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .
(٢) سورة الرحمن : ٦٠ .
(٣) سورة النحل : ١٢٨ .
(٤) السابق . ٢ / ١٧٧ .

وحسبنا من عمل الداعية أنه يربى ويكوّن أفراداً ، ويحسن إعدادهم ؛ ليكونوا مجاهدين فى سبيل الله فى المرحلة التالية لمرحلة التكوين ــ وهى مرحلة التنفيذ ــ .

وحسبنا من هذه الصفات الخلقية ، ما ذكرنا من الورع ، والإخلاص ، والصبر ، والإيثار ، والتواضع ، والإحسان ، فإنها الإشارة الدالة ، وليست الاستقصاء فى هذا المجال .

المجموعة الثانية : الصفات العلمية :

وهى ضرورية لا يستقيم عمل الداعية ، بل لا يصح إلا بها ، ونحن هنا نذكر من تلك الصفات العلمية ، ما هو ضرورى ، ولا نقصد الاستيعاب كذلك .

ومن هذه الصفات العلمية مايلى :

١ ــ أن يكون من أهل النظر فى الدين :

والمقصود بذلك أن يكون الداعية قد حصل قدراً من العلم والمعرفة بعلوم الإسلام الأساسية ، يمكنه من النظر فى آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبى ﷺ ليستنبط منها الأحكام الشرعية فى صورتها الصحيحة ، وعندئذٍ يحق له ألا يتقيد فى تعبده بمذهب من المذاهب الأربعة ــ الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى ــ والأصل فى كل داعية إلى الله أن يصل إلى هذا المستوى .

ولا يستطيع الداعية ذلك إلا أن يكونِ له رصيد مناسب ، وقراءة مستوعبة فاهمة لما يلى :

أ ــ رصيد مناسب من القرآن الكريم حفظاً وفهماً ، والأصل بالنسبة للداعية حفظ القرآن الكريم كله ما أمكن ذلك .

ب ــ إلمام بعلوم القرآن الكريم .

جـ ــ رصيد جيد من السنة النبوية حفظا وفهما .

د ــ إلمام بعلوم الحديث الشريف .

هـ ــ دراسة جيدة هادفة للسيرة النبوية المطهرة .

و ــ دراسة جيدة للفقه الإسلامى .

ز ــ إلمام جيد بعلم أصول الفقه .

ح ــ دراسة واعية بتاريخ الصحابة ، رضوان الله عليهم .

ط — إلمام بتاريخ الإسلام .

ولا نقصد « بأهل النظر » ذلك التعبير الاصطلاحى الموازى لكلمة « أهل الاجتهاد » لأن المجتهد له من الشروط والصفات ، ماهو أدق وأكثر من هذا بكثير ، وإنما نعنى هذا القدر اللازم من العلم والمعرفة بأصول الإسلام ، وبعض فروعه الذى يمكن من فهم النصوص الإسلامية ، فهماً صحيحاً سليماً لمقاصد الشريعة عموماً ، ومعرفة الأحكام التفصيلية على وجه الخصوص .

ولابد من التنبيه هنا إلى أن الداعية إلى الله لكى يصل إلى ذلك المستوى فلابد له من أن يعتمد على نفسه وأن يضع لنفسه أو بمعاونة من هو أعلم بالإسلام منه برنامجاً دقيقاً عميقاً فى دراسات إسلامية متنوعة — على النحو الذى ذكرنا آنفاً — توصله إلى هذه المنزلة .

٢ — أن يكون من أهل الفقه بالإسلام :

والفقه — كما هو معروف — هو التوصل إلى علم غائب ، بعلم شاهد ، فهو أخص من العلم .

والفقه هو التوصل إلى العلم بأحكام الشريعة تفصيلاً ، من خلال النظر فى النصوص الإسلامية .

والمتفقه فى الإسلام ، أخص ممن بلغ درجة النظر — كما عرفنا درجة النظر آنفاً — إذ يلزم المتفقه فى الإسلام ، أن يكون قد بلغ درجة النظر ، وأن يتفقه أى يتعمق فى فهم الإسلام ، على نحو أشمل وأعم .

والفقه بالإسلام أكثر وأكبر من العلم به ، إذ العلم بالإسلام معرفة ، ولكن الفقه به تعمق فى العلم به ، وهذا مطلوب من الداعية إلى الله بشكل أساسى ؛ لأنه لا ينبغى أن يكتفى بأن يكون من أهل العلم بالإسلام ، بل لابد أن يكون من أهل الفقه فيه .

إن التفقه فى علوم الإسلام الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية — فكل فروع المعرفة يمكن أن تكون إسلامية — يعطى للداعية قدرات جيدة فى عمله تتمثل فيما يلى :

أ — معرفة رأى الإسلام فى القضايا المعاصرة ، التى يدور حولها جدل وخلاف ،

كالتأمين ، وتحديد النسل ، وشهادات الادخار والاستثمار ، التى تحدد لها فائدة مقدماً .

ب ـ القدرة على الإجابة عن كثير من الأسئلة التى تتصل بالعقيدة ، أو العبادة ، أو المعاملة ، وذلك مطلب أساسى فى كل داعية إلى الله فى هذه المرحلة .

جـ ـ القدرة على رصد التيارات الفكرية والثقافية المعادية للإسلام ، عداء ظاهراً أو مستتراً ، ومعرفة موقف الإسلام منها بدقة .

د ـ إقدار الداعية فى هذه المرحلة على أن يوجه الأفراد الذين يُكوِّنهم توجيهاً إسلامياً . هادفاً .

هـ ـ إقدار الداعية على التعرف بدقة على طاقات الأفراد ، وعلى رعايتها وتنميتها فى الاتجاه الصحيح .

و ـ إقدار الداعية على اختيار عناصر صالحة ممن يُكَوِّن ، لتوجيههم لدراسة الإسلام وعلومه ، دراسة متعمقة ، تجعل منهم فيما بعد أهل نظر وتفقه فى الدين الإسلامى .

ز ـ إقداره على التحليل (١) والتركيب (٢) والاستنتاج ، والتصور الجيد للحلول ؛ إذ أن

---

(١) التحليل هو : رد الشيء إلى عناصره المكونة له ، مادية كانت أو معنوية وينقسم التحليل إلى :

أ ـ تحليل تجريبى : يقوم على : الملاحظة والتجربة والاستقراء .

ب ـ وتحليل عقلى : تستخدم فيه قضايا المنطق الصورى للوصول إلى الحقائق .

ج ـ وتحليل اجتماعى : وهو فحص شامل للوقائع الاجتماعية المعقدة ، للتمييز بين أجزائها المختلفة ، وتحديد علاقة كل جزء بالآخر ، وعلاقة كل جزء بالكل ، مما ينتج عنه وصف منهجى للعلاقات الاجتماعية بعضها مع بعض .

د ـ وتحليل إحصائى : وهو تبويب البيانات لإعطاء صورة وصفية لها ، وتحديد الدرجة التى يمكن أن تعم بها نتائج البحث على المجتمع الذى أخذت منه العينة .

ومن أهم الأساليب الإحصائية المستخدمة فى تحليل البيانات هى :

مقاييس النزعة المركزية كالمتوسط والوسيط والمنوال .

ومقاييس التشتت كالمدى والانحراف المعيارى .

ومقاييس الارتباط لتوضيح العلاقة بين مختلف التغيرات ، أو لتوضيح الدلالة الإحصائية للفروق بين مجتمعين أو أكثر .

(٢) والتركيب : هو إعادة بناء الأجزاء فى وحدات كلية . أى الانتقال من المعانى البسيطة إلى المعانى المركبة ، وذلك بالبدء بأبسط الأمور وأيسرها معرفة ، ثم التدرج فى الصعود شيئا فشيئا حتى الوصول إلى معرفة أكثر الأمور تركيبا ، وهو بهذا المعنى يقابل : التحليل .

وعلى الداعية أن يلم بكل ذلك ، وأن يجعله أسلوبه فى تناول الأمور كلها .

التفقه يساعد على ذلك أى مساعدة .

ح - إقدار الداعية على رصد المعوقات ، والتعرف على أسبابها ، وعلى الوسائل الكفيلة بإزالتها ، أو التغلب عليها ليخلو طريق العمل الإسلامى من هذه المعوقات .

كل تلك النتائج للتفقه فى الإسلام ، يفيد منها الداعية فى عمله كله فى هذه المرحلة ، أو فى غيرها من المراحل التى تمر بها الدعوة الإسلامية .

وبعد : فإن اشتراط التفقه بالنسبة للداعية فى هذه المرحلة ، اشتراط جوهرى ؛ لأن تحقيق تلك النتائج التى أشرنا إليها ، أمر حيوى وضرورى للداعية ، وللعمل الإسلامى كله .

وما لم يستوعب الداعية فى هذه المرحلة ذلك الشرط ، فإن المنطق يقتضيه أن يعمل فى مرحلة أدنى وأيسر من مرحلة التكوين ، وأن يأخذ فى إعداد نفسه ، لاستكمال هذا الشرط ، ولا يعيبه أن ينتظر ، حتى ينضج ، ولكن فقد هذا الشرط فى الأهلية ، هو الذى يعيبه ، بل يعيب القائمين على العمل الإسلامى كله الذين وسدوه مرحلة التكوين ، دون أن يكون أهلاً لها ، وتساهلوا معه ، فيما ليس من حقهم أن يتساهلوا فيه ، وحسابه وحسابهم على الله .

٣ - أن يكون من المهتمين بالتربية الإسلامية :

وذلك أن مهمة الداعية فى هذه المرحلة ، مهمة تربوية ، فى كل شكل من أشكالها ، ولن يتيسر له المضى فى تربية الأفراد على نحو جيد ، إلا أن يكون من المهتمين بالتربية بصفة عامة ، بل بالتربية الإسلامية على وجه الخصوص .

ويكفيه فى هذا المجال أن يكون عارفاً على وجه الإجمال للحقيقة التالية وهى :

أن التربية الإسلامية ، تعتمد الوحى وتقوم عليه ، بينما تقوم سائر أنواع التربية على العقل وتعتمده ، وشتان بين هذا وذاك ، لأن الوحى يسدد العقل عندما يخطىء ويطيش - وهو مخطىء طائش ، فى أحيان كثيرة ، بحكم خلقته ، وما فطره الله عليه .

ولابد للداعية من معرفة بعض التفاصيل التالية ، فى مجال التربية الإسلامية ، وهى :

أ - أن التربية الإسلامية تقوم - من خلال الوحى - على النظرة الدقيقة الصائبة إلى الإنسان والكون والحياة الدنيوية والأخروية ، حيث قامت المعتقدات فيها على الحق

والصواب فى : الخالق سبحانه وتعالى ، وفى المخلوقات ، وفى القيم والآداب .

ب ـ أن التربية الإسلامية لا تستهدف تكوين المواطن الصالح فحسب ـ كشأن سائر أنواع التربية ـ وإنما تستهدف تكوين الإنسان الصالح ، وتلك نظرة أعمق وأشمل وأبعد عن الصراعات والقوميات ، وأدخل فى إنسانية الإنسان ، وهى نظرة لا نتصورها ، إلا فى ظل وحى من رب العالمين .

جـ ـ وأن يعرف أن للتربية الإسلامية أسساً ومبادئ تقوم عليها من أبرزها :

أولاً : الاعتقاد الصحيح فى ذات الله ، وصفاته ، وأسمائه وأفعاله ، وتوحيده ، توحيد عبودية وربوبية .

ثانياً : الاعتقاد الصحيح فى كمال الشريعة الإسلامية ، وغناها ، وصلاحها لكل زمان ومكان .

ثالثاً : الاعتقاد الصحيح فى العلاقات الأخوية والاجتماعية ، التى تربط بين المسلمين أنفسهم ، أو العلاقات التى تربط بينهم وبين غيرهم من الناس .

رابعاً : أن التربية الإسلامية تستهدف تكوين إنسان صحيح العقيدة والعبادة والمعاملة ، فى عالمى الغيب والشهادة (الآخرة والدنيا) .

د ـ وأن يعرف أن للتربية الإسلامية أهدافا عامة وخاصة .

وأن الأهداف العامة هى :

أولاً : إعداد الإنسان العابد لربه ، وفق ما شرع ، مع الإخلاص لله بهذه العبادة .

ثانياً : القيام بواجب استخلاف الله للإنسان فى الأرض ، وهذا الواجب هو : إعمارها ، والعمل على تحقيق وتطبيق منهج الله فى الحياة البشرية ، ورفض أى منهج سواه .

ثالثاً : أن التربية الإسلامية تستهدف إعداد الإنسان الإيجابى فى الحياة ، الذى يعمل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويجاهد فى سبيل الله ، من أجل أن تسود القيم الإسلامية حياة البشرية كلها .

هـ ـ وعليه أن يعرف أن **الأهداف الخاصة للتربية الإسلامية هى :**

أولاً : إعداد الفكر وتنميته إلى درجة النظر والتأمل والتدبر ، وإعداد الجسد

وتربيته ، ليؤدى واجبه ، وليكون صحيحاً سليماً ، قادراً على العمل والكسب ، وعلى التعاون مع الآخرين ، فى كل ما يحقق مصالح الناس .

ثانياً : التربية الخلقية ، بمعنى تربية الخلق على مستوى الفرد ، بحيث يلتزم بالفضائل التى جاء بها الإسلام ، وينتهى عن الرذائل ، التى نهى عنها دون قهر ، أو إكراه .

ثالثاً : التربية الاجتماعية ، بمعنى تربية الإنسان الملتزم بواجباته فى المجتمع ، العارف لحقوقه ، الحريص على العلاقات الطيبة بالناس جميعاً ، بدءاً بالأهل ، فالأقارب ، فالجيران ، فسائر الناس .

رابعاً : التربية الجمالية بمعنى إعداد الإنسان ، الذى يستطيع أن يعيش حياته ، شاعراً بما حوله من جمال الكون ، وما أودع الله فيه من نعم ، ليتجاوب مع هذا الجمال تجاوباً مشروعاً ، فيصبح رقيق الحس راقى الذوق ، يرى ما فى الحياة من مظاهر الجمال ، فيعيش حامداً شاكراً لربه .

إن الداعية فى هذه المرحلة ، لابد له أن يعرف ذلك كله ، كحد أدنى يؤكد به اهتمامه بالتربية الإسلامية ، التى هى لب عمله فى هذه المرحلة ، على أن يتوسع فى ذلك ، وفق ما يقتضيه عمله ، وظروف من يقوم على تكوينهم وتربيتهم .

إن اهتمام الداعية بالتربية الإسلامية فى هذه المرحلة ، وتحصيله منها أكبر قدر ممكن ، أمر فى غاية الأهمية ، بالنسبة للداعية ، وبالنسبة للمرحلة نفسها ـــ مرحلة التكوين ـــ وبالنسبة للمدعوين ، الذين يشرف على تربيتهم وإعدادهم وتكوينهم ، فإذا تذكرنا أنه فى هذه المرحلة يعد أفراداً ، ليكونوا مجاهدين فى سبيل الله ، تبين لنا مدى أهمية ذلك وضرورته .

إن الداعية إلى الله بهذا الاستعداد التربوى ، وهذا الوعى الإسلامى لأبعاد التربية الإسلامية ، وأهدافها ، يستكمل نقص مناهج التعليم ، والإعلام ، والبيوت ، فى التربية .

المجموعة الثالثة : الصفات العملية :

من المسلم به لدى العاملين من أجل الإسلام ، أن حاجة العمل الإسلامى إلى منظرين أو مناظرين ، ليست موازية لحاجته ، إلى عمليين ميدانيين ، وإنما الحاجة إلى العمليين أشد وآكد من ناحيتين :

ناحية الكيف ،

وناحية الكم .

أما من حيث الكيف ؛ فإن طبيعة العمل الإسلامى ، فى حاجة إلى عناصر عاملة منفذة ، تطبق الإسلام على حياتها منهجاً ونظاما ، آقوى وآكد من حاجته إلى عناصر تنظر وتناظر .

وأما من حيث الكم ؛ فإن حاجة العمل الإسلامى إلى مائة عنصر عامل مثلاً . يوازيها حاجته إلى عنصر واحد أو اثنين من المنظرين أو المناظرين .

لهذا تبرز أهمية الصفات العملية فى الدعاة فى هذه المرحلة ، بل وفى غيرها من المراحل .

ولعل أبرز الصفات العملية التى تؤهل الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ما يلى :

١ ـــ أن يكون من أهل القدرة على العمل والصبر عليه :

ومعنى ذلك أن الداعية الذى لا يستطيع القيام بالعمل ، وتحمل أعبائه بصور عملية ، لن يسهم فى عملية البناء والإعداد للأفراد على النحو المطلوب منه ، ولا على النحو المطلوب من العمل نفسه فى هذه المرحلة .

إن الداعية إلى الله لا ينبغى أن يكون بمعزل عن معترك العمل ، والخوض فى لججه ومعاناة مشكلاته وقضاياه ، ومالم يكن كذلك ، فهو مقصر فى حق دينه ، ودعوته ونفسه ، وإخوانه ، الذين يرعاهم .

إن سيد الدعاة محمداً ﷺ ضرب لنا فى ذلك أروع الأمثال ، فى السلم والحرب ، الإقامة والسفر ، وعانى فى سبيل الدعوة إلى الله ، ما عانى دون كلل أو تراخ ، أو فقد لشيء من الصبر ، بل مع أمل كبير فى أن يهدى الله الناس إلى سواء السبيل .

وإن كبار المصلحين من المسلمين ، كانوا يفرضون على أنفسهم نفس العمل الذ يطلبونه ممن يربونهم ، مهما كان هذا العمل صعبا .

وإن من يقرأ تاريخ داعية العصر الحديث الإمام « حسن البنا » ـــ رحمه الله ـــ ليع فى هذا المجال معينا ثرّا ، إذ كان يشارك إخوانه كل صنوف العمل المكلفين به الرحلات ، وما فيها من جهد بدنى ، وصبر على الجوع والعطش ، وفى المخيمات ، وما

من انضباط ودقة فى كل أمر من أمور اليوم والليلة ، وفى الكتائب وما تتطلبه من جهد وجهاد وصبر ؛ ولهذا نجحت تربيته للأفراد نجاحا باهرا ، لم يستطعه سواه من الدعاة إلى الله ، ولا نزكى على الله أحدا ، وقد أفضى الرجل إلى ربه بما قدم ، ونال درجة الشهادة .

وإن القدرة على العمل تستتبع الصبر عليه ، وعلى متاعبه ، وليس هناك عمل ، إلا ومعه متاعبه ومصاعبه ، والداعية إلى الله لابد أن يكون متسلحا بالصبر ، بل بالصبر الجميل ، وما يليق به أن يتراجع أو يمل ، فضلا عن أن يجزع ، ويفقد الصبر .

وكيف يغفل الداعية إلى الله عن الصبر وثوابه عند الله ؟ وكيف ينسى قوله تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[1] ؟ تلك أول الصفات العملية فى الداعية إلى الله ، فى هذه المرحلة التكوينية من مراحل الدعوة ، وهى صفة أساسية ، يقوم عليها نجاح الداعية إلى الله فى عمله ـــ بل هى سنة النجاح فى الدعاة إلى الله جميعا .

٢ ـــ أن يكون من أهل السابقة والخبرة فى العمل الإسلامى المنظم ، الخاضع لبرامج زمنية معينة ، فى مراحل الدعوة إلى الله ؛ وذلك أن السابقة والخبرة ، تجعله أكثر قدرة على التعامل مع المواقف والأفراد ، بل تمكنه من أن يتعامل بدقة وسلامة مع كل التيارات الموالية ، أو المعادية للعمل الإسلامى .

وإذا كانت الخبرة ، تجعل الإنسان فى موقف معين ، يتذكر موقفا مماثلا ، وتصرفا ملائما مرّ به ، فإنه يفيد من ذلك أكبر فائدة فى المواقف الراهنة التى يضعه فيها العمل ، ومعنى ذلك أن الخبرة والسابقة ، ضرورية للداعية فى هذه المرحله ، فإذا كان العمل إسلاميا ، وكان نوعه تربويا ، فإن هذه الخبرة والسابقة ، تقفز إلى أعلى الأولويات .

إن التجارب العديدة التى يمر بها الإنسان ، هى التى تزيده نضجا وقدرة على العمل الجيد ، وإن الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، تصقله التجارب والخبرات ، وتجعل عمله أقرب إلى الكمال ، وسعيه أدنى إلى التوفيق .

إن الداعية الذى يفقد هذه الخبرة ، وتلك السابقة فى مجال العمل الإسلامى ، ثم يوسد عملا إسلاميا تربويا هاما ، كهذا الذى يسند إلى الدعاة فى هذه المرحلة ، إن هذا الداعية ، وهو يمارس عمله ذاك ، أشبه مايكون برجل لا علم له بالبحر والأنواء ويريد أن

---

(١) سورة الزمر : ١٠

يقود سفينة ، وماركب البحر من قبل .

إن الخبرة والسابقة بالنسبة للداعية ، رصيد هائل ، ينفق منه بحكمة ، وإنه بغير هذا الرصيد من التجارب والخبرات لا يغنى عنه علم ، ولا فقه ، مهما يكن قدر هذا أو ذاك ، بل لا يجدى عليه صلاح ولا ورع ، مهما يكن وزن هذا أو ذاك ، بل إن الداعية فى هذه المرحلة التكوينية ، لن يغنيه عن التجارب والخبرة والسابقة شيء .

٣ ــ أن يكون من أهل القدرة على التحليل والتركيب (١) والاستنتاج :

ونعنى بذلك القدرة على الفحص الشامل الدقيق ، للوقائع الاجتماعية ، للتمييز بين أجزائها المختلفة ، وتحديد علاقة كل جزء بالآخر ، وعلاقة كل جزء بالكل ، مما يترتب عليه معرفة منهجية دقيقة ، للعلاقات الاجتماعية ، وفقا للتصنيف الشكلى والموضوعى لها .

وهذه القدرة على التحليل ، تحتاج ذكاء وعلما ودراسة جيدة للمجتمع ، فى مختلف قطاعاته وطبقاته ، وليس أحد من الناس ، كالداعية يناط به هذا العمل الجليل .

فإذا استطاع الداعية ذلك ، فإنه يستطيع أن يرد الأشياء إلى عناصرها المكونة لها ، سواء أكانت هذه العناصر مادية أم معنوية ، عن طريق الملاحظة والتجربة والاستقراء ، واستخدام قضايا المنطق من مقدمات وتوالٍ ونتائج ، وبالتالى يأتى تحليله لأى قضية من القضايا ، صائبا وسليما ومتطلعا إلى الاستنتاج الصحيح .

والاستنتاج أو الاستنباط ، هو الانتقال من المقدمات إلى النتائج ، أى من العام إلى الخاص ، أو من الكل إلى الجزء ، والقدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج ، رصيد هائل على جانب كبير من الأهمية ، بالنسبة للداعية فى هذه المرحلة .

ومالم يستطع الداعية ، أن يكون صاحب رصيد فى هذا المجال ، فإن عمله أجدر ، ألا يدخل عليه تحسين أو تطوير ، بل ربما أصيب بالفشل .

وهذه القدرات على التحليل والتركيب والاستنتاج ، بحاجة إلى قدر كبير من الذكاء ، وبعد النظر ، واستشفاف الأحداث ، وكل ذلك محسوب فى أهلية الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، إذا أردنا للعمل أن يتم على وجهه ، بحيث يرضى الله سبحانه .

---

(١) سبق أن شرحنا المدلول العلمى لكل من التحليل والتركيب ونحن نتحدث عن مجموعة الصفات العلمية فى الداعية فى هذه المرحلة .

إن هذه المرحلة تحتاج إلى دعاة من نمط خاص ، من الناحية العملية فوق الأهلية الخلقية والعلمية ، التى أشرنا إلى مفرداتها آنفا ، والذى نحب أن نؤكده هنا : **هو أن لا شيء مما قلنا مبالغ فيه ، وإذا كانت بعض الأمور تقاس أحيانا بحصائلها ونتائجها ، فليس فى مراحل الدعوة إلى الله مرحلة من حيث الخصائص والنتائج ، أهم من مرحلة البناء والتكوين ، فمهما نقل فى أهلية الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، فإن ذلك من متطلبات المرحلة نفسها ، ولا يجوز لنا أن نتساهل فى شيء منها ، مادمنا نريد للعمل الإسلامى ، أن يتم على وجهه ، وأن يبلغ أهدافه .**

المجموعة الرابعة : الصفات القيادية :

القيادة هى التى تمكن الجماعة أى جماعة ، من أن تعين أو تحدد أهدافها ، واتجاهها ، وسلوكها ، وجهودها ، بل هى التى تستطيع بكفاءة أن تتعامل مع الأفراد ، وتؤثر فى سلوكهم ، وتوجهه نحو هدف مشترك ، فى ظل الاحترام ، والثقة ، والطاعة ، وفى إطار التعاون ، والتناصح ، والإقبال على العمل .

وما دامت القيادة كذلك ــ بصفة عامة ، وفى كل تجمع بشرى ــ فإنها فى مجال العمل الإسلامى ، قيادة تقوم على القيم الأخلاقية الفاضلة ، والتعامل الإسلامى المحسوب ، بين القائد ومن يقود ، بحيث تسيطر على هذا التعامل ، الرحمة ، والشفقة ، والتكليف بما هو فى حدود الطاقة ، والتشاور فى العمل ، وكما قال داعية العصر الحديث الإمام البنا عن القيادة فى جماعة الإخوان المسلمين : للقيادة فى دعوة الإخوان :

حق الوالد بالرابطة القلبية ،

والأستاذ بالإفادة العلمية ،

والشيخ بالتربية الروحية ،

والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة (١) .

وعلينا الآن أن نتساءل قائلين ؟

ماأهم الصفات القيادية التى يجب أن تتوفر فى الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ؟

---

(١) رسالة التعاليم : الركن العاشر ركن الثقة .

إن أبرز هذه الصفات فى تصورى ، هى مايلى :

١ ــ القدرة على قيادة الآخرين :

وهى صفة هامة ، ولكنها قد تبدو لغير المدققين سهلة المنال ، غير أنها عند التحقيق والتدقيق ، نجدها تتطلب صفات فى الداعية ، بدونها لا يستطيع أن يقود غيره من الناس .

وهذه الصفات التى تمكنه من قيادة غيره هى مايلى :

أ ــ الفهم الدقيق لطبيعة العمل الذى يقوم به الداعية فى هذه المرحلة ، والمعرفة الوثيقة بالوظائف التى يجب أن يقوم بها الأفراد فى هذا العمل .

ب ــ الإخلاص فى العمل والإخلاص للأفراد ، والإخلاص لمتطلبات المرحلة إخلاصا يقصد به وجه الله تعالى .

جـ ــ القدرة على حسن توزيع العمل على الأفراد ، بعد معرفة دقيقة للأفراد وقدراتهم وإمكاناتهم ، فى ضوء ذاك المبدأ الإسلامى العظيم : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾[1] وبجواره مبدأ : الإحسان أى الإجادة والإتقان لكل عمل يقوم به الإنسان المسلم .

د ــ الحنو والعطف ــ لا التدليل ــ على من يقودهم ، إلى الحد الذى يجعل القائد فى خدمة من يقود ، يحمل عنهم مالا يطيقون ، ويعينهم فيما يطيقون ، يقـوم بذلك حبًّـا لهم ، وحدبا عليهم ، فتلك هى الأخوة الإسلامية التى تربط بين القائد ومن يقود .

هـ ــ القدرة على الحسم ، واتخاذ القرار المناسب ، فى الوقت المناسب والظرف المواتى دون خشونة أو حدة ، وإنما تصحب القرار بسمة حانية معها الإصرار على ضرورة التنفيذ .

و ــ أن يكون الأخذ بمبدأ الشورى خلقا أصيلا فى الداعية إلى الله ، لأن الشورى من صفات المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى بها ، بين صفات أخرى فاضلة ، إذ مدح الله سبحانه عباده بالإيمان بالله ، والتوكل على الله ، واجتناب الإثم والفواحش ، والتسامح ، وسرعة الاستجابة للحق ، وإقام الصلاة ، وتلك ست صفات ، ثم مدحهم بأن أمرهم شورى بينهم ، ثم مدحهم بصفات ستة تالية

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

هى : الإنفاق فى سبيل الله ، وعدم السكوت على البغى ، والعفو ، والإصلاح ، والصبر ، والمغفرة .

هذا شأن الشورى فى الإسلام ، كواسطة العقد بين صفات ستة تسبقها وصفات ستة تلحق بها ، وقد ورد ذلك كله فى سورة الشورى ابتداء من قوله تعالى : ﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ [1] الداعية إلى الله مطالب بالأخذ بمبدأ الشورى ، فى كل عمل يقوم به ، من أجل الإسلام .

ز — حسن التعهد والرعاية لمن يقودهم ، بحيث يرعاهم ويرعى طاقاتهم وإمكاناتهم ينميها ويوجهها ويوظفها ، يتعهدهم فى ذلك كله ، ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وله عليهم حق الوالد ، وحق الأستاذ ، وحق الشيخ ، وحق القائد ، مادام يؤدى عمله هذا بالإخلاص ، والفهم المطلوبين من المربى ، الذى يعد ويقود .

تلك صورة مجملة للصفات ، التى يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله ، حتى يستطيع أن يقود غيره من الناس فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل الدعوة .

٢ ـ القدرة على جمع الصفوف :

وتلك من أبرز صفات الداعية فى هذه المرحلة ، وقد يقال : إن الصفوف التى يعمل فيها الداعية فى هذه المرحلة ، مجمّعة ومنظمة ، لا تحتاج إلى تجميع ، ولكن تلك مقولة غير متعمقة ، بل غير دقيقة ، وذلك أن تجميع الصفوف للعمل الإسلامى عمل مستمر فى كل مرحلة ، وبعد كل مرحلة وقبل كل مرحلة .

والداعية الذى لا يستطيع أن يجمع صفوفا للعمل الإسلامى المناسب لتلك الصفوف التى جمعها ، يعد داعية ناقص الأهلية ؛ لأن هذه الصفوف المجمعة بجهد الدعاة إلى الله ، لها أماكن ومكانات هامة فى العمل الإسلامى كله ، على النحو الذى نوضحه فيما يلى :

أ — هذه الصفوف المجمعة ، رافد جياش ، يمد مراحل الدعوة كلها ، بحاجتها من الكفاءات البشرية على المستوى المطلوب من هذه الكفاءات .

(١) سورة الشورى : ٣٦ ـ ٤٣ .

وهذا مكان هام فى الدعوة لتلك الصفوف .

ب ــ وهذه الصفوف المجمعة ، رصيد حي للدعوة ينتظر إشارة ، ليخف إلى إكمال نقص ، أو سد ثغرة ربما لا يقوم بها ، إلا هذا النوع من الصفوف المجمعة ، من أبناء هذه المرحلة .

وذاك مكان ثان لهذه الصفوف .

جـ ــ وهذه الصفوف المجمعة قد تطالب ــ بل هى مطالبة ــ بأن تقوم بعمل للإسلام ، لا يستطيع المنتمون إلى مراحل الدعوة المتعددة ، القيام به لسبب أو لآخر ــ من ضرورة المحافظة على تشكيلات بعينها ــ مع أهمية هذا العمل المطلوب .

وذاك مكان ثالث لهذه الصفوف .

أما مكانة هذه الصفوف المجمعة ، فتبدو فى أنها احتياطى بشرى ، للعمل الإسلامى يعين ويظاهر ، ويجعل الحجم أكبر عند الحاجة إلى حجم كبير ، ويجعل العدد أكثر عند الحاجة إلى جمع غفير ، وكل تلك متطلبات لهذه المرحلة بالذات ، ثم هى متطلبات لكل مرحلة .

فكيف يستطيع الداعية أن يجمع الصفوف ؟

إنه لن يتمكن من ذلك ، إلا إذا توفرت فيه الصفات التالية :

أ ــ أن يكون قادرا على جذب الناس إليه ، بحسن خلقه ، ومافيه من رغبة فى حب الناس ، وحب خدمتهم ، وحب الخير بصفة عامة ، وما يتصف به من كرم وبذل وتضحية .

ب ــ أن يكون من أهل الصلاح والعلم والتفقه فى الدين ، ليستطيع أن يجمع من أهل الصلاح والعلم ، وحب التفقه فى الدين ، من ينجذبون إلى هذه الصفات .

جـ ــ أن يكون اجتماعيا بطبعه ، يحب مخالطة الناس ومعايشة ظروفهم ، وتفهم ما يحيط بهم ، وعنده استعداد لبذل أقصى جهده ، لجعل هذه الظروف أحسن .

د ــ أن يكون واسع الثقافة ، يستطيع أن يكلم كل مجموعة من الناس ، باللغة التى تلائمهم ، ومن دائرة الاهتمام التى ينجذبون إليها .

هـ ــ أن يكون قادرا على تعهد كل مجموعة من الناس تعهدا يملأ لهذه المجموعة فراغها ، ويحقق لها مطالبها المقبولة المشروعة .

وتجميع الصفوف ، من صميم عمل الداعية إلى الله ، فى هذه المرحلة ، فهو بذلك يدعم عمله فى هذه المرحلة ، وفى المراحل الأخرى ، بل يدعم عمله الآن ، وعمله فى المستقبل ، والعمل الإسلامى بوجه عام وفى كل مجال .

٣ ـــ أن يكون قادرا على تذويب الخلافات :

وكل عمل إنسانى جماعى يحتمل فيه الخلاف بين العاملين ، بل يكاد يكون هذا الخلاف بين العاملين من طبيعة العمل نفسه ، فلا مناص للداعية فى هذه المرحلة من أن يتوقع خلافا بين الأفراد الذين يشرف على ترتيبهم وإعدادهم ، وفى الغالب يكون هذا الخلاف ، نتيجة لاجتهادات ورؤى لا نصوص فيها تلزم الناس برأى معين .

وهذا الخلاف ظاهرة صحية ماينبغى أن يضيق بها الداعية فى هذه المرحلة لأنها تنبىء عن اهتمام وإيجابية وذهن متفتح ، وإنما عليه أن يحيط بهذه الخلافات ويحاصرها بغير تعنت حتى لا تخرج عن دائرة الاجتهاد فيما لا نص فيه .

ولكن الخلافات فى تجمع غير متفقه فى الدين ، قد تكون مصدر تعويق للعمل ، أو مصدر تخذيل للعاملين ، وهنا يكمن الخطر ، وهنا يبرز أثر الداعية إلى الله ، وتستبين قدرته على تذويب هذه الخلافات ، ووضعها فى حجمها الصحيح ، ومنعها من التأثير فى إيجابية العمل وفاعليته ، بحيث لا تؤدى إلى تعويق ولا إلى تخذيل .

فكيف يستطيع الداعية أن يذيب هذه الخلافات ، ويقضى على آثارها السيئة ؟

إنه لن يستطيع ذلك ، إلا إذا كان متصفا بصفات معينة نعد من أبرزها ما يلى

أ ـــ المعرفة الجيدة والإحاطة التامة بموضوع الخلاف ، وبأبعاده التى وصل إليها ، ومحاولة حصره فى أضيق نطاق ، ومحاولة عزله عن أن يختلط بموضوعات أخرى .

ب ـــ التعرف الهادئ المستأنى لوجهة نظر كل طرف من أطراف الخلاف ، وتقبل هذه الوجهات كلها فى بادئ الأمر ، بل احترام أصحابها ، مع ضرورة التعرف على الأسباب التى أدت إلى تكوين وجهة نظر كل طرف فى موضوع بعينه .

ثم العمل على إزالة الأسباب ، والتقريب بين الوجهات أولا ، ثم توحيدها بإزالة الخلاف بعد ذلك .

جـ ـــ تناول الموضوع الذى دب حوله الخلاف بحيادية وموضوعية ، وتكوين وجهة نظر خاصة بالداعية ، مبنية على دقة التحليل ، وصواب الاستنتاج .

ثم دعوة أطراف الخلاف إلى التفكير والتدبر فيما ذهب إليه الداعية من رأى ، مع وضع أيديهم على أسلوب التحليل والاستنتاج ، وتقديم كافة الأدلة والبراهين ، التى دعمت ماذهب إليه الداعية من رأى أو اجتهاد ، حتى يصل بالأطراف جميعا إلى حد الاقتناع .

د ــ إذا كان الصواب الذى وصل إليه الداعية فى الموضوع ، هو نفس رأى أحد أطراف الخلاف ، فعليه أن يكون رفيقا بسائر الأطراف التى اجتهدت فأخطأت ، وألا يقع فى مأزق نصر فريق على فريق ، وإنما يكون رائده نصر الحق الذى تبين له ، والترحيب والدعاء للطرف الذى اجتهد فأخطأ ، لأنه مأجور عند الله سبحانه بأجر واحد ، بينما يؤجر من اجتهد فأصاب بأجرين .

هـ ــ تلقى أى تعقيبات أو تعليقات على وجهة النظر التى قدمها الداعية ، وتقبل هذه وتلك ؛ لإثراء معنى الشورى الإسلامية من جانب ؛ ولتدريب أصحاب وجهات النظر المختلفة على الحوار الهادف البناء ، الذى يستهدف إحقاق الحق ، وللتأكيد على أن من أهم أخلاقيات المسلمين ، احترام الرأى الآخر من جانب آخر .

و ــ محاولة الوصول إلى رأى يحظى بالإجماع ، أو بما هو قريب من الإجماع بأخذ الآراء والأصوات ، ومحاولة صياغة ذلك ، بالأسلوب الذى لا يفضى ، إلى تخطئة فريق من الناس ، اجتهد فأخطأ ، ولا يجامل فريقا اجتهد فأصاب ، لأن كلا الفريقين مأجور عند الله تعالى .

قدرة الداعية على ذلك بحذافيره ، شرط أساسى ، وصفة يجب أن تكون واضحة فى الداعية القادر على تذويب الخلاف بين العاملين .

ز ــ أن يكون الداعية فى هذه المرحلة ــ كما سبق أن أوضحنا آنفا ــ من أهل العلم والتفقه فى الدين والثقافة الواسعة ، ومن أهل الخبرة والسابقة فى العمل الإسلامى ، كل تلك شروط أو صفات ، فرغنا من الحديث عنها ، ونحن نتكلم عن أهلية الدعاة فى هذه المرحلة ، ونؤكد هنا : أن هذه الصفات ضرورية ، لإعطاء الداعية قدرة على تذويب الخلاف ، أو منع تأثير هذا الخلاف ، من الإضرار بالعمل الإسلامى أو تعويقه .

ح ــ أن يطلع الداعية قيادته على موضوع الخلاف ، إن كان من الموضوعات الهامة فى سياسة الجماعة ، أو عندما يعجز الداعية عن إيجاد البديل الذى يقرب وجهات

النظر ، أو الحلول القادرة على إذابة الخلاف ، وتلك من أبرز صفات الجندية والطاعة فى الداعية فى هذه المرحلة .

ط ـــ ليس للداعية فى مجال الخلاف فى الرأى ، أن يمنع هذا الخلاف بقرار ، مهما يكن شأن القرار ، ومهما تكن مبرراته ، لأن أدب المنتمين إلى هذه المرحلة قد يحملهم على قبول القرار ، لكن ذلك ليس حلاً للقضية ، ولا تذويباً للخلاف ؛ إذ يظل هذا الخلاف ـــ على الرغم من القرار ـــ كامناً فى نفوس أصحاب الاجتهاد ، ثم يتحين هذا الخلاف أى فرصة ، ليطفو على السطح من جديد ؛ لأن القرار قد خف ضغطه على المجتهدين ، بتقادم الزمن أو بالنسيان ، فضلاً عن أن الحل بهذا الأسلوب ، يحرم الأفراد من متعة الحوار والشورى ، ويحرم العمل الإسلامى نفسه من أصحاب الرأى والاجتهاد .

والعلاج الجذرى للخلاف ، إنما يكون بالدراسة والحوار والشورى ؛ لأن ذلك هو الأسلوب ، الذى يربى رجالاً ، أصحاب رأى واجتهاد .

إن إصدار القرار فى مثل هذه المواقف ، يعد من أخطاء الدعاة ، وغفلتهم عن أهدافهم التربوية ، إذ النتيجة الطبيعية للقرار الذى يحسم الخلاف فى الرأى هى : تحول بعض الأفراد إلى أتباع ينصاعون للقرار ، وهم غير مقتنعين ، والتربية الإسلامية تستهدف دائماً ، تكوين الرجال الأنداد لا الأتباع .

٤ ـــ القدرة على مواكبة المتغيرات :

الداعية الراشد المتفقه ، هو الذى يدرك أن الأمور من حوله فى تغير مستمر ، وأن اليوم بالضرورة غير الأمس ، والغد غير اليوم ، وأن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية تتغير باستمرار ، وتحدث فيها مستجدات ومستحدثات ، وأن ذلك كله ينعكس على الناس ، فيغير من أفكارهم وثقافتهم وسلوكهم وأخلاقهم .

والعمل الإسلامى كله ـــ على أى صعيد ـــ خاضع لهذه الظروف والمتغيرات ، وبخاصة فى الأمور التى لا تتصل بالعقيدة والعبادة فى الإسلام ، أما ما عدا ذلك من معاملات بين الناس ، وعادات وأعراف ، فهو خاضع لهذه المتغيرات ، متأثر بها فى أغلب الأحيان .

بل إن العمل الإسلامى فى ظل ما يحيط به ـــ دائماً ـــ من تيارات موالية أو معادية ،

قابل باستمرار لكثير من التغيير .

ومادام الأمر كذلك ، فإن الداعية الإسلامى مطالب بأن يكون ذا قدرة على رصد هذه المتغيرات ، ومواكبتها بعقل مرن ، وذهن متفتح ، ورغبة أكيدة ، فى الاستفادة من الموقف ، بل توظيفه لصالح العمل الإسلامى .

فكيف يستطيع الداعية فى هذه المرحلة ، مواكبة هذه المتغيرات ، ومواجهتها بالأسلوب الإسلامى الملائم ؟

إن ذلك يتطلب أموراً أولية وضرورية ، على الداعية أن يجيد القيام بها ، وأن يؤديها على أكمل وجه .

وتلك الأمور هى ما يلى :

أ ــ دراسة هذا المتغير ، دراسة مستأنية ، لمعرفة الأسباب التى أدت إليه أولاً ، ثم التعرف على أهداف هذا التغيير ثانياً .

ب ــ مناقشة كل سبب أدى إلى التغيير ، مناقشة موضوعية ، وذاك جزء رئيسى من التحليل ، الذى يجيده الداعية فى هذه المرحلة .

جـ ــ مناقشة كل هدف من أهداف التغيير ، والتعرف على مدى ملاءمة هذا الهدف للعمل الإسلامى ، أو تحديه له ، تمهيداً لاتخاذ موقف منه .

د ــ التأكد من طبيعة التغيير ، وهل فى الإمكان توظيفه لصالح العمل الإسلامى ؟ أم لابد من مقاومته ؛ لما يمثله من تعويق للعمل الإسلامى ، أو إفساد له ، أو جعله ينحرف عن هدفه ؟ .

هـ ــ المقارنة الدقيقة بين هذا المتغير ، وبين ما كان عليه الموقف قبل التغيير ، للاستهداء بهذه المقارنة ، فى اتخاذ موقف من هذا المتغير .

و ــ النظر فى هذه المتغيرات والمستجدات بموضوعية ومرونة ، لاتخاذ أحد المواقف التالية منها ، وتلك المواقف هى :

أولاً : موقف القبول بهذه المتغيرات ؛ لأنها تحقق إحدى مصالح العمل الإسلامى .

ثانياً : موقف التعديل لهذه المتغيرات ، حتى تلائم طبيعة العمل الإسلامى .

ثالثاً : موقف الرفض لهذه المتغيرات ، إذا كانت تتناول تغييرا للعقائد أو

العبادات ، أو ما هو مقرر ثابت من أمور الدين ، كالأخلاق التى جاء بها الإسلام ، وكثير من المعاملات التى وردت فيها نصوص إسلامية .

والداعية فى كل ذلك ، إنما يستعين بإخوانه يستشيرهم ، ويستهدى بآرائهم ، ويفيد من تجاربهم فى التحليل والتركيب والاستنتاج ، كما أن على الداعية أن يستشير قيادته فى الموقف الذى اختاره ، ليتخذه أسلوباً فى مواجهة هذه المتغيرات .

وفى ذلك الذى يقوم به الداعية ، فوائد جمة للعمل الإسلامى ، ليس أهمها ، سلامة القرار ، وإنما المهم فيها كذلك ، أنها تعكس الممارسة الحقيقية للأخذ بمبدأ الشورى ، وما يؤدى إليه ذلك ، من إنضاج الأفراد ، وإجادة تكوينهم ، كما تعكس ضرورة الجماعية ، فى اتخاذ أى قرار فى العمل الإسلامى .

وكل ذلك من شأنه أن يصقل الداعية والأفراد الذين معه ، بل يصقل القيادة نفسها ، بكثرة ما تحيط به من معلومات عن العمل الإسلامى كله ، لأن القيادة التى لا تحيط بالعمل هذه الإحاطة ، سريعاً ما تجد نفسها معزولة عن العمل والأفراد جميعاً ، فلا تلبث أن تفقد أهم صفاتها ، وهى ضرورة متابعة العمل والأفراد ، فى كل مجال من مجالات العمل .

٥ ــ أن يكون الداعية قادراً على الترشيح :

الداعية المتكامل البناء ، المستوعب لصفات القيادة فى العمل الإسلامى ، لابد أن تكون لديه القدرة على ترشيح عدد من الأفراد الذين يشرف على تكوينهم وتربيتهم ، للقيام بأحد الأعمال التالية :

أ ــ عمل أكثر أهمية من العمل الذى يقوم به الفرد حالياً .

ب ــ عمل أكثر احتياجاً إلى صفات بعينها ، وجدها الداعية متوفرة فى أحد الأفراد الذين يشرف عليهم .

جـ ــ عمل قيادى فى أى مجال من مجالات العمل الإسلامى ، يتطلب أهلية معينة فيمن يقوم به ، ويكون الداعية قد رأى هذه الأهلية متحققة فى بعض الأفراد الذين يشرف عليهم .

وما لم يمد الداعية قيادته بترشيح الأفراد الذين توفرت لديهم هذه الأهلية لتلك الأعمال ، فإن القيادة سوف تعجز الآن ، أو بعد حين ، عن أن توسد عملاً من

الأعمال ، لفرد مناسب لهذا العمل .

غير أن الداعية فى هذه المرحلة ، وهو يرشح لقيادته أفراداً ، للقيام بأعمال بعينها ، يجب أن يراعى بدقة الأمور التالية :

أ ــ أن يكون الداعية على علم مسبق ، باحتياج القيادة لرجال معينين ، للقيام بأعمال بعينها ، حتى لا يرشح من فراغ ، وهذا يتطلب أن تكون صلته بقيادته مستمرة ووثيقة .

ب ــ أن يحدد الداعية لنفسه نوع العمل الذى ترغب القيادة فى توسيده لبعض الأفراد ، حتى يبحث فى الأفراد ، عمن تتوفر فيه أهلية هذا العمل ، وهذا بدوره يتطلب أن يكون الداعية على علم بخريطة الاحتياجات التى تعدها القيادة ما بين حين وآخر .

جـ ــ أن يتعرف الداعية بدقة على أهم الصفات إن لم تكن كل الصفات ، التى يجب أن تتوفر فى المرشح لعمل بعينه ، وكثيرا ما تكون صفات هذه الأهلية محل تحديد دقيق ، بل اتفاق من لدن قيادة العمل الإسلامى ، فى كل مرحلة من مراحل الدعوة .

د ــ أن يقوم الداعية بترشيح من استوفى الشروط الأهلية لعمل ما ، لنفس العمل وفق المعايير التالية :

أولا : معيار الأهلية الروحية والخلقية .

ثانيا : معيار الأهلية العقلية والعلمية .

ثالثا : معيار الأهلية البدنية والصحية .

رابعا : معيار السابقة والخبرة .

خامسا : معيار نضج الشخصية عموما .

هـ ــ أن يخطر الداعية بهذا الترشيح قيادته ، دون أن يخطر المرشّح نفسه ، حتى يعطى القيادة حقها وفرصتها فى قبول الترشيح ، أو الاعتراض عليه ، دون إحراج للمرشح ــ إذا رفض ــ وهذا أدب الإسلام فى التعامل مع العاملين جميعا .

و ــ أن يتعهد الداعية المرشح ، بمزيد من العناية والتوجيه فى مجال صلاحيته لهذا العمل ، الذى رشح له ، كأن يوصيه بقراءة لبعض البحوث والدراسات فى المجال الذى يرشح للعمل فيه ، أو يوصله بمن هو أكثر خبرة فى هذا المجال ، وعقد علاقة معه ، ليفيد منه ومن خبرته .

أو يحدثه هو عن هذا العمل ، ويسأله عن أهم الصفات ، التى يجب أن تتوفر فيمن يقوم به .

أو يطلب منه كتابة ورقة أو اثنتين ، عن الصفات التى يجب أن تتوفر ، فيمن يقوم بهذا العمل .

وكل ذلك من صميم التعهد والرعاية للمرشح ، حتى لا يفاجأ المرشح عند قبوله للعمل ، وإسناده له ، بأنه سيقوم بعمل غريب عنه ، ليست له به علاقة ، أو معرفة سابقة .

ز ـــ أن يخطر الداعية المرشح ـــ بعد قبول القيادة له ـــ بأنه قد رشح للعمل ، وأن يوضح له ـــ ما وسعه ذلك ـــ واجبات هذا العمل ، وشروطه ، وآدابه ، وأبعاده ، وأهميته فى مجال العمل ، من أجل الإسلام .

وأن يدعو الله له بالتوفيق والسداد .

٦ ـــ القدرة على التوريث :

ونعنى بهذه القدرة أن الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، تكون قد توفرت له الأهلية ، والشروط ، والصفات التى تحدثنا عنها ، الخلقية ، والعلمية ، والعملية ، والقيادية ، وكان ذلك كله بفضل الله ، ثم بفضل انتمائه للعمل الإسلامي ، وإيمانه بالعمل الجماعى ، وبفقهه الجيد لطبيعة العمل الإسلامى ، ولطبيعة المرحلة .

والآن نتحدث عن أهم صفة من صفاته القيادية وهى :

أن تكون لديه قدرة على نقل هذه الصفات والخبرات ، التى أفادها من العمل الإسلامى ، إلى الذين يشرف عليهم ، ويعدهم فى هذه المرحلة ، وتوريثها لهم ، كما يورث المال والمتاع ، فتلك أمانة عمل ، يجب أن يؤديها الداعية لمن وراءه من أجيال العمل الإسلامى ، كما أنها من صميم أعمال الدعوة والحركة والتنظيم .

ولابد أن نشير هنا إلى أن العمل الإسلامى ، بل العمل الإنسانى كله ، يزداد ثراء ، وقدرة ، كلما تواصلت أجياله ، وانتقلت عَبْرَه خبرة السابق للاحق ، وإلا فإن على اللاحق أن يبدأ من حيث بدأ السابق ، وهذا تضييع للجهد والوقت ، وتجميد للعمل فى مجال الدعوة الإسلامية .

إن على الداعية فى هذا المجال ، أن يورث صفاته وخبراته فى العمل الإسلامى ، فى مجالين اثنين :

الأول : مجال عامة الأفراد الذين يباشر تربيتهم وإعدادهم فى مرحلة التكوين . بمعنى أن ينقل إليهم جميعا ، وبغير استثناء ، خبرته وكل ما أفاده فى مجال العمل من أجل الإسلام ، بالأسلوب الذى يراه ملائما لكل واحد منهم ؛

فمنهم من يتحدث إليه ويشرح له ،

ومنهم من يكتفى بتوجيهه إلى الصفة أو الخبرة ،

ومنهم من يجعلهم يشاركونه بعض العمل ،

ومنهم من يدرك أن القدوة وحدها ، سوف تنقل إليهم الصفات والخبرات .

المهم أن الداعية إلى الله فى هذا المجال ، لا يكف عن اتباع الأساليب التى يتمكن بها من نقل الخبرة إلى كل من معه من الأفراد ، ولا يهدأ ، حتى يطمئن إلى أن هذه الصفات والخبرات ، قد أصبحت ميراثا لهم .

والثانى : مجال خصوصية أفراد بعينهم بهذا التوريث ، بحيث يتوسم فى هؤلاء الأفراد الخاصين الذين يشرف على تربيتهم وإعدادهم ، استعدادا أكبر ، وقدرات أحسن ، فيتعهد هذا الفرد أو الأفراد بنقل خبرته إليهم فى جلسات خاصة ، وعلاقات خاصة باتباع الأسلوب الذى يراه مناسبا لهم مثل :

الجلسات الخاصة المكثفة ،

العلاقات الخاصة الحميمة ،

التكليف بأعمال بعينها ، تؤكد انتقال الخبرة إليه .

والمهم كذلك أن الداعية فى هذا المجال ، لا يعتبر نفسه قد أدى عمله ، حتى ينقل خبرته إلى فرد أو أكثر فى هذا المجال ممن يشرف على إعدادهم وتكوينهم .

إنها أمانة فى أعناق الدعاة فى هذه المرحلة ، أن يورثوا الآخرين ما أفادوه من خبرة فى مجال العمل الإسلامى ، وإن عليهم ألا يتريثوا فى هذين المجالين ، أو يتمهلوا ، وإنما هى المبادرة إلى ذلك ، قبل أن تبادرهم الآجال فيلقون ربهم ، وفى أعناقهم دين لم يؤدوه ، ويسألون بين يدى الله ــ لِمَ لَمْ تعلموا إخوانكم فى الدين ، ماعلمكم الله ، وما أنعم به

عليكم من خبرة ، فى مجال العمل من أجل الدعوة الإسلامية ؟

ولابد لنا أن ننبه هنا إلى أن مانقصده بالتوريث ، هو الخبرة والفقه ، والقدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج بالدرجة الأولى ، ثم ماوراء ذلك من علم ومعرفة وعمل ، بعد ذلك ، بمعنى أن توريث العلم ليس على قدر من الأهمية ، يساوى توريث الخبرة ، لأن العلم يتدارس ويستوعب بصورة فردية ، وله مصادره ومراجعه ، وربما لايتوارث منه إلا المنهج ، بل ربما يدرس المنهج ويستوعب دون حاجة إلى مورث ، أما الخبرة والتجربة فإنها لا تجدى فيها قراءة كتاب ، وإنما تنتقل من السابق إلى اللاحق ، عبر التوريث والنقل العملى .

إن الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، قد أفاء الله عليه من نعمه ؛ إذ أهله لحمل عبء هذا العمل الجليل ، فى تلك المرحلة الدقيقة ، وهو التربية والإعداد والتكوين ، فلا أقل من أن يشكر هذه النعمة ، بتوريث ما أفاء الله عليه من نعم إلى إخوانه ومشاركيه فى حمل أعباء العمل الإسلامى ، فتلك أخلاق الإسلام وآدابه ، وهذا واجب الداعية فى هذه المرحلة .

إن الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، قائد عمل إسلامى ، جليل القدر ، عالى المكانة ، فى مراحل الدعوة إلى الله ، وإن القائد الذى لا ينقل خبرته إلى من يقود ، لا يستطيع أن يجد فى المستقبل من الأفراد الذين يشرف عليهم ، من يرشحه لعمل قيادى ، أو لعمل أكثر أهمية ، ومعنى ذلك ببساطة أن هذا القائد يشعر بعد قليل ، بأنه عقيم لا يستطيع أن يعد رجالا قادرين على القيادة ، وإنما يعد أتباعا ضعافا ، لا يستطيعون أن يرتفعوا إلى مستوى أى حدث يحيط بهم ، وإنما يرتبكون فى انتظار أمر القائد ورأيه ، وليس هذا بمقبول فى عرف العمل الإسلامى ، بل هو غير مقبول فى عرف أى عمل .

وبعد : فتلك أبرز الصفات التى توفر الأهلية فى الدعاة إلى الله الذين يقودون العمل الإسلامى فى هذه المرحلة الهامة من مراحل الدعوة إلى الله .

لقد كانت هذه الصفات والشروط وما تزال وستظل ، هى التى تعطى الأهلية ، لقيادة العمل الإسلامى ، فى مرحلة التكوين .

٣ ــ أهلية المدعوين فى هذه المرحلة :

سبق أن قلنا فى مرحلة التعريف : إن أهلية المدعوين فيها هى : الصلاح ،

والرغبة فى العمل للإسلام ،

والرغبة فى الانتماء والالتزام بالإسلام ،

والقدرة على احترام المبادئ العامة والنظم فى الجماعة التى يعمل فيها ،

والاستعداد لقدر من الطاعة يمكن من أداء العمل .

أما فى هذه المرحلة مرحلة التكوين ، فالأمر يختلف كثيرا ، والصفات التى تؤهل المدعوين لهذه المرحلة عديدة ومختلفة عن تلك الصفات التى ذكرنا هناك ؛ ولذلك فسوف نقسم هذه الصفات إلى مجموعات : خلقية ، وعلمية ، وعملية ، على النحو التالى :

أولا : الصفات الخلقية :

ونعنى بها ما كانت صفات ثابتة فى المدعو قلما تفارقه ، ويدخل فيها كثير من الصفات النفسية ، وهى أهم المجموعات وأوسعها ؛ لأنها هى التى يقوم عليها بناء الشخصية .

ومن أبرز هذه الصفات الخلقية النفسية مايلى :

أ ـــ التقوى والخشوع :

والتقوى : هى جعل النفس فى وقاية مما يخاف .

وفى الشريعة : هى حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، وما يتم ذلك ؛ إلا بترك بعض المباحات ، لقول الرسول ﷺ : « إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ... » متفق عليه .

وروى الترمذى بسنده ، عن الحسن بن على ، رضى الله عنهما ، قال : حفظت من رسول الله ﷺ : « دع مايريبك إلى مالا يريبك » .

وروى الترمذى أيضا بسنده ، عن عطية بن عروة السعدى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع مالا بأس به ، حذرا مما به بأس » .

والتقوى لها معان متعددة ؛

فهى فى الطاعة تعنى الإخلاص فيها .

وفى المعصية تعنى الترك والحذر .

وعموما هى المحافظة على آداب الشريعة، ومجانبة كل ما من شأنه أن يبعد الإنسان عن

الله .

ومن أحسن ما قيل فيها : إنها الاقتداء بالنبى ﷺ ، قولا وفعلا .

والتقوى بكل هذه المعانى ، صفة مطلوبة من المدعو فى هذه المرحلة ، وشرط مؤهل للدخول فيها ، بل هى أولى الصفات الخلقية فى مرحلة التكوين ، بحيث لا يجوز التساهل فيها .

أما الخشوع : فهو الخضوع لله سبحانه ، والذل له .

وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح .

وفى الحديث النبوى أن رسول الله ﷺ ، عندما رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة ، قال : « إن هذا لو خشع قلبه ـــ أو ضرعَ ـــ لخشعت جوارحه » .

والخشوع محله القلب ، وثمرته على الجوارح .

والخشوع انقياد للحق .

ومن علامات الخشوع ، أن العبد إذا خولف ورُد عليه بالحق ، استقبل ذلك بالقبول والانقياد .

وقد قيل : الخشوع : حسن أدب الظاهر ، وعنوان أدب الباطن .

وليس من الخشوع ، خشوع البدن والتماوت ، وطأطأة الرأس ، فقد روى عن عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، أنها رأت شبابا يمشون متماوتين فى مشيتهم ، فقالت لأصحابها : من هؤلاء ؟ فقالوا : نُسَّاك ، فقالت : كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا أطعم أشبع ، وكان هو الناسك حقا » .

ومن مجموع التقوى والخشوع ، يكون الانضباط فى الخلق ، وفى السلوك ، وفى القول ، وفى العمل ، كل ذلك خوفا من الله ، وخضوعا لما أمر به ، ونهى عنه .

والداخل فى هذه المرحلة ، لابد له من صفتى التقوى والخشوع معا ، ولا يكفيه هنا مجرد الصلاح ، الذى تحدثنا عنه فى مرحلة التعريف ؛ لأن هذه المرحلة أدق ، وأدخل فى الدرجات العالية ، فى مجال العمل الإسلامى .

ب ـــ رياضة النفس على الصدق والإخلاص :

وإنما سَمَّيْتُ هذه الصفة الخلقية ، رياضة للنفس ، لأنها شاقة عليها ، تحول بينها

كثيرة ، فكان التحلى بها غير مستطاع ، إلا بعد رياضة وترويض .

والمراد بالصدق الذى تراض النفس عليه ، مايلى :

الصدق فى القول ،
والصدق فى العمل ،
والصدق فى الانتماء ،
والصدق فى الالتزام ،
والصدق مع النفس ،
والصدق مع الناس فى التعامل ،
والصدق فى الصبر على متطلبات العمل الإسلامى ، وأعبائه .

وكل هذه الأنواع من الصدق ، لا تراض النفس عليها ، إلا بعد رياضتها على الصدق بمعنى طاعته .

والمراد بالإخلاص ، الذى تراض عليه النفس ، فى هذه المرحلة ، ما يلى :

الإخلاص فى القول ،
والإخلاص فى العمل ،
والإخلاص فى الانتماء للإسلام ،
والإخلاص فى الالتزام بالإسلام ،
والإخلاص فى التعامل من النفس ،
والإخلاص فى التعامل مع الناس ،
والإخلاص فى تحمل أعباء العمل فى هذه المرحلة ،

وهذا الإخلاص لا يتوفر إلا إذا كان المقصود هو وجه الله وابتغاء مرضاته فيما يأتى الإنسان وما يدع .

وهذه الرياضة على الصدق والإخلاص ، تتطلب من المدعو فى هذه المرحلة أدبا معينا ، يجب أن يتحلى به ، ويتمثل به ، ويتمثل هذا الأدب فيما يلى :

١ — قبول الصدق ، والانقياد له ، دون اعتراض فى القول ، أو الفعل ، أو الترك .

— قبول الحق ممن يعرضه عليه — أيا كان من يعرضه — بحيث لا يمنعه من قبوله مانع .

٣ ـــ تهذيب الخلق وإصلاحه ، ووزنه بميزان الإسلام ، وما ألزمت به الشريعة من معايير فى مجالات الأمر والنهى والاستحباب والكراهة .

٤ ـــ تصفية الأقوال والأفعال من كل شائبة ، بحيث لا يقصد إلا وجه الله وابتغاء مرضاته .

٥ ـــ إعطاء الله حقه وما فرض ، دون انتقاص ، أو تساهل ، أو تكاسل .

٦ ـــ إعطاء الناس مافرض الله لهم من حقوق ، دون انتقاص أو تراخ أو كزازة ، بل الأصل فى المدعو فى هذه المرحلة ، أن يعطى أكثر مما عليه فى حدود استطاعته وإمكانيته .

جـ ـــ الطمأنينة :

وهى السكون الذى يغذيه الأمن الصحيح ، والأمن زوال الخوف من غير الله سبحانه .

والنفس المطمئنة : هى التى لا تصير أمارة بالسوء ، بل هى التى تحصل على الطمأنينة ، بذكر الله ، ومعرفته ، والإكثار من عبادته قال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ (١) .

وتلك درجة أساسية من الطمأنينة ، يترتب عليها اطمئنان الإنسان إلى ربه ، وإلى قضائه وقدره ، وتقبل كل مايجرى على الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ، من حلو ومر .

وهذه الطمأنينة تنفى عن الإنسان آفات كثيرة ، تضر بالعمل الإسلامى وبالقائمين عليه ، وهذه الآفات ، نذكر منها ، مايلى :

١ ـــ **الخوف من غير الله** ، فتلك آفة تفتك بالعامل وبالعمل ـــ بأن يتصور أن واحدا من الناس ، كائنا من يكون ، سوف يصيبه بضرر أو شر ، لم يكتبه الله عليه ، والطمأنينة وحدها ، هى التى تبدد هذا الخوف ، وتزرع فى القلب والعقل تلك الحقيقة الخالدة ، وهى قول الرسول ﷺ : « ... واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » وقوله ، صلوات الله عليه وسلامه : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت

(١) سورة الرعد : ٥٨

الأقلام ، وجفت الصحف » [1] .

٢ ــ **اختلال المقاييس** ، لأن المطمئن إلى الله لا تختل عليه المقاييس أبدا ، فمهما قال الغافلون من الناس : إن المقاييس الدقيقة ، هى مقاييس مادية دنيوية بمعنى : كم ربحت ماديا من هذا العمل ، وماذا خسرت ؟ وكم أصبت من جاه وسلطان ، وأعراض الدنيا ، وكم جنبك هذا العمل من الضرر والشر ؟

مهما قالوا ذلك ، فإنها مقاييس الغافلين ، لأنها تغفل جانب تلك الحقيقة الخالدة « ماأصابك لم يكن ليخطئك ، وماأخطأك لم يكن ليصيبك » .

والمقياس الصحيح الذى يلجأ إليه المطمئن بذكر الله ، هو مقياس الدنيا والآخرة ، أى المعاش والمعاد .

٣ ــ **اختلال الفهم أو الفقه فى قضية «إيثار العافية»** ، فكثير من الغافلين ــ كذلك ــ يحبون أن ينفضوا أيديهم من كل عمل ، خشية كذا وكذا ، وإيثارا للسلامة والعافية ، وتلك غفلة ، تحرم العمل الإسلامى من عناصره ، وتحرم هذه العناصر من ثواب الله ورضاه ، فالعمل الإسلامى جماعى ، بطبيعته ومتطلباته ، شرعا وعقلا وعرفا ، فأى عمل فردى ، لايعود بالفائدة المرجوة على العمل الإسلامى ، إلا فى حدود ضيقة جدا .

ومعنى ذلك : أن الذين تختل لديهم المقاييس ، فيؤثرون العافية سلبيون مقصرون فى حق أنفسهم ، وفى حق دينهم ، وما يوجبه من عمل جماعى ، متخلون عن ركب العمل ، وموكب المطمئنين إلى الله ، المتفقهين الذين يدركون حقائق الأمور .

٤ **اختلال الفهم أو الفقه ، حول مفهوم الفتنة** ، التى يجب فيها على المسلم أن يعتزل الناس ، فإن كثيرا من الناس تضعف نفوسهم عند أول صدمة ، فيصيبهم الخوف والجزع ، ويزين لهم الشيطان أن المجتمع ملىء بالشرور والآثام ، وأن الناس فى معظمهم أشرار ، فيرون الحل هو : اعتزال الناس واعتزال المجتمع ، وذاك ضلال مابعده ضلال ، فإن المجتمع ــ أى مجتمع ــ فى العالم الإسلامى لن يكون من الشر والإثم ، على مثل ما كان عليه مجتمع الجاهلية ، الذى واجهه رسول الله

---

(١) رواه الترمذى .

ﷺ ، ومع ذلك فإن النبى ﷺ لم يعتزل الناس ، ولم يتوقف عن الدعوة إلى الله ، بل لم يتوقف عن الدعاء لهؤلاء الناس بالهدى والرشاد ، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة .

إن الطمأنينة وحدها ، هى التى تعدل هذه المقاييس ، وتجعل صاحبها أكثر فقها بالأمور ، وأكثر بصرا بما يجرى فى المجتمع الذى يعيش ، وأكثر معرفة بما يجب عليه أن يفعل ، وأكثر دقة بالتعرف على الظروف والملابسات ، التى تهيِّىء له أن يعرف ، أن هذه ظروف فتنة ، أم ليست كذلك .

د ــ الرجاء :

وهو الأمل وتعلق القلب بحصول ما هو محبوب ، أو هو ظن يقتضى حصول أمر فيه سرور وخير .

والرجاء ملازم للخوف ، قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ (١) .

والرجاء أعلى درجات الإيمان ، وهذه الدرجات هى :

الحب ،

والخوف ،

والرجاء ، على هذا الترتيب ، فهو أعلاها . قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (٢) .

ونعنى بصفة الرجاء هنا : **إحسان الظن بالله :**

روى الإمام مسلم بسنده ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ــ قبل موته بثلاث ــ : « لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه » (٣) .

وروى الإمام البخارى ، بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « يقول الله ــ عز وجل ــ أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ماشاء » (٤) .

---

(١) سورة الإسراء : ٥٧ . (٢) سورة الكهف : ١١١ . (٣) الإمام مسلم : صحيحه : أبواب الجنة .

(٤) الإمام البخارى : صحيحه : باب التوحيد .

والرجاء ليس اتكالا أو تواكلا ، وإنما يستوجب أن يصحبه ، بذل الجهد ، وحسن التوكل على الله ، فإن كان مع كسل ، فليس برجاء ، وإنما يكون تمنياً ، والتمنى حمق لا يصحبه عمل ، بينما الرجاء لا يكون إلا مع العمل ، والعمل لا يكون إلا مع الطاعة ، والطاعة التزام بكل ماأمر الله سبحانه به ، واجتناب لكل ما نهى الله عنه .

ومالم يكن ذلك كذلك ، فليس برجاء وإنما ــ والعياذ بالله ـــ غرور ناشيء عن غفلة ، وعن سوء إدراك .

والرجاء المطلوب من المنضمين إلى هذه المرحلة ، رجاء يقوم على دعائم ثلاث :

الأولى : العمل الصالح ،

والثانية : طاعة الله ،

والثالثة : حسن الظن بالله والثقة فى سعة رحمته ، سبحانه وتعالى .

والعمل الإسلامى فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، بل فى كل زمان ومكان ، محفوف بالمتاعب والمكاره ؛ لأنه العمل الذى يؤدى إلى الجنة ، والجنة كما ورد محفوفة بالمكاره ، كما أنه عمل محوط بالتحدى من كل صوب وحدب .

وكل عامل للإسلام عليه أن يدرك هذه الحقائق ، وأن يوطن نفسه على أن يواجه كل ذلك ، وأن يتحمل الأعباء والمشاق ، ولن يكون كذلك ، إلا إذا امتلأت نفسه بحب العمل والطاعة لله ، وكبر رجاؤه فى الله ، وأيقن أن الله سوف يعينه ويهيّيء له الأسباب ، ويقربه من النصر ، وتحقيق الأهداف .

فالرجاء هنا سلاح للعامل من أجل الإسلام ، يتسلح به ، ليستطيع مواصلة العمل ، وسط هذه المتاعب والمشاق ، ومع هذا التحدى المستمر له ولدينه .

فإذا لم يكن الرجاء فى الله ، فربما انسحب العامل من حقل العمل ، عند أول عارض يعرض له ، فضلا عن صدمة أو محنة تحول بينه وبين مايريد ، ولو حدث ذلك ، لا قدر الله ، فإن العمل الإسلامى يخسر فى كل آن نصيرا ، وفى كل مكان فرصة طيبة ، وفى كل بلد مسلم ميدانا ، وماذلك كله ، إلا لفقد الرجاء فى الله سبحانه .

إن التأهيل لهذه المرحلة ، مرحلة التكوين ، يقتضى من المدعو فى هذه المرحلة ، أن

يكون من أهل الرجاء فى الله ، والأمل فى نصره وتأييده .

وهذا هو الفارق الحاد بين الذين يعملون فى ظل منهج الإسلام ومبادئه ، وغيرهم من الناس ، ولقد أوضح القرآن الكريم ذلك الفارق الحاسم ، بين المؤمنين وغيرهم ، فى قوله تعالى : ﴿ **ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما** ﴾ (١) .

تلك هى الصفة الأخلاقية النفسية التى تؤهل المدعو إلى الانضمام إلى هذه المرحلة .

هـ ــ الحكمة :

وهى هنا صفة خلقية لا عقلية ، بمعنى إيثار الحكمة واتخاذها صفة أساسية فى ممارسة الحياة كلها ، والرغبة فيها ، وتفضيلها على العجلة والتسرع .

والحكمة هى إصابة الحق بالعلم والعقل ، وهى بهذا التعريف صفة عقلية ، ولكن كما أوضحنا آنفا ، نقصد بها أخلاقيا ، إيثار إصابة الحق بالعلم والعقل .

وهى صفة يؤتيها الله من يشاء من عباده ، فمن أوتيها من الناس ، فقد أوتى خيرا كثيرا ، قال الله تعالى : ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** ﴾ (٢) .

وقيل : الحكمة هى علم آيات القرآن وحكمه . وقال ابن عباس ، رضى الله عنه : الحكمة تعلم الحلال والحرام . وقال الحسن : هى الورع فى دين الله ، فكأنه فسر الحكمة بثمرتها ومقتضاها ، وهذا هو المنظور الأخلاقى ، الذى جعلنا نعدها من الصفات الأخلاقية .

وأجمع ماقيل فى الحكمة ، ما قاله مالك ومجاهد من أنها معرفة الحق ، والعمل به ، والإصابة فى القول والعمل ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن ، والفقه فى شرائع الإسلام ، وحقائق الإيمان .

والخلاصة التى نريد أن ننتهى إليها ، بعد هذه التعريفات هى : أن الحكمة هى فعل ما ينبغى ، على الوجه الذى ينبغى ، فى الوقت الذى ينبغى ــ وهى بهذا صفة خلقية ، وأكمل الخلق فى ذلك محمد ﷺ ، ولذلك امتن الله عليه ، وعلى أمته بما آتاهم من

(١) سورة النساء : ١٠٤ .
(٢) سورة البقرة . ٢٦٩ .

الحكمة قال الله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ [1] .

والحكمة بهذا المعنى يقوم عليها نظام الوجود كله ، وكل خلل فى الإنسان وما يتصل به فى حياته الدنيا ، فإنما بسببه التخلى عن الحكمة بهذا المعنى .

وأكمل الناس ـــ والكمال لله وحده ـــ نسبيا أوفرهم نصيبا من الحكمة بهذا المعنى .

وللحكمة بهذا المعنى : وهى فعل ماينبغى ، على الوجه الذى ينبغى ، فى الوقت الذى ينبغى ، **أركانه ثلاثة هى** :

العلم ،

والحلم ،

والأناة .

وآفاتها بهذا المعنى كذلك ، **ثلاثة أيضا هى** :

الجهل ،

والطيش ،

والعجلة .

وعلى المدعو فى هذه المرحلة ، الذى يريد أن يُربَّى ، ويُعَد ، ويُكوَّن فيها ، أن يتصف بالحكمة ، بهذا المعنى الذى خلصنا إليه ، وهو معنى أخلاقى ، فعليه أن يلزم نفسه بما يلى :

فعل ماينبغى ،

على الوجه الذى ينبغى ،

فى الوقت الذى ينبغى .

والمرحلة أحوج ما تكون بحكم متطلباتها ، إلى هذه الصفة فى كل من يدخل هذه

---

(١) سورة النساء : ١١٣ .

المرحلة ، فإن التزم بذلك ، فهو مؤهل لهذه المرحلة ، والمرحلة كفيلة — بإذن الله — بأن تزيده فى كل صفة من الصفات الأخلاقية ، التى اشترطت فيه عمقا ونضجا .

ومجال الترقى فى المدارج الأخلاقية واسع رحب ، وسلم عالٍ ، وبناء منيف ، والوصول إلى الغايات فيها ، أمل المخلصين لدينهم ودعوتهم ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

و — الحماس :

والحماس أو الحماسة هو : القوة والشجاعة ، وهو المطلوب لدينا فى هذا المجال الأخلاقى الذى نحن بصدده .

ومن معانى الحماس : التشدد فى الأمر والتصلب فيه ، وهو بهذا المعنى مرفوض أبدا ، وتأصيل رفضه شرعيا أن رسول الله ﷺ نهى عن التشدد والتعنت والتنطع ، فقد روى الإمام أبو داود بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم ، فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار ، رهبانية ابتدعوا ماكتبناها عليهم » (١) .

وروى الإمام البخارى بسنده : « لن يشاد الدين أحد ، إلا غلبه » (٢) .

وإنما نعنى بالحماس هنا : أخذ الأمور بجدية وقوة ونشاط وتجاوب ، وشجاعة فى مواجهة معوقات العمل الإسلامى .

وإن فقد الحماس بهذا المعنى فى العمل أى عمل ، يؤدى إلى الإبطاء والتوانى ، بل إلى الاتكالية وإلقاء التبعة على الآخرين ، كما يؤدى إلى السلبية والانعزال عن العمل .

وكل ذلك تضييع للفرص التى تثرى العمل ، وترشده ، وتصل به إلى هدفه من طريق لاحب (٣) ، بل ربما كان فى فقد الحماس ، تضييع للعمل نفسه ، فضلا عن العاملين ، وما يفقدون من صفات أساسية وجوهرية للنجاح .

كما نود أن ننبه إلى أن الحماس شيء ، والتعجل فى العمل ، وفى الوصول إلى النتائج بسرعة ، شيء آخر .

وأن الحماس شيء ، والتهور والجيشان غير المنضبط ، شيء آخر كذلك .

---

(١) الإمام أبو داود : سننه : باب الأدب . (٢) الامام البخارى : صحيحه : باب الإيمان .

(٣) لاحب : اللَّحْبُ : الطريق الواضح ، كاللاحب ، والمُلَحَّب ، كمُعَظَّم . (قاموس) .

فالتعجل لا ينضج ثمرة ، ولا يدنى من هدف ، والتهور يضيع الهدف ، ويخيب المسعى والعياذ بالله .

وللحماس الذى نعنيه ، كصفة أخلاقية تؤهل لمرحلة التكوين ، متطلبات أساسية ، لابد من الإشارة إلى أهمها ، على النحو التالى :

١ ـــ الإخلاص لله فى العمل ، وابتغاء وجهه .

٢ ـــ الصدق فى العمل ، ومراقبة الله تعالى فيه .

٣ ـــ الإيمان بضرورة العمل ، وأهميته بالنسبة للدين والدنيا ، وبالنسبة للدعوة فى مراحلها المتعددة .

٤ ـــ فهم العمل والمعرفة الدقيقة لأبعاده .

٥ ـــ حب العمل ، والإقبال عليه .

٦ ـــ النشاط فى العمل ، وهجر الكسل والتواكل .

٧ ـــ الشجاعة والقوة فى ممارسة العمل ، وفى مواجهة المعوقات ، التى تعترض طريق العمل ، دون خوف أو تردد ، مع العلم المسبق ، بأن المعوقات كثيرة ، وبأن المُعَوِّقين أقوياء ، وأن لهم من الحيل ، ما يحتاج إلى فطنة المؤمن وكياسته وحكمته وحماسته ، فى مواجهة هذه المعوقات .

ز ـــ الصبر :

وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع كلاهما ، أو ما يقتضيه كل منهما على حدة .

والصبر أنواع :

الأول : ما كان حبساً للنفس لمصيبة ، وضده : الجزع .

والثانى : حبس النفس فى نائبة مضجرة ، فهو رحابة الصدر ، وضده : الضجر .

والثالث : حبس النفس عن الكلام ، وهو الكتمان ، وضده : المذل أى عدم الكتمان .

وكل هذه الثلاثة سماها الله تعالى صبراً ، قال الله تعالى : ﴿ **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس** ﴾ [(١)] وقال : ﴿ **والصابرين على ما أصابهم** ﴾ [(٢)] ، وقال :

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ . (٢) سورة الحج : ٣٥

﴿ **والصابرين والصابرات** ﴾ (١) .

والصبر يكون بمعنى الانتظار ، وعدم التعجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ (٢) ، أى انتظر حكم ربك فيهم ، وقد حكم بأن يمهلهم ، فاصبر إلى ذلك الوقت فإنك محفوظ بعنايتنا ، قال تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾ (٣) .

وكل هذه المعانى للصبر ، مطالب بها كل مسلم .

ولكن من يريد أن يؤهل نفسه لمرحلة التكوين ، فإن عليه كل هذه الأنواع من الصبر ، وعليه من الصبر فوق ذلك ، كل ما تقتضيه طبيعة مرحلة التكوين ، وتستوجبه متطلباتها ، مما نشير هنا إلى بعضه ، على النحو التالى :

١ ــ الصبر على معاناة الالتزام الأخلاقى ، ومعاناة تحصيل العلم الذى تستوجبه المرحلة ، ومعاناة هجر الراحة إلى حد كبير .

٢ ــ الصبر على متطلبات المرحلة ، من أعمال وتكاليف وتعامل مع زملاء المرحلة ، وتعامل مع كثير من المواقف .

٣ ــ الصبر على ما يمكن أن يتعرض له من متاعب وهو يمارس العمل الإسلامى ، متاعب نفسية ، أو جسدية ، أو مالية ، أو أمنية ، تفقده طمأنينته أحياناً .

٤ ــ الصبر على زمان المرحلة ، وعلى تشرب ما تتضمنه فترات هذا الزمان ، فترة فترة ، دون تعجل أو قلق .

هذه بعض أنواع الصبر ، الذى تتطلبه مرحلة التكوين ، والتحلى به عملياً ، هو الذى يؤهل للانضمام إلى هذه المرحلة ، والصبر على أى مرحلة ، هو الذى يوصل إلى المرحلة التى تليها .

ثانياً : الصفات العلمية :

إن الاستعداد لتلقى العلم ، شرط فى كل مرحلة ، فليست فى مراحل الدعوة إلى الله مرحلة لا يستوعب فيها علم ، أو لا تحصل فيها معرفة .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥ .
(٢) سورة الطور : ٤٨ .
(٣) سورة الأحقاف : ٣٥ .

وهذه المرحلة بالذات مرحلة تكوين شامل متكامل :

تكوين للروح ،

وتكوين للعقل ،

وتكوين للبدن ،

وتكوين لكل متطلبات المرحلة .

وكل ذلك علم يستوعب ، ومعرفة تحتاج إلى عقول ناضجة ، مستعدة للتلقى والتحصيل .

وعند النظر إلى محتوى البرنامج لهذه المرحلة [1] ، نجده حافلاً أكثر من غيره ، بصنوف من العلم والمعرفة ؛ لأن عليه يقوم التكوين والإعداد ، فلابد إذن من صفات علمية ، تؤهل المنضم لهذه المرحلة ، تأهيلاً جيداً وهادفاً ، وقادراً على نقل المنتمى إلى هذه المرحلة ، إلى المرحلة التى تليها ، وهى مرحلة التنفيذ ، إذا كان صالحاً لهذا الانتقال ، أى اجتاز البرنامج فى محتواه العلمى والعملى والتدريبى ، وفى إطاره الزمنى .

ثم إن هذه المرحلة ، قد تُفضى بأحد أبنائها النابهين ، إلى أن يكون أحد الدعاة ، الذين يتلقون برنامجاً خاصاً لهذا العمل .

بل قد يكون أحد المتخصصين فى فرع بعينه من فروع العلم .

بل قد يكون قيادة لنوع ما من العمل .

فضلاً عن أنه ، سوف ينتهى إلى مرحلة التنفيذ كما أسلفنا ، وكل تلك المجالات ، التى تفضى إليها مرحلة التكوين ، لابد لها من الاستعداد العلمى ، الذى يتميز بصفات بعينها ، نشير إلى بعضها ، فيما يلى :

١ ــ **العلم بمعنى الاستعداد والقدرة على التحصيل** ، أى عنده قدرة على التفكير العلمى ، وهذه القدرة تتمثل فى عدة عوامل من أهمها :

أ ــ دقة المفاهيم لدى هذا الفرد ، بمعنى أن يفكر بدقة واهتمام ، فى كل قضية من القضايا ، التى يتعرض لها ، وفق التحديد الكمى لما يفكر فيه .

---

(١) سنتحدث عن هذا بعون الله فى الفصل السادس والأخير من مرحلة التكوين بتوسع وتفصيل .

ب ـ القدرة على البحث عن العلل والأسباب ، إذ لا ظاهرة دون سبب أو علة .

جـ ـ القدرة على تحديد الظاهرة ، وعزلها عن الظواهر المحيطة بها ، للتمكين من رؤيتها دون شوائب .

د ـ القدرة على التحليل ، ورد الكل إلى أجزائه ، التى تكون منها ، ومعرفة أثر كل جزء فى الكل .

هـ ـ القدرة على التركيب ، بمعنى جمع الأجزاء التى تكون الكل ، وضم بعضها الملائم لبعض ، للوصول إلى التركيب .

و ـ القدرة على ممارسة النظرة الموضوعية الحيادية للقضية ، أو الموضوع ، الذى يفكر فيه بأسلوب علمى ، مهما كانت تلك النظرة مختلفة ، مع ميوله واتجاهاته المسبقة .

٢ ـ العلم بمعنى القدرة على توظيفه ، لتأمين الحاجات الإنسانية بصورة أفضل ، وهذا يتطلب ما يلى من الصفات التى أهمها :

أ ـ فهم وإدراك عميق لوظيفة العلم فى حياة الإنسان ، وهى لا تعدو أن تسخر ما فى هذا الكون كله لصالح الإنسان ، وتأمين حاجاته دون الإضرار بأحد .

ب ـ رفض استخدام العلم ، الذى يؤدى إلى أى أخطار ، تحيق بالفرد أو الجماعة فى أى مكان من العالم .

جـ ـ اقتناعه بأن العلم لا يدرس لذاته ، وإنما يدرس لغاية مشروعة يحققها ، فليس هناك رهبانية فى العلم لذات العلم ولو فعلوا فهم فى ضلال عن جوهر العلم وهدفه .

د ـ اقتناعه بأن العلم ، يستطيع أن يسهم فى حل كثير من مشكلات الحياة الإنسانية ، وبخاصة لو وضع حول العلم سياج من القيم الدينية الإسلامية ، لما فى منهج الإسلام من قدرة ذاتية ، على حل جميع مشكلات الحياة البشرية ، كائنة ما كانت درجة إشكالها ، لأنه آخر الأديان ، وخاتمها ، وأتمها ، وأكملها ، والدين الوحيد بين الأديان الذى رضيه الله سبحانه للبشرية كلها ديناً ، بل توعد الذين يبلغهم الإسلام ولا يدخلون فيه ، وخلع عليهم من الأوصاف ما يناسبهم .

٣ ـ العلم بمعنى التحصيل ـ لا مجرد الرغبة فى العلم ـ إذ لابد للمنتمى إلى هذه المرحلة من أن يكون قد حصل قدراً ملائماً من العلم ، يمكنه من الاستمرار فى التلقى

لتحقيق أهلية هذه المرحلة ، واجتيازها بنجاح وتوفيق .

والعلم الذى نقصده هنا ، يرتكز على العلم بكتاب الله ـــ سبحانه ـــ وسنة نبيه ﷺ ، وسيرته ، فهذا هو أصل العلم فى الإسلام ، وما وراء ذلك فروع تخدم حياة الإنسان ، وتمكنه من حسن التعامل مع الحياة الدنيا وما فيها ، أما العلم فى الإسلام ، فإنه يحقق للإنسان سعادة الدنيا والآخرة معاً ، ففى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، تبيان لكل شيء ، وتفصيل لكل شيء ، وهدى ، ورحمة ، وشفاء ، كما وردت بذلك آيات القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا** ﴾ (1) ، وقال سبحانه : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ (2) ، وقال سبحانه : ﴿ **ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل** ﴾ (3) ، وقال سبحانه : ﴿ **ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل** ﴾ (4) ، وقال سبحانه : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ (5) ، وقال سبحانه : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شيء** ﴾ (6) ، وقال سبحانه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ (7) .

ولابد للمنتمى لهذه المرحلة ، من أن تكون له صلة وطيدة بالكتاب والسنة ، على النحو التالى :

أولاً : بالنسبة للقرآن الكريم :

تكون له بالقرآن علاقة ذات شعب ثلاثة :

الأولى :تلاوته التعبدية ، بحيث يكون له فى ذلك ورد يومى ، لا ينقطع عنه إلا لضرورة ، وأقل هذا الورد جزء كامل من القرآن الكريم ، يتلى بتدبر على أقل تقدير ، بحيث يختم القرآن الكريم مرة فى كل شهر .

ومن المعروف المسلم به أن يكون مجيدا للتلاوة ، عارفاً بآدابها .

والثانية : فهم القرآن الكريم من خلال كتاب من كتب التفسير ، يكون فى مكتبة

---

(1) سورة الإسراء : 9 .
(2) سورة الإسراء : 82 .
(3) سورة الإسراء : 89 .
(4) سورة الروم : 58 .
(5) سورة البقرة : 2 .
(6) سورة الأنعام : 38 .
(7) سورة النحل : 89 .

بيته ، يقرأ فيه ويتأمل ، ويتدارس المعانى والمقاصد القرآنية ، ولا يغادر آية أو سورة ، حتى يعمل بمقتضاها ، فتلك سنة سلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم .

والثالثة : الإلمام ببعض أصول التفسير وعلوم القرآن ، حتى يأنس إلى القراءة فى كتب التفسير معظمها ، ويمهد أمامه طريق الفهم والمدارسة .

ثانياً : بالنسبة للسنة النبوية :

تكون له بها علاقة وصداقة وقراءة مستأنية ، تزيل عنه الجهل بأصول الإسلام وقواعده ـــ كما سبق أن أوضحنا تلك الأصول والقواعد ، فى حديثنا عن الفصل الخامس من مرحلة التعريف .

ولا بد له فى السنة مما يلى :

أ ـــ أن يستصحب كتاباً من كتب السنة ، يقرأ فيه بشكل منتظم مستوعب ، بمعنى أن يقرأ هذا الكتاب كله .

ب ـــ أن تكون له قدرة على فهم الحديث النبوى ، بمعرفة معانى الحديث وأهدافه .

جـ ـــ أن يكون له إلمام بعلوم السنة وأصولها ، فى كتاب معتمد من كتب مصطلح الحديث .

ثالثاً : أن تكون له صلة جيدة بالسيرة النبوية :

يقرأها ويتدبر أحداثها ، ويفيد من ذلك ما استطاع ، ولا يسع المنتمى لهذه المرحلة ، أن يجهل شيئاً من سيرة الرسول ﷺ ، وأقل ذلك أن يكون فى بيته كتاب معتمد من كتب السيرة النبوية ، ينظر فيه يوماً بعد يوم ، ويتأمل ويتعلم .

رابعاً : أن تكون له ثقافة عامة إسلامية ، يتمكن بها مما يلى :

أ ــ معرفة جيدة بالحضارة الإسلامية عموماً .

ب ــ معرفة لا بأس بها بأقاليم العالم الإسلامى على خريطة العالم

جـ ــ معرفة ملائمة بمشكلات العالم الإسلامى وأهم قضاياه المعاصرة .

د ــ إدراك جيد لقضايا وطنه ومشكلاته ؛ إذ هو جزء من العالم الإسلامى ، القضايا الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، وغيرها .

خامساً : أن يكون لديه قدر من العلم والحكمة :

يمكنه من وزن أقواله وأعماله ، وما يحيط به بميزان الحق ، وهو الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، فإن لم يكن هذا القدر من العلم ، فليس أهلاً لأن ينضم إلى هذه المرحلة ، بل هو غير أهل لأن يعد فى ديوان الرجال — كما قال بعض أسلافنا رضوان الله عليهم — حيث قالوا : ليس رجلاً من لم يزن أقواله وأعماله بميزان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ومرحلة التكوين ، مرحلة رجال يعدون ؛ ليكونوا مجاهدين فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا .

ثالثا : الصفات العملية :

ونعنى بها الصفات التى تجعل المسلم ، رجل أعمال ، لا رجل أقوال ؛ لأن القول دون عمل فى الإسلام ، ضرب من النفاق ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ (1) .

وهذا العمل الذى يطالب به كل مسلم ، نتحدث فيه هنا على مستويين ، المستوى العام ، والمستوى الذى تتطلبه مرحلة التكوين ، فنقول وبالله التوفيق :

١ — العمل الإسلامى العام :

كل مسلم مطالب بأن يعمل فى حياته الدنيا ، العمل الذى يحقق له صالح دينه ودنياه ، ولا يقبل من أحد من المسلمين أن يدع العمل ، ويعيش عالة على غيره ، أو يتكفف الناس ، حتى ولو كان متفرغا للعبادة ، من وجهة نظره ، لأن عبادة الله الصحيحة ، تستوجب على العابد أن يعمل ويكد ، ويمسى كالًّا من عمل يده .

والنصوص الإسلامية ، التى تطالب المسلمين بالعمل كثيرة ، وردت فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية المطهرة ، ودلت عليها حياة الرسول ﷺ ، وسيرته وحياة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بل حياة السلف الصالح ، رضى الله عنهم .

إن الإسلام يطالب كل مسلم بالعمل ، ويلزمه بأن يكون هذا العمل صالحا .

---

(١) سورة الصف : ٢ — ٣ .

ومعنى الصلاح فى العمل : أن يكون مرضيا لله لأنه جاء وفق ما أحل الله ، وأن يكون محققا لمصلحتى المعاش والمعاد .

وكما طالب الإسلام المسلمين ــ فى معظم نصوصه ــ بالعمل الصالح ، وأوضح أن هذا العمل يكون لصالح الفرد والجماعة فى المعاش والمعاد ، فإن الله ــ سبحانه ــ وعد الذين يعملون الصالحات أجرا حسنا ، وحياة طيبة فى الدنيا ، ونعيما فى الآخرة ، كما توعد سبحانه الذين لا يعملون عملا صالحا ، بأنه سوف يجزيهم من جنس أعمالهم ، إلا أن يغفر لهم بعد توبة مقبولة .

والإسلام الذى طالب بالعمل ، بل بالعمل الصالح ، لم يبهظ أحدا بهذا العمل ، وإنما جعله دائما فى حدود الوسع والطاقة ، حيث أعلن أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

ولم يسو الإسلام بين عامل ، عمل عملا صالحا ، وعامل عمل عملا سيئا ، وثالث خلط بين الصالح والسيّىء ، وإنما جعل لكل عامل كفاء عمله من الجزاء ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

كما أعلن الإسلام ، فى أكثر من نص إسلامى ، أن عمل كل عامل من الناس ، مراقب من الله سبحانه ، فهو العليم الخبير البصير الحسيب الرقيب ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ذو الطول .

ولابد لنا هنا ، من أن نذكر بعض النصوص الإسلامية فى العمل ، رغبة منا فى تأصيل دعوة الإسلام ، إلى العمل ، وإلى العمل الصالح بالذات ، وسوف نذكر ذلك فى الأصلين الكبيرين الكتاب والسنة .

أ ــ تأصيل وجوب العمل فى نصوص قرآنية :

هناك عدد من الحقائق المتصلة بالعمل ، وردت فيها نصوص قرآنية كثيرة هذه الحقائق هى :

١ ــ أن العمل واجب دينى شرعى ،

٢ ــ وأن العمل يجب أن يكون صالحا ،

٣ ــ وأن للعمل الصالح أحسن الجزاء ،

٤ ــ وأن للعمل غير الصالح جزاء من جنسه ،

٥ ــ وأن الله رقيب حسيب على كل الأعمال .

وأن الآيات القرآنية الكريمة الواردة فى ذلك ، تزيد فى القرآن الكريم على ثلاثمائة (١) .

وسوف نذكر من هذه الآيات الكريمة نماذج ، تقوم مقام الشاهد ، وتشير إلى مانريد تأكيده ، محاولين الاقتصاد والاختصار ، ما وجدنا إلى ذلك سبيلا :

فقد طالب الله سبحانه رسله عليهم السلام ــ وهم صفوة خلقه ــ بالعمل ، وأوجبه عليهم ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم** ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ (٣) فطالب المسلمين جميعا بالعمل ، وأوجبه عليهم ، وأخبرهم بأنهم محاسبون على العمل ، مجزيون عليه ، وأن الله سبحانه رقيب حسيب على هذا العمل ، وأن الرسول ﷺ ، والمؤمنون ، سوف يرون هذه الأعمال ، ويزنونها بميزان الإيمان ، ويشهدون بمقتضاها .

وقال جل شأنه : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ﴾ (٤) فجعل العمل الصالح ، شرطا لدخول الجنة ، وهى غاية الغايات ، وأمل كل مؤمن .

وقال سبحانه : ﴿ **ليس بأمانيّكم ولا أمانِيِّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** ﴾ (٥) وهذه الآية الكريمة ، تقرر أن جزاء العمل ، ليس هو مايتمناه ، ويحلم به الإنسان ، دون أن يعمل عملا صالحا ، سواء أكان ذلك المتمنى من المسلمين ، أم من أهل الكتاب ، من يهود ونصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب ، يكون بالإيمان والعمل الصالح فى ظل : ﴿ **من يعمل سوءا يجز به** ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ (٦) فأوضح سبحانه أنه رحيم بعباده ، لا يكلف أحدا إلا بما كان فى وسعه وطاقته ، ومعنى ذلك أن الإنسان مطالب بالعمل ، ومكلف به ، مادام يستطيع القيام به ، وليس من شأنه أن يعجز عنه .

---

(١) انظر فى ذلك : محمد فؤاد عبد الباق : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفظ : عمل وما تفرع منها .

(٢) سورة المؤمنون : ٥٠ . (٣) سورة التوبة : ١٠٥ . (٤) سورة النساء : ١٢٤ .

(٥) سورة النساء : ١٢٣ . (٦) سورة الأعراف : ٤٢ .

ب ــ تأصيل وجوب العمل فى نصوص من السنة النبوية :

الأحاديث النبوية الكريمة ، التى طالبت المسلمين بالعمل عموما ، وبالعمل الصالح خصوصا ، أكثر من أن تُحْصَى ، ونستطيع أن نقول مطمئنين : إن كل الأحاديث النبوية إنما تدور حول العمل ، وتطالب به ، ولعل هذا التعميم يثير فى نفس القارئ شيئا من المبالغة فيما نقول ، ولكننا نحاول أن نذكر أنواعا من العمل الذى طولب به المسلم ؛ لندرك أن السنة كلها ، تدور حول العمل ، وتطالب به . وعلى سبيل المثال فى هذا التنويع :

أولا : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بتوحيد الله ، وعبادته ، وطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ .

ثانيا : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بالعبادات ، والمعاملات ، وسائر الأعمال الصالحة .

ثالثا : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بمكارم الأخلاق ، وهى بحر زاخر .

رابعا : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل والإحسان .

خامسا : الأحاديث النبوية ، التى طالبت بالجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا .

إن هذه الأحاديث النبوية الشريفة ، أكثر من أن تحصى فى كتاب واحد ، وإلا جاء هذا الكتاب جامعا للسنة الصحيحة كلها ، كما فعل بعض علماء المسلمين إذ جمعوا السنة كلها فى كتاب موسوعى مثل :

جامع الأصول لابن الأثير .

وكنز العمال للمتقى الهندى ، وغيرهما من الكتب .

وما يجد المسلم كتابا من كتب السنة الستة أو الثمانية ، إلا وهو حافل بالحديث عن العمل ، والعمل الصالح بالذات ، فى كل باب من أبوابه ، إن لم نقل فى كل حديث من أحاديثه ، ومؤكد لنفس الحقائق التى أشرنا إليها آنفا ، من أن العمل واجب شرعى ، وأنه لابد أن يكون صالحا ، وأنه يجزى عليه يوم القيامة ، وأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

٢ ــ العمل الإسلامى فى مرحلة التكوين :

العمل المطلوب من المدعو إلى هذه المرحلة ، الذى يعتبر شرطا فى أهلية المنتمى لهذه

المرحلة ، هذا العمل أنواع ، نذكر منها مايلى :

الأول : العمل الصالح الذى يرضى الله ، لأنه جاء وفق ما شرع ، وفى الوقت نفسه ، ينفى عن المسلم القعود ، والسلبية ، والعيش الدنىء ، الذى يتكفف صاحبه الناس ، أو يكون عالة على سواه .

والثانى : العمل الذى يعود على الفرد والمجموعة من المسلمين بالخير ، وهو العمل الجماعى الصالح ، الذى يحقق للمسلمين مصلحة ، فى دينهم أو دنياهم ، أو يدفع عنهم ضررا ، فى دينهم أو دنياهم كذلك .

والثالث : العمل الموظف ، الذى يخدم الدعوة ، فى أى مرحلة من مراحل العمل فيها ، ويعود على دعوة الله ، أو على المسلمين بالنفع فى الدين والدنيا ، وهذا العمل محكوم ومحدود دائما ، بما تراه الجماعة محققا لهذه الفوائد .

والرابع : العمل الجهادى الذى يؤدى إلى إعلاء كلمة الله ، وإعزاز دينه ، وجهاد أعدائه ، وحماية الأمة الإسلامية ، من أن ينالها ضرر أو شر ، فى حاضرها ، أو فى مستقبلها ، القريب أو البعيد .

والخامس : العمل الملائم لمرحلة التكوين بالذات ، وهو :

استيفاء الأهلية الخلقية للمرحلة ،

واستيفاء الأهلية العلمية للمرحلة ،

واستيفاء الأهلية العملية للمرحلة .

ومعنى ذلك أن يكون المنضم إلى هذه المرحلة ، رجل دعوة ، ورجل حركة وتنظيم ، ورجل عمل وممارسة .

الفصل الثالث

أهداف مرحلة التكوين ووسائلها

أهداف مرحلة التكوين ووسائلها

أولا : أهداف المرحلة

من البديهى أن تكون أهداف مرحلة التكوين ، أكثر دقة وتحديدا ، من أهداف المرحلة التى قبلها ـــ وهى مرحلة التعريف ، كما أن أهداف مرحلة التنفيذ ، لابد أن تكون أكثر دقة وتحديدا من أهداف مرحلة التكوين ، وهكذا ...

هذه مسلمة فى عرف أى عمل متدرج فى مراحل من أدنى إلى أعلى ، وقد سبق لنا حديث عن أهداف مرحلة التعريف ، وحصرناها هناك فى سبعة أهداف ، وكانت كلها أهدافا نابعة ، من طبيعة المرحلة ، ومتطلباتها .

وكذلك الشأن هنا ؛ فالأهداف تستمد من القيم التى يراد تحقيقها وتثبيتها فى هذه المرحلة ، والتى عبرنا عنها بطبيعة المرحلة ومتطلباتها .

وقد أوضحنا فى طبيعة مرحلة التكوين ، خصوصية الدعوة ، والدعاة ، والمدعوين ، وخصوصية العمل فيها .

كما أوضحنا أن متطلبات المرحلة هى : أهلية المرحلة نفسها ، وأهلية الدعاة والمدعوين ، وفصلنا القول فى ذلك على مدى فصل كامل غير وجيز .

وقد جاء الآن وقت الحديث عن أهداف مرحلة التكوين ، التى هى أكثر دقة وأكثر تحديدا من المرحلة التى سبقتها .

فما هى هذه الأهداف ؟

إن الصورة المجملة للأهداف فى هذه المرحلة ، هى فى تصورنا مايلى :

١ ـــ استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد ـــ من مرحلة التعريف ـــ وضم بعضها إلى بعض ، وإنما يكون هذا الاستخلاص ، ممن قد اجتازوا بنجاح مرحلة التعريف ، وفق منهجها وزمنها ، مع التدقيق فى هذا الاستخلاص وتحديد كل

المعايير التى يتم وفقها .

ونحب أن نسمى هنا الاستخلاص « اصطفاء » إيثارا للفظ القرآنى على ماسواه .

٢ ـ تربية هذه العناصر التى اصطفيت ، وفق تلك المعايير ، تربية متكاملة من النواحى ، الروحية ، والعقلية ، والبدنية ، والوعى الحركى ، والتنظيمى ، حتى تؤدى واجبها بدقة .

ونحب أن نسمى هذه التربية « توظيفا » إشارة مبكرة إلى أن هذه التربية ، توظف الطاقات ، فى وظائفها الملائمة لها .

٣ ـ دفع هذه العناصر ، إلى التعامل مع برنامج المرحلة فى أبعاده المتعددة ، من توجيه ، وتثقيف نظرى ، وعملى ، وتدريب ، وتقويم ، لتمارس العمل وفق هذا البرنامج ، حتى يتم تكوين هذه العناصر تكوينا جيدا يمكنهم من التأهل للمرحلة التى تلى مرحلتهم ، وهى مرحلة التنفيذ .

ونحب أن نسمى هذا التفاعل مع البرنامج « تكوينا » ؛ لأن استيعاب البرنامج فى وعائه الزمنى وتحصيل سائر مفرداته ، هو التكوين الحقيقى لهذه العناصر .

٤ ـ إغراء هذه العناصر بالعمل المنوط بها ، والتنسيق بين طاقات هذه العناصر ، ومتطلبات المرحلة ، بحيث لا يقبل من أحد من أفراد هذه المرحلة ، أى إخلال ، أو خروج عن مقتضيات هذا التنسيق .

ونحب أن نسمى هذا التنسيق « انضباطا » ؛ لأن هذه التسمية أقرب إلى طبيعة هذا التنسيق .

هذه هى الأهداف بصورة مجملة ، فكيف نحقق هذه الأهداف واحدا واحدا ؟ وما أهم المعايير التى يخضع لها كل هدف منها ؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عليه فيما يلى :

الهدف الأول : الاصطفاء :

وهو والاختيار والانتقاء ، بمعنى واحد ، ولكنا آثرنا هذا اللفظ ؛ لقرآنيته ؛ ولكى تكون لنا معايشة للمعجم القرآنى فى حصيلتنا الفكرية واللغوية ؛ لما فى القرب من القرآن الكريم من تعزيز لانتمائنا إلى الإسلام ، واعتزازنا به .

ويكاد يكون الاصطفاء ، أبرز أهداف هذه المرحلة ؛ إذ عليه يقوم البناء البشرى للمرحلة ، وبدونه تكون اللبنات ضعيفة ، غير قادرة على تحمل أعباء المرحلة ، مما يجعل المرحلة كلها غير محكمة البناء ، وغير مسددة الخطى .

والاصطفاء ــ كما قلنا ــ ممن أنهوا مرحلة التعريف بنجاح يؤهلهم لحمل أعباء الجهاد فى مرحلة التنفيذ ، إنما يكون وفق معايير تحقق لهم الأهلية .

وهذه المعايير هى :

أولا : معيار القدرة الروحية :

وهذا المعيار يقيس مدى استعداد الفرد لهذه المرحلة من الناحية الروحية ، وإنما يكون لديه هذا الاستعداد إذا توفرت فيه الصفات التالية :

١ ــ **أن يكون صافى الروح** ، يحس دائما بوجود الله ، فى كل ما يقدم عليه من عمل .

٢ ــ **أن يكون شاعرا بمراقبة الله** له فى كل عمل ، وممتلئا بخشية الله وتقواه ، وهو يمارس أى عمل .

٣ ــ **أن يكون شاعرا بحب الله** والاطمئنان إلى قضائه وقدره ، وراضيا بذلك سعيدا به .

٤ ــ **أن يكون له ارتباط وثيق بالله** ، عن طريق أدائه للنوافل وإقباله عليها .

فإن توفرت فيه هذه الصفات ، فهو الرجل الذى يختار لهذه المرحلة ، وإن كانت غير موجودة فيه ، فإن أمامه فرصة أن يتحلى بها ، فإن كانت ناقصة فيه ، شرع فى استكمال ما ينقصه ، ويظل هكذا فى مجال الإكمال والاستكمال ، حتى يغدو صالحا للاصطفاء من الناحية الروحية .

ثانيا : معيار القدرة العقلية :

وهو يقيس مدى استعداد الفرد لتحمل الأعباء العلمية التحصيلية لهذه المرحلة ، وذلك يتطلب عددا من الصفات ، نشير إلى بعضها فيما يلى :

١ ــ قدر من الذكاء يمكنه من العلم والتحصيل .

٢ ــ نبذ المسلمات القائمة على الظنون والأوهام ، ﴿ **إن الظن لا يغنى من الحق**

شيئا ﴾ (1) .

٣ ــ التأنى فى الحكم على الناس والأشياء ، والتثبت فى كل الأمور ؛ لأن التسرع يوقع فى الخطأ من جانب ويضيع كثيرا من الفرص للتعرف الحقيقى الدقيق على الناس من جانب آخر ، قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾ (2) .

٤ ــ التأمل وعمق النظر فيما يحيط بالإنسان من مخلوقات الله سبحانه ، والتدبر فى الحِكَمِ الكامنة وراءها ؛ لأن ذلك من شأنه أن ينضج الفكر ، ويزيد الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق** ﴾ (3) .

ومن لم تكن فيه هذه الصفات ، فإنه يستطيع أن يتدرب عليها ويكتسبها ، فتصبح من صفاته ، ماعدا الصفة الأولى ، وهى الذكاء ، فإنها هبة من الله سبحانه ، يهبها من يشاء من عباده .

ثالثا : معيار القوة البدنية :

وذلك أن هذه المرحلة تعد لمرحلة الجهاد ، فليس بأهل لها ؛ إلا رجل قوى البدن سليم الحواس ، خالٍ من الأمراض والعاهات ، ومن كان قادرا على أن يأخذ نفسه وبدنه بأسباب القوة ، ويباعد بين نفسه وبدنه وبين أسباب الضعف .

ويمكن أن نضع معالم هامة فى هذا المجال هى :

١ ــ الاهتمام بالتغذية الجيدة ، دون إسراف أو إهمال .

٢ ــ الاهتمام بالنظافة ، والتقيد بتنفيذ سنن الفطرة .

٣ ــ المداومة على الرياضة البدنية .

٤ ــ تجنب المنبهات فضلا عن المكيفات .

٥ ــ تجنب السهر والإرهاق .

٦ ــ التقيد بنظام الإسلام فى اليقظة والنوم والحركة والسكون والقول والعمل ، فليس يصلح البدن شيء مثل التقيد بأدب الإسلام فى التعامل مع البدن .

---

(١) سورة يونس : ٣٦ . (٢) سورة الحجرات : ٦ . (٣) سورة الحجر: ٨٥ .

ولهذا تفصيل ليس هنا مجاله .

رابعا : معيار القدرة الحركية :

ومعنى ذلك أن يكون من اختير لهذه المرحلة قادرا على مخالطة الناس ، غير مؤثر للعزلة عنهم ، إلا فى ظل ظروف شرعية تبيح هذه العزلة ، إذ الأصل فى المنتمى إلى هذه المرحلة ، أن يكون قطباً ، يتجمع حوله الناس الصالحون المحبون للإسلام ، وللعمل من أجل الإسلام .

وإنما تتحقق القدرة الحركية فيه ، إذا توفرت لديه صفات نذكر منها :

١ ــ **الرغبة فى الاختلاط بالناس** ، وعقد الصلات بهم .

٢ ــ **القدرة على جذب الناس إليه** ، لما فيه من صفات جاذبة لهم ، كمظهره وتدينه ، وثقافته ، وسماحة طبعه ، وحبه للناس .

٣ ــ **القدرة على التأثير فى الناس** ، بما أوتى من صفات قيادية ، يستطيع من خلالها ، أن يؤثر فى الآخرين ، وهى صفات عديدة ليس هنا مجال الحديث عنها .

٤ ــ **القدرة على تصنيف الناس** ، ووضعهم فى مجموعات أو جماعات متجانسة اجتماعيا وثقافيا وانفعاليا وعمريا ، إلى غير ذلك من الصفات التى تجمع بين الناس فى تلاؤم وتواؤم .

٥ ــ **القدرة على رعاية هذه المجموعات** ، والاهتمام بما لديها من مواهب وقدرات ، وتنمية كل هذا فى الاتجاه الصحيح الذى يخدم الدعوة إلى الله ، ويخدم الناس ، ويخدم صاحب الموهبة نفسه .

أما أولئك الذين يؤثرون العزلة والانطواء ، أو لايستطيعون حذب الناس ، والتحبب إليهم ، أو لا يستطيعون أن يؤثروا فى الناس ، فليس فى هذه المرحلة مكانهم ، وإنما لهم مكان غير ذلك ، حتى يمهروا فى هذه الأمور وتصبح من مقومات شخصياتهم .

خامسا : معيار القدرة الإنتاجية :

ومعنى ذلك أن من مؤهلات الانتماء إلى مرحلة التكوين ، أن يكون المرشح لهذه المرحلة ، قد استطاع ضم آخر أو آخرين ، لصفوف العمل الإسلامى عموما ، أو إلى صفوف مرحلة التعريف ، أو مرحلة التمهيد خصوصا ، ولهذا المعيار ، ومدى توفره فى

الفرد ، صفات كذلك ، نذكر منها :

١ ــ **أن يكون إيجابيا فاعلا قادرا على العمل** ، وعلى الاستمرار فيه دون ملل .

٢ ــ **أن يكون متحمسا للعمل لايفتر عنه** ، ولا يتهور فيه ، وإنما يندفع إليه برغبة في العمل ، وحب له وإقبال عليه ، ونشاط فيه .

٣ ــ **أن يكون محسنا للعمل الذى يوكل إليه** ، يؤديه على أحسن وجه ممكن ، دون إخلال أو إهمال .

٤ ــ **أن يكون ذا علاقات عامة جيدة بالناس** ، وأن تكون له علاقات خاصة ببعضهم .

٥ ــ **أن يكون قد فقه تماما معنى أنه داعية إلى الله** ، وأن الدعوة إلى الله مفروضة عليه فرضا ، لا يستطيع أن يتخلى عنها ، وعن متطلباتها بحال .

ومن لم تكن فيه هذه الصفات ، فليس مكانه فى صفوف مرحلة التكوين ، وإنما له متسع فى الصفوف ، التى تسبق هذه المرحلة إن كان من أهلها كذلك .

والخلاصة أن معايير الاصطفاء ، شاملة مستوعبة لكل صفة ، يجب أن يتحلى بها المنضم إلى هذه المرحلة .

ومن لم تتوفر له هذه الصفات ، أو تلك الشروط ، وفق تلك المعايير التى ذكرنا ، فليس يحكم عليه بالطرد من ساحة العمل الإسلامى ــ لأن هذا الطرد لا يملكه أحد ، وإنما يكون له مكان اخر ، أكثر ملاءمة لطاقاته وقدراته ، وأكثر جدوى للعمل الإسلامى نفسه ، إذ ليس أضر على العمل من أن نوسده من ليس أهلا له .

هذا هو الاصطفاء ، وهو الهدف الأول من أهداف مرحلة التكوين .

الهدف الثانى : التوظيف :

وهو تحديد الوظيفة وتعيينها بذاتها ، والوظيفة هى : ماقدر للإنسان فى اليوم والليلة من طعام أو رزق ، والوظيفة : العهد والشرط .

ونعنى بها هنا : تحديد العمل للفرد ، وتقديره فى حدود إمكانات الفرد وطاقاته .

والتوظيف فى مرحلة التكوين ، هو إسناد العمل المطلوب إنجازه إلى الفرد القادر على القيام به فى الزمن المناسب لأداء العمل ، وإذا خلا العمل الإسلامى ، فى أى مرحلة من مراحل الدعوة ، من عنصر التوظيف ، كان غير جدير بأن يبلغ هدفه ، فضلا عما

فيه من تبديد جهود الأفراد .

وإسناد العمل المناسب للفرد المناسب ، يستوجب على من يشرف على العمل ، أن يكون على علم ووعى وإدراك لما يلى :

١ ــ تحديد الهدف لكل عمل من الأعمال .

٢ ــ تحديد الوسائل التى تكفل للعمل النجاح .

٣ ــ تحديد الفرد أو الأفراد الملائمين للعمل .

٤ ــ تحديد الإطار الزمنى للعمل .

ومالم تحدد هذه الأمور بدقة فإن العمل الإسلامى بعامة يكون مهددا بالفشل ، والعمل المرحلى ــ فى هذه المرحلة بالذات ــ يكون غير ذى فائدة .

ولكل واحد من هذه الأمور الأربعة أهمية قصوى ، تجعله ضرورة عمل ، وضرورة نجاح ، وكل واحد من هذه الأمور ، يعد ركنا من أركان التوظيف .

ولابد لنا من أن نلقى ضوءا على كل ركن من هذه الأركان الأربعة ، على النحو التالى :

١ ــ تحديد الهدف :

كل عمل من الأعمال لا يؤدى على وجهه ، ولا يصل إلى غايته ، إلا إذا حدد هدفه .

وهذا الهدف الواجب التحديد تحته مفردات لابد من التعرف عليها . وهى :

الهدف العام للعمل الإسلامى كله .

والهدف المرحلى لكل مرحلة من مراحل العمل الإسلامى .

والهدف الخاص لكل جزء من أجزاء العمل .

والهدف الذى تتوخاه مرحلة التكوين بالذات .

ومن غير تحديد هذه المفردات لا يكون عمل ناجح أصلا ، فإن كان فلا قيمة له ولا أثر.

٢ ــ تحديد الوسيلة :

والوسيلة أيا مّا كانت يشترط فيها إسلاميا ، أن تكون مشروعة ، أى مما أحل الله

التعامل بها ، والوصول بها إلى الهدف .

وباطل من القول وزور ، ذلك الذى يقال : « **إن الغاية تبرر الوسيلة** » فهذا قول صادر من إنسان ، لا يؤمن بالله ولا يخافه ، ولا يعرف ما أحل الله وما حرم ، فاستباح به كل منكر ، ومارس من أجله كل رذيلة (١) .

أما الإسلام فيشترط فى الوسيلة أن تكون فاضلة ، لأن الأهداف كلها فى الإسلام فاضلة ، وفضيلة الوسيلة تعنى أن تكون مشروعة ، أباح الإسلام التعامل بها ، لخلوها من الشر والضر .

وتحديد الوسائل فى العمل الإسلامى ، مطلوب بأولوية وفعالية ، وبغير هذا التحديد ، تقع محاذير كثيرة نذكر منها :

أ ــ الحيرة فى اتخاذ وسيلة ما سببا للوصول إلى الهدف ، وهذه الحيرة تباعد زمنيا بين العاملين فى الحقل الإسلامى ، وبين ما يسعون إليه .

ب ــ الخلاف والاضطراب فى اختيار الوسائل ، وخضوع ذلك للاجتهادات الفردية ، وربما كان من يجتهد فى اختيار وسيلة ، وهو غير أهل لهذا الاجتهاد ، أجدر أن يعوق العمل ، أو يأتى به قاصرا عما يجب أن يكون عليه .

جـ ــ حرمان الأفراد من إبداء رأيهم ، وأخذ مشورتهم فى الوسائل ؛ إذ الأصل أن تختار الوسائل المشروعة بعد أخذ الرأى ، وطلب المشورة ، وإدلاء كل فرد بما يراه أصوب وأحسن .

وهذا فى حد ذاته ، إنضاج للأفراد وللقيادة ، وللعمل نفسه .

د ــ حرمان العمل الإسلامى نفسه من أفضل الوسائل ، التى تجعله يُؤَدَّى على أحسن وجه ، إذ يظل العمل ما دامت وسائله غير محددة ، قلقا مضطربا ، خاضعا لمجال التجربة والخطأ ، وبالتالى يفقد النجاح فضلا عن التوفيق .

٣ ــ تحديد الأفراد الملائمين للعمل :

وتلك خطوة جوهرية حاسمة فى التوظيف ؛ لأن العامل والعمل فى بعض الأحيان يكونان كوجهى قطعة العملة ، فليس فى الإمكان تصور عمل بدون عامل ، كما أنه ليس بمقبول

---

(١) الذى ردد هذا القول هو : ماكيافيلى .

تصور عامل بلا عمل .

فكيف يمكن تحديد الأفراد للعمل ؟

إن هذا يتطلب مايلي :

١ ـــ إحصاء العمل وتسجيله .

٢ ـــ معرفة أنواع العمل .

٣ ـــ معرفة حجم العمل أو كمه .

٤ ـــ معرفة المدى الزمنى ، الذى يجب أن ينجز فيه العمل .

والعمل الإسلامى متنوع دائما :

فمنه عمل علمى ،

ومنه عمل توجيهى ،

ومنه عمل تدريبى ،

ومنه عمل حركى تنظيمى ،

ومنه عمل تنفيذى .

وكل نوع من هذه الأنواع ، يلزمه نوع معين من الأفراد ، وعلى المسئول عن العمل ، أن يختار هؤلاء الأفراد بحيث يكونون ملائمين لما انتدبوا له من عمل .

وحجم العمل وكَمّه ، يدخل كذلك فى الاعتبار ، ومادام ذلك كذلك ، فإن الفرد الملائم لحجم العمل وكمه ، ما ينبغى أن يكلف بأكثر مما يطيق ، كما لا ينبغى أن يكلف بأقل مما يستطيع .

وتلك بغاية الاختصار هى قضية الحجم والكم فى العمل الإسلامى ، وهذا أسلوب توزيع العمل على العاملين .

وزمن العمل الإسلامى الذى يجب أن ينجز فيه ، ولابد أن يكون هذا الزمن معروفا ـــ وسنتحدث عنه بعد قليل ـــ وعلى ضوء معرفة الزمن الذى يستغرقه العمل ، يكون اختيار الفرد القادر على إنجاز العمل فى وقته الملائم له ، دون إبطاء أو تعجل .

إن كل ذلك داخل فى تحديد الوسيلة ، وتوضيح معنى التوظيف وتحديد أبعاده .

٤ ـــ تحديد الإطار الزمنى للعمل :

وهذا التحديد يدخل فى تحديد الوسيلة كذلك ، فإن وسيلة مَّا ، من وسائل تحقيق الأهداف ، لابد أن ترتبط بوقت معين ، تمارس فيه ، وتصل فى إطاره إلى غايتها .

وتحديد الإطار الزمنى فى الوسيلة ، يستوجب التعرف الدقيق ـــ كما سبق أن أشرنا ـــ على مراحل العمل والإطار الزمنى لكل مرحلة ، وعلى أولويات المراحل ، وبماذا يبدأ العمل ، ثم ماذا يلى البداية ، وهكذا حتى آخر المراحل وآخر الأولويات .

مع التأكيد على أن الأولويات ، لا ينبغى أن تحول بيننا ـــ أحيانا ـــ وبين أن نعمل فى خطوط متوازية ، يؤدى كل منها إلى الغاية ، لأن الأولويات وإن كانت ضرورية فى بعض الظروف ، فإن الخطوط العملية المتوازية ضرورية فى ظروف أخرى .

وبعد : فإن تحديد الأهداف والوسائل والأفراد والإطار الزمنى لعمل ما ، هو التوظيف بمعناه الدقيق ، الذى يُؤْمَنُ معه العثار بإذن الله تعالى ، وبه تبرأ الذمة من التقصير فى الفكر أو الخطة أو التنسيق .

الهدف الثالث : التكوين :

والتكوين والإعداد والتربية كلها بمعنى واحد فى مصطلح هذا الكتاب ـــ ولا مُشاحّة فى الاصطلاح ـــ حتى وإن بدت عند التدقيق والتحقيق بعض الفروق بين هذه الكلمات .

وإذا كان « التكوين » هو إيجاد شيء مسبوق بالمادة إذ هو مصدر كوَّن الشيء ، أى ركبه بالتأليف ، بين أجزائه ، كما ورد ذلك ، فى أكثر من معجم لغوى .

وإذا كان الإعداد هو تهيئة الشيء ، وتجهيزه ، كما تدل على ذلك الكلمة دلالة مباشرة .

وإذا كانت التربية هى تنمية القوى الجسدية والعقلية والخلقية ، كما ورد ذلك فى كثير من كتب التربية .

إذا كانت هذه الكلمات بهذه المعانى ، كما دلت على ذلك معاجم اللغة ، فإن هذه المرحلة التكوينية تُعْنَى تماما بتهيئة الأفراد وتجهيزهم وتنمية قواهم الجسدية والعقلية والخلقية ،

ليكونوا رجالا أقوياء قادرين على حمل أعباء الجهاد فى سبيل الله .

والتكوين فى صورته التنفيذية فى هذه المرحلة ، يعنى أن الفرد الذى توفرت فيه شروط الأهلية لهذه المرحلة ، ودخل ضمن أفرادها فإنه يخضع لعملية التكوين ، وهذه العملية تتناول مايلى :

١ ــ تكوينه وتهيئته من الناحية الروحية ،

٢ ــ وتكوينه وتهيئته من الناحية العقلية ،

٣ ــ وتكوينه وتهيئته من الناحية الخلقية ،

٤ ــ وتكوينه وتهيئته من الناحية البدنية ،

٥ ــ وتكوينه وتهيئته من النواحى الخاصة بالدعوة ، وبالحركة وبالتنظيم ،

٦ ــ وتكوينه وتهيئته من حيث توثيق علاقته بالجماعة التى يعمل من خلالها للإسلام .

كل هذه الأنواع من التكوين تتضمنها هذه المرحلة من الناحية التنفيذية ، بل تعد هدفا ضخما من أهداف المرحلة ؛ إذ هى لب الأهداف وجوهرها ،

فالاصطفاء من أجل التكوين ،

والتوظيف من أجل التكوين ،

والعمل والممارسة من أجل التكوين .

ومن أجل هذا فإن مرحلة التكوين أهم مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، لأنها تكون أفرادا متكاملى البناء ، وحسبهم أنهم قادرون على حمل أعباء الجهاد ، والجهاد كما هو معروف هو ذروة سنام الإسلام ، وأعلى منزلة بين منازله .

وسوف نتوسع فى الحديث عن تفاصيل هدف التكوين ، ونحن نتحدث عن عناصر التكوين ، بعد أن ننهى الكلام فى الأهداف والوسائل بإذن الله تعالى .

الهدف الرابع : الانضباط :

ونعنى به الوصول بالأفراد فى هذه المرحلة إلى الانضباط مع متطلباتها ، وإنما يكون ذلك بضبط الأفراد أى حفظهم بالحزم حفظا جيدا ، وإحكام إعدادهم وتكوينهم ، والقيام

على أمرهم خير قيام ، وهذا معنى الانضباط فى معاجم اللغة .

وللانضباط معنى اجتماعى هو : ضبط السلوك وتوجيهه من الناحيتين : السلبية والإيجابية ، وفق قوانين أو تقاليد بعينها ويدخل فى معناه الاجتماعى ، تلك العمليات أو الإجراءات المقصودة ، وغير المقصودة التى يتخذها مجتمع مًّا ، أو جزء من هذا المجتمع ، لرقابة سلوك الأفراد فيه ، والتأكد من أنهم يتصرفون ، وفق المعايير والقيم ، والنظم التى رسمت لهم .

والانضباط فى مصطلح هذا الكتاب ، له معنى نحب أن نركز عليه ، ومن أجل هذا المعنى ، وتلك الرغبة ، جعلنا الانضباط هدفا من أهداف مرحلة التكوين .

والمعنى الذى نقصده بالانضباط هنا هو : النظام الذى ضبط الخالق سبحانه به الكون كله ، أو هو التقدير الوارد فى قوله تعالى : ﴿ **وخلق كل شيء فقدره تقديرا** ﴾ (١) أى جعل له قوانين تضبطه ، وتكفل له أداء مهمته بنظام .

إن هذا التقدير الإلهى ، أو ذلك القانون ، قد ضبط الله سبحانه به كل شيء على الإطلاق (٢) .

وإن الأديان كلها كان من أبرز أهدافها ، ضبط الإنسان من حيث عقيدته وخُلُقه وعبادته ومعاملته ، ضبط ذلك كله مع القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى :

الله سبحانه جعل هذا الانضباط قانونا عاما للبشرية كلها . وكل كتاب جاء من عند الله إنما استهدف أن يضبط من نزل إليهم هذا الكتاب مع القانون الذى ارتضاه الله لهم فى كتابهم ـــ قبل أن يدخل هذه الكتب التحريف والتبديل ـــ وبما أن المسلمين قد أنزل عليهم آخر الكتب السماوية ، وأتمها وأكملها وأعمها ، وهو القرآن الكريم ، فإن المسلمين أكثر البشر إحساسا ، بضرورة الانضباط مع هذه القوانين ، التى جاء بها القرآن الكريم ،

---

(١) سورة الفرقان : ٢ .

(٢) أثبت العلم الحديث أن كل المخلوقات تسير بحكم تكوينها ، وما يجرى عليها من تطورات مختلفة ، وفق نظام دقيق ثابت لا يقدر عليه إلا خالق مبدع ، فكل الموجودات تتألف من اتحاد عناصر معينة محددة العدد ، وتسير هذه العناصر فى اتحادها لتكوين المركبات ، حسب قوانين ثابتة لا محيد عنها ، فتكون بذلك الموجودات كلها ، غازيّة كانت أو مائعة أو جامدة ، فلزيّة كانت أو غير فلزية ـــ والفلز عنصر كيماوى يتميز بالبريق المعدنى والقابلية لتوصيل الحرارة والكهرباء والقدرة على تكوين أيون موجب .

لأنها أكمل القوانين وأتمها وأبعدها عن أن ينالها تحريف أو تبديل ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [1] .

وإن نظرة إلى هذا الدين الخاتم ، وما جاء به من قوانين الانضباط ، لتقنعنا بأن كل شيء فى حياة المسلم منضبط وفق القوانين التى جاء بها الإسلام .

فالمسلم منضبط وفق تلك القوانين فيما يلى :

١ ــ فى العقيدة والفكر ،

٢ ــ وفى العبادة ،

٣ ــ وفى الخلق والسلوك ،

٤ ــ وفى المعاملات كلها ،

٥ ــ وفى الكلام والصمت ،

٦ ــ وفى الزى والمأكل والمشرب والمنكح ،

٧ ــ وفى النوم واليقظة ،

٨ ــ وفى الحقوق والواجبات ،

٩ ــ وفى محاسبة النفس ،

١٠ ــ وفى الدعوة إلى الله والعمل من أجل الإسلام .

١١ ــ وفى الالتزام بوعده وموعده .

١٢ ــ وفى الانتماء والاعتزاز بأنه مسلم .

وليس المسلمون في ذلك سواء ، فمنهم من ينضبط وفق هذه المعايير ، ومنهم من يقصر فى بعضها ، ومنهم من يلبس عليه الشيطان أو الهوى أمره فلا ينضبط ، ولقد كان من حكمة الله سبحانه ورحمته بالناس ، أن جعل لعدم الانضباط عقوبات مقدرة « حدود » ، ليلتزم الناس بأدب الإسلام ، وخلقه ، ومنهجه ، ونظامه .

ومرحلة التكوين تعد من أهم المراحل ــ كما أشرنا إلى ذلك غير مرة بحكم أنها تكوين ، أى تربى المسلم على الانضباط فى كل شيء ، وفق المعايير والقوانين التى شرعها الله سبحانه وتعالى ليحقق الأخذ بها سعادة الدين والدنيا .

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

ثانيا : وسائل تحقيق هذه الأهداف

إن الوسائل فى هذه المرحلة خاصة بل خاصة جداً ، لأن المرحلة خاصة كما سبق أن أوضحنا فى طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

والأصل فى الوسيلة القادرة على تحقيق الهدف ، أن تكون ملائمة لطبيعة المرحلة ، وطبيعة العمل فيها ، وطبيعة الدعاة والمدعوين ، وقد سبق لنا أن أكدنا خصوصية كل هذه الأمور فى تلك المرحلة .

وإن نظرة إلى أهداف المرحلة التى حصرناها آنفاً فى :

١ ـــ الاصطفاء ،

٢ ـــ والتوظيف ،

٣ ـــ والتكوين ،

٤ ـــ والانضباط . لجديرة أن تقنعنا بأنها أهداف خاصة ، إذا قورنت بأهداف مرحلة التعريف .

وإن خصوصية الأهداف ،تستوجب خصوصية الوسائل التى تستطيع أن تحقق الأهداف .

وخصوصية هذه الوسائل ، تعنى أن نبحث عن تلك الوسائل ، فى تراث أكبر جماعة أو حركة إسلامية فى العصر الحديث ، وهى جماعة الإخوان المسلمين ، فهى أغنى الحركات الإسلامية وأثراها فى مجال التربية ، والوسائل الخاصة فى التربية ، على مستوى الأفراد ، أو مستوى المجموعات .

ولقد دأبت الجماعة على تربية الأفراد فى مرحلة التكوين وفق وسائل خاصة نشير إليها فيما يلى[1] :

١ ـــ الأسرة ،

٢ ـــ والكتيبة ،

---

(١) للمؤلف فى تلك الوسائل الخاصة كتاب قصره على الحديث عن هذه الوسائل سماه « وسائل التربية عند الإخوان المسلمين » دراسة تحليلية تاريخية ـــ فصل فيه القول عن هذه الوسائل تفصيلا . ط . دار الوفاء .

٣ ـــ والرحلة ،

٤ ـــ والدورة ،

٥ ـــ والندوة ،

٦ ـــ والمخيم ،

٧ ـــ والمؤتمر .

وسوف نكتفى هنا بإشارة إلى كل واحدة من هذه الوسائل ، تاركين التفصيل للكتاب الذى أشرنا إليه فى الهامش .

١ ـــ الأسرة :

وتعنى تربية محكمة ، وفق نظام دقيق على يد شيخ مجرب ؛ تستهدف بناء الشخصية المسلمة ، بأسلوب يجمع بين ألوان التربية النظرية والعملية والتدريبية والتقويمية .

والأسرة هى قطب العملية التربوية فى الجماعة وأهم هذه الوسائل كلها ، وهى تمثل وسيلة وهدفاً فى وقت واحد ، أما أنها وسيلة فواضح ، وأما أنها هدف ، فلضرورة أن تستمر التربية من خلالها حتى بعد مرحلة التمكين ، أى قيام الحكومة الإسلامية .

وللأسرة أركان ، وشروط ، وآداب وبرنامج ، ونقيب (١) .

٢ ـــ الكتيبة :

وهى تجميع لعدد ، تعارفت الجماعة على أنه أربعون فرداً ، من أعضاء أسر التكوين ، لهم فى هذه العضوية سبق وتفوق وتميز . وقائد الكتيبة هو أقدم نقباء الأسر وأكثرهم خبرة .

وتستهدف الكتيبة إنضاج الجانب الروحى فى الفرد بتقوية صلته بالله ، وإحياء معنى الجهاد والمجاهدة فى نفسه ، وتوثيق الروابط بين الأفراد ، وتعويدهم على الانضباط والطاعة ، وذلك كله يستهدف إيجاد جيل من القياديين فى العمل الإسلامى .

وللكتيبة أركان ، وشروط ، وآداب ، وبرنامج ، وقائد ، ومساعدون (٢) .

٣ ـــ الرحلة :

وهى ـــ أيضاً ـــ تجميع لعدد أكبر من أفراد الأسر التكوينية فى مكان خلوى ،

---

(١) للتوسع ارجع إلى الكتاب الذى أشرنا إليه آنفا .

(٢) للتوسع انظر المرجع السابق .

ويقودها ــ كذلك ــ أقدم النقباء .

وتستهدف تقوية البدن والترويح عن النفس ، والتدرب على الانضباط ، وعلى بذل الجهد البدنى ، وتحمل مزيد من الصبر على الجوع والعطش والتعب ، والتدرب على التعاون مع الآخرين ، والتدرب على الإدارة .

كما تستهدف الرحلة ، التعرف الدقيق على المشاركين فيها ، وعلى مدى ما يستمتعون به من قدرات وطاقات ولياقة .

وللرحلة كذلك ، أركان ، وشروط ، وآداب ، وبرنامج ، وقائد ، ومساعدون له [١] .

٤ ــ الدورة :

وهى تجميع يدعى إليه عدد من أفراد أسر التكوين ، لتكثيف علمهم ، وتدارسهم لموضوع بعينه يحتاجه العمل الإسلامى .

وسميت دورة ؛ لأنها تعقد فى فترات دورية ربع سنوية ، أو نصف سنوية ، أو كلما استدعى الأمر .

وتستهدف الدورة أساساً ؛ تكوين القيادات ، ثم تكوين الأفراد الأكثر نضجاً ، وتكوين الباحثين المتخصصين فى مجالات العلم المتعددة .

ويقودها أحد النقباء أو القادة الذين هم على مستوى من التخصص فى المجال الذى تنعقد فيه الدورة .

ويشارك فيها بالمحاضرة والدرس والبحث أهل التخصص وحدهم فى مجالها .

وللدورة أركان ، وشروط ، وآداب ، وبرنامج ، ورئيس ، ومساعدون له فى العمل [٢] .

والأصل فى اختيار موضوع الدورة ، الذى يطرح للبحث أن يشارك فيه عدد من النقباء والقياديين ، حتى يقع اختيارهم على الموضوع ، الذى يكون العمل الإسلامى أكثر حاجة إليه من غيره .

٥ ــ الندوة :

وهى تجميع يدعى إليه عدد من أفراد أسر التكوين ، بل ربما دعى إليها عدد من أفراد

---

(١) انظر المرجع السابق للتوسع .

(٢) انظر المرجع السابق للتوسع .

أسر التعريف ، أو التمهيد فى ظروف خاصة . وربما دعى إليها من كان دون هذه المستويات .

ويستضاف لها عدد من العلماء والباحثين ، للمشاركة فى موضوعها بإبداء آرائهم ووجهات نظرهم المؤيدة بالأدلة والبراهين .

ولابد أن يكون موضوع الندوة مما يشغل المسلمين ، أو يشغل الرأى العام .

وتستهدف الندوة إنضاج الرأى حول موضوع بعينه ، وتيسير الثقافة وتبسيطها ، وتعليم الناس أدب الحوار والمناقشة ، والتعرف على أساليب العلاج لقضية من القضايا الهامة .

كما تستهدف تكوين رأى عام حول موضوع بعينه ، فى بيئة بعينها ، وتكوين آراء خاصة ، لتطوير العمل الإسلامى ، أو تحسينه .

ويقوم على الندوة ويديرها أحد النقباء أو القادة ، ممن لهم علم ومعرفة بأبعاد الموضوع الذى جعل محوراً لها .

وللندوة كذلك أركان ، وشروط ، وآداب ، ورئيس ، ومساعدون له (١) .

٦ ــ المخيم أو المعسكر :

وهو تجميع لعدد كبير من مختلف المناطق المهتمة بالعمل الإسلامى ، وهذا التجميع يكون على مستويات بالنسبة للمدعوين .

فربما كان على مستوى عامة الناس .

وربما كان على مستوى المقربين .

وربما كان على مستوى مجموعات التعريف .

وربما كان على مستوى أسر التكوين .

ويستهدف المخيم التربية العملية والتدريب ، بصبغ حياة الأفراد فيه بصبغة إسلامية ، طوال فترة المخيم ، وتعويد المشاركين على ممارسة أساسيات العمل الإسلامى ، وتدريبهم على التعاون والإيجابية .

---

(١) للتوسع انظر المرجع السابق .

كما يستهدف فى الجانب الثقافى منه ، دراسة تاريخ الحركات الإسلامية .

ويقوم عليه أحد القادة فى العمل الإسلامى ، ممن مارسوا الدعوة ، وتفوقوا فيها ، وله مساعدون على المستوى الجيد من كل نوع من أنواع المسئوليات المنوطة بهم ، كمسئولية النظام والإدارة ، ومسئولية العبادة والثقافة ، ومسئولية التمريض والتطبيب ، ومسئولية الرياضة البدنية ، ومسئولية الطعام والنوم واليقظة ... إلخ

وللمخيم كذلك أركان ، وشروط ، وآداب ، وبرنامج ، ومدير ، ومساعدون له (١) .

٧ ـــ المؤتمر :

وهو تجميع يدعى إليه أكبر عدد ممكن من مختلف المناطق المهتمة بالعمل الإسلامى ، ولكن بحيث يغلب على المدعوين الثقافة والاهتمام بقضايا المسلمين بعامة .

والمدعوون إلى المؤتمر مستويات عديدة ـــ كما أشرنا من قبل فى المدعوين إلى المخيم ـــ غير أننا هنا نركز على المدعوين إلى المؤتمر من أفراد أسر التكوين ، حيث يراد بمشاركتهم فى المؤتمر ، أن يعيشوا قضية ، أو قضايا مما تشغل العالم الإسلامى .

ويستهدف المؤتمر جمع أكبر عدد من أفراد أسر التكوين ، وجمع أكبر عدد من الباحثين والعلماء المختصين فى القضية ، أو القضايا المطروحة فى المؤتمر ، لدرس هذه القضية ، وتحليلها تحليلاً عملياً جيداً .

كما يستهدف تأصيل حرية الرأى ، والشورى بين المشاركين جميعاً فيه .

كما يستهدف التقريب بين أرجاء العالم الإسلامى المترامى الأطراف ، بالاهتمام من أهل قطر بعينه ، بقضية قطر آخر ، توثيقاً للأخوة الإسلامية ، ودعماً لفكرة أن المؤمنين إخوة ، وذلك يساعد تماماً على وحدة المسلمين ، وإحياء فكرة الأمة الإسلامية الواحدة ، وصولاً من ذلك إلى الدولة الإسلامية الواحدة .

وللمؤتمر رئيس ، ومساعدون له ، كما له أركان ، وشروط ، وآداب ، وبرنامج ، ولجان وإعداد إدارى تنظيمى دقيق ، كما أن للمؤتمر ـــ كل مؤتمر ـــ هدفا عاما ، وهدفا خاصا ، ووسائل خاصة ، قادرة على تحقيق أهدافه (٢) .

---

(١) للتوسع انظر المرجع السابق

(٢) للتوسع انظر المرجع السابق .

وبعد : فهذه الوسائل الخاصة السبعة ، التى ذكرنا ، متكاملة ، بحيث لا يغنى بعضها عن بعض ، أو بمعنى أن الفرد فى أسرة التكوين لا ينضج النضج المطلوب ، إلا أن يمارس العمل فى كل وسيلة من هذه الوسائل السبعة .

الفصل الرابع

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التكوين

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التكوين

كلمة لابد منها :

لأن الدعوة إلى الله إسلامية اللباب والقشرة والجوهر والعرض ، وإسلامية الهدف والوسيلة .

ولأن العمل الإسلامى بعامة ، والعمل فى مرحلة التكوين على وجه الخصوص له من الأهمية ما له ، كان من الضرورى أن نتعرف على حكم الشريعة الإسلامية فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة .

أهو فرض عين على المشاركين فى هذه المرحلة ؟

أم هو فرض كفاية ؟

أم هو مما يندب إليه لأنه عمل من فضائل الأعمال ؟

إن تحديد ذلك بدقة ، أمر مطلوب مرغوب فيه ، يترتب عليه من الأمور الهامة ، ما يؤدى إلى استمرارية العمل ، أو انقطاعه .

وإن التعرف على هذا الحكم الشرعى يجب أن يُفَصَّل فيه القول ، على النحو التالى :

١ ــ الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة ، بالنسبة للدعاة إلى الله .

٢ ــ والحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة ، بالنسبة للمدعوين إليها المشاركين فيها .

والله المستعان .

١ ــ حكم الشرع فى ممارسة العمل بالنسبة للدعاة

الدعاة فى هذه المرحلة ، هم القائمون على تربية أسر التكوين وإعدادهم .

والتكوين له عناصر ، سوف نتحدث عنها فى البرنامج ومحتواه ، ولكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى خطوطها الرئيسية وهى :

إعداد الروح ، بتوثيق صلتها بالله سبحانه .

وإعداد العقل ، بتحريره من الوهم والخرافة ، والمعلومة المبنية على الظن ، وملئه بالعلم الصحيح ، والمعرفة النقية .

وإعداد الخلق ، بالالتزام بما أحل الله وما حرم من أنماط السلوك .

وإعداد الجسم ، بأخذه بأسباب القوة ، وإبعاده عن أسباب الضعف .

وإعداد الحس الاجتماعى ، بدعم النزعة الفردية ، والنزعة الجماعية ، فى كل فرد من الأفراد .

وسوف نشرح هذا بالتفصيل فى الفصل السادس بإذن الله تعالى .

فإذا كان ذلك هو عمل الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، وكان هذا الداعية قد أُهِّل ، حتى وصل إلى حد أنه يحسن تربية الروح والعقل والخلق والبدن والحس الاجتماعى ، وما وصل الداعية إلى ذلك المستوى ، حتى صار من أهل العلم ، بل من أهل النظر ، فما واجبه نحو من يربيهم ويكونهم ؟

سبق أن قلنا : إن الدعوة إلى الله ، واجبة وجوب الصلاة والصيام ، وسائر ما فرض الله ، على كل قادر على الأداء ، وقدمنا هناك من الأدلة ما قدمنا .

بل إننا رأينا فى الفصل السابع والأخير ، من الباب الأول ، أن الدعوة إلى الله ، واجبة على كل مسلم ، وأنها واجبة فى جماعة ، وأن الجهود الفردية فيها محدودة الأثر ، وأن لهذه الجماعة صفات وضوابط كثيرة . انتهينا هناك إلى كل ذلك .

ونتحدث هنا عن الداعية إلى الله فى هذه المرحلة ، وكيف تجب عليه الدعوة والتصدى للتكوين والإعداد ؟

وإن لهذا الوجوب أدلة قدمناها عند حديثنا عن وجوب الدعوة إلى الله ، وعن وجوب

الدعوة فى جماعة ، ونضيف إليها هنا الأدلة التالية :

أولا : أن هذا الداعية عالم بهذا الدين ذلك العلم المعتبر شرعا ، وهو الذى يترتب عليه عمل ، وذلك منحصر فيما دلت عليه الشريعة واقتضته ، ومن علامات علم الداعية فى هذه المرحلة مايلى :

أ ــ أنه رُبى وعُلم الدين ، وعرف به تعريفا جيدا ، وكون على يد شيخ أخذ عنه فى الجماعة ، وقد مر بذلك ، مادام قد وصل إلى أن يكون داعية فى مرحلة التكوين .

ب ــ أنه يعمل بمقتضى ما علم من هذا الدين ، حتى يكون فعله مطابقا لقوله ، وحتى يمكن أن يأخذ عنه غيره ، والداعية فى مرحلة التكوين ، عالم عامل ، معلم لغيره .

جـ ــ أنه ــ وقد علم وعمل ــ مقتد برسول الله ﷺ كما اقتدى به الصحابة ، رضوان الله عليهم ، والداعية فى هذه المرحلة مقتد برسول الله فى كل أمره ، أو هكذا يجب أن يكون .

تلك شروط فى العالم بالدين قد توفرت بفضل الله فى هذا الداعية .

ومادامت قد توفرت فيه شروط العلم بالدين ، فقد وجب عليه العمل بما علم من الدين ، أى وجبت عليه الدعوة إلى الله ، ووجب عليه تعليم غيره من الناس .

ثانيا : أن الحقوق الواجبة على المكلف نوعان :

أ ــ حقوق لله سبحانه كالصلاة والصيام والحج .

ب ــ وحقوق للعباد كالديون ، والنفقات ، والنصيحة ، وإصلاح ذات البين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

وكلا النوعين واجب على المكلف مادام قادرا عليه ، لما قدمنا من أدلة فى وجوب الدعوة إلى الله ، ووجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثالثا : **أن الدعاة إلى الله ، أو العلماء ، هم ورثة الأنبياء** ــ كما ثبت ذلك فى السنة الصحيحة **« إن العلماء ورثة الأنبياء »** [1] ــ ويلزم من كون العالم أو الداعية إلى الله وارثا

---

(١) البخارى : صحيحه : باب العلم .

للنبوة ، أن يبلغ ويعلّم ، كما فعل الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** ﴾ (٢) .

والأحاديث النبوية فى وجوب التعليم على العلماء كثيرة ، منها مارواه البخارى بسنده ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها ، ورجل آتاه الله مالا ، فسلطه على هلكته فى الحق » (٣) .

قال الإمام الشاطبى : « ولا خلاف فى وجوب البيان على العلماء ، والبيان يشمل البيان الابتدائى للنصوص الواردة والتكاليف المتوجهة ، فثبت أن العالم يلزمه البيان من حيث هو عالم ... وإذا كان البيان يتأتى بالقول والفعل ، فلابد أن يحصل ذلك بالنسبة إلى العالم ، كما حصل بالنسبة إلى النبى ﷺ ، وهكذا كان السلف الصالح ، رضوان الله عليهم ، ممن صار قدوة فى الناس دلّ على ذلك المنقول عنهم ... » (٤) .

وهذه المرحلة كلها ، طبيعتها ، ومتطلباتها ، وأهدافها ، إنما هى من صميم العمل الإسلامى ، الذى يؤدى إلى الإيمان ، والإسلام ، والعدل ، والإحسان ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله . وما لايُؤَدَّى الواجب إلا به فهو واجب .

وحسبنا هذا بالنسبة للدعاة فى هذه المرحلة .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٩ .
(٢) سورة البقرة : ٤٢ .
(٣) البخارى : صحيحه : باب الاغتباط فى العلم والحكمة .
(٤) الشاطبى : الموافقات: ٣ / ٣١١ .

٢ ــ حكم الشرع فى ممارسة العمل بالنسبة للأفراد

المدعو فى هذه المرحلة ، قد مر بمرحلة التعريف بالإسلام ، وأحاط بما هو مطلوب وملائم لتلك المرحلة وفق برنامجها العلمى والزمنى ، والذى نجمله هنا فى وجوب المعرفة الصحيحة ، للعقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والخلق والسلوك ، ونوع من الانتماء للعمل الجماعى ، والتزام بفروض الإسلام وآدابه ، واستعداد ورغبة فى التقيد بالنظم والمبادئ العامة للجماعة المسلمة التى يعمل من خلالها .

المدعو فى هذه المرحلة ، قد توفرت فيه أهلية الانضمام إلى هذه المرحلة ، وهو بذلك قد وضع قدمه على بداية الطريق ، وهو يدخل مرحلة التكوين ، فهل يتوقف عند هذا الحد ؟ أم يمضى فى طريق إعداد نفسه ، واستكمال ماينقصه ، ليكون المسلم المتكامل البناء ، روحيا ، وعقليا ، وخلقيا ، وبدنيا ، واجتماعيا ، ليكون بعد هذه المرحلة ، قد استكمل عدة الجهاد فى سبيل الله .

إن على الفرد فى هذه المرحلة واجبات شرعية كذلك ، نشير إليها فيما يلى :

أولا : أن يواصل طلب العلم والبحث عن الحكمة التى أوجب الشرع عليه أن يطلبها ، وأن يعتبر نفسه أحق بها حيث وجدها ، فقد روى ابن ماجه بسنده ، عن عبد الله ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق الناس بها » (١) .

ثانيا : أن يزيد من حظ نفسه من الإعداد والتكوين ، من أجل أن يقوم بواجبه فى العمل الإسلامى المنوط به ، حتى لا يأتى عليه وقت ، يجد نفسه فيه ، قد تخلف عن ركب العاملين للإسلام ، الذين أعدوا أنفسهم لهذا الواجب ، لأن الله لا يقبل منه القعود والتخلى عن العمل الإسلامى ، الذى يحقق مصلحة للمسلمين ، أو يدفع عنهم مفسدة ، مادام قادرا على العمل .

فهذا واجب شرعا .

ثالثا : أن يعلم أن كل فرد فى مرحلة التكوين ، قد اجتاز مرحلة التعريف ، وأنه كان قبل ذلك قد وجبت عليه الدعوة إلى الله على قدر استطاعته ، وأنه باجتيازه لمرحلة

---

(١) اس ماجه : سننه : ٢ / ٥٤٢ باب الحكمة .

التعريف ، قد زاد واجبه فى الدعوة إلى الله ، وأنه بانضمامه إلى مرحلة التكوين ، وتأهله لها ، قد أصبح أثقل عملا فى مجال الدعوة إلى الله ، لأن علمه بالدين قد زاد ، وفقهه قد نما ، وعليه أن يزيد من هذا العلم ، وذاك الفقه ، على قدر احتياجه ، كمسلم تجب عليه الدعوة إلى الله .

رابعا : أنه بعد أن دخل فى مرحلة التكوين ـــ وبمقتضى وجوده فى هذه المرحلة ، قد أصبح كامل الانتماء للدين ، وكامل الالتزام به وبآدابه ، وأن ذلك يوجب عليه أن يمارس العمل بعد العلم ، وبجدية أكبر ، ونشاط أكثر ، لأنه كلما زاد علم الفرد ، وزادت قدراته ، زادت بالتالى واجباته .

ولانبالغ فى شيء إن قلنا : إن وجود الفرد فى مرحلة التكوين ، يجعله مسئولا عن تنمية العمل الإسلامى ، وترشيده ، ودعمه ، والبذل والتضحية من أجله ، فى كل مجال من مجالاته فى حدود استطاعته .

خامسا : أن يوقن أن إصلاح النفس ، والبيت ، والمجتمع أمرٌ أوجبه الله على كل أحد من أهل القدرة ، وأن الفرد فى مرحلة التكوين ، له قدرة من نوع مّا ، على أن يصلح كل أو بعض هذه المجالات ، وتخليه عن إصلاح ما يستطيع ، تقصير وإثم ، وأضعف أنواع الإصلاح أن يصلح نفسه ، ومجال إصلاح نفسه فى هذه المرحلة واجب ، فضلا عن وجوب إصلاح بيته ومجتمعه وأمته الإسلامية كلها .

سادسا : أن يعلم علم اليقين بأنه لن تقوم للمسلمين قائمة ، يستردون بها كيانهم ، ويحكمون بما أنزل الله فيهم ، إلا أن تكون لهم حكومة ، تطبق شريعة الله ، وتنفذ أحكامها ، وأن العمل من أجل هذه الغاية ، واجب على كل مسلم قادر عليه ، لأن تطبيق شريعة الله على عباد الله واجب ولا يتم ذلك بغير حكومة ، ومالا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب .

وإذا كان ذلك واجبا على كل أحد من المسلمين القادرين عليه ، فهو على المنضم إلى هذه المرحلة أوجب ، لما حصله من تأهل وعلم بالإسلام ، وعمل به .

سابعا : أن يعلم أن التصدى للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فى جماعة ، واجب شرعا ـــ كما سبق أن أوضحنا ـــ وأن المنضم لهذه المرحلة ، وقد تأهل لها ، قد نضجت لديه فكرة الالتزام بعمل جماعى أكثر من سواه ، وبالتالى فإن تصديه للأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر من خلال جماعة ، واجب لا فكاك عنه ، إلا بعذر مقبول شرعا .

ثامنا : أن المسلم ، أى مسلم ، عليه أن يعد نفسه للجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، لأن أعداء الله وأعداء الإسلام كثيرون ؛ إذ هم أعداء الحق ، والله سبحانه قد طالب كل مسلم ، بأن يعد نفسه لهؤلاء الأعداء حتى يرهبهم باسم الله ، وباسم الحق ، فقال سبحانه مخاطبا المسلمين جميعا : ﴿ **وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ (١) فالخطاب فى الآية الكريمة لكل مسلم ، والمطالبة بالإعداد والاستعداد للحرب مع أعداء الله ، والإعداد كلمة عامة تبدأ بالإعداد النفسى ، وتنتهى بكل أنواع الإعداد المادية التى قد تحتاج إليها المعركة ، كما أن المطالبة فى الآية بقوة ترابط فى أطراف بلاد المسلمين مما يلى الأعداء ــ وتلك حرب نفسية للعدو تجعله يفكر ألف مرة قبل أن يعتدى على بلاد المسلمين .

والقول بأن الإعداد لأفراد الجيش وحدهم ، قول لا يؤيده سند من نقل أو عقل .

أما النقل ، فلم يرد .

وأما العقل ، فإن الحرب الآن حرب شاملة ، يشترك فيها الشعب كله ، كخط ثان للمجاهدين ورِدْءٍ لهم ، والإعداد أوسع فى مفهومه من أن يقتصر على المجندين ، أو أفراد القوات المسلحة ، لأن الخطاب القرآنى للجميع .

والمسلم فى هذه المرحلة بالذات عليه أن يعد نفسه للقاء أعداء الله ، فيأخذ نفسه بكل أسباب القوة ، ويحول بينها وبين أى سبب من أسباب الضعف ، ويعيش منتظرا ذلك اليوم الذى يجاهد فيه فى سبيل الله ، ويقاتل أعداءه ، فإن لم يفعل فهو آثم ، لما روى الإمام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من نفاق »(٢) .

وبعد : فتلك أمور ثمانية تجب على المسلم وجوبا ، كما تجب على المنضم لهذه المرحلة من باب الأولى ، لأنه مسلم قد عرف وعلم وتأهل ، ليكون مجاهدا فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

إن على المنتمى لهذه المرحلة ، أن يمارس العمل فيها على سبيل الوجوب الشرعى ، ولن يعفيه من تلك الممارسة ، إلا عذر شرعى يقبله الله .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

(٢) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإمارة ٢ / ١٥٨ ط الحلبى دون تاريخ .

الفصل الخامس

المدى الزمني لمرحلة التكوين وأولويات العمل فيها

المدى الزمنى لمرحلة التكوين وأولويات العمل فيها

تمهيد :

تحديد المدى الزمنى لكل عمل ، علامة على حسن التخطيط والتنظيم والإدارة ، لأن الزمن فى كل عمل وعاء له ، أو إطار يتحرك العمل فى داخله ، بل يعد الزمن تعبيرا عن إيقاع الحياة الاجتماعية بعامة ، طبقا للإطار المرجعى الثقافى والاجتماعى .

كما أن الزمن يستخدم معيارا لتنظيم أوجه النشاط البشرى كله ، ومن أجل ذلك ، كان من الضرورى لكل عمل يخطط له أن يحصر فى إطار زمنى ملائم لنفس العمل ، ولوسيلة أدائه ، ولمن يقوم به من الأفراد .

وفى ظل هذه الظروف الثلاثة :

الأول : طبيعة العمل ،

والثانى : وسيلة أدائه ،

والثالث : طبيعة من يقوم به .

فى ظل ذلك يجب أن تكون هناك مرونة فى تحديد الإطار الزمنى لكل عمل ، مرونة تعنى أخذ هذه الظروف الثلاثة فى الاعتبار ، أى حسن تقدير الإطار الزمنى ، دون تفريط أو إفراط ، لأن كل ظرف من هذه الظروف قد يفسح المدى الزمنى للعمل حينا ، وقد يوجب تطبيقه فى حين آخر .

تلك حقيقة مسلمة فى مجال تحديد الإطار الزمنى لأى عمل من الأعمال .

فماذا عن الإطار الزمنى لمرحلة التكوين ؟

لقد سبق لنا الحديث عن أهمية هذه المرحلة من بين مراحل الدعوة إلى الله ، ومن خلال هذه الأهمية ، لا بد أن يكون تحديد الإطار الزمنى لها ، له نفس الأهمية ، ومن أجل ذلك ، سوف يكون حديثنا عن الإطار الزمنى فى هذه المرحلة ، فى ظل استعادة لطبيعة المرحلة ومتطلباتها ، استعادة مجملة توقظ فى الذهن فاعلية تحديد هذا الإطار ، والله ولى كل توفيق .

أولا : المدى الزمنى لمرحلة التكوين

إن تحديد هذا المدى يتطلب أن نتذكر فى إيجاز شديد طبيعة هذه المرحلة ، ومتطلباتها وأهدافها ووسائلها ، وهى كما أوضحنا فيما سلف كما يلى :

طبيعة المرحلة : هى خصوصية الدعوة ، وخصوصية الدعاة ، وخصوصية المدعوين ، وخصوصية العمل نفسه ، وخصوصية التنظيم والإدارة .

ومتطلبات المرحلة : وهى أهلية خاصة فى الدعاة والمدعوين ، والذى يعنينا هنا أن نستذكر بدقة ، ماشرطناه فى المدعوين من شروط خلقية ، وعلمية ، وعملية .

وأهداف المرحلة : هى اصطفاء الأفراد ، وتوظيف طاقاتهم ، وتكوينهم ، وانضباطهم .

ووسائل المرحلة : هى الأسرة ، والكتيبة ، والرحلة ، والدورة ، والندوة ، والمخيم ، والمؤتمر .

فى ضوء تذكر ذلك كله ، يجب أن يكون التفكير فى المدى الزمنى لهذه المرحلة ، وذلك يتطلب طرح أسئلة بعينها ، والتفكير فى الإجابة عليها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ ـــ كم يستغرق من وقت إعداد الفرد فى هذه المرحلة ، من النواحى الروحية والعقلية ، والبدنية ، والحركية ، والتنظيمية ؟

٢ ـــ وكم يستغرق من الوقت بالنسبة للعمل الخاص بهذه المرحلة تعميق الفهم للإسلام ، وتعميق النواحى العملية والتطبيقية ، وتعميق المعارف الإسلامية ، والخبرات العملية ، وتكوين التخصصات المتعددة .

كم يستغرق كل ذلك من وقت ؟

٣ ـــ كم يستغرق من الوقت إعداد الفرد ـــ فى ظل الظروف التى تحيط بمجتمعات المسلمين المعاصرة فى العالم الإسلامى كله ـــ ليكون قادرا على تحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ؟

هذه الأسئلة لا بد من التعمق فيها ، والتفكير الجاد فى الإجابة عليها ، فى ظل المتغيرات المستمرة فى العالم الإسلامى ، قبل تحديد المدى الزمنى لهذه المرحلة ، أو تحديد

هذا المدى ، فى ضوء هذه الإجابة الدقيقة ، على هذه الأسئلة .

كما أن هناك حقائق ، يجب الاعتراف بها ، قبل تحديد هذا المدى الزمنى للمرحلة .

وتلك الحقائق من أهمها مايلى :

١ ــ أن عملية التكوين لا تتم فى مدارس أو معاهد أو مؤسسات ، وإنما تتم فى بيوت الأفراد ، وهى غير صالحة كل الصلاح لممارسة التكوين الجيد فيها .

٢ ــ أن هؤلاء الأفراد ليسوا متفرغين لعملية التكوين ، وإنما لهم فى الحياة مايشغلهم ، ليعملوا ، فيحصلوا من عملهم على أسباب الحياة ، ولوازم العيش .

٣ ــ أن القائمين على التكوين والتربية والإعداد وهم الدعاة فى هذه المرحلة ، ليسوا متفرغين كذلك ، وإنما لهم من المشاغل الدنيوية ماهو ضرورى ليعيشوا .

مع ضرورة الاقتناع بأن الجماعة ، التى تعمل للإسلام فى أى بلد من بلاد المسلمين ، لا تستطيع أن تفرغ الناس للعمل فى هذه المرحلة ، لأن ذلك فوق طاقتها المادية ، وقد لا يتحقق ذلك ، إلا فى مرحلة التمكين ، ولا وصول إلى مرحلة التمكين ، حتى تستمر المراحل التى تسبقها ، من تمهيد ، وتعريف ، وتكوين ، وتنفيذ ، فى أداء عملها .

٤ ــ أن طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه أفراد هذه المرحلة مختلفة من قطر إلى قطر ، فمن هذه المجتمعات مايتجاوب مع ذلك فى أضيق الحدود ، ومنها ما يتصدى ، ومنها مايتحدى ، ومنها مايمنع بالبطش والإرهاب ، وكل هذه الحقائق فى مجتمع ما يجب أن توضع فى الحسبان عند تحديد المدى الزمنى لهذه المرحلة .

كل هذه الحقائق الأربعة وغيرها ، يجب أن توضع فى الاعتبار ، قبل تحديد المدى الزمنى للمرحلة ، أو يجب أن يحدد المدى الزمنى ، فى ضوء الاعتراف بها .

ونعود لطرح السؤال الرئيسى ، فى هذه المرحلة وهو : ماالمدى الزمنى الملائم لها ؟

ونحن هنا لا نملك الإجابة ، وإنما نقدم مقترحا فحسب . لأن الإجابة العلمية الدقيقة ، لا يملكها فرد كائنا من يكون ، وإنما تملكها الجماعة ، التى تمثل قيادة مرحلة التكوين ، فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى ، القيادة كلها ، لا واحد منها ، مهما

كان قدره .

واقتراحنا لهذا المدى الزمنى تقريبى ، يمثل الحد الأدنى الذى لا يجوز الانتقاص منه ، وإنما يجوز الزيادة عليه ، كما أنه اقتراح لا يلائم أهل قطر بعينه ، إلا بعد النظر فيه وتعديله ، حسب الأسئلة والحقائق التى طرحناها آنفا .

ذلك الحد الأدنى الذى نراه زمنا ملائما لتكوين الأفراد فى هذه المرحلة هو : « سنتان كاملتان » لا يجوز أن ينتقص منهما شيء ، وإن جاز الزيادة عليهما ، حسب الظروف والملابسات .

ولا ينبغى أن يخدع القائمين على المرحلة ، ماقد يكون عليه بعض المجموعات من استعداد جيد ، فى الاستيعاب والتلقى ، واجتياز الاختبارات ، لأن العبرة هنا ليست التحصيل وحده ، ولا العلم وحده ، وإنما هى إتمام عملية نضج متكاملة الأبعاد ، لا يطغى فيها جانب على جانب ، وهذا من شأنه أن يلزم بأخذ اعتبار الزمن فى الحسبان .

وهذا النضج ، إنما يتم من خلال الخبرات والممارسات العملية والاختلاط ، والمرور بأكثر من وسيلة من وسائل التربية فى هذه المرحلة ، وذلك يتطلب مدى زمنيا ، لا يقل بحال — فى تصورنا — عن عامين كاملين ، بل قد يزيد ، تبعا لظروف كل قطر من الأقطار .

ثانيا : أولويات العمل فى هذه المرحلة

نعنى بالأولويات : ترتيب العمل ، والقيام به على نحو منظم ، يترتب لاحقه على سابقه ، وهذه الأولويات يجب الالتزام بها فى هذه المرحلة وفى كل مرحلة — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — .

ولترتيب الأولويات فى هذه المرحلة ، لا بد أن نرتبها وفق ماتحدثنا فيه عن هذه المرحلة من أبعاد ، ومتطلبات وأهداف ، على النحو التالى :

١ — أولويات الأبعاد :

كنا قد ذكرنا فى أبعاد هذه المرحلة أمورا خمسة ، يمكن أن تترتب أولوياتها على النحو التالى :

أولا : **تعميق فهم الإسلام لدى الأفراد** ، فهذا البعد يسبق كل بعد ، ويستوجب البدء به ؛ لأن كل الأبعاد مترتبة عليه .

ثانيا : **تعميق النواحي العملية والتطبيقية فى التدين** ، لأن أفراد هذه المرحلة ، رجال أعمال لا أقوال ، ورجال تنفيذ بعد فهم وفقه .

ثالثا : **تعميق الثقافة الإسلامية لدى الأفراد** ، لأنهم أصبحوا رجالا مصطفين لمهام كبيرة ، فلا بد من خلفية إسلامية جيدة .

رابعا : **تعميق الخبرات العملية والميدانية** ، لأن المرحلة مرحلة عمل وصبر واحتمال ، وميدان إسلامى يصول فيه الفرد ويجول ، فتتعمق خبرته بمجالات العمل المتعددة .

خامسا : **تكوين تخصصات متعددة** ، لتغطى حاجات العمل الإسلامى ، فى مجالاته المتعددة .

هذا هو الترتيب الذى نقترحه للأولويات فى أبعاد المرحلة ، وهو ترتيب اجتهادى ، يجب أن يفكر فيه القائمون على المرحلة من خلال الظروف التى يعيشونها فى وطنهم ، ومن خلال ظروف الأفراد الذين يتولون تكوينهم .

٢ — أولويات المتطلبات :

أبرز مافى متطلبات هذه المرحلة — كما ذكرنا — الأهلية أو الشروط ، سواء أكانت شروطا فى المرحلة نفسها ، أم فى الدعاة ، أم فى المدعوين .

ونكرر أن ترتيبنا للأولويات فى هذه المتطلبات ، اجتهادى كذلك ، قد يلقى بعض الضوء فى الطريق ، لكنه غير ملزم ــ كما قدمنا آنفا ــ وإنما الملزم مايتفق عليه القائمون على المرحلة .

ونقترح أن ترتب الأولويات فى المتطلبات على النحو التالى :

أولاً : أهلية المرحلة نفسها : بمعنى أنها مرحلة ، لا يجوز الانتماء إليها ، إلا لمن اجتاز المرحلة التى تسبقها ، وهى مرحلة التعريف ، كما أنها مرحلة لا يجوز تجاوزها ، أو الخروج منها قبل استيعاب برنامجها فى مداه الزمنى ، لأنها مرحلة غير نهائية ، وإنما تؤدى إلى غيرها من المراحل ــ وهى مرحلة التنفيذ ــ .

ثانيا : أهلية المدعوين ، وتتمثل فى استيفاء الشروط ، على النحو التالى :

أ ــ الصفات الروحية .

ب ــ الصفات الخلقية .

جـ ــ الصفات العلمية .

د ــ الصفات العملية .

أما أهلية الدعاة ، فمجال الحديث عنها فى الباب الثالث ، من هذا الكتاب . « فقه الداعية » وترتيبه هنا بين المتطلبات ، لا يمثل كبير أثر ؛ لأن هذه المرحلة لا تُكَوِّن الدعاة ، وإنما تكون الأفراد .

٣ ــ أولويات الأهداف :

وتخضع فى تصورنا لترتيب معين على النحو التالى :

أ ــ الاصطفاء وفق معاييره التى تحدثنا عنها .

ب ــ التوظيف وفق ماحددناه هناك .

جـ ــ التكوين والإعداد والتربية .

د ــ الانضباط .

وإنما لجأنا إلى هذا الترتيب ، لأن البداية الطبيعية فى العمل مع الأفراد فى هذه المرحلة ، هى اصطفاء الأفراد الصالحين لهذه المرحلة ، من بين من اجتازوا مرحلة

التعريف .

ثم يجيء توظيف هؤلاء الأفراد ، للعمل المنوط بهم ، بحيث يكون العمل ملائما لهم ، وهم ملائمون له .

ثم تتم عملية التكوين والإعداد والتربية ، وفق البرنامج المعروف ، الذى تتم به عملية بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة .

ثم يكون الانضباط وفق هذه الأمور كلها .

ولا بد أن ننبه هنا إلى أن الانضباط ــ كما أوضحناه ــ صعب المرتقى ، لذلك جعلناه آخرا فى الترتيب وإن كان فى الأصل يستحسن أن يكون موازيا لكل هدف .

وأعود فأقول : إن هذا الاقتراح ليس ملزما ، وإنما يجب أن يخضع لبحوث ودراسات ، تضع فى اعتبارها كافة الظروف والملابسات بكل بلد ، وكل مجموعة من الأفراد ، وإنما هدفنا من ذلك أن نرسم طريقا ومنهجا فى ترتيب الأولويات . والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الفصل السادس

برنامج مرحلة التكوين

برنامج مرحلة التكوين

بين يدى البرنامج :

كل مرحلة من مراحل الدعوة تحتاج إلى برنامج يخضع للإطار الزمنى الملائم له ، وفق الأولويات التى حددت بعد الدراسة والتحليل لمختلف الظروف والملابسات ، هذا ماذكرناه ونذكره عند الحديث عن برنامج كل مرحلة .

وكل برنامج لا بد له من أسس ، يقوم عليها ، ومن محتوى أو عناصر يشتمل عليها .

والأسس فى جميع البرامج واحدة ، وهى لا تعدو ما يلى :

١ ــ الأساس التوجيهى .

٢ ــ والأساس التربوى وهو شقان :

أ ــ نظرى ،

ب ــ وعملى .

٣ ــ والأساس التدريبى .

٤ ــ والأساس التقويمى .

٥ ــ والمتابعة والاختبار .

وقد تحدثنا عن هذه الأسس فى الفصل السادس من مرحلة التعريف ، ولا تختلف الأسس فى البرنامج من مرحلة إلى أخرى .

أما المحتوى فيختلف من مرحلة إلى أخرى ، وسوف نفصل فيه القول بإذن الله تعالى بعد قليل

ونحب أن نؤكد هنا ــ للمرة الثانية ــ أن ماسوف نذكره من محتوى برنامج مرحلة التكوين لا يعدو ــ كذلك ــ أن يكون مقترحا تقريبيا ، قد يلائم بلدا من بلدان العالم الإسلامي دون آخر ، إذ الأصل أن القائمين على المرحلة من الدعاة ، هم المنوط بهم ،

اختيار محتوى البرنامج الملائم لما يحيط بهم من ظروف .

وأما مانقدمه هنا ـــ على طوله ـــ فليس إلا مؤشرا يهدى وعلامة تدل ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإلى الحديث عن محتوى برنامج مرحلة التكوين .

محتوى برنامج مرحلة التكوين

إن هذا المحتوى ــ تبعا لأهمية المرحلة ــ هو أهم محتوى بين محتويات البرامج فى مراحل الدعوة ، لما سبق أن أكدناه ، من أنها مرحلة تكوين وإعداد .

ومن أجل هذه الأهمية ، فإن محتوى برنامج هذه المرحلة ، يقبل من العناصر والمفردات ، كل مايحتاج إليه التكوين ــ وإنه لكثير ــ ولكثرته ، فإن حديثنا هنا ، سوف يكون عن الحد الأدنى الذى لا يجوز أن ينتقص منه بحال وهذا الحد الأدنى الذى سنذكره ، قابل لأن يزيد عليه القائمون على المرحلة فى كل قطر بما يرونه ملائما لهم ، أما أن ينقصوا منه ، فإن ذلك غالبا مايؤدى إلى انتقاص التكوين ، أو تعويق المرحلة عن أن تبلغ أهدافها .

وإن الحد الأدنى الذى نقترحه لعناصر البرنامج أو مفرداته ، ليتمثل فى نظرنا فيما يلى :

١ ــ تربية الروح .

٢ ــ وتربية العقل .

٣ ــ وتربية الخلق .

٤ ــ وتربية الجسم .

٥ ــ وتربية الحس الاجتماعى .

ولكل واحد من هذه العناصر الخمسة لنا حديث يخضع لمنهج معين التزمنا به فى الحديث عن كل عنصر .

وهذا المنهج يتمثل فى نقاط هى :

أولا : ماهذا العنصر ؟

ثانيا : الإسلام وهذا العنصر .

ثالثا : تربية الإسلام لهذا العنصر .

رابعا : أثر هذه التربية .

ولنبدأ بالعنصر الأول من عناصر البرنامج وهو :

العنصر الأول : تربية الروح

أولا : ماالروح ؟

إنها شيء مبهم غامض ، لا يعلم حقيقته إلا الله وحده ، قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [1] .

ومن أجل هذا الغموض ، وذاك الإبهام ، أنكر الماديون الروح ، لأن إدراكها لا تتناوله الحواس ، وهم لا يعترفون إلا بالمدركات الحسية فقط ، ويتجاهلون ماوراء ذلك .

والحق الذى لا شك فيه أن الروح موجودة ، وأن بعض الناس ، يستطيع بهذه الروح ، أن يدرك بعض ماهو محجوب عن عالم الحواس ، كالاستشفاف [2] والتخاطر (TELEPATHY) كما حدث هذا ، فى قصة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، مع سارية بن حصن ، عندما كان عمر يخطب الناس ، ثم قطع خطبته وقال : « ياسارية بن حصن : الجبل الجبل ، ومن استرعى الذئب ظلم » .

وعمر بن الخطاب فى تاريخنا الإسلامى ، هو الرجل الملهم الذى قال عنه النبى ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده ، عن عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، عن النبى ﷺ ، أنه كان يقول : « قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » [3] .

والروح هى وسيلتنا نحن البشر ، وبخاصة أهل الهدى منا ـــ للاتصال بالله سبحانه ، إذ هى تهتدى إليه بفطرتها السوية ، كما يهتدى إليه كل شيء خلقه ، ويسبح له ، وحسبنا شرفا وتكريما أن أبانا آدم ـــ عليه السلام ـــ قد قال عنه تبارك وتعالى : ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾ [4] وهو أبو البشرية كلها .

والله سبحانه وتعالى أراد لنا أن نهتدى إليه ، بل جعل الاهتداء إليه دليلا على سلامة الفطرة ، وأن هؤلاء المهتدين هم من أصحاب الصراط السوى ، فقال سبحانه : ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ [5] . بمعنى أن الله أودع فى كل شيء صفاته

---

(١) سورة الإسراء : ٥٨ . (٢) هو القدرة على رؤية الأشياء دون التقيد بحجابى الزمان والمكان .

(٣) الإمام مسلم : صحيحه : فضائل الصحابة : ٢ / ٣٥٦ ط الحلبى دون تاريخ .

(٤) سورة الحجر : ٢٩ ، وسورة ص : ٧٢ . (٥) سورة طه : ٥٠ .

التى تؤهله لأداء وظيفته التى خلق لها فى الحياة ، كما أنها سبيل هداية الإنسان إلى الله .

بل شجع الله الناس على الاهتداء إليه ، قال سبحانه : ﴿ **ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾ (١) .

والعقيدة الصحيحة ، تساند الفطرة وتهديها إلى الله ، وتطلق هذه الروح من إسارها ، فتهديها إلى الله وإلى الحق ، فكأن وظيفة الروح هى الاتصال بالله سبحانه ، والتقرب إليه بما فرض علينا من عبادات ، وإدراك ما لا يدرك بالحواس عند بعض من اختارهم الله من عباده لذلك .

ثانيا : الإسلام والروح :

الروح إحدى طاقات الإنسان الثلاثة : الروح والعقل والجسم ، بل هى أهم هذه الطاقات وأقدرها على الانطلاق والانعتاق من الحدود المادية ، وذلك أن طاقة الجسم مقيدة بكيانه المادى وحواسه .

وطاقة العقل مقيدة بالزمان والمكان ، والبدء والنهاية والفناء .

أما طاقة الروح ، فلا تعرف شيئا من هذه القيود كلها ، فهى تملك بحكم خلق الله لها ، الاتصال بالخلود الأبدى والوجود الأزلى ، بل تملك الاتصال بالله سبحانه وتعالى .

ثالثا : تربية الإسلام للروح :

للإسلام فى تربية الروح أسلوب ، نستطيع أن نتعرف عليه ، من خلال تلك النقاط ، التى تمثل فى مجموعها أسلوب الإسلام فى تربية الروح .

وهذه النقاط هى :

النقطة الأولى : عقد صلة بين الروح وخالقها سبحانه صلة مستمرة فى كل لحظة من لحظات الحياة ، وفى كل قول أو فعل أو حس أو خاطر ، بحيث يصبح منهج الروح فى حياتها أن تشرق بصلتها بربها ، واتخذ هذا الأسلوب لذلك وسائل عديدة منها :

١ ــ إثارة إحساس القلب ، ليحس دائما بوجود الله سبحانه ، عن طريق التأمل فى ملكوته ، وعجيب مخلوقاته ، سواء كان ذلك التأمل فى الإنسان ، أو فى الكون كله .

---

(١) سورة السجدة : ٩ .

٢ ـــ إثارة إحساس القلب ، بدوام رقابة الله للإنسان ، فى كل قول أو عمل ، وفى كل زمان ومكان .

٣ ـــ إثارة خشية الله وتقواه فى كل أمر من الأمور .

٤ ـــ إثارة حب الله فى القلب والتطلع إلى رضاه سبحانه .

٥ ـــ بعث الطمأنينة فى القلب ، تجاه القضاء والقدر ، والرضا بكل مايأتى به فى السراء والضراء .

النقطة الثانية : إيقاظ الروح بجعلها دائما فى دائرة الطاعة لله ، لأن المعصية تعمى ، وبجعلها دائما على درجة من الوعى بما حولها ، لأن التبلد يردى ، ولذلك وسائل عديدة منها :

١ ـــ إلزام الروح بالطاعات والقربات من نوافل ، وذكر ، وقيام ليل ، وصدقة وغيرها .

٢ ـــ إبعادها عن المعصية ، التى تبلدها ، وتعمى بصبرتها ، وإبعادها عما ألفته واعتادته من غفلة ؛ لأن الغفلة عما يحيط بالإنسان ، تقلل من قدرته على التأمل والتدبر .

٣ ـــ تجديد نشاط الروح ، بالتدبر فيما جاء فى القرآن الكريم ، عن خلق الله للناس والأشياء ، وعن عظمته سبحانه وحكمته التى يدركها أحيانا من تدبر .

وآيات القرآن الكريم فى هذا المجال كثيرة ، نذكر منها :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾[١] .

وقوله سبحانه : ﴿ **إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر**

---

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .

ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون . وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير ﴾(٣) .

وقوله سبحانه : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون . ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء مايمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون . والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم

---

(١) سورة الأنعام : ٩٥ ـــ ٩٩ .　(٢) سورة الأعراف : ٥٤ .　(٣) سورة النحل : ٦٥ ـــ ٧٠ .

بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ **يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾**[2] .

وقوله سبحانه : ﴿ **قتل الإنسان ماأكفره . من أى شىء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره . كلا لما يقض ماأمره . فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم ﴾**[3] .

٤ ـــ الدعوة إلى التأمل والنظر والتفكر فى مخلوقات الله سبحانه وأهمها : الإنسان ؛ نفسه وجسمه وعقله وأجهزة هذا الجسم ، وفكر هذا الإنسان ، وما يقدر عليه من فهم ، وحفظ ، وتذكر ، وإدراك للعلاقات بين الأشياء ، بل ما فى قلب هذا الإنسان ، من حب وكراهية ورضا وغضب وانفعالات .

٥ ـــ توجيه الروح إلى علم الله الشامل ، وإحاطته الكاملة ، بكل ما فى الكون ، بل بكل ما فى عالم الغيب والشهادة ، لأن ذلك يملأ الروح بالإعجاب ، فالإيمان ، فالتسليم لله سبحانه ، والتماس ذلك فى القرآن الكريم ميسور ، ففيه عدد كبير من الآيات الدالة على ذلك نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلا فى كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم**

---

(١) سورة النحل : ٧٨ ـــ ٨١ . (٢) سورة الحج : ٥ ـــ ٧ . (٣) سورة عبس : ١٧ ـــ ٣٢ .

بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال . هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ﴾[2] .

وقوله سبحانه : ﴿ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهوالحكيم الخبير . يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور . وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا فى كتاب مبين ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[4]

وقوله سبحانه : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾[5] .

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩ — ٦١ . (٢) سورة الرعد : ٨ — ١٣ . (٣) سورة سبأ : ١ — ٣

(٤) سورة فاطر : ١١ . (٥) سورة فصلت : ٥٣ .

النقطة الثالثة : تربية الروح بالعبادة .

عبادة الله أعظم وسائل تربية الروح وأجلها قدرا ، إذ العبادة هى غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ....** ﴾[1] .

والإنسان عبد لله بحكم الشرع ، وهو نوعان :

أ ـــ عبد مخلص لله ، وهو الذى تحدثت عنه الآيات الكريمة فى آخر سورة الفرقان وهى :

﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما . قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما** ﴾[2] .

ب ـــ عبد للدنيا وأعراضها ، وهو العاكف على خدمتها ومراعاتها وإياه قصد النبى ﷺ ، بقوله فيما رواه البخارى بسنده : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٣ ـــ ٧٧ .

كان فى الحراسة ، كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة ، كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » [1] .

والعبادات التى تربى الروح نوعان :

النوع الأول : العبادات المفروضة كالطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها .

والنوع الثانى : العبادات بمعناها الواسع ، الذى يشمل كل عمل يعمله الإنسان أو يتركه ، بل كل شعور يقبل عليه الإنسان تقربا به إلى الله تعالى ، بل يدخل فيها كل شعور ، يطرده الإنسان من نفسه ، تقربا بذلك إلى الله تعالى ، مادامت نية المتعبد بهذا العمل ، هى إرضاء الله سبحانه ، فكل الأمور العادية ، مع نية التقرب إلى الله سبحانه عبادة يثاب صاحبها ، وتربى روحه تربية حسنة .

رابعا : أثر تربية الإسلام للروح :

وهذا الأثر هو ماتسعى مرحلة التكوين إلى تحقيقه ، ويتمثل فى أمور عديدة نشير إلى أهمها فيما يلى :

١ ــ **توثيق صلة الإنسان بربه** سبحانه وتعالى .

٢ ــ **وتحسين صلة الإنسان بنفسه** ، وتوجيهها دائما نحو الخير .

٣ ــ **وتوضيح صلة الإنسان بالكون** وما فيه ، وترشيد هذه الصلة .

٤ ــ **وتحبيب الإنسان لأخيه المسلم** ، وحرصه على هدايته وحب الخير له .

٥ ــ **وتحبيب الإنسان لمخلوقات الله كلها** ، والتعامل معها ، وفق منهج الإسلام ونظامه .

٦ ــ **وتحبيب الإنسان فى الخير عموما** والتقرب به إلى الله .

٧ ــ **واستعلاء الإنسان على شهواته** ، وسيطرته على نزغاته ، وتوجيه ذلك كله ، وفق منهج الله ونظامه فى الحياة الدنيا .

٨ ــ **واستعلاء الإنسان على القوة المادية** ، وعدم الوقوع فى أسرها ، بل إعطائها حجمها الصحيح ، ومكانها الصحيح .

٩ ــ **واستعلاء الإنسان على أى قوة مادية ، أو غير مادية** تهدده لينصرف عن الحق ، بل عليه أن يستمر عليه ويصبر ويحتسب .

---

(١) البخارى : صحيحه : باب الجهاد .

١٠ ــ واستمداد القوة من الله وحده ، القوة بشتى صورها وألوانها ، مادية كانت أو معنوية .

العنصر الثانى ــ من عناصر برنامج مرحلة التكوين

تربية العقل

ويتناول :

أولا : ماالعقل ؟

من معانيه : القوة المتهيئة لقبول العلم .

ومن معانيه : العلم الذى يستفيده الإنسان بتلك القوة .

وأصله : الإمساك والاستمساك ، لأنه يمسك صاحبه عن عمل بعينه .

وتربيته : تعنى تنمية قدرته على النظر والتأمل والتفكر والتدبر ، وذلك هو الذى يؤهله لحمل أعباء الدعوة إلى الله .

وهذا النظر والتأمل والتفكر والتدبر ، مطلب قرآنى ، دعا إليه ربنا ، سبحانه وتعالى ، فى محكم كتابه ، وجعله أمرا لكل إنسان ، تحدثت بذلك آيات كثيرة نذكر منها :

قوله تعالى :

﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه :

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يونس : ١٠١ . (٢) سورة آل عمران : ١٣٧ . (٣) سورة العنكبوت : ٢٠ .

وقوله سبحانه :

﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ (١) .

وقوله جل شأنه :

﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم** ﴾ (٢) .

ثانيا : الإسلام والعقل :

العقل ـــ كما أسلفنا ـــ إحدى طاقات الإنسان الثلاثة التى ذكرناها آنفا .

وقد نظر الإسلام إلى العقل من خلال وظائفه ، وما يؤديه فى الحياة الدنيا ، على النحو التالى :

النظرة الأولى : هو مناط التكليف عند الإنسان ، فمن حرم العقل لجنون أو غيره ، فهو غير مكلف ، أو قد سقط عنه التكليف ، قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾(٣) .

النظرة الثانية : هو نعمة من الله على الإنسان ، يتمكن بها من قبول العلم واستيعابه ، وإلى ذلك أشار الرسول ﷺ ، فى قوله : « ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » فهو يهيىء لصاحبه الاستقامة على طريق الحق والهدى ، ويحبسه عن الخروج على سنة الله وفطرته التى فطر الناس عليها ، كما جاء فى حديث نبوى آخر هو : « ما كسب أحد شيئا ، أفضل من عقل يهديه إلى هدى ، أو يرده عن ردى » .

ثالثا : تربية الإسلام للعقل :

وضع الإسلام لتربية العقل منهجا ، يتمثل فى عدد من النقاط ، نستطيع أن نشير إليها على النحو التالى :

النقطة الأولى : يجب على الإنسان أن يجرد عقله ـــ وهو يتدبر أى شىء ـــ من كل المسلمات المبنية على الظن والتخمين ، أو التقليد والتبعية ، فقد حذر القرآن الكريم من

---

(١) سورة ص : ٢٩ . (٢) سورة عبس : ٢٤ ـــ ٣٢ . (٣) سورة الإسراء : ٣٦ .

ذلك ، فى الآيات الكريمة التالية :

قوله تعالى : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا** ﴾ (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ **قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** ﴾ (٢) .

النقطة الثانية : إلزام العقل بالتثبت والتحرى من كل أمر ، قبل أن يصبح هذا الأمر معتقدا يؤمن به صاحبه ، ويرتب عليه أعمالا قد تضر به أو بالآخرين ، فقد حذر الله سبحانه من ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين** ﴾ (٣) .

وفى قوله تعالى : ﴿ **ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ (٤) .

النقطة الثالثة : دعوة العقل إلى التدبر ، والتأمل فى نواميس الكون ، مما يعطى العقل أحسن الفرص للتمييز بين الحق والباطل ، بل الدخول فى الإيمان عن تبصر ويقين ، قال تعالى يدعو إلى ذلك : ﴿ **وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ (٥) ، وقال جل شأنه : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ (٦) .

وقال سبحانه : ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وماأرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ (٧) .

وكل هذه الدعوات القرآنية الكريمة ، تطلب من العقل أن يتبصر ، وأن يبحث عن الحق ، وأن ينتسب إلى هذا الحق ويصبر عليه .

النقطة الرابعة : دعوة العقل إلى التأمل فى حكمة ماشرع الله لعباده من عبادات ، ومعاملات ، وأخلاق ، وآداب ، وأسلوب حياة كامل ، فى السلم والحرب ، فى الإقامة والسفر ، لأن ذلك فوق أنه ينضج العقل وينميه ، بتعرفه على تلك الحكم ، يعطيه أحسن الفرص ليطبق هذا الشرع الإلهى فى حياته ، ولا يرضى به بديلا ، لما فيه من تحقيق سعادة

---

(١) سورة النجم : ٢٨ . (٢) سورة البقرة : ١٧٠ . (٣) سورة الحجرات : ٦ .

(٤) سورة الإسراء : ٣٦ . (٥) سورة الحجر : ٨٥ . (٦) سورة التغابن : ٣ .

(٧) سورة الإسراء : ١٠٥ — ١٠٦ .

البشرية كلها فى معاشها ومعادها ، لأن الله سبحانه إنما شرع ماشرع لذلك ، قال سبحانه : ﴿ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ **وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا مااضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين** ﴾ (٢) .

وأولئك الأسلاف الصالحون ، الذين تأملوا حكمة الله سبحانه ، وحكمة التشريع ، هم الذين تركوا للعالم كله هذا الرصيد الهائل من أبواب الفقه الإسلامى ، بل من أسباب سعادة الدنيا والآخرة .

النقطة الخامسة : دعوة العقل إلى النظر فى سنة الله فى الناس ، عبر التاريخ البشرى ، لأن العقل الناظر إلى تاريخ الآباء والأجداد والأسلاف ، المتعظ بما حدث منهم ، وما حدث لهم ، هو العقل الذى يستطيع أن يهتدى إلى الحق ، ويعرف طريقه ، ويسلك فى حياته السلوك الذى يحقق له سعادة المعاش والمعاد .

دعا الله كل عقل إلى التأمل فى تاريخ السابقين ، والتعلم مما كان ، قال سبحانه : ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين . ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ **أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ (٥)

---

(١) سورة النساء : ٢٦ ــ ٢٨ .
(٢) سورة الأنعام : ١١٩ .
(٣) سورة الأنعام : ٦ .
(٤) سورة يونس : ١٣ ــ ١٤ .
(٥) سورة الروم : ٩ .

ذاك هو النظام الذى وضعه الإسلام ، لتربية العقل ، خشية أن يضل فى التيه ، الذى يضل فيه كثيرا من الفلاسفة ، الذين مجدوا العقل ، وأعطوه أكثر مما يستحق ، وفضلوه بهذا على سائر طاقات الإنسان ، بل خشية إن يُضل هذا العقل غيره من الناس بعد تخبطه فى التيه ، فيحمل بهذا الإضلال وزره ووزر من أضله من الناس .

رابعا : أثر تربية الإسلام للعقل :

وهذا الأثر — كذلك — هو من بين ماتسعى إليه مرحلة التكوين ، ويتمثل فى أمور عديدة نشير منها إلى مايلى :

١ — تنقية العقل من الوهم والخرافة ، والدجل والمسلمات المبنية على الظنون والأوهام .

٢ — تمكين العقل من النضج بتربيته على التريث والتثبت ، حتى لا يتسرع ، فيظلم ، فيندم ، ولات ساعة مندم ، وقد وقع فى الظلم بهذا التسرع .

٣ — تعويد العقل على إدراك حقيقة هذا الكون الذى يعيش فيه ، بحيث لا تخدعه مفردات هذا الكون ، مهما عظمت ، حتى لا يقع فى عبادتها ، كما صنع بعض الضالين من الماضين .

٤ — إلزام العقل بأن يتعرف على الحق من قرب وعن يقين ، وأن يكون ملازما للحق ، بل من دعاته والصابرين على لأواء التمسك به .

٥ — إقدار العقل على التأمل والنظر فى حكمة الله سبحانه ، فيما شرعه للناس من منهج ونظام ، يحقق لهم سعادة الدارين ، حتى يتشبث هذا العقل بذاك المنهج ، ولا يرضى به بديلا .

٦ — تمكين هذا العقل من التأمل فى تاريخ البشرية ، وهذا التاريخ هو أكبر كتاب ، وأوسعه أبوابا وفصولا ، ليخرج من ذلك بنتيجة حاسمة ، يقارن فيها بدقة وحسم ، بين الإيمان والكفر ، وأعمال المؤمنين ، وضلالات الكافرين ، ثم جزاء المؤمنين والكافرين ، فى الدنيا والآخرة .

وإنما كان تاريخ البشرية بهذه الأهمية فى إنضاج العقل عند التأمل فيه ، لأنه ممارسات الآباء والأجداد القريبة من الحق ، أو البعيدة عنه ، والبشرية كما هو معروف — لدى العقلاء — لآدم عليه السلام — وكل البشر أبناؤه ، وكل التجارب البشرية ، على مر التاريخ ، تحمل علامات تهدى من أراد أن يفكر ويتأمل ، ويتعظ بمن سبقوه .

٧ ــ منع هذا العقل من أن يضل فى المتاهات ، وتحذيره من النسج على منوال الضالين السابقين ، حتى لا يقع فى إضلال غيره من الناس ، فيخرج من الدنيا ــ وهو لا بد خارج منها ــ وقد حمل وزره ووزر من أضله .

والناس مفتونون دائما بأصحاب العقول التى تبتدع ، فكان لا بد من هذا المنع ، أو هذا التحذير رحمة من الله بالناس ، مبتدعيهم ومتبعيهم على السواء .

العنصر الثالث ــ من عناصر برنامج مرحلة التكوين

تربية الخلق

وتتناول :

أولا : ما الخلق ؟

الخلق : السجية التى تدرك بالبصيرة ، ومنه قوله تعالى : فى مخاطبة خاتم أنبيائه ومرسليه : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [1] .

والأخلاق : الأعمال التى توصف بالحسن ، أو القبح ، ونعنى بها هنا : تلك القيم الفاضلة ، أو الفضائل الإنسانية ، التى يجب أن يتحلى بها الإنسان عموما ، والإنسان المسلم على وجه الخصوص .

وتلك الأخلاق الفاضلة ، هى التى جاء بها الوحى من عند الله ، والتى ترتبط دائما بما يحقق النفع للإنسان ، فى معاشه ومعاده .

وللأخلاق فى الإسلام مصدران وحيدان هما :

القرآن الكريم .

والسنة النبوية المطهرة .

بحيث لا يعرف الإسلام ــ وقد أتمه الله وأكمله ــ قيما أخلاقية بمنأى عن الكتاب والسنة ، السنة بمعناها الحقيقى الذى تدخل فيه السيرة النبوية .

ويبدأ الخُلق فى الإسلام بما يسبق السلوك وهو النية ، والنية عند المسلمين ، يقصد بها وجه الله تعالى فى كل قول وعمل ، بل فى كل أخذ وترك ، أى فى كل خلق .

---

(١) سورة القلم : ٤ .

بل النية هى التى توجه الخلق ، وتعطيه رشده وترسم له أبعاده .

ثانيا : الإسلام والخلق :

ينظر الإسلام إلى الخلق والقيم الأخلاقية ، نظرة تعتمد على ركائز خاصة ، هى التى يقوم عليها صرح الأخلاق فى الإسلام .

ونستطيع أن نشير من هذه الركائز إلى مايلى :

١ ــ أن الإنسان يمارس العمل أو الترك فى حرية ، بمعنى أنه يريد ، فيعمل ، أو لا يريد ، فيترك ، فإذا أراد وعمل ، فإنما يعمل وفق منهج ونظام ، وإذا لم يرد فامتنع ، فإنما يمتنع وفق منهج ونظام .

فالحرية هنا ، حرية إرادة ، والالتزام بالمنهج فى العمل ، والترك ، دواعى **فطرة** سوية .

٢ ــ أن الإنسان مسئول عما يعمل أمام الله ، الذى لا تخفى عليه خافية ، وأمام الناس ، لأن عمله لابد أن يكون له صلة بالناس ، إذ قد يعود عليهم بالضرر .

فهو يقدر هذه التبعة ، ويرعى ما أحل الله وما حرم ، حتى لا يضر بأحد ، وذلك استجابة للقرآن الكريم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[٢] .

وقال جل شأنه : ﴿ **يأأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** ﴾[٣] .

فكل مايأتيه الإنسان من عمل ، وكل مايدعه كذلك من عمل ، هو مسئول عنه بين يدى الله ، محاسب عليه إن أطاع أو عصى .

٣ ــ الأخلاق فى الإسلام ، نابعة من قانون الله سبحانه وتعالى ، وهو وحيه إلى محمد ﷺ ، والمادة المكونة لهذا القانون ، مكتوبة ، بل محفورة فى قلب كل مسلم ، وهو يقرأ ورده القرآنى كل يوم ، وهو يتصفح سنة المعصوم ﷺ ، بمعناها الذى تدخل فيه السيرة .

---

(١) سورة المدثر : ٣٨ . (٢) سورة الأنعام : ١٦٤ . (٣) سورة يونس : ١٠٨ .

٤ ــ الأخلاق فى الإسلام تقوم على أساسين هما :

العدل ،

والإحسان .

وهما أساسان ، يجمعان من صنوف الخير ، مايستغرق الخير كله .

والعدل أنواع :

عدل مع الله : بمعنى الالتزام بما أمر ، والانتهاء عما نهى .

وعدل مع النفس ، بإلزامها بمنهج الله سبحانه .

وعدل مع الناس ، بعمل الخير لهم ، ودفع الظلم عنهم وبذل النصيحة ، وترك الخيانة .

والإحسان : إحسان للعبادة ، ومراقبة الله سبحانه ، وتجويد العمل وإتقانه ، وإيصال البر للناس .

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ــ فليس على خلق ، ذلك الإنسان الذى يقدر على أمر بمعروف ، ثم لا يأمر به ، أو يقدر على نهى عن منكر ، ثم لا ينهى عنه .

وقد سبق لنا حديث مفصل عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونحن نتحدث عن أركان الدعوة إلى الله ، فى الفصل الخامس ، من الباب الأول من هذا الكتاب .

تلك نظرة الإسلام إلى الخلق ، كانت ومازالت وستظل ، هى طوق النجاة ، التى تنجى من الغرق فى لجج الفوضى والضياع ، والتخلق بأخلاق من وضع البشر ، بل الوقوع فى الظلم ، والتفريط والسلبية .

ثالثا : تربية الإسلام للخلق :

يربى الإسلام خلق الإنسان ، على أساس منهج ، إلهى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ويقوم هذا المنهج فى تربية الخلق على ركيزتين :

الركيزة الأولى : التحلى بالفضائل ، التى جاء بها الإسلام ، على أى مستوى من مستويات العمل والسلوك ، بل مستويات العمل والترك ، بالنسبة للفرد والبيت ، والمجتمع والأمة كلها ، ولذلك شىء من التفصيل فيما يلى :

أ ــ على مستوى الفرد :

أوجب الإسلام عليه ، أن يتصف بكل فضيلة ، نادى بها الإسلام ، اتصاف وجوب ، لا يستطيع أن يعفى نفسه منها أبدا .

وهذه الفضائل جاءت فى القرآن والسنة ، وهى من متممات الإيمان ، ومكملات الإسلام ، وشرائط الإحسان والعدل ، يتصف بها كل مسلم فى السر والعلن .

ب ــ وعلى مستوى العائلة :

أوجب الإسلام على الأسرة كلها ، أبا وأما وأولادا وخدما ، أن يتحلوا بأخلاق الإسلام ، فى كل أمر من أمور حياتهم ، كما حددت لهم الشريعة بغاية الدقة والتفصيل حقوق كلٌ وواجباته ، ليكون التحرك بالأخلاق الإسلامية ، فى إطار هذه الحقوق والواجبات .

يمارس أفراد الأسرة جميعا ، هذه الأخلاق فى داخل البيت وفى خارجه على السواء .

جـ ــ وعلى مستوى المجتمع :

والمجتمع أفراد ملتزمون بأخلاق الإسلام أفراداً أو عائلات ، ملتزمة بأخلاق الإسلام المحددة الواضحة ، والمجتمع كله أفرادا وعائلات ، أوجب عليهم الإسلام نمطا أخلاقيا هاما ، يدعم الحق ، ويزهق الباطل ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى يتطهر المجتمع من كل مايعيبه ، أو يقلل من فرص الخير فيه ، أو يسمح لبعض المآثم والمعاصى أن تمارس ، فضلا عن أن تشيع وتنتشر .

د ــ على مستوى الأمة :

كل فرد فى الأمة ، وكل أسرة ، وكل مجموعة أو جماعة ، يجب أن يتمسك بأخلاق الإسلام ، وفى هذا التمسك مافيه من تعزيز الانتماء للدين ، وفيه تأكيد الالتزام بأخلاقه على أوسع المستويات .

وإن تمسك الأمة كلها بأخلاق الإسلام ، لهو أكبر هدف تحققه الدعوة إلى الله ، وعندما يتحقق هذا ، فإن كثيرا من المشكلات ستجد الحل الأكيد ، لأن كثيرا من المشكلات الإنسانية بعامة ، أساسها أخلاق .

هـ ـــ وعلى مستوى الدولة :

والواجب على الدولة أو الحكومة ، أن يتحاكموا إلى منهج الله فى كل مايتعلق بحياة الناس ، حقوقهم وواجباتهم ، إذا أرادوا أن يحققوا بين الناس العدالة ، التى هى مطلب كل حكومة .

ومن تمام الأخلاق وكمالها ، فى الحكومة المسلمة ، أن توجه جهدها إلى نشر دعوة الله فى الأرض ، وأن تعد نفسها والمواطنين فيها ، للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، حتى تكون كلمة الله هى العليا .

و ـــ وعلى مستوى رأس الدولة أو رئيسها :

فإنه عنوان الدولة ، وبالتالى فإن الإسلام يوجب عليه فى هذا المجال أكثر مما يوجب على غيره من الناس ، فهو مسئول وراع ، بل هو المنوط به الحفاظ على الأخلاق الإسلامية فى الدولة التى يرأسها .

والركيزة الثانية : هى التخلى عن الرذائل والشرور والفواحش ، ما ظهر منها وما بطن . من كل ما حرم الله على الناس . مع طرح كل سلبية ، تؤدى إلى إشاعة الشر ، والفساد ، أو الانحلال ، أو التخلخل فى العلاقات الاجتماعية بين الناس .

وفى الإسلام الحنيف ، دوائر تتسع نسبيا فى تحريم الرذائل الأخلاقية على الناس ، يمكن أن نذكرها على النحو التالى :

الدائرة الأولى :

اجتناب الكبائر الثلاث ، التى اعتبرها الإسلام من أكبر الكبائر وهى :

الشرك بالله .

وعقوق الوالدين .

وشهادة الزور .

فقد روى البخارى بسنده ، عن أبى بكرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » قلنا : بلى يارسول الله . قال : « الإشراك بالله . وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، ألا وقول

الزور ، وشهادة الزور » فمازال يقولها ، حتى قلت : لا يسكت[1] .

وكل كبيرة من هذه الكبائر ــ عند التأمل ، وإنعام النظر ، وإمعانه ــ تستطيع وحدها ، أن تهدم المجتمع الإنسانى ، وأن تحيل العلاقة بين أفراده إلى أسوأ صورة لها ، حيث تحول بين أى مجتمع والعدالة والاستقرار والأمن .

الدائرة الثانية :

وهى أوسع من سابقتها نسبيا ، وهى دائرة السبع الموبقات وهى :

الشرك بالله .

والسحر .

وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق .

وأكل الربا .

وأكل مال اليتيم .

والتولى يوم الزحف .

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات .

فقد روى البخارى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[2] .

وإن المتأمل فى هذه الموبقات ، ليوقن أن اقتراف أى واحدة منهن ، كافية لأن تصيب المجتمع بالقلق والظلم والعدوان ، واستغلال حاجة المحتاجين ، وضياع حقوق الضعفاء ، والعجز والتواكل ، والقعود عن النصرة والجهاد فى سبيل الله ، وإشاعة الفاحشة ، فى الذين آمنوا ، بالتعرض للأعراض بالمساءة .

الدائرة الثالثة :

وهى أوسع الدوائر الثلاث ، وهى دائرة اجتناب كل منكر أو رذيلة ، مع العمل على تغيير المنكر فى حدود الطاقة ، لتنقية المجتمع من هذه الرذائل .

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب الأدب ٨ / ٤ ط دار الشعب القاهرة .

(٢) السابق : باب الوصايا ٤ / ١٢ ط الشعب القاهرة .

فقد نهى الإسلام عن كل منكر كل أحد ، وأمر كل قادر على النهى عن المنكر أن يمارسه على درجاته ، التى تحدثنا عنها ، فى حديثنا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فى الفصل الخامس من الباب الأول ، من هذا الكتاب .

وقد أوردنا هناك عددا من الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية التى تنهى عن المنكر ، وتأمر القادرين بالنهى عنه ، ونذكر هنا بحديثين اثنين فقط مما ذكرناه هناك :

روى الإمام مسلم بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وروى الإمام الترمذى بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، نهتهم علماؤهم ، فلم ينتهوا ، فجالسوهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم » ثم جلس — وكان متكئا — فقال : « ألا والذى نفسى بيده ، حتى تأطروهم على الحق أطرا » .

وروى معنى الحديث الإمام أبو داود ، بسنده كذلك .

وذلك — كما هو واضح — أوسع أبواب ، أو دوائر التخلى عن الرذائل والمنكرات والسلبيات المفسدة للمجتمع ، وكلمة المنكر — كما أوضحنا سابقا — تتناول كل رذيلة ، وكل عمل يعود بالضرر على الفرد أو المجتمع ، كما أكدنا ذلك مرارا .

رابعا : أثر تربية الإسلام للخلق :

إن أثر تربية الإسلام للخلق ، كما اتضح لنا فيما سبق ، من حرص الإسلام ، على ضرورة التحلى بالفضائل ، وضرورة التخلى عن الرذائل ، يتمثل فى أمور نشير منها إلى مايلى :

١ — غرس الفضائل فى الأفراد والعائلات والمجتمع كله ، والتشجيع على ممارستها .

٢ — وعد الإسلام للمتحلين بالفضائل بحسن ثواب الدنيا والآخرة ؛ لأنهم بهذا التحلى مجاهدون فى سبيل الله ، يتحملون من العناء شيئا كثيرا .

٣ — تهديد المتخلين عن الفضائل ، بخسران الدنيا ، لفساد المجتمعات التى يعيشون فيها ، وبخسران الآخرة ، لمعصيتهم لله بهذا التخلى .

٤ — تنقية المجتمع من الآفات والانحرافات الخلقية التى تعوق كل شىء فى المجتمع ، أمانته

وأمنه ، بل سلامة سياسته ونظامه .

٥ ـــ ردع المنحرف ردعا كافيا ، يحمله ويحمل غيره على احترام الفضائل ، واجتناب الرذائل .

٦ ـــ التيسير على الناس فى التحلى بالفضائل ، إذ يرون كبراءهم والمسئولين فيهم ورعاتهم ، على قدر أكبر من الطهارة والنقاء ، والتمسك بالفضائل ، والبعد عن الرذائل .

٧ ـــ محاصرة الرذائل وأصحابها ، اجتماعيا وسياسيا وفكريا وإعلاميا ، حتى تنكمش هذه الرذائل ، وتذوب فى خضم الفضائل السائدة ، وحتى لا يسع أصحاب الرذائل ، إلا التخلى عنها ، والمضى فى ركب الفضلاء .

٨ ـــ حشد الطاقات والإمكانات فى مجال الدعوة والإعلام لنشر الفضائل والإشادة بها وبالمتحلين بها .

٩ ـــ إعطاء المجتمع فرصة ليعبر عن نفسه ، من حيث دينه وأصالته فى هذا الدين ، ورغبته الفطرية فى التدين والتمسك بكل ماأمر الله به من فضيلة ، مع التخلى عن كل مانهى عنه من رذيلة .

١٠ ـــ جعل التحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل ، ذا أولية فى المجتمع ، قبل أى شىء آخر ، مع جواز أن يكون لهذا وذاك نظام حوافز وتشجيع .

هذه هى آثار تربية الإسلام للخلق ، وهى آثار جليلة القدر ، عظيمة النفع فى حياة الناس ، قادرة تماما على أن تحقق لهم من السعادة والرضى قدرا ، لا يحققه أى منهج أو نظام ، وبخاصة إذا ما تذكرنا أن كل مشكلات الناس ومتاعبهم فى الحياة بشتى شعبها ، إنما تعود إلى أزمات فى أخلاق الناس ، ببعدهم عن الفضائل واقترابهم أو اقترافهم الرذائل ، والعالم من حولنا فى غربه وشرقه يُقدِّم على ذلك ـــ فى أدنى مشاهدة له ـــ أقوى الأدلة ، وأنصع البراهين ، فالأمم أخلاق ، قبل أن تكون ماديات وآليات .

العنصر الرابع ـــ من عناصر برنامج مرحلة التكوين
تربية الجسم

وتتناول :

أولا : ماالجسم ؟

هو الطاقة الثالثة فى الإنسان ، بعد روحه وعقله ، وهى الطاقة الأقرب إلى العنف والقوة المادية ، على الرغم من أنها طاقة مقيدة بحدود الكيان المادى له ، وحدود الحواس التى

تدرك ما هيئت له فقط ، وبحدود القدرات العضلية ، وما هيئت له كذلك .

والجسم هو وعاء الروح والعقل ، أو ميدانهما فى الحركة والسكون ، والفعل والترك ، والروح والعقل ، دون هذا البدن لايمتان إلى عالمنا الإنسانى الذى نعيشه فى هذه الدنيا .

ثانيا : الإسلام والجسم :

يؤكد الإسلام أن الله تبارك وتعالى ، خلق الإنسان الأول ـــ آدم عليه السلام ـــ من سلالة من طين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل له السمع والبصر والفؤاد .

هذا الجسم الطينى الأصل ، هو وعاء الروح والسمع والبصر والفؤاد ، قال الله تعالى : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون** ﴾ (١) .

وبهذه الطاقات الثلاث التى منحها الله للإنسان :

طاقة الروح ،

وطاقة العقل ،

وطاقة الجسم ، قد استخلفه الله فى الأرض ، وطلب منه أن يعمرها ، قال سبحانه : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ ، ووعد الله الإنسان بأن يمكن له فى الأرض ، ويمكن لدينه ، إن آمن الإنسان وعمل صالحا .

كل ذلك قد طولب به الإنسان .

كما طالب الإسلام الإنسان ، بأن يوازن ويلائم بين طاقاته الثلاثة ، روحه وعقله وجسمه ، بحيث لا تطغى مطالب طاقة ، على مطالب أخرى ، وإلا وقع فى الضلال ، ثم الضياع .

فقد غالى بعض الناس فى مطالب الروح ، فدخلوا بذلك فى عالم الوهم والضلال والضياع ، فضلوا فيما وصفوا به أرواحهم من صفات ، وبما خلعوا عليها من قدرات ، وبما أرهقوها به من رياضات ، كان ذلك من كثير من غير المسلمين ، كما كان من بعض المسلمين ، فسقطوا فى حمأة القول بالاتحاد والحلول ، وسقوط التكاليف ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيل الحديث فيه هنا .

---

(١) سورة السجدة : ٧ ـــ ٩

وغالى بعض الناس فى مطالب العقل ، فدخلوا بذلك فى ضلال وتقديس العقل ووصفه بما لم يهيأ له من صفات ، وبالغوا فيما يستطيعه العقل ، وفيما ينفرد به — ومجال ذلك وتفصيله ليس هنا كذلك .

وغالى بعض الناس فى مطالب الجسم ، فدخلوا بذلك كذلك فى الضلال والبعد الشديد عن الصواب ، وأعطوا لأجسامهم من الاهتمام والتقدير ، ما وصل ببعضهم إلى حد عبادة هذا الجسم أو عبادة بعض أجزائه — كأعضاء التناسل مثلا — فضلوا فى ذلك ضلالا بعيدا ، ومنهم من احتقر هذا الجسم ، وأذل ذلك البدن ، فحرمه من كثير من مطالبه ، وكل ذلك ضلال .

أما الإسلام ، فقد نادى بضرورة التوازن والتلاؤم ، بين هذه الطاقات الثلاثة ، دون إفراط أو تفريط ، وفق منهج محكم فى تربية هذا الجسم ، وإجابة مطالبه فى ضوء ما يصلحه ، مما سنتحدث عنه الآن .

ثالثا : تربية الإسلام للجسم :

للإسلام منهج فى تربية الجسم البشرى ، بحيث يؤدى وظيفته دون إسراف أو تقتير ، ودون محاباة لطاقة من طاقاته ، على حساب طاقة أخرى .

ومجمل هذا المنهج ، هو التوازن والتوازى بين الطاقات ، التى أودعها الله فيه .

أما تفصيل هذا المنهج ، فهو فى تصورنا على النحو التالى :

١ — اعترف الإسلام بأن للبدن حاجات أولية مثل :

أ — حاجته إلى الطعام والشراب .

ب — وحاجته إلى الملبس والمأوى .

جـ — وحاجته إلى التزاوج والأسرة .

د — وحاجته إلى تقوية البدن وصحته .

هـ — وحاجته إلى التملك والسيادة .

و — وحاجته إلى العمل والنجاح .

ز — وحاجته إلى الراحة والاستقرار .

٢ — واعترف الإسلام للبدن ، أن يلبى هذه الحاجات كلها ، ولكن فى إطار ماشرع الله ، وما أحل من الطيبات ، واجتناب ما حرم الله من الخبائث .

بل إن الإسلام ينعى على أولئك الذين يحرمون أبدانهم من تلبية حاجاتها على الوجه المشروع ، فقد قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** ﴾[2] .

٣ ــ وجعل الإسلام تحقيق هذه الحاجات مطلبا فى حد ذاته ، إذ بتحقيق هذه الحاجات ، يتمكن الإنسان من أداء وظائفه ، التى وظفه الله لها فى الأرض ، من عبادة لله واستخلاف فى الأرض ، وإعمار لها ، وتعارف وتعاون وتناصر وتمكن وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وجهاد فى سبيل الله ، وبغير تحقيقها لا يكون شىء من ذلك .

٤ ــ ضبط الإسلام ــ على نحو دقيق ــ حاجات الجسم البشرى على النحو التالى :

أ ــ ضبط حاجته إلى الطعام والشراب بقول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[3] .

ب ــ وضبط حاجته إلى الملبس والمأوى ، بأن أوجب من اللباس مايستر العورة ، ويحفظ الجسم ، من عاديات الحر والبرد ، وأوجب مايكون زينة عند الذهاب إلى المسجد ، قال تعالى : ﴿ **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾[4] .

وضبط الحاجة إلى المأوى بقوله تعالى : ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** ﴾[5] .

ووضع الإسلام للبناء شروطاً وآداباً معروفة ليس هنا محل لذكرها .

جـ ــ وضبط حاجته إلى الزواج والأسرة ، بإباحة النكاح ، بل إيجابه فى بعض الأحيان ، وتحريم الزنا ، والمخادنة ، واللواط ، قال تعالى :

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ . (٢) سورة المائدة : ٨٧ ــ ٨٨ . (٣) سورة الأعراف : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف : ٣١ . (٥) سورة النحل : ٨٠ .

﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾[1] .

د ــ وضبط حاجة الجسم إلى التقوية والصحة ــ كما أوضحنا آنفا ــ بعدم الإسراف فى الطعام والشراب والشهوات عموما ؛ لأن هذه آفات تضعف البدن ، وطالب المسلمين بأن يكونوا أقوياء ، قال تعالى :

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم** ﴾[2] .

هـ ــ وضبط حاجته إلى التملك والسيادة ، بأن أباح التملك للمال والعقار ، لكن حرم الحكر ، واكتناز الأموال ، قال تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[3] قال المفسرون : المال والبنون جمال ومتعة لكم فى الحياة الدنيا وهو فوقها .

وفى السيادة ضبطها الإسلام بقوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** ﴾[4] وضبط هذه السيادة بتحريم الظلم والبغى والعدوان قال تعالى : ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾[5] وقال سبحانه : ﴿ **وأعتدنا للظالمين عذابا أليما** ﴾[6] .

ضبط حاجته إلى العمل والنجاح ، بأن جعل من اللازم أن يكون العمل مشروعا ، وغير ضار بأحد من الناس ، ونادى على المسلمين أن يعملوا فى هذه الحياة الدنيا ، ما يكفل لهم القيام بعبء الدعوة والدين ، وما يدخرون عند الله سبحانه . قال تعالى :

﴿ **ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾[7] .

وربط العمل بالإيمان فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وشرط فى العمل أن يكون صالحا ، قال سبحانه وتعالى ﴿ **إن**

---

(٦) سورة المؤمنون : ٥ ــ ٧ . (١) سورة الأنفال : ٦ . (٢) سورة الكهف : ٤٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٤٣ . (٤) سورة الأنعام : ٢١ . (٥) سورة الفرقان : ٣٧ .
(٦) سورة الأعراف : ١٢٩ .

الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾[1] .

بل طالب بالإحسان فى العمل ، فقال سبحانه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[2] .

وضبط النجاح بأن يكون الهدف من العمل الناجح ، هو وجه الله ورضاه ، قال سبحانه : ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾[3] .

ـ وضبط حاجة الجسم إلى الراحة والاسترواح ، بأن حذر من الإسراف فيها ، حتى لا تتحول إلى دعة وكسل ، والأصل فى الشريعة الإسلامية أنها خالية من كل إعنات ، أو إرهاق للإنسان قال تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾[4] وقال : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾[5] .

وحذر الله سبحانه من الدعة والبطر ، والاغترار بالنعمة قال سبحانه : ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين** ﴾[6] .

وقال سبحانه : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾ [7] .

تلك تفاصيل منهج الإسلام ومفرداته ، فى تربية الجسم ، لتحمل أعباء الحياة وأعباء الدعوة إلى الله .

رابعا : أثر تربية الإسلام للجسم :

لو طبق منهج الإسلام فى تربية الجسم التطبيق الصحيح فإنه يترك الآثار الآتية :

١ ـــ الأفراد يصبحون أقوياء الأجسام ، قادرين على أن يؤدوا ماعليهم ، بصورة جيدة .

٢ ـــ ويصبح المجتمع نظيفا نقيا سليما من الأمراض والآفات ، وفى ذلك مافيه من توفير

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .
(٢) سورة الكهف : ٣٠ .
(٣) سورة النساء : ١٢٥ .
(٤) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٥) سورة النساء : ٢٨ .
(٦) سورة القصص : ٥٨ .
(٧) سورة الأنفال : ٤٧ .

الثروة القومية ، التى تنفق غالبا فى علاج أمراض ، أدت إليها أنواع الإسراف الضارة .

٣ ـ ويخلو المجتمع من الأمراض النفسية ، التى ملأت على الناس حياتهم ، وأدت بكثير منهم ، إلى التخلص من الحياة بالانتحار ، كأمراض الكبت والإحباط ، والاكتئاب وغيرها ، وذلك أن ذلك كله ، إنما يأتى نتيجة لأن الناس لا يلبون حاجات أبدانهم ، أو يلبونها بصورة مبالغ فيها ، خارجة على حدود ماشرع الله .

٤ ـ ويخلو المجتمع من الكسالى والمتبطلين الذين يمثلون عبئا على المجتمع ، وعلى الحياة الإنسانية نفسها ، لأنهم طاقات معطلة .

٥ ـ كما يخلو المجتمع من المرهقين والكادحين ، الذين تسخر جهودهم ، لغيرهم من الناس ، لأن الإسلام أعطاهم حقهم فى الراحة ، ومنع غيرهم من ظلمهم أو استغلالهم ، ليستريح هؤلاء على تعب أولئك .

وبعد : فإن كل هذه الأنواع من تربية الإسلام للجسم ، يحتاج إليها كل الناس ، كما يحتاج إليها المنضمون إلى مرحلة التكوين احتياجا أساسيا ، ولهذا كان لابد لبرنامج مرحلة التكوين من أن يشتمل على منهج لتربية الجسم ، منهج نابع من شريعة الإسلام ، مؤيد بنصوصه .

العنصر الخامس ـ من عناصر برنامج مرحلة التكوين
تربية الحس الاجتماعى

وتتناول :

أولا : ماالحس الاجتماعى ؟

الحس عموما هو : الإدراك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة . والحس الاجتماعى هو : إدراك العلاقات الاجتماعية ، ومعرفة مكان الإنسان فيها ، ومكانته من حيث ممارسته لحقوقه وواجباته .

وهذا الإدراك للحقوق والواجبات ، واجب شرعى على كل مسلم ، عليه أن يستنبطه بنفسه ، أو يدله عليه غيره إن عجز عن استنباطه ، وعندئذ يجب عليه شرعا كذلك أن يؤدى كل ما يجب عليه ، وله أن يستمتع بما له ، يمارس هذا وذاك ، دون سلبية ، أو تواكل ، أو قعود ، أو تقصير .

هذا الإنسان بتلك الصفات ، هو صاحب الحس الاجتماعى ، وهو الإنسان الإيجابى الفاعل فى مجتمعه ، وذلك مطلب أساسى من كل إنسان فإذا كان هذا الإنسان مسلما ،

فإن هذا المطلب يكون بالنسبة له أوجب وأرضى لله ، ذلك أن الشريعة الإسلامية إلزام بالفضائل وأنواع الخير ، لبلوغ رضى الله سبحانه ، والتزام من جانب المسلم بكل ماجاءت به الشريعة من الفضائل وأنواع الخير .

وما حقق المسلمون ، ماحققوه فى أحقابهم التاريخية . التى حققوا فيها نجاحا اجتماعيا فأقاموا من خلال تمسكهم بمنهج الله مجتمعات إنسانية ، تسودها الفضائل ، وتحاصر فيها الرذائل ، ماحقق المسلمون ذلك ، إلا بفقههم الدقيق للالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة ، والالتزام من جانبهم بكل ماجاءت به شريعة الإسلام .

ثانيا : الإسلام والحس الاجتماعى :

نظرة الإسلام للحس الاجتماعى عند الإنسان ، وما يجب أن يكون عليه ، تتوقف على نظرة الإسلام للإنسان نفسه .

نظرة الإسلام للإنسان نظرة شاملة فاحصة ، مؤيدة بالوحى ، خاضعة لمنهج الله سبحانه ، فى تكوين الإنسان وتربيته ، ومعاونته على أن يشق طريقه فى الحياة الدنيا ، فى ظلال هذا المنهج ، وفى رحاب آدابه ونظمه .

تلك النظرة الفاحصه ، اقتضت الاعتراف بنزعتين أساسيتين فى الإنسان هما :

النزعة الفردية فيه ،

والنزعة الاجتماعية .

وكان مقتضى المنهج الإلهى الحكيم ، ألا تطغى نزعة منهما على الأخرى ، وذلك فى حد ذاته معنى من معانى تكامل المنهج ، فضلا عن دقته ، واستجابته لكل ماهو فى صالح الإنسان صالحه الدنيوى والأخروى

الإسلام يقر للإنسان بفرديته فى بعض الأمور ، ومسئوليته الشخصية فيها ، وماينبغى أن يكون عليه من التزام بأداء مايجب عليه .

وفى الوقت نفسه فإن هذا الإنسان ، يعيش فى مجتمع من الناس ، تتشابك فيما بينهم المصالح والعلاقات ، إلى حد التضارب أحيانا ، فيعترف الإسلام كذلك بأن هذا المجتمع الإنسانى ضرورة حيوية للإنسان ، لا يستطيع أن يعزل نفسه عنه ، ولو مارس اعتزال هذا المجتمع فى غير زمن الفتنة ، فهو آثم فى حق نفسه أولا ، لأنه خالف منهج الإسلام ، وآثم

فى حق مجتمعه ، لأنه حَرَم هذا المجتمع من أحد أعضائه . ثم هو آثم من جانب ثالث ، من حيث أن هذا الاعتزال ، سيحول بينه وبين ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهكذا يتعدد إثمه ، بكل قعود عن أداء أحد الواجبات الاجتماعية ، وهى فى الإسلام كثيرة .

وعلى وجه التحديد فإن الإسلام ينظر للإنسان — فردا — على أن له مطالب وحاجات يجب أن تلبى فى حدود ماشرع الله — كما أوضحنا آنفا — وينظر إلى المجتمع على أن له من المطالب والحاجات ، مايحقق له أهدافه المشروعة ، فيلبيها له فى ضوء ماشرع الله كذلك .

والقاعدة العامة ، التى تقوم عليها العلاقة بين الفرد والمجتمع فى الإسلام ، هى أن لا يمارس الفرد عملا يضر بالمجتمع ، أو يعوق مصلحة من مصالحه ، كما لا يتكاسل عن عمل فيه مصلحة لهذا المجتمع ، كما أنه لا يقبل من المجتمع ، أن يمارس عملا يضر بمصلحة الفرد ، أو يضيع عليه منفعة .

الإسلام وحده ، هو الذى استطاع أن يلائم بين حاجات الفرد ، وحاجات المجتمع ، بينما أخفقت فى ذلك سائر النظم والمناهج البشرية أيما إخفاق .

ومن خلال تنسيق الإسلام بين حاجات الفرد ، وحاجات المجتمع ، يتولد لدى الإنسان المسلم ، الحس الاجتماعى الواعى ، الذى يتمكن به من أداء ماعليه ، والاستفادة مما له ، على كلا المستويين ؛ مستوى الفرد ، ومستوى المجتمع .

ولكى لا تكون دعوانا ، لانفراد الإسلام من بين سائر النظم والمناهج ، بالقدرة على الملاءمة ، والتنسيق بين حاجات الفرد ، وحاجات المجتمع ، لا بد لنا أن نعرض بإيجاز ، لتخبط بعض هذه النظم والمناهج فى الملاءمة بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع ، ثم نعرض لموقف الإسلام من هذه الملاءمة فى نقاط ثلاثة :

النقطة الأولى : النظريات أو النظم الرأسمالية الغربية :

هذه النظم أو المناهج ، أعطت للفرد من الحقوق أكثر مما يحقق الملاءمة بينه وبين المجتمع ، فبالغت فى حقوق الفرد ، وجعلت لحاجاته ومطالبه ، أولوية أدَّتْ بهذا الإنسان ، إلى أنانية وإحساس شديد بالذات ، وصل إلى حد الغرور أحيانا ، وانعكس على المجتمع ، فى صورة تقصير ، فى كثير من واجباته وحاجاته .

وإن لهذه المبالغة فى الاستجابة لحاجات الفرد ، فى ظل النظم والمناهج الرأسمالية الغربية ، نتائج بارزة نذكر منها مايلى :

١ ـــ ترك حرية التصرف للإنسان ، يشبع حاجاته كما يهوى دون قيد ، أدى إلى أن يطلق الفرد لنفسه العنان ، ويرخى لشهواته الزمام ، فكان أن مارس الجنس فى الطريق العام ، واشترع اللواط ، وأقر بنوع من الناس جاءوا نتيجة للشذوذ الجنسى وهم « الجنس الثالث » كما أسموهم ، وهم رجال يتزوجون ، برجال أمثالهم ، ويعاشرون معاشرة النساء . هذه واحدة من النتائج ، لا يجرؤ على الاعتراض عليها ، إلا كل متخلف أو رجعى !!!

٢ ـــ ترك حرية التصرف للإنسان باسم الحرية الشخصية ، جاء على حساب المبادئ والقيم ، بل على حساب الفضائل ، وبالتالى على حساب كثير من حقوق المجتمع ، لأن تلك فى جوهرها فوضى وإشاعة للفوضى والعبث ، وإن لبست ثوب الحرية الشخصية ، إلا أنها ضارة بالمجتمع قطعا .

٣ ـــ ترك الحرية الشخصية للإنسان ، أدى به إلى أن يرتكب من الجرائم ، كل ماهيأته له قوته أو حيلته ، فى ظل أن الردع القانونى ـــ هناك ـــ لا يكون إلا أن تقع الجريمة ، وليس لديهم فيما نعلم ، أسلوبا فى وقاية المجتمع من الجريمة ، لأن هذا الأسلوب يقوم على الأخلاق الفاضلة ، والالتزام بها ، وهذا فى حد ذاته يعاند الحرية الشخصية .

وقد ترتب على ذلك ، قلق اجتماعى عند كل من هم أضعف ، كما أدى إلى الطمع والعدوان ، عند من هم أقوى ، وظل ذلك التناقض ، يفرز من عدم التوازن ، ماأدى إلى أن ينقسم الناس إلى قسمين :

أقوياء مُستَغلّين لسواهم ،

وضعفاء يستغلهم سواهم .

وحسبك بتلك قسمة تفرض على المجتمع من القلق والصراع ماتفرض ، إن أخف أضرار هذه القسمة ، وما أفرزته مانشاهده ، ومانسمع عنه من أمراض نفسية ، ليس أقلها الاكتئاب والرغبة فى التخلص من الحياة ، بل منها أمراض لا تؤدى إلى ذلك ، وإنما يعيش صاحبها ، يمارس فى الحياة أعمالا تضره ، وتضر المجتمع الذى يعيش فيه ، أبلغ أنواع الضرر .

٤ ـــ وكان من نتيجة هذا ـــ بصورة عامة ـــ أن ازداد أهل القوة قوة ، وأهل الضعف

ضعفا ، وازداد الأثرياء ثراء ، والفقراء فقرا ، لا أقول هذا خضوعا لقياس منطقى وإنما أقوله من خلال مشاهداتى الشخصية ـــ وقد ترددت على هذه البلاد مرات ومرات ـــ فى البلاد التى تعد قمة للنظام الرأسمالى الغربى ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى مكتظة بمن لا يجدون مأوى أو ملبساً ملائما ، بل ربما لا يجدون طعاما مناسبا للإنسان ، لقد رأيت ذلك بعينى رأسى متمثلا ـــ كما رأيت والله أعلم بما لم أر ـــ فى السود من الأمريكان .

وإن هذا الاختلال ، إنما أدى إليه سوء فهم الحرية ، والخلط بينها وبين الفوضى ، كما أدى إليه اتساع الهوة بين الأقوياء والضعفاء ، والأغنياء والفقراء ...

وهذا النظام بعينه ، أو قريبا منه ، هو الذى أدى بأوروبا ـــ فى العصور الوسطى عندها ـــ إلى نظام الإقطاع ، وتملك السادة للأرض ومن عليها من الناس أو عبيد الأرض ، وما أفرزه هذا النظام من مآس اجتماعية ، عانت منها الإنسانية ما عانت .

وحسبنا هذا القدر من الكلام ، عن فشل النظام الرأسمالى الغربى ، فى إحداث توازن أو تلاؤم ، بين حاجات الفرد ، وحاجات المجتمع .

إنى لا أبالغ إن قلت هذا ، ولا إن قلت : إن هذا الفشل فى التوازن بين الفرد والمجتمع ، قد يجر على الغرب الرأسمالى ، نظام إقطاع من لون جديد ، أو لعله قد فعل .

النقطة الثانية : النظريات أو النظم الاشتراكية أو الشيوعية :

وهى نظم تسمى فى عرف كثير من الناس بالنظم الشرقية ، وقد بالغت هذه النظم فى أن تعطى للمجتمع حاجاته ومطالبه ، وأن تحقق بجانب ذلك حاجات الهيئة الحاكمة ، أو الحزب الواحد ، مما ضيع على الفرد كثيرا من حاجاته ومطالبه .

أصبح المجتمع ـــ هناك ـــ أو الشعب أو الطبقة الكادحة أو « البروليتاريا Proletariat » حيث أطلقها « كارل ماركس » ، على طبقة العمال الأجراء ، الذين يشتغلون فى الإنتاج الصناعى ، ومصدر دخلهم هو : بيع ما يملكون من قوة العمل [1] .

أصبح هذا التعبير فى الكتلة الشرقية ، عملاقا مخيفا ، لا يعرف حدا تقف عنده رغبته

---

(١) هذا التعبير : البروليتاريا ، تعبير قانونى رومانى ، يطلق على المواطن الذى ليست له صفة سوى أنه أنجب أطفالا ، ثم أطلقه « سان سيجون » الفرنسى ، على الذين لا يملكون نصيبا من الثروة ، ولا يتمتعون بأية ضمانات فى الحياة .

فى إشباع حاجاته ومطالبه ، والذى خسر من حريته ، ومن إرادته ، ومن جهده ، هو الفرد .

وكانت النتيجة لذلك ، أن ذاب الفرد فى المجتمع ، وأصبح مجرد ترس فى آلة ، لا إرادة له ولا ملكية ، ولا حرية ، وإنما يدور فى مكانه ، ليحقق مكاسب للمجتمع أو الشعب ، وقليلا ما يستفيد هو شيئا — وإن كانوا يوهمونه أن هذا النظام ، أو تلك الثورة لصالحه هو .

وقد أدى ذلك إلى نتائج سيئة على مستوى الفرد ، وعلى مستوى « الإخطابوط » المجتمع ، يمكن أن نذكر منها مايلى .

١ — فى البداية منع الإنسان من حرية التصرف فيما يملك ، ثم منع من التملك أصلا ، حيث آلت الملكية كلها للمجتمع ، أو للهيئة الحاكمة ، أو الحزب الواحد .

٢ — أصبح الإنسان لا يملك شيئا ، لا أرضا زراعية ، ولا مسكنا ، ولا مقتنيات خاصة ، وإنما كل ذلك أصبح ملكا للدولة ، أو للحزب ، وعلى الإنسان أن يعمل فى المزرعة ، أو المصنع ، ليحصل على الطعام ، وانطلق شعار : « **من لا عمل له لا خبز له** » .

٣ — أدى ذلك إلى قتل روح التنافس فى العمل ، والإبداع والتجويد فيه ، فساء الإنتاج ، وعجزت روسيا أن تحقق اكتفاء ذاتيا فى إنتاج القمح ، فأصبحت تستورده ، وما أغنى عنها إلزام العمال بالعمل ، ولا إدارة المزارع التعاونية ...

٤ — حرم الإنسان من الحرية السياسية ، أى المشاركة فى رسم سياسة البلد التى يعيش فيها ، كما حرم بناء على ذلك من التعبير عن رأيه فى أمر من أمور الحياة التى يحياها ، فالكلمة للحزب ، والرأى للحزب ، والتفكير للحزب ، وكل شىء للحزب ، وعلى المواطن أن ينفذ ويدور كما تدور الآلة ، والويل له إن توقف أو فكر أو انتقد ، فقد كانت مجاهل سيبيريا على أيام « ستالين » منفى لكل صاحب رغبة فى إبداء الرأى فى نقد الحياة أو الحزب ، فضلا عن نقد الطاغوت الذى يدير الحزب .

ولقد انتقلت هذه « الدكتاتورية » الحاكمة ، إلى كل بلد اتخذ من الاشتراكية ، أو الشيوعية نظاما ، وأصبح لكل بلد من البلاد التى اعتمدت هذا النظام « سيبيريا » يقذف فيها بكل صاحب رأى أو فكر أو رغبة فى نقد الحاكم أو الحزب .

٥ — وقد أدى منع الإنسان من حرية الرأى ، إلى حرمان المجتمع ، من أى إضافة جادة أو

بناءة ، تعود على المجتمع بالخير ، وحال هذا النظام بين المجتمع ، وبين الرشد الفكرى ، كما حال بينه وبين الاكتفاء الذاتى ، كما ملأ نفوس الأفراد حقدا على الحاكم والحزب ، وضعف أداء المؤسسات والمزارع والمصانع ، ولعن كل حاكم على لسان من جاء بعده ــ وهناك تفكير جاد فى روسيا اليوم ــ على عهد « جورباتشوف » ــ فى محاكمة « ستالين » على جرائمه فى قمع الناس وإبادتهم ، ولو تم ذلك ، فإن كثيرا من أشباه الحكام وأذناب السياسيين ممن أخذوا بهذا النظام ، سوف تنبش قبورهم ، ويحاكمون ، بعد تحطيم الأصنام التى وضعت لهم فى الميادين .

وإن غدا لناظره قريب .

ــ وأدى الأخذ بهذا النظام ، مع تلك العيوب التى ذكرنا ، وتلك العيوب التى سكتنا عنها ؛ خشية الإسهاب ، إلى نتائج من أسوأ مايكون ، راح ضحيتها الفرد وما استفاد المجتمع ، وإنما استفاد الحزب الحاكم والهيئة التى تدير الحكم ، ولا بد لنا هنا من رصد لبعض هذه النتائج السيئة ، على النحو التالى :

أ ــ امتلأت السجون والمعتقلات ومعسكرات العمل الإجبارى بالكادحين الحقيقيين من كل من سولت له نفسه أن يعلن عن رأى ، أو يتوجه بنقد ، أو يحاول أن يكون بعيدا عن الحزب ، أو غير متجاوب مع شعاراته ، أو يتكاسل فى عدم ترديد هذه الشعارات بمناسبة ، وبغير مناسبة .

ب ــ جبن الناس وخافوا ، بل أصيبوا بالهلع الخالع ، من ممارسة الحزب لوسائل القمع الوحشية والقتل بعد التعذيب ، وسلخ الجلود ، وخلع الأظافر ، وإطفاء النيران فى الأجساد ، وضرب الأعضاء التناسلية ، وترك الإنسان عاريا كما ولدته أمه ، وتعليقه من قدميه عاريا ، ورأسه إلى أسفل ، وصعقه بالتيار الكهربائى ، وإلباسه طوقا حديديا فى رأسه ، يحطم عظام الرأس ، ونتف شعره ، وكيه ، واللواطة بالرجال ، والزنا بالنساء ، وتعذيب الوالد أمام ولده ، والولد أمام والده ، وأمر الابن بأن يضرب أباه ، وأمه ، وأخاه ، وأخته ، ونفخ البطون ، ودس العصا الغليظة فى الأستاه ، وحرق شعر الجسد بالنار ، وإطلاق الكلاب المفترسة لتنهش لحوم أصحاب الرأى ، وإطلاق الكلاب الآدمية لتدوس

كرامة الإنسان ، وتزرى بآدميته ، فضلا عن التجويع ، والتعذيب بحر الشمس فى الصيف ، وبالثلج والماء فى الشتاء ، ولم يكن هذا قاصرا على روسيا ، وإنما شاركها فى ذلك ، وفى أسوأ منه ، كل بلد تحكم فيه دكتاتور ، باسم الاشتراكية أو الشيوعية ، على مستوى العالم كله .

وانطلقت شعارات ضالة مضلة تزيد الناس هلعا ورعبا مثل :

- أعداء الشعب ـــ أى أعداء الحاكم أو المنتقدين لبطشه وتجبره .
- ولا حرية لأعداء الشعب .
- والثورة المضادة .
- والرجعية .
- والدين أفيون الشعوب .
- ومكاسب الشعب .
- والطلائع التقدمية .
- والزحف المقدس .
- والحرية .
- والرخاء .
- والاتحاد والنظام والعمل .
- ومجتمع الرفاهية والعدل .
- والخونة للشعب .
- والاشتراكية والتعاونية .
- والوحدة .
- والتأميم .
- والإمبريالية .
- ومنظمات الشباب .

وكل مواطن عليه أن يكون بوقا ، يردد هذه الشعارات ، بشرط ألا يفهم محتواها ، فإن فهم وراجع ، أو انتقد ، فالويل له ، ووسائل القمع باقية ، تتطور يوما بعد يوم ، بل علقت المشانق ، وحوكم أصحاب العقيدة والفكر ، محاكمات هزلية مضحكة مبكية وعرف العالم قضاة ، لم يعرفوا شيئا عن القانون ، قضاة كانوا يمثلون الادعاء والاتهام والدفاع ـــ من

وجهة نظرهم ـــ وإصدار الأحكام ، قضاة خاصموا من يحاكمونهم ، وشتموهم فى ساحة العدالة الاشتراكية !!!

إن « بريا » لم يكن وحده فى ذلك وإنما كان لكل بلد أخذ بهذا النظام « بريا » أو « برياءون » يمارسون أقسى أنواع البطش بكرامة الإنسان وآدميته ، وراح فى أتون ذلك ألوف الألوف من الأبرياء ، وقال العقلاء الجبناء المتوارون : « أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك ؟ !!! » وسكتوا عند هذا الحد ...

هذه بعض آثار التجربة الاشتراكية ، التى قمعت حاجات الأفراد ، لحساب طاغوت سموه الشعب ، أو المجتمع ، أو الحزب الحاكم ، أو الحاكم المستبد .

غير أن التغيير ضرورة إنسانية لكل نظام ، ولقد بدأ التغيير فى روسيا نفسها ، وإن سياسة روسيا فى عهد : « ميخائيل جورباتشوف » تختلف كثيرا عن سياسة الطواغيت الذين سبقوه ، وغدا يغير « جورباتشوف » ولا يستحى الأتباع والأذناب من أن ينحوا نحوه ويختطوا خطته ، وساعتها سوف لا يستحون أن يطلقوا شعارات تؤكد أنهم أصحاب قرار التغيير ، وصدق الشاعر حيث يقول :

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

النقطة الثالثة : موقف الإسلام من الفرد والمجتمع :

عالج الإسلام هذا الصراع ، بين الفرد والمجتمع ، أو بين حاجات هذا وحاجات ذاك ، العلاج الأمثل ، إذ اعترف لكل طرف منهما بحاجاته وأشبعها له ، فى حدود ماشرع الله ، وبحيث تحقق مصلحة المعاش والمعاد .

وأوجب الإسلام على كل طرف ، أن يؤدى واجباته نحو نفسه ، ونحو الطرف الآخر ، وأثّم المقصر ، وتوعده بالعقاب ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

حل الإسلام بمنهجه المتكامل هذا الصراع حلا جذريا ؛ إذ اعترف لكل طرف بحاجاته ، وأوجب عليه مايحقق مصلحة الطرف الآخر ، على أساس أن الفرد جزء من المجتمع ، وأن المجتمع تجمع أفراد ، فكان ذلك هو التلاؤم والتناسق ، بين مصالح الأفراد ومصالح المجتمع ، فلا صراع أصلا ، إلا إذا جار طرف على الآخر ، وإنما الأصل الانسجام والتعاون والتناصر ، بل التكافل بين الفرد والمجتمع .

وهذا الانسجام والتلاؤم بين مصالح الطرفين ، هو الحس الاجتماعى الذى رعاه

الإسلام ، ونماه ووجهه أحسن وجهة ، فحل هذه القضية الشائكة التى تضاربت فيها النظم والنظريات إلى الحد الذى ذكرنا آنفا .

دعم الإسلام النزعة الفردية فى الإنسان ، وغذاها وحدد لها توجهها وأهدافها ، بل رسم لها الإطار ، الذى لا يجوز لها أن تخرج عنه ، وإلا ضلت وأضلت ، وضرت وأضرت ، كما دعم الإسلام النزعة الاجتماعية فى الإنسان ، فرعاها ونماها ، وحدد لها توجهها وأهدافها كذلك ، كما رسم لها الإطار الذى تتحرك فيه ، وإلا ضلت وأضلت ، وضرت وأضرت ، سواء بسواء .

ومنهج الإسلام فى دعم هاتين النزعتين ، منهج متكامل شامل ، فيه من العدالة ما يستقيم عليه أمر الناس ، وهو منهج لا قصور فيه ولا خلل ، لأنه منهج وضعه رب الناس ، العالم تماما بما يصلحهم أفرادا ومجتمعات ، وهو منهج لا يزيغ عنه إلا من انحرفت فطرته عما فطره الله عليه ، من الخير ، ومن تحقيق صالح الدنيا والآخرة ، فكيف ربَّى الإسلام هذا الحس الاجتماعى ؟ وما منهجه فى ذلك ؟ هذا مانتحدث عنه الآن .

ثالثا : تربية الإسلام للحس الاجتماعى :

للإسلام فى تربية الحس الاجتماعى ، منهج لا يساميه منهج ، فضلا عن أن يساويه ، لأنه كما أسلفنا من وضع رب العالمين .

وهذا المنهج فى إجمال شديد بل فى كلمات هو :

دعم النزعة الفردية الاستقلالية فى الإنسان ، وتشجيعها ، مع وضع الضوابط الدقيقة لها ، التى تكفل أن تستمر فى اتجاهها الصحيح ، كما دعم النزعة الاجتماعية فى الإنسان ، وشجعها ، ووضع لها الضوابط كذلك . ومن خلال هذه الرعاية للنزعتين الفردية والاجتماعية فى الإنسان ، كان الحس الاجتماعى الرشيد .

أما من حيث تفصيل هذا المنهج ، وتوضيح أبعاده ، فإن له دعائم يقوم عليها ، نشير إليها فيما يلى ، مع تأكيدنا على ضرورة الحديث عن هذا المهج فى جانبين :

المطلب الأول :

منهج الإسلام فى تربية النزعة الفردية فى الإنسان :

ويقوم هذا المنهج على دعائم كثيرة منها :

الدعامة الأولى : تحقيق حاجات الإنسان ورغباته ومطالبه ، فى حدود ماشرع الله سبحانه ، دون إسراف أو تجاوز ، أو إلحاق ضرر بالنفس ، أو بالغير ، وعلى شرط ألا يتعارض ذلك مع شىء مما شرع الله ، وقد تحدثنا عن ذلك بتفصيل ، ونحن نتحدث عن تربية الإسلام للبدن .

الدعامة الثانية : دعم النزعة الاستقلالية عند الإنسان ، وإعطاؤه الفرصة ليمارس حرية الإرادة ، وحرية التملك ، وحرية إبداء الرأى ، وحرية الفكر ، ولكن فى الإطار الذى لا يضر به ، ولا بغيره من الناس ، ولا يتعارض مع صالحه ، أو صالح المجتمع الذى يعيش فيه .

الدعامة الثالثة : دعم النزعة الفردية فى الإنسان ، فإن القرآن الكريم نادى عليه فردا ، ونادى عليه مع الناس حيناً ، ومع المؤمنين حينا ، وكل نداء من هذه النداءات إنما يعزز فيه النزعة الذاتية ، ويقوى عنده الإحساس بفرديته ومسئوليته .

فقد ناداه الله تعالى فى القرآن الكريم ، بيا أيها الإنسان ، فى أكثر من خمسين موضعا ، ذكّره فى بعضها بأصله ، وفى بعضها بعلمه ، وفى بعضها بماله ، وما عليه ، وفى بعضها بنعم الله عليه ، ولولا خشية التوسع لذكرنا كُل ذلك ، ولكننا نكتفى بذكر بعضها ، دعما للمنهجية التى يستهدفها هذا الكتاب ، ويرغب فى أن تنتقل هذه المنهجية إلى الدعاة إلى الله فى كل ما يقولون وما يعملون .

ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى :

١ ـــ من أول آيات القرآن نزولا على محمد ﷺ ، ماتحدث به سبحانه ، عن خلق الإنسان ، وإنعام الله عليه بالتعليم ، وتوضيح حقيقة كبرى له فى طبيعته ، هى الطغيان عند الغنى ... قال سبحانه : ﴿ **خلق الإنسان من علق** ﴾ إلى قوله ﴿ **علم الإنسان ما لم يعلم . كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى**

ربك الرجعى ﴾ [1] .

٢ ـــ طالبه الله تعالى بالعمل ، بل بالعمل الجاد ، الذى لا يخلو أحيانا من المشقة ؛ لأنه العمل المثابر الذى يوصل الإنسان إلى غايته ، فى معاشه ومعاده ، حيث يلقى ربه فيحاسبه ويجزيه ، قال سبحانه : ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه . فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا . وأما من أوتى كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبورا . ويصلى سعيرا . إنه كان فى أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور . بلى إن ربه كان به بصيرا** ﴾ [2] .

٣ ـــ طالبه ربه بالإحسان فى العمل ، والإحسان فى ترك العمل ، أى الإحسان فى كل شىء ، وسع كل أحد ، فقال سبحانه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ [3] .

٤ ـــ عرفه بطبيعته وبصره بعيوبه ؛ ليهذبها ؛ وليستقيم بها على جادة الحق ، ومن هذه العيوب :

أ ـــ الظلم والجحود ، قال سبحانه : ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [4] .

ب ـــ ومنها : الغرور والقنوط ، قال تعالى : ﴿ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا** ﴾ [5] .

جـ ـــ ومنها : الهلع ، أى البخل عندما يصيبه الخير ، والجزع عندما يصيبه الشر ، قال سبحانه : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين** ﴾ [6] .

د ـــ ومنها : حب الجدل والمماراة ، قال الله تعالى : ﴿ **وكان الإنسان أكثر شىء جدلا** ﴾ [7] .

هـ ـــ ومنها : حبه للخير : لا يسأم من طلبه ، والإلحاح عليه ، مع يأسه وقنوطه ، عندما يصيبه الشر ، قال سبحانه : ﴿ **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن**

---

(١) سورة العلق : ١ ، ٥ ـــ ٨ .　(٢) سورة الانشقاق . ٦ ـــ ١٥　(٣) سورة النحل : ٩٠

(٤) سورة إبراهيم : ٣٤ .　(٥) سورة الإسراء : ٨٣　(٦) سورة المعارج : ١٩ ـــ ٢١ .

(٧) سورة الكهف : ٥٤ .

مسه الشر فيئوس قنوط ﴾(1) .

و ــ ومنها : العجلة والتسرع ، قال سبحانه : ﴿ **وكان الإنسان عجولا** ﴾(2) .

ز ــ ومنها : التقتير والبخل ، مهما عظمت ثروته ، قال سبحانه : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا** ﴾(3) .

وتهذيب هذه الطبيعة ، وعلاج هذه العيوب ، إنما يكون باتباع ماجاء به محمد ﷺ ، والتمسك به فى كل ما يأتى الإنسان وما يدع ، روى الإمام مالك بسنده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة نبيه »(4) .

٥ ــ علّم الله الإنسان أن عدوه الألد هو الشيطان ، وحذره من وسوسته وتزيينه الباطل ، فقال سبحانه : ﴿ **إن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين** ﴾ (5) وعلمه كيف يتخذ موقفا من الشيطان ، يكافىء موقف الشيطان منه ، قال سبحانه : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ (6) .

بل علمه كيف يتغلب على الشيطان ، قال سبحانه : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ (7) .

وقال تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ (8) .

٦ ــ وعرفه سبحانه بمكانته عند الله ، وأنه كرمه حتى فى خلقته ، فجعله فى أحسن تقويم ، وفى أحسن صورة من صور مخلوقاته ، وجعله متصفا بأجمل الصفات البدنية ، فضلا عن نعمة العقل ، التى هى أشرف مافى الإنسان ، قال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ (9) .

---

(1) سورة فصلت : ٤٩ . (2) سورة الإسراء : ١١ . (3) سورة الإسراء : ١٠٠ .

(4) الإمام مالك : الموطأ : باب النهى عن القول بالقدر . (5) سورة يوسف : ٥ .

(6) سورة فاطر : ٦ . (7) سورة فصلت : ٣٦ . (8) سورة المؤمنون : ٩٧ ــ ٩٨ .

(9) سورة التين : ٤ .

٧ ــ وقد دعم القرآن الكريم ، ذاتية الإنسان ، ومسئوليته الشخصية ، عن كل ما يقوم به من قول أو عمل ، فقال سبحانه : ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره** ﴾ (١) وقال جل شأنه : ﴿ **ولتسألن عما كنتم تعملون** ﴾ (٢) .

الدعامة الرابعة : هى تحديد واجبات الإنسان ، تلك الواجبات التى إن أداها ، سعد فى دنياه وآخرته ، وإن قعد عنها ، خسر الدنيا والآخرة ، وأداء هذه الواجبات ، هو قمة الحس الاجتماعى ، سواء أكان الواجب فرديا ذاتياً ، أم جماعيا عاما ، ورتب له هذه الواجبات من حيث أهميتها ، ولنذكر أهم هذه الواجبات ، على النحو التالى :

١ ــ أول هذه الواجبات ، عبادة الله سبحانه ، وفق ماشرع قال تعالى : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٣) .

وعبادة الله : تشمل الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، والعدل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، وفعل الخير ، وترك الشر .

٢ ــ أوجب عليه العمل الصالح ، وقرنه بالإيمان به سبحانه ، فى كثير من آيات القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ﴾ (٤) .

٣ ــ فصّل له هذه الواجبات ، فى أوامر عشرة ، جاءت فى قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** ﴾(٥) .

٤ ــ فصل للإنسان ما حرم عليه ، فى قوله تعالى :

﴿ **قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله**

(١) سورة القيامة : ١٤ ــ ١٥ . (٢) سورة النحل : ٩٣ . (٣) سورة الذاريات : ٥٦ .
(٤) سورة النساء : ١٢٤ . (٥) سورة النساء : ٣٦ .

أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[١] .

٥ ـــ حدد لهم أنواع الخير وصنوف البر ، حتى لا يتقاعس عن الخير والبر أحد بحجة أنه يجهل أنواع الخير أو صنوف البر فقال سبحانه :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[٢] .

٦ ـــ وحدد لهم صفات المؤمنين التى يجب أن يتحلوا بها لينالوا رضا الله عنهم ، قال سبحانه : **﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾**[٣] .

٧ ـــ وأوضح لهم صفات المتذكرين ، أصحاب العقول النيرة ، والأفئدة اليقظة ، والألباب الواعية ، قال تعالى :

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾[٤] .

٨ ـــ وحدد لهم درجات التقرب إليه ، يصعدون فيها ، حتى ينالوا رضاه سبحانه ، ويحصلوا على المغفرة والأجر العظيم ، قال سبحانه :

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ ـــ ١٥٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٣) سورة التوبة : ١١٢ .
(٤) سورة الرعد : ١٩ ـــ ٢٤ .

والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾[1] .

الدعامة الخامسة :وضع الله لهذا الإنسان دستورا شاملا ، فى مجال المسئولية الفردية ، فقال سبحانه :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[2] .

ومفردات هذا الدستور يمكن أن نشير إليها فيما يلى :

١ ــ كل عمل يقوم به الإنسان فى الدنيا ، من قول أو فعل ، فهو ملازم له يوم القيامة ، ومحاسب عليه .

٢ ــ كل ماقام به الإنسان فى حياته الدنيا ، من قول أو عمل ، مسجل عليه فى كتاب أمين ، وسوف يطلع عليه يوم القيامة ، ويقرأ مافيه بنفسه لتلزمه الحجة .

٣ ــ كل إنسان حسيب على نفسه ، يحصى عليها عملها يوم القيامة ، ليكون مقتنعا بالجزاء الذى يوقع عليه .

٤ ــ من اتبع الرسول ﷺ فى كل ما أمر به وما نهى عنه ، فقد نفع نفسه ، وكل من عصاه فقد أوبق نفسه وأهلكها فى الدنيا ، فاستحقت العقاب يوم القيامة .

٥ ــ لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولو كان أقرب الناس إليه ، فكل إنسان وما عمل .

٦ ــ أوجب الله على نفسه تكرما منه وتفضلا ، ألا يعذب أحدا من خلقه ، حتى يرسل إليه رسولا ، فإذا أرسله ، ثم عُصِى الرسول ، فقد استحق العاصى العقاب .

إلى غير ذلك من المفردات التى يمكن أن نستلهمها من هذا الدستور الجامع .

والخلاصة التى نستهدفها من جميع دعائم المنهج الإسلامى فى تربية النزعة الفردية الاستقلالية فى الإنسان أن نقول : إن الإسلام يغذى هذه النزعة الفردية الذاتية فى الإنسان ، ويوجهها نحو الصالح ، ويرسم لها إطارها الصحيح ، ويمدها بكل عناصر القوة

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥ .　　(٢) سورة الإسراء : ١٣ ــ ١٥ .

الروحية ، والعقلية ، والبدنية ، والخلقية ، ويجعل للإنسان علاقة مباشرة مع ربه ، دون وسطاء ، ممن يسمون أنفسهم رجال الدين ، وإنما يرسل الله الرسول إلى الإنسان ، ويطالبه بالإيمان بما جاء به ، وبالعمل الصالح ، ويعتبره مسئولا عن نفسه ، مسئولية مباشرة ، أمام الله سبحانه .

وذلك هو الدعم الحقيقى لذاتية الإنسان ، ودعم لإحساسه بالتبعة ، وذلك يجعله أهلا لحمل أعباء الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، وأهلا لتمكين دين الله فى عباد الله ؛ ليعيش الناس سعادة الدنيا والآخرة .

الجانب الثانى :

منهج الإسلام فى تربية النزعة الاجتماعية فى الإنسان :

ويقوم هذا المنهج كذلك على دعائم نذكر منها مايلى :

الدعامة الأولى : تنمية حب الإنسان لأخيه الإنسان المؤمن ، وتلك هى القاعدة التى ترتكز عليها الحاسة الاجتماعية فى الإنسان ، نلمح هذا من هدى النبى ﷺ ، عندما وصل إلى المدينة المنورة بعد رحلة الهجرة ؛ إذ آخى بين المهاجرين والأنصار فى الله ، أخوة سجلت فى وثيقة مكتوبة ، نقشت فى قلب كل مؤمن ، حتى إن الإخوة فى الله كانوا يتوارثون بمقتضى هذه الأخوة ، وظل هذا التوارث ساريا ، حتى نزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم** ﴾[1] فألغى التوراث ، وبقيت الأخوة فى الله على ماكانت عليه ، من قوة ووثاقة ، ولا تزال بين الواعين من المؤمنين حتى اليوم ، ولقد تأكدت الأخوة بين المؤمنين بقوله سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [2] .

ولقد كان من مقتضى فقه الأنصار للأخوة فى الله ، أن حملوا أعباء إخوانهم المهاجرين ، ومدح الله سبحانه ذلك الفقه والعمل ، وأثنى عليه بقوله سبحانه : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم**

---

(١) سورة الأنفال : ٧٥ .

(٢) سورة الحجرات : ١٠ .

المفلحون ﴾ [1] .

الدعامة الثانية : استجابة الإسلام لحاجات المجتمع ، كاستجابته لحاجات الفرد ، وعمل على تحقيق حاجات المجتمع ، فى إطار ماأحل الله ، وبحيث لا يضر بأحد من الناس .

وحاجات المجتمع ـــ من أجل أن يؤدى وظائفه ـــ كثيرة ، منها :

١ ـــ التعاون والتكافل :

وقد فرض الإسلام هذا التعاون فرضا ، ولكن جعله تعاونا على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾** [2] . هذا عن التعاون ، أما التكافل فقد قال رسول الله ﷺ ، فيما رواه الشيخان : « إن الأشعريين ، إذا أرملوا فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ماكان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم » [3] .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال : بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ ، إذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له » فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل [4] .

٢ ـــ التناصر والتواصى بالحق والصبر :

قال الله تعالى : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** [5] .

والتواصى بالحق ، ينقى المجتمع من كل رجس أو إثم أو خطأ ، والتواصى بالصبر ينقى المجتمع من الفوضى والظلم والعجلة .

٣ ـــ ومن حاجات المجتمع الملحة :

التراحم بين أفراده ، وقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يتراحموا ، فقد مدح الله ،

---

(١) سورة الحشر : ٩ .
(٢) سورة المائدة : ٢ .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .
(٥) سورة العصر كلها .

تبارك وتعالى ، أصحاب رسول الله ﷺ ، بهذه الصفة ، قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ (١) . وأثنى سبحانه على المؤمنين المتراحمين ، فى قوله سبحانه : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ (٢) .

وهكذا تتعدد حاجات المجتمع ، إلى غير ماحصر ، كحاجته إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحاجته إلى جلب المصالح ، وحاجته إلى درء المفاسد ، وحاجته إلى الجهاد فى سبيل الله وتجهيز الغزاة ، وحاجته إلى الأمن ، وحاجته إلى تأمين العيش الكريم لكل أفراده ، وماحصر له من الحاجات .

وكل هذه الحاجات يستجيب لها الإسلام ، ويطالب الناس بأن يعملوا على تحقيقها بشرط أن تكون حاجة مشروعة ، تقرها شريعة الإسلام ، وبشرط ألا يترتب عليها ضرر بأحد من المسلمين ، بل من غير المسلمين ، إن كانوا يعيشون فى المجتمع المسلم ، كأهل الكتاب ، وبهذا يرقى المجتمع المسلم ، بتعاون أفراده جميعا ، على تحقيق حاجاته .

الدعامة الثالثة : تحديد الصفات التى يجب أن تسود المجتمع المسلم ، ليحقق حاجاته ، ويلبى رغباته ، فى حدود ماأحل الله ، وليعيش فى ظل تلك الصفات ، عيشة نقية نظيفة ، يحقق بها سعادة الدارين .

قال الله تعالى يذكر عددا من هذه الصفات :

﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وماعند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾(٣) .

ولنا أن نتصور هذا المجتمع السعيد الراشد الذى تسوده الصفات التالية التى ذكرتها

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ . (٢) سورة البلد : ١٧ — ١٨ . (٣) سورة الشورى : ٣٦ — ٤٣ .

الآيات الكريمة وهى :

١ ـــ الإيمان بالله .

٢ ـــ والتوكل عليه سبحانه .

٣ ـــ واجتناب كل إثم وفاحشة .

٤ ـــ والصفح والتسامح .

٥ ـــ والاستجابة لكل مأأمر الله به .

٦ ـــ وإقام الصلاة .

٧ ـــ وممارسة الشورى فى كل مايعنيهم من أمر .

٨ ـــ والإنفاق فى سبيل الله ووجوه الخير .

٩ ـــ والانتصاف من كل عدو للإسلام والمسلمين ، وهو مقتضى العدل .

١٠ ـــ والعفو والتسامح مع القدرة على الانتصاف ، وهو مقتضى الإحسان .

١١ ـــ والانتصار بعد الظلم .

١٢ ـــ والصبر على المظالم والتجاوز عن الظالم لعل الله أن يهديه ، بشرط ألا يكون ذلك مؤديا إلى الفساد والشر .

١٣ ـــ والمغفرة العامة .

أى مجتمع هذا بهذه الصفات ؟

وأى حاجات تلك التى يحققها الإسلام للمجتمع الإنسانى ، دون تنازع أو تصارع بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع ؟

إنه المجتمع الإسلامى .

الدعامة الرابعة : تأكيد خيرية هذا المجتمع ، الذى اتصف بتلك الصفات على كل المجتمعات ، وإعطائه القدرة على قيادة البشرية كلها نحو الحق والخير .

قال تعالى فى تأكيد هذه الخيرية : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (١).

وهى ليست خيرية عرقية أو جنسية أو قومية ، كما زعمت يهود ، وإنما هى خيرية تقوم

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

على الإيمان ، والعمل الصالح ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والالتزام بتلك الصفات ، التى وردت فى الآيات الكريمة .

أى مجتمع تسود فيه هذه الصفات ، فهو المجتمع الذى أكد الله له الخيرية ، فى تلك الآية ، من أى جنس كان ، أو من أى لون أو لسان .

وقال سبحانه فى إعطاء هذا المجتمع ، بتلك الصفات ، حق قيادة البشرية ، نحو الهدى والخير والحق : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ [1] .

والأمة الوسط هى أعدل الأمم ، وأكثرها خيرا ، وهى الأمة الإسلامية بهذه الصفات التى أسلفنا .

الدعامة الخامسة : وعد الله للأمة الإسلامية الوسط ، التى تحققت فيها تلك الصفات ، بأن يستخلفها على الناس فى الأرض ، وأن يمكن لها دينها الذى ارتضى لها ، وأن يبدلها من بعد خوفها أمنا ، قال الله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** ﴾ [2] .

وعلى كل هذه الدعائم ينبغى أن يقوم برنامج هذه المرحلة ، وأن يتفق القائمون على هذه المرحلة ، فى كل إقليم على مفردات هذا البرنامج وتفاصيله ، وما قدمت إلا إشارات ، تدل ولا تحيط .

وبعد : فلعلنا وفقنا فى تجلية الغموض عن مرحلة التكوين التى تعد من أهم مراحل الدعوة إلى الله .

ولعل الدعاة إلى الله ، يجدون فيما كتبنا ، مايفيدهم فى مجال عملهم فى الدعوة ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله « مرحلة التنفيذ »

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة النور : ٥٥ — ٥٦ .

فهارس الجزء الأول

ثبت الموضوعات

الجزء الأول

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الباب الثانى : فقه مراحل الدعوة إلى الله

المرحلة الأولى : مرحلة التعريف

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

المرحلة الثانية : مرحلة التكوين

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٢١ ص ب ٢٣٠

تلكس DWFA UN ٢٤٠٠٤